

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2
قسم التاريخ

الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين
(6 هـ / 7 هـ) (12م / 13م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إشراف الدكتور:

توفيق مزاري عبد الصمد

إعداد الطالبة:

مزياني فتيحة

لجنة المناقشة:		
رئيسا	جامعة الجزائر 2	أ. د/ الحاج العيفة
مشرفا ومقررا	جامعة المدية	أ.د/ توفيق مزاري عبد الصمد
مناقشا	جامعة الجزائر 2	أ.د/ بوعلام صاحي
مناقشا	جامعة المسيلة	أ.د/ الطاهر بونابي
مناقشا	جامعة الجزائر 2	أ.د/ عبد الحميد خالدي
مناقشا	جامعة البليدة 2	أ.د/ الطيب بوسعد

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

من باب التقدير و العرفان بالجميل أتقدم بجزيل الشكر إلى الاستاذ الدكتور توفيق مزارى
عبد الصمد، الذي اشرف على هذه الرسالة حتى رأته النور في شكلها النهائي ، فقد تولى
الأستاذ الفاضل على عاتقه مسؤولية الإشراف على هذه الرسالة، وقد نصحتني أستاذي الكريم
نصائح قيمة ممدت بالفائدة العميمة على هذا العمل مما ساعدني على تخطي الكثير من
العقبات فله جزيل الشكر و اجل التقدير و جزاه الله خير الجزاء على كل سعيه في باب العلم و
المعرفة، كما أتقدم بخالص الشكر لكل من قدم لي يد العون و المساعدة لاسيما كل المعلمين
و الأساتذة الذين اناروا لنا طريق العلم و المعرفة و حثونا عليه ، كما أتوجه بشكري الخالص إلى
الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول قراءة هذه الرسالة و مناقشتها، و
سيتم اخذ كل الملاحظات بعين الاعتبار، كما اشكر كل من لم يبخل علي بالدعاء.

إهداء

الى كل المشايخ الصادقين المخلصين العاملين من العباد و العلماء حيثما كانوا و اينما وجدو

في مشارق الارض و مغاربها.

الى روح جدي وجدتي رحمهما الله و طيبه الله ثراهما

الى امي العالمة

الى ابي العزيز

الى كل الاخوة و الاخوات

الى كل الانوال و الخالات

الى كل الاعمام و العمات

الى شهداء ثورة الجزائر

و الى اطفال نخبة الابطال المجاهدين

المقدمة

المقدمة:

إن موضوع "الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي" خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م/13م) له أهمية كبيرة جدا في البحث والدراسة حيث أنه يختص بدراسة التصوف بكل ماله من تأثيرات عميقة في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ويظهر ذلك النشاط البارز لمشايخ الصوفية في الجانب السياسي والاجتماعي والعلمي من خلال دورهم في مجريات الأحداث في المشرق الإسلامي و تأثيرهم في سيرها بتدخلهم الايجابي احيانا وبتدخلهم السلبي في احيان اخرى.

و لأن الوقوف على حقيقة التصوف في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين له قيمة كبرى خاصة و أن الموضوع يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب التطبيقي والنظري لرجال الحركة الصوفية ومدى تدخلهم بصورة ايجابية أو سلبية في مختلف المجالات الحيوية للحياة خاصة وأن المشرق الإسلامي كان يعيش مرحلة صعبة للغاية في هذه الفترة التي ساد فيها الاضطراب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ففي القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين تعرض العالم الإسلامي إلى أخطار خارجية شكلت تهديدا واضحا لأمن واستقرار العالم الإسلامي الذي تعرض للغزو الصليبي ثم للغزو المغولي فيما بعد مما جعل المسلمين يتراجعون عن مكانتهم السيادية في العالم خاصة وأن النزاعات الداخلية قد زادت حدتها بين الحكام المسلمين حتى بين أفراد الأسرة الحاكمة الواحدة.

إن تطرق العديد من المؤرخين لموضوع التصوف أو "الحركة الصوفية" بمختلف صوره وأنواعه قد أراح الغطاء عن جزء كبير من الموروث الصوفي الذي بقيت مفاهيمه السوية وبعضا من مفاهيمه المنحرفة عند البعض ممن حادوا عن النهج القويم و الطريق السليم للتصوف، وهذه المفاهيم بشقيها مازال أثرها حتى الآن في الوسط الاجتماعي للمشرق الإسلامي بل للعالم الإسلامي ككل مشرقا ومغربا وعلى الرغم من كثرة ما قيل في الموضوع يبقى الخوض في موضوع الحركة الصوفية و أثرها في المشرق الإسلامي خلال هذه الفترة، فيه صعوبات بالنسبة للباحث الذي يريد الوقوف على حقيقة التصوف بكل موضوعية خاصة وأن اللعبة السياسية تلقي بظلالها بقوة على بعض المواقف مما

يزيد من التعظيم على حقيقة الأحداث وعلى من يجب أن يتحمل مسؤولية تلك الأحداث و
المواقف و رغم كثرة الكتابات عن التصوف إلا أن موضوع الحركة الصوفية وأثرها في
المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ / 7هـ) (12م / 13م) لم يخصص بدراسة شاملة في
مختلف المجالات، و الدراسات التي وجدت أغلبها تتناول دراسة شخصيات منفردة سواء
من القرن السادس الهجري أو من القرن السابع الهجري أو دراسات لبعض الجوانب من
القرنين السالفين ومنها سلسلة الفقهاء للاستاذ عبد الحليم محمود درس فيها مجموعة من
الشخصيات الصوفية منها الشيخ احمد البدوي وابو الحسن الشاذلي وغيرهم كثير
أما بحث بهذا الشكل فلم أقف على أي دراسة مشابهة له بشكل بحث تاريخي وبهذا يبدو
ان هذا العمل قد اكتسى حلة جديدة.

وانطلاقاً من هذه المعطيات فضلت دراسة هذا الموضوع دون غيره و المواصلة فيه
على الرغم من صعوبته، خاصة و أن أستاذي المشرف في الماجستير الأستاذ الكريم
خالد علال قد فضل هذا الموضوع واستحسنه على غيره من المواضيع و كذلك تشجيع
أستاذي المشرف الكريم مزارى عبد الصمد لمواصلة البحث في نفس الموضوع، و قد جاء
اختياري للبحث في فترة القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر
الميلاديين تحديداً دون غيرها من الحقب الزمنية الأخرى لمجموعة من الأسباب ألا وهي:
أولاً: في هذه الفترة وصل التصوف إلى قمته في المشرق الإسلامي و بخاصة في
القرن (7هـ / 13م) بسبب الظروف التي كانت تعيشها المنطقة آنذاك والتي هيأت الجو
المناسب لانتشار التصوف في أوساط المجتمع المشرقي.

وثانياً: في هذه الفترة ظهرت مجموعة من التغيرات و التقلبات السياسية والاقتصادية
والاجتماعية في المشرق الإسلامي جعلت التصوف يحتل مكانة عالية في المرجعية
الدينية آنذاك إضافة إلى هجرة عدد كبير من صوفية المغرب والأندلس والذين كان لهم
تأثير في الحياة الصوفية وتوجهاتها الفكرية إلى المشرق الإسلامي وقد أثروا في تياراتها
التي كانت منقسمة ما بين تيار صوفي فلسفي و تيار صوفي سني ملتزم.

وثالثا: وصل التصوف إلى مستوى معقد فكريا دخلت عليه بعض النظريات الفلسفية وهذا ما أدى إلى ظهور مجموعة من التيارات الصوفية زاد من تدعيمها وفود صوفيين أندلسيين و مغاربة إلى جانب الصوفيين المشرقيين، و ما نتج عن ذلك من تآثر وتفاعل بينهم في الناحية الفكرية.

ورابعا: عرفت الطرق الصوفية انتشارا واسعا في مختلف أرجاء المشرق الإسلامي ، وقد زاد توسعها وانتشارها بسبب تشجيع الحكام المسلمين للصوفية خاصة وأن لها تأثير كبير على مختلف الشرائح الاجتماعية لمكانتهم في نفوس العامة و الخاصة وأثرهم كان واضحا أيضا في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية.

خامسا: لقد تميز تصوف القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بنواحي ايجابية كثيرة ظهرت واضحة في ملامح الحياة العامة في المشرق الإسلامي خلال هذه الفترة ونواحي أخرى سلبية لبعض الصوفية أو المدعين الانتساب إليها حيث عملت جاهدة لإلقاء الضوء على كل تدخل منها محاولة رصد الجوانب المضيئة والجانب المظلم لهذه الحركة التي تأصلت في أعماق المجتمع المشرقي الإسلامي خاصة إذا ما علمنا أن تاريخ ظهورها يعود إلى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، و هذا ما جعل ارث أربع قرون من التصوف تظهر جليا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وهما القرنان المخصصان للبحث والدراسة

ولان التصوف موضوع في غاية الاهمية لارتباطه الوثيق بالعقيدة الاسلامية ولاثره الكبير في المشرق الاسلامي خلال هذه الفترة كان لابد لنا ان نتساءل عن ماهو دور الحركة الصوفية في المشرق الاسلامي؟ وما هي انواع المؤسسات التي عرفها المشرق الاسلامي انذاك؟ وما هي الحواضر التي عرفت انتشارا لهذه المؤسسات؟ وماهو دورهم في المجتمع المشرقي؟ وهل كل تدخلاتهم كانت في مستوى واحد من الايجابية لكل الاتجاهات الصوفية؟ وماهو دورهم في الحياة العلمية؟ وعلى مجموع هذه التساؤلات قامت دراستنا التي هي بين ايديكم.

اتمنى من خلال هذه الدراسة وهذا البحث أن أقدم عملا متميزا ودراسة جامعة عن الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي في هذه الفترة مبينة أهم إسهامات رجال الحركة الصوفية في مختلف المجالات والميادين وذلك من خلال رصد و تتبع نشاطاتهم حتى نكمل رسم الصورة المفصلة عن التصوف و رجاله في هذه الفترة الهامة من تاريخ العالم الإسلامي واقف على ملامح الحياة الأدبية عند أفراد الحركة الصوفية خلال قرني الدراسة.

لقد واجهتني في هذا العمل مصاعب كثيرة منها ما كان في فترة جمع المادة من المكتبات ولا أريد التضرر منها كثيرا لأنها خطوة أساسية وهامة لانجاز البحث ، ومن الصعوبات التي واجهتني صعوبة اللغة الصوفية ورغم الخبرة التي اكتسبتها من خلال دراستي التي قمت بها في رسالة الماجستير إلا أن الصعوبة في فهم اللغة والمصطلحات الصوفية لتزال باقية عندي حتى الآن وهذا ليس غريبا لأنهم أهل عمق و غوص في المعاني فهم يركزون على العمق الروحي وهذا ما لا أتقنه كثيرا وإن فهمت أشياء فانتني أشياء أخرى و صعبت عليا، فأنا رغم محاولاتي لم أستطع أن أكون أكثر بلاغة من مشايخ الصوفية أنفسهم في طريقتهم لإيصال المعاني الخاصة بأهل التصوف في أكثر الأوقات مما جعلني أحافظ على خصوصيتهم كما هي و كما وردت على لسانهم في أوقات كثيرة.

ومن الصعوبات التي اعترضت طريق بحثي صعوبة تكييف المادة مع موضوع الدراسة، و الذي ركزت فيه على رقعة جغرافية كبيرة مترامية الأطراف في المشرق الإسلامي و في فترة زمنية طويلة قدرت بقرنين من الزمن هذا أرهقني كثيرا من جهة ومن جهة أخرى كان لزاما عليا تتبع تنقلات مشايخ الصوفية و أسفارهم في الأقطار الإسلامية المختلفة بأن أرصد علاقاتهم السياسية وأحدد طبيعتها وأن أقف على مختلف تدخلاتهم في الحياة الاجتماعية إيجابا و سلبا ، وهذا كان صعبا جدا و متعبا و تطلب مني الكثير من الوقت و الجهد و الصبر بينما لم أجد صعوبة كبيرة في الجانب الفكري لأفراد الحركة الصوفية لأن المصادر تحدثت عن هذا الجانب و بإسهاب سواء ما كان يحسب لهم أو ما كان يحسب عليهم في بعض الانحرافات العقيدية عند بعض الصوفية.

وفيما يخص منهج الدراسة فقد اعتمدت على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمقارنة فتعاملت من خلاله مع مادة المصادر في شكلها النثري و الشعري لتوضيح مختلف ملامح و مظاهر الحياة الصوفية التي تناولتها في دراستي تحدثت من خلالها على البناء الداخلي للحركة الصوفية وكذا الحياة الفكرية لأفراد الحركة الصوفية ولقد اعتمدت مع السرد التاريخي للأحداث على التحليل والاستنباط أحيانا و على النقد في أحيان أخرى وهذا في الحديث عن نشاط الصوفية و تدخلهم في مختلف مجالات الحياة كما اعتمدت على الوصف و المقارنة و قد استعملتهما في مواضع متفرقة من الدراسة ومنها إحصاء أنواع و عدد المؤسسات الصوفية في مختلف أقاليم المشرق الإسلامي خلال فترة الدراسة و كذلك التعرف على علماء الحركة الصوفية و مؤلفاتهم.

وفيما يخص المصادر والمراجع فقد اعتمدت على مجموعة من المصادر الهامة في انجاز هذه الدراسة، وقد كانت متنوعة ما بين كتب التاريخ العام و التراجم و كتب الطبقات والرحلات والتي ظهر فيها الحضور البارز و المكثف "لرجال الحركة الصوفية" في مختلف نواحي الحياة السياسية منها والاجتماعية والأدبية و الفكرية عامة في المشرق الإسلامي، و قد تحدثت الكثير من المصادر عن دور الصوفية وإسهاماتهم في منطقة المشرق الإسلامي، وفي هذا المقام سأكتفي بذكر أهم المصادر و المراجع التي كان اعتمادي عليها كبيرا في هذه الدراسة التي بين أيديكم، و قد بدأت أولا بذكر كتب التاريخ العام: و هي مهمة جدا للإحاطة بالإطار التاريخي الزمني لموضوع البحث خاصة وأنها تتضمن معلومات جمة و متنوعة عن حياة الصوفية وإسهاماتهم و تدخلاتهم في مختلف الميادين خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين ومن هذه الكتب الهامة نذكر: كتاب المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم للمؤرخ و الفقيه ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد واسمه أبو الفرج، (ت 597هـ/ 1201م) (ط1، دائرة المعارف للنشر، حيدر أباد الدكن، 1358هـ، ج10)، وهو مصدر هام فيه أحداث تاريخية كثيرة، فالمؤلف لما رأى اهتمام الناس بمعرفة بدايات الأشياء و حبهم سماع أخبار الأنبياء و حنينهم لمطالعة سير الملوك و الحكماء فهم يرتاحون لذكر ما جرى للقديماء، و المؤرخون في هذا يختلفون فمنهم من يذكر أخبار الأنبياء ومنهم من يكتب عن أخبار الملوك و الخلفاء، في حين أن أهل الأثر يفضلون

ذكر العلماء و يحبون أحاديث الصلحاء كما أن هنالك من يميل إلى أهل الأدب و الشعراء ان هذا الكتاب جامع لغرض كل باحث وسامع.

و قد افادني هذا الكتاب في الاطلاع على الملامح العامة للحياة في جميع ميادينها في المنطقة خاصة ما كان من أحداث و تطورات خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ومن هذا الكتاب تعرفت على المكانة العالية التي كان يتمتع بها مشايخ الصوفية عند طبقة الخلفاء و الحكام و السلاطين و الأمراء فقد كانوا يجلونهم و يقدرونهم و يقربونهم إليهم بتكريمهم و يتقربون إليهم.

و كذلك كتاب مهم آخر هو كتاب "الكامل في التاريخ" لمؤلفه المعروف بابن الأثير وهو محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ / 1232م)، (تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1415هـ / 1995م)، وهو مؤلف جامع لأخبار الخلفاء و السلاطين و الملوك ، وقد ذكر فيه أخبار ملوك الشرق و الغرب ، وأحوال الناس و أوضاع البلاد وحال العباد، و قد بقي المؤرخ ابن الأثير يسجل الأحداث التاريخية بحسب السنين إلى غاية الوقت الذي عاش فيه، وهو يعتبر مكملًا للتاريخ الكبير للمؤرخ أبو جعفر الطبري، و قد ذكرت فيه الحوادث المختلفة فقد كان سرد الأحداث سردًا تاريخيًا مرتبًا حسب السنوات وقد اهتم ابن الأثير في هذا الكتاب بتسجيل كل الحوادث كبيرة و صغيرة ومن مختلف المناطق كما ذكر الشخصيات الكثيرة على اختلاف مناهلهم و مشاربهم وإسهاماتهم، و قد أفادني الكتاب في التعرف على الكثير من مشايخ الصوفية العباد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين، فالمؤلف لم يفته التدوين لهذه الشخصيات الصوفية التي كان لها دورها البارز في منطقة المشرق الإسلامي وفي مختلف المجالات، كما تعرفت من خلال هذا المصدر الهام في الدراسات التاريخية على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية خلال فترة الدراسة المحددة بالقرنين (6هـ / 7هـ) (12م / 13م).

و كتاب ذيل مرآة الزمان لمؤلفه قطب الدين اليونيني (ت 654هـ / 1256م)، (دائرة المعارف العثمانية للنشر ، حيدر آباد الدكن، 1374هـ)، وقد ألف قطب الدين هذا الكتاب حتى يسهل مهمة الدارسين للتاريخ حتى يستطيعوا الاطلاع على أحوال السابقين فتكتمل

الفائدة و تعم، وقال قطب الدين انه فضل الاعتماد على كتاب مرآة الزمان" دون غيره لما فيه من روايات صحيحة فالمؤلف أخبر عن نفسه بأنه اطلع على مؤلفات كثيرة جدا إلا أنه اختار هذا الكتاب تحديدا دون غيره لما اشتمل عليه من أخبار صحيحة ورواية موثوقة، و مؤلف كتاب مرآة الزمان هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط الإمام جمال الدين عبد الرحمان بن الجوزي (ت654هـ / 1256م)، رحمة الله عليه، فقد عمل المؤلف (الذيل) على اختصار كتاب مرآة الزمان.

وكان المؤرخ الفقيه الإمام شمس الدين ابو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي قد توقف عند سنة (654هـ / 1256م)، وهي سنة وفاته رحمه الله، وقد قام قطب الدين باختصار أحداث الكتاب وزاد عليه و أكمله بما وقع من أحداث إلى غاية (678هـ / 1289م)، وكان قد أخبرنا عن نفسه بأنه غير مختص في مجال التاريخ فهو إذن هاو في التاريخ و رغم ذلك فقد استفدت منه في استقاء معلومات هامة حول الأوضاع في مختلف الميادين في المشرق الإسلامي و بخاصة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، كما وجدت فيه معلومات متنوعة عن طبيعة حياة الصوفية في تلك الفترة من الزمن وهذا خدمني كثيرا في الموضوع.

ومن الكتب المهمة جدا والأساسية في هذه الدراسة، كتاب البداية والنهاية لمؤلفه الغني عن التعريف الإمام المؤرخ ابن كثير الدمشقي (ت 748هـ / 1348م) مكتبة المعارف للنشر، بيروت، لبنان)، وهذا المؤلف يحتوي على أربعة عشر مجلد كما أنه يعتبر مصدرا جامعا لمختلف الأخبار والحوادث أخبار ملوك و أمراء و سلاطين و عباد و علماء كما فيه حديث عن الأوضاع المختلفة لمناطق المشرق الإسلامي ولأهم الأحداث بها، فقد سجل المؤرخ الأحداث إلى غاية سنة (751هـ / 1351م)، وقد أفادني هذا الأخير في الاطلاع على حياة أهم مشايخ صوفية القرنين السادس و السابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، كما وقفت على ترجمات وافية لهم فعرفت كم كان لهم من الإسهامات الكثيرة في مختلف الميادين الحيوية للحياة على اختلاف مشاربهم ما بين صوفية سنية و أخرى صوفية فلسفية و أخرى فيها من الإباحية، كما أعطانا الكتاب صورة واضحة و مفصلة عن مختلف الوقائع والأحداث التي كانت

تجري في المنطقة في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي غلب عليها الاضطراب في تلك الفترة من الزمن.

وكتاب المقدمة الذائع الصيت لمؤلفه المعروف عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ / 1405م)، (دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان) والذي تحدث بتفصيل عن التصوف و مظاهره و صورته المختلفة كما أنه حدد مفهومه و أنواعه و مضامينه و أسسه ، فقد ساعدني في ضبط المفاهيم الخاصة بالتصوف بصورة جيدة كما أنه تحدث عن مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية مشرقا ومغربا فأخذت منه ما تعلق من أحداث بالمشرق الإسلامي خلال فترة الدراسة فاتضحت أكثر الأحداث و رسمت الصورة العامة للمنطقة.

وكتاب آخر لا يقل أهمية عن سابقه ألا وهو كتاب "تاريخ الخلفاء" لصاحبه المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ / 1504م) (دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان) ، وهو مؤلف هام حوى في طياته الكثير من الأخبار والمعلومات عن أعيان الأمة وحكامها و أمرائها و خلفائها و سلاطينها و عبادها (صوفيتها) و علمائها، وقد كانت الأحداث في الكتاب متناسقة مرتبة ترتيبا زمنيا متسلسلا حتى تكون الفائدة فيه أكبر، وقد ركز فيه المؤلف و بحسب عنوانه على طبقة الخلفاء والحكام غير أن هذا لا ينفي أبدا أنه أورد معلومات كثيرة أخرى أفادتنا في معرفة أوضاع البلاد و أحوال و ظروف معيشة العباد في ذلك الوقت من الزمن، كما تعرفنا على مختلف الأحداث التي جرت خلال فترة حكم كل خليفة من الخلفاء كما اطلعنا على الشخصيات التي كان لها أثر واسع وتأثير كبير في تحريك مجريات الأحداث في تلك الفترة، وقد أفادني الكتاب في معرفة مكانة بعض مشايخ الصوفية ورجالاتها كما أفادني أيضا في الاطلاع على أحوال المشرق الإسلامي.

أما من كتب التراجم والسير فقد اعتمدت على كتاب العبر في خبر من غير للحافظ شمس الدين الذهبي، (وهو كتاب من تحقيق صلاح المنجد، ط2، مطبعة حكومة الكويت للنشر 1984م). وهو كتاب مفيد و مهم جدا في الموضوع، قال عنه مؤلفه بأنه تاريخ مختصر على عدد السنين، وقد ذكر فيه أهم الأحداث التاريخية كما ذكر الوفيات، و قد تعرفت من خلال الكتاب على حياة الصوفية عن قرب و بالتفاصيل فقد اعانني كثيرا على

رسم صورة متكاملة الملامح عن نمط معيشة الصوفية وتأثيرهم في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وهو كتاب جامع لأخبار رجال القرنين المدروسين وخصالهم ومآثرهم وتأثيرهم، وقد اهتم المؤلف كثيرا بحفظ التاريخ و بكل مصداقية و شفافية قال بأنه أخذ عن سبقه في التاريخ و مجاله فهو مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي حيث قال المؤلف بأنه اعتمد كثيرا على كتبه و على ما جمعه في مؤلفاته كما أخذ عن ابن خلكان وغيره، وقد رتب هذا الكتاب ترتيبا زمنيا بحسب السنوات الهجرية.

وقد أفادني الكتاب في معرفة مدى تأثير الشخصيات الصوفية في الأحداث التي وقعت في المشرق الإسلامي خلال القرنين و كذا دورهم في المجال السياسي والاجتماعي والعلمي في المنطقة المدروسة وفي زمن البحث.

ومن الكتب المفيدة التي استعملتها في هذه الدراسة كتاب تلبيس إبليس لمؤلفه الإمام عبد الرحمان بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي (ت 597هـ / 1201م)، و تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، 1425هـ / 2005م). وهو كتاب مهم للغاية فهو كتاب قيم من أهم الكتب التي ناقشت قضايا العقيدة الإسلامية بعين النقد والبصيرة و التعمق ففيها ذكر لما كان يقع من مغالطات في الدين فقد بين الأخطاء التي وقع فيها جملة من الناس على اختلاف انتماءاتهم وانتسابهم، وقد تحدث عن الأغاليط والزيف الذي وقع فيه بعض المنتسبين أو المدعين الانتساب إلى الصوفية الذين حادوا عن طريق الحق (كتاب الله و سنة رسول الله (ص)) فزلت أقدامهم و تحولوا من بداية طريق للعبادة الصحيحة العميقة روحيا إلى أناس ظلوا الطريق الأمثل وابتعدوا عن المشوار الروحي للكامل وحادوا عن جادة الصواب والحق الأجل فابتعدوا عن نعمة كانوا فيها آمنين هي العبادة لله جل وعلا و تحولوا من نعمة إلى نقمة سقطوا فيها فاستحلوا الحرام و حرموا الحلال (والعياذ بالله) ، و هذا يصدق على البعض فقط وليس على الكل وهذا لا يقلل أبدا من قيمة الصادقين مع الله في تعبدهم ومع الخلق في نصحتهم و في التعامل معهم بكل رقي أخلاقي و بكل صفاء روحي فهؤلاء الصادقين حقا قدرهم محفوظ من الله جل وعلا وعند الخلق أيضا. فهذا الكتاب وضح الخرافات والأباطيل

والخزعلات التي وقع فيها كل من انحرف عن الطريق القويم لهذا الدين المتين ففيه توجيه للعودة إلى المنهج الديني السليم . وقد أفادني الكتاب في الوقوف على الانحراف الذي وقع فيه بعض الصوفية أو من المدعين الانتساب إليهم فأصبحوا من المدلسين فتصرفوا بتصرفات لا تليق بالمنتسبين للملة الإسلامية من غير الملتزمين فما بالك بمن يريدون أن ينسبوا أنفسهم للعباد الصوفيين فهذه مغالطة كبيرة من هؤلاء فالكتاب حقيقة قد كشف عن الكثير من خبايا النفوس البشرية.

أما فيما يخص كتب الطبقات فهي الأخرى أفادنتي في رصد ملامح حياة الصوفية في بلاد المشرق الإسلامي منها كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء المؤلفة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي اصبيعة (ت 668هـ/ 1270م)، (تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، لبنان). وعلى الرغم من أن الكتاب مهتم بأخبار الأطباء و علم الطب والبارعين في هذا المجال و البارزين فيه فهو كتاب يحوي الكثير من المعارف و الفوائد و الأخبار المفيدة لي في هذه الدراسة التي تبين وضع التصوف تناول الكتاب تراجم شخصيات مهمة عاشت خلال هذه الفترة خاصة في القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي، وهو كتاب ثمين ومؤلفه من علماء القرن (7هـ/ 13م) وهو صرخدي الأصل، فهو من بلاد الشام من منطقة صرخد تحديدا، وقد كتب هذا الكتاب عيون الأنباء سنة (643هـ/ 1246م)، وقد شجعه على كتابته و دعمه أمين الدولة غزال وزير الملك الصالح بن الملك العادل، وهو كتاب تضمن أخبارا من كتب التراجم والطبقات وقد أثاره بمعلومات هامة وكثيرة و قد اطلعت من خلاله على أوضاع بلاد المشرق الإسلامي في مختلف الميادين. كما تحدث عن بعض الشخصيات الصوفية كما انه سجل أشعارهم.

وكتاب وفيات الأعيان و أنباء الزمان لمؤلفة أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ/ 1283م) (تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للنشر ، بيروت، لبنان، 1968م) وكتبه المؤلف أكمله في الديار المصرية سنة (669هـ/ 1271م)، وقال ابن خلكان أنه سجل مختلف الأحداث بعد تمحيصها و تأكده من صحتها و يبدو واضحا أنه بذل جهدا كبيرا في ذلك وقد تعرفت من خلال هذا الكتاب

على الشخصيات الصوفية التي عاشت في المشرق الإسلامي أو سافرت إليه من بلاد أخرى واستقرت فيه أو عادت وهذا خلال الفترة التاريخية المدروسة.

وكتاب طبقات الشافعية لمؤلفه أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين قاضي شهبه (ت 581هـ / 1448م) ، (تحقيق عبد العليم خان، د. ط، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، 1407م)، وهو كتاب مهم اعتمد عليه من جاء بعده من المؤرخين كالنعيمي وابن العماد الحنبلي، وقد وردت في الكتاب تراجم كثيرة لخيرة العلماء من الصوفية و الفقهاء المشهورين المعروفين بتأثيرهم في مختلف مجالات الحياة في فترة الدراسة و بخاصة القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهذا خدمني كثيرا في إتمام هذه الدراسة التي هي الآن بين أيديكم.

وكذلك كتب الرحلات الجغرافية بدرجة أولى فإضافة لأهميتها في تحديد الأماكن و المعالم الجغرافية والمناطق المختلفة للعالم الإسلامي فإنها تحمل في جنباتها معلومات كثيرة ومهمة عن ملامح الحياة في البيئة المشرقية الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه هذه الرحلات كما أنها أوردت (هذه الكتب الجغرافية) معلومات تاريخية هامة وردت في طياتها ومن هذه الكتب كتاب رحلة ابن جبير لمؤلفه محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي أبو الحسن (ت 614هـ / 1217م) (دون محقق، دون طبعة، دار الكتاب اللبناني للنشر)، وقد أفادني كثيرا في الاطلاع على أهم المؤسسات الصوفية التي كانت موجودة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي و قد جاءت بأسلوب واضح، سهل، بسيط.

وكذلك الكتاب المشهور "رحلة ابن بطوطة" المؤلفة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الذي ولد سنة (703هـ / 1304م)، (تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4، دار مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، 1405هـ). كتاب مهم من الناحية الجغرافية لأن مؤلفه قد طاف الأرض وطوى الأمصار مختبرا و معتبرا كما أنه اختلط مع الناس من العامة فعرف طبيعة حياتهم عاداتهم وتقاليدهم معاملتهم وأمزجتهم... الخ كما دون لنا أخبار الملوك والأمراء والأولياء والعلماء ، وعلى الرغم من أن هذه الرحلة كانت خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي إلا أن الكتاب أفادني فيما يخص

المؤسسات التي سكن بها الصوفية مهتمين بعباداتهم خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي تناول الكتاب أيضا في ثناياه أحداث تاريخية .

اعتمدت أيضا على كتب الموسوعات ومنها كتاب "نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ، 1632م)، و هذا الكتاب موسوعة مهمة في التاريخ المشرقى و المغربى والأندلسى فقد تحدثت الموسوعة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية و الفكرية في هذه المناطق. و رغم أن في الموسوعة نقص أشار إليه كاتبها إلا أنني استفدت منه في معرفة تنقلات الصوفية و رصد تحركاتهم في حلهم و ترحالهم، و قد وقفت من خلال هذه الموسوعة على تنقل الصوفية من الأندلس إلى المغرب و المشرق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وقد أفادني كثيرا في الجانب الفكري عند الصوفية خاصة الصوفي الأندلسي محي الدين بن عربي الذي رحل إلى المشرق الإسلامي و الظروف التي عاش فيها ومؤلفاته وهذا ما خدم هذه الدراسة في الجانب الفكري العقدي.

و فيما يخص كتب "التصوف" والتي استعملت عددا كبيرا منها غير أنني سأكتفي بذكر البعض منها فقط على سبيل المثال لا الحصر كتاب "حلية الأولياء و طبقات الأصفياء" لمؤلفه أبي نعيم الأصفهاني (ت 430هـ)، (دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان) ، وهو كتاب قال عنه مؤلفه بأنه كتاب مخصص للسادة المحققين الذين جعلوا خلفاء الأنبياء، و عرفاء الأصفياء المقربين إلى الرتب الرفيعة، المؤيدين بالمعرفة و التحقيق، المقومين بالمتابعة و التصديق معرفة تعقب لمعرفتهم موافقة، وهو كتاب يضع مجموعة من أعلام المتحققين من المتصوفة و من كبار مشايخهم الفضلاء الأصفياء، وترتيب طبقاتهم من الزهاد والعباد وممن عرف الطرائق و فارق العوارض و العلائق، وقد أعانني هذا الكتاب في التعرف على شخصيات صوفية عديدة ومهمة لدراسة هذا الموضوع فقد تعرفت من خلاله على المشايخ السابقين الاوائل في التصوف وكيف كانت عبادتهم و اخلاقهم حتى استطيع ان اقارن بينهم وبين مشايخ صوفية فترة الدراسة و ملاحظتي على الكتاب أن مؤلفه قد ذكر الكثير من الكرامات فيها ما هو معقول وفيها ما هو غير مقبول.

وكتاب الفتوحات المكية لمؤلفه الصوفي المعروف محي الدين بن عربي المعروف بالحاتمي الطائي (ت 638هـ / 1240م)، وهو كتاب قيل أنه فتح به على هذا الشيخ الصوفي الملقب بالشيخ الأكبر ويعرف عند أكثر الصوفية بالشيخ العادل والإمام وبالراسخ الكامل خاتم الأولياء الوارثين، وهو كتاب يحوي عقيدة وحدة الوجود التي برع المؤلف في شرحها، و قد اطلعت أكثر على هذه الفكرة غير أنه وكما قلت سابقا أني ما زلت أجد صعوبة في فهم دلالات معاني الألفاظ الصوفية وخاصة الممزوجة بالصبغة الفلسفية و كما هو معروف عن الصوفية أنهم أهل عمق و أهل باطن لذلك كان صعبا الحكم بالظاهر على الباطن والله الموفق والمستعان.

وكتاب "طبقات الأولياء" لمؤلفه ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت 804هـ / 1406م) (تحقيق نور الدين شرينة، ط1، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، القاهرة، (1393هـ / 1973م)، وهو كتاب احتوى على الكثير من التراجم لمشايخ الصوفية منذ منتصف القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، أي أنه شمل تراجم لمشايخ القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقد أفادني الكتاب في رسم صورة متكاملة لمظاهر التصوف في الحياة الاجتماعية والروحية خلال القرنين، وذلك من خلال أبرز أعلام التصوف، وهكذا أكون قد وضحت مكانة التصوف والصوفية خلال هذه الفترة و رصدت بذلك تدخلاتهم في مختلف الميادين الحياتية السياسية والاجتماعية... الخ وحددت تدخلاتهم الايجابية و التدخل السلبي للبعض منهم أو لبعض من ادعى الانتساب إليهم كما تطرقت لمجموع التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية و العلمية التي شارك فيها الصوفية بشكل أو بآخر وكان لهم تأثير فيها بدرجات متفاوتة كما كان صنعهم للحدث متفاوتا من صوفي لآخر و يبقى الحكم على الأشخاص بمدى الايجابية أو السلبية في التدخل.

وأما بالنسبة للمراجع التي اعتمدت عليها فقد كانت كثيرة أذكر الأهم فقط ومنها كتاب الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها وروادها ، لمؤلفه عامر النجار (الطبعة الثالثة، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة (1986م)، وهو مرجع مهم بل في غاية الأهمية عن التصوف فهو يجيب عن الكثير من التساؤلات المطروحة حوله فقد تحدث

عن حقيقة التصوف كما أنه سلب الأضواء على الطرق الصوفية وتاريخ نشأتها متحدًا عن نظمها واصفا خصائصها، متحدًا بتركيز واهتمام عن دور صوفية المغرب والعراق في حركة الطرق في المشرق الإسلامي خاصة في مصر، وقد استفدت من هذا المرجع في الوقوف على نشاط الصوفية خلال الفترة المدروسة، وقد وضح المرجع أيضا أثرهم الكبير في إرساء قواعد التصوف في الوسط المشرقي الإسلامي وبين دورهم في مختلف المجالات.

وكتاب مدخل إلى التصوف الإسلامي لمؤلفه أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر، مصر، القاهرة (1399هـ / 1979م)، وهو كتاب تناول فيه مؤلفه القيم الأخلاقية والروحية الإسلامية والتي هي أساس للتصوف السليم، وقد ذكر ما بني عليه التصوف من القيم الزكية والأخلاق الطيبة مركزا على ضرورة محاسبة النفس محاسبة ومراقبة مستمرة ، وهذا أكيد يكون في التصوف السليم عند الصوفيين الصادقين، وقد أفادني هذا الكتاب في الاطلاع على مفاهيم التصوف ومذاهبه المختلفة بأسلوب سهل علاوة على كونه مدعم بنصوص كثيرة من أقوال الزهاد و العباد الصوفية على اختلاف اتجاهاتهم وأزمنتهم مما سهل عليا التعرف أكثر على حياة المتصوفة عن قرب ومعرفة نشاطاتهم وتأثيرهم في محيطهم.

وكتاب أبو حفص عمر السهروردي، لمؤلفته عائشة يوسف المناعي (الطبعة الأولى ، دار الثقافة للنشر، الدوحة، قطر، 1412هـ / 1911 م)، وهو مرجع اهتم بدراسة شخصية صوفية جد مهمة وفعالة في سير الأحداث، وعلى قدر كبير من الأهمية خلال فترة القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي وهذه الشخصية مميزة جدا في زمنها فالشيخ شهاب الدين السهروردي ، يعتبر شيخ الطريقة في زمنه فهو من كبار المشايخ العارفين والأئمة العابدين، وقد كان له دور كبير وتأثير واضح في بعض الأحداث، وهذا الكتاب نالت به الباحثة درجة الماجستير بتقديم ممتاز من فرع الفلسفة التابع لقسم العقيدة بجامعة الأزهر سنة 1985م، وقد أفادني كثيرا هذا المرجع في كل ما تعلق بحياة الشيخ أبو حفص السهروردي.

وكتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، لمؤلفه عرفان عبد الحميد فتاح (دار الجيل، بيروت، لبنان، دون تاريخ)، و يوجد في هذا الكتاب دراسة شاملة للأفكار الصوفية ومقارنتها مع النصوص القرآنية وتوضيح التناقض الموجود بين الآراء الفلسفية وبين العقيدة الإسلامية والكتاب فيه محاولة لإبراز وإظهار العناصر الغريبة على الفكر والعقيدة الإسلامية، وقد أفادني هذا الكتاب في الاطلاع على الجانب الفكري العقائدي للحركة الصوفية بل لاتجاه منه أكثر شيء ألا وهو الاتجاه الفلسفي.

ومن المراجع التي أشرت إليها وكانت حاضرة في هذه الدراسة كتاب "هذه هي الصوفية" لمؤلفه عبد الرحمان الوكيل (الطبعة 3، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، 1399هـ / 1979م)، وهو كتاب يذكر فيه تجربته الشخصية مع صوفية هو عاش معهم يقول بأنهم متقلبين بأوهام الخرافات و يذكر المؤلف الذكريات التي عاشها وكان فيها ضحية لفكر صوفي فيه الكثير من البدع، والكتاب عبارة عن شكوى لشيوخ الصوفية لما كان يقع فيه أفراد هذه الطائفة التي عاش معها المؤلف من مخالفات شرعية مدعما ذلك بأدلة من تاريخ الصوفية المبتدعة (وليس كل الصوفية أكيد وإنما طائفة منهم) وقد اعتمدت على هذا المرجع المعاصر لان فيه شبه في بعض الاخطاء والمغالطات التي كان يقع فيها بعض المنتسبين لصوفية فترة دراستنا.

وكتاب "مظاهر الانحرافات العقديّة عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية" لمؤلفها أبو عبد العزيز إدريس محمد إدريس (مكتبة الرياض للنشر، السعودية 1419هـ / 1998م) ، وهذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة و أصول الدين، قسم العقيدة ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدرجة تقدير ممتاز ، وقد حاول المؤلف تفسير عقيدة وحدة الوجود عند بعض الصوفية في مواضيع متفرقة و قد أشار إلى خطر المعتقدات الخاطئة عند بعض أتباع الصوفية على الإسلام و المسلمين غير أن الملاحظ على هذا الكتاب أنه عمم الحكم و الحقيقة أن هذا فيه تعصب في الرأي والوسطية لا تكون بهذا الشكل وإنما الوسطية في الحكم تسبقها الروية و التقصي والبحث في الكل و ليس في جزء ثم يأتي الحكم بل أقول فيه نسبة من الصحة و ليس كل الصحة.

والتصوف في المشرق الإسلامي عرف مجموعة من الدراسات التي اطلعت عليها عن الحركة الصوفية غير أن أغلب هذه الدراسات قد تناولت بالبحث شخصيات معينة بالدراسة و البحث عنها وفيها كسلسلة الدكتور عبد الحليم محمود، الذي تحدث فيها عن أبرز الشخصيات الصوفية ككتاب "الشيخ أحمد البدوي" وكتاب آخر عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، كما عثرت على رسالة ماجستير تم فيها دراسة الديوان الشعري الصوفي لمحي الدين بن عربي المعروف بديوان "ترجمان الأشواق" للباحث قدور رحمانى و كذا مذكرة السنة أولى ماجستير للأستاذ مراد تجنانت حول الشيخ "العز بن عبد السلام" و رسالة الماجستير للأستاذ محمد بن بريكة من قسم الفلسفة جامعة الجزائر و التي تناول فيها دراسة الجانب الفكري عند محي الدين بن عربي، والحقيقة أنني لم أجد على حد علمي دراسة وبحث بالشكل الذي اخترته أنا وأظن أنني بهذا أكاد اجزم قطعاً أنني ارهقت نفسي باختيار هذا الموضوع لأنه موضوع صعب و مرهق جداً والله الموفق والمستعان. والدراسة الآن شاملة لقرنين هما القرن السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وبالنسبة للخطة التي سرت عليها في هذه الدراسة والتي وردت في الرسالة كانت على الشكل التالي: أولاً قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، حيث تضمنت المقدمة الأهمية البالغة لهذه الدراسة مع توضيح سعيها الحثيث للوقوف على الحقائق التاريخية لهذا الموضوع، محددين الإشكالية في مجموعة من التساؤلات معرجين على وصف المنهج الذي اتبعناه في هذا البحث متعرضين لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا العمل الذي بين أيديكم

الفصل الأول تناولت فيه الأوضاع العامة في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، والذي تطرقت فيه إلى مختلف ميادين الحياة على تنوعها فقد ذكرت الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة وكذلك الأوضاع العسكرية كما تطرقت أيضاً إلى الأوضاع الاجتماعية محاولة رسم صورة متكاملة المعالم عن طبيعة الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي كما لم يفتني الحديث عن الوضع الاقتصادي الذي عاشته البلاد الإسلامية المشرقية في تلك

الفترة وأيضا لم أستطع ان افوت على نفسي الحديث عن الحياة العلمية والإشارة إلى نشاط العلماء من الصوفية في مختلف العلوم و الأكيد أني تحدثت عن لب الموضوع ألا وهو التصوف هذا الموضوع المتشعب المرهق حيث تحدثت عن أهم أعلامه من كبار المشايخ العباد الصوفيين .

أما الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى الحديث عن المؤسسات التي تواجد فيها الصوفية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وذلك حسب الأمصار من بغداد إلى القاهرة.

و قد ذكرت تنوع هذه المؤسسات مابين خوانق وأربطة و زوايا كان لها دور كبير في التكافل الاجتماعي وفي الحياة الدينية والعلمية و بينت في الدراسة أنواع المؤسسات و أماكن تواجدها و مناطق توسعها وانتشارها.

أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تحدثت من خلاله عن مشاركة الصوفية في الحياة السياسية و دورهم فيها والذي كان بارزا و ظاهرا في بعض المواقف بل كان تدخلا شجاعا ورأيا حازما مع ما كان يعصف بالعالم الإسلامي من انزلاقات سياسية خطيرة آنذاك وهنا أستحضر الموقف الحازم للشيخ العز بن عبد السلام ولن أتحدث هنا أكثر عن هذه الحادثة التي تبين مدى حزم الشيخ في الحق وأنه لا يخشى في الحق لومة لائم فعلا موقف جريء لإنسان حازم في الحق و باقي المواقف ستكون في الدراسة لاحقا ، كما تحدثت عن مشاركتهم في الجهاد وهذا يمثل دورهم في المجال الحربي العسكري ومشاركتهم كانت اعلاء للحق و دفاعا عن الأرض وحفاظ على حرمة هذا الدين الإسلامي الحنيف لأن الكفر إذا سيطر على بلاد الإسلام عاثى فيها فسادا وهكذا تحدثت عن طبيعة العلاقة التي كانت تجمع مشايخ الصوفية بالحكام ودورهم في الجهاد.

أما الفصل الرابع فقد أبرزت فيه دور المشايخ العباد من الصوفية في الحياة الاجتماعية، و قد ركزت في رصد نشاطهم هذا بمعابنة تدخلاتهم في المجال الاجتماعي حيث تعددت أدوارهم وكثرت خدماتهم لمجتمعهم المشرقي بمختلف فئاته و شرائحه خاصة الصوفية السنية و هؤلاء يمثلون الصفة بما امتازوا به من أخلاق إسلامية راقية و في

أسمى معانيها الروحية تظهر تدخلهم الايجابي في المجتمع من خلال إحيائهم لكل الصفات والأخلاق الحميدة و التي تجمع بين عمق و روح الدين الإسلامي و أصالة المجتمع العربي المشرقي فكانت ثمار تدخلهم في الحياة الاجتماعية طيبة بتوسيع دائرة التكافل الاجتماعي وتربية الأجيال على الأخلاق الفاضلة كما اضافة الى جهودهم الكبيرة في الوعظ والإرشاد وأعمال الخير الكثيرة.

غير أن هناك البعض منهم زلت أقدامهم ولم يحسنوا السير في الطريق السليم فابتعدوا عن الهدى الصحيح فكان تدخلهم سلبيا في المجتمع المشرقي فوقعوا في المحظورات غير أن الحكم يكون للأصل في التصوف والأصل يمثله التصوف السني الملتزم.

أما الفصل الخامس فقد تحدثت فيه عن دور الصوفية في الحياة العلمية والفكرية في هذا المقام تحدثت عن نوعين من التصوف أحدهما تصوف ملتزم سني وتصوف آخر دخلت اليه الفلسفة فظهرت فيه مجموعة من النظريات الفلسفية كفكرة الحلول ، ووحدة الوجود، والوحدة المطلقة، كما سجلت مجهوداتهم التي قاموا بها في مجال التعليم، وكذلك تحدثت عن دورهم في نشر العلوم المختلفة و محافظتهم عليها وما تركوه من تراث علمي وإنتاج أدبي، لقد وضحت في هذا الفصل التوجه السني والتوجه الفلسفي في التصوف كما سجلت النشاط العلمي الكبير والرائد في مختلف العلوم عند مشايخ الصوفية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين ، كما ذكرت بعض النماذج لتراثهم العلمي والأدبي خلال الفترة المدروسة.

وفي الخاتمة انتهيت إلى جملة من النتائج تمحورت حول إبراز مختلف الأدوار التي قام بها رجال الحركة الصوفية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين ، في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية حيث أبرزت أهم الأحداث و التطورات التي شهدتها الحركة الصوفية كما رصدت ملامح و طبيعة تدخل أفراد الحركة الصوفية في الوسط المشرقي الاسلامي ما بين صوفية سنية واخرين متشبعين بالافكار الفلسفية .

وفي الأخير أتمنى التوفيق من الله في هذه الدراسة التي بذلت فيها قصارى جهدي وحاولت ما استطعت حتى يكون العمل جادا موفقا و هذه الدراسة إن لقيت قبولا فإن ذلك كله يعود إلى توفيق الله الكريم المعين و إلى الدعم والتشجيع و النصح الذي حظيت به من كل من شجعني، وهذه الدراسة ما كانت لتكون بهذا الشكل و بهذه الحلة الجادة لولا مساعدة الأستاذ الكريم المشرف الدكتور مزارى توفيق عبد الصمد الذي لم يبخل عليا بالنصح و التوجيه ، وفي هذا المقام الطيب لا أنسى أن أشكر كل من قدم لي النصح و مد لي يد العون حتى تكتمل هذه الدراسة و تلبس حلتها النهائية الجميلة.

وفي الأخير أجد نفسي أعترف بأن اي نقصان فهو من نفسي لكن عذري الطيب في ذلك أنني بذلت ما في وسعي و حاولت قصارى جهدي و الحقيقة أن عملي هذا كان بفضل التشجيع و الصبر و التفهم الكبير لعائلتي التي شاركتني العناء النفسي الكبير الذي عشته مع هذه الدراسة، فلهم مني كل التقدير والشكر و العرفان بجميل الصنيع. والحمد و الشكر لله الكريم.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في المشرق الإسلامي في النصف الثاني

من القرن (11/هـ)م

المبحث الأول: الظروف السياسية والعسكرية

المبحث الثاني: الظروف الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث: الحياة العلمية خلال النصف الثاني من القرن (11/هـ)م

المبحث الرابع: أوضاع التصوف خلال النصف الثاني من القرن (11/هـ)م

الظروف العامة في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن (5هـ/11م):

1) الظروف السياسية والعسكرية:

عرفت منطقة المشرق الإسلامي أحداثا هامة و خطيرة في تاريخها عامة خلال النصف الثاني من القرن (5هـ/11م)، وذلك على امتداد مساحتها الجغرافية الواسعة الأرجاء حيث شهدت المنطقة أزمات سياسية و عسكرية عديدة بسبب الضعف الذي دب في الخلافة العباسية ومركز حكمها بغداد نتيجة أطماع المتغلبين عليها من بلاد الأندلس (اسبانيا) غربا إلى بلاد الهند والترك شرقا وهي التي كانت في وقت سابق رمزا لقوة الدولة الإسلامية وعظمتها بتحكم الخلفاء في زمام الحكم غير أن هذا الوضع سرعان ما تغير بضعف الخلافة التي أصبحت مجرد رمز ديني لا غير حيث قامت بنواحيها مجموعة من الدويلات و التي كان منها من كان يحكم باسمها و منها من كان منفصلا عنها تماما¹ فالخلافة العباسية في المشرق لم تسلم من الضعف والانهيار بمرور الوقت وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في تاريخه عند وصفه لأحوال ومصير الدول القائمة عبر التاريخ قائلا بأنها تقوم ثم تقوى شوكتها ثم تضمحل باستيلاء غيرها عليها²

وهذا القول ينطبق على حال الخلافة العباسية المركزية في بغداد التي ظهر فيها الخلاف و الضعف و التمزق حيث ألغي فيها دور الخليفة السياسي و أصبح دوره مقتصرًا على الجانب الروحي فقط.³

¹-ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، تصحيح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج6، ص335، و المقرئ التلمساني:نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1415هـ - 1995م)، ج1، ص219، ص317، ص419، كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة، مركز الاسكندرية للنشر، مصر، الاسكندرية، (1997م)، ص ص (49-50)، أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للنشر، ص97، عبد المجيد نعيمة: الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، ص (133-170).

²- ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، تقديم عبد الهادي منصور، عبد القادر بوزيدة، أحمد مهني، دار موفم للنشر، الجزائر، (1995)، ج2، ص (167-179).

³- إبراهيم بيضون: الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط3، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1406هـ - 1986م)، ص (335-351).

كما كانت كل من الدولة الإدريسية¹ بالمغرب الأقصى، و الدولة الفاطمية² بالمغرب ثم مصر منفصلة هي الأخرى عن الخلافة العباسية بالمشرق الإسلامي وعن مركز حكمها بغداد.

وهكذا أصبح العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تحكمه ثلاث خلافات مستقلة عن بعضها البعض متفرقة ألا وهي:

الخلافة العباسية في بغداد (بالمشرق الإسلامي) و الخلافة الأموية في الأندلس و كذا الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا ثم بمصر³ وفي هذه الفترة من الزمن كانت الخلافة العباسية قد قطعت أشواطاً في السير نحو الأفول و الاضمحلال بعدما عرفت "وهنا كبيراً" نخر في اوصالها و قلبها النابض بغداد، وهي التي شهدت قبلاً عصرها الذهبي و حكمت مشارق الأرض و مغاربها خلال عصر القوة الذي امتد من (132هـ - 232هـ/ 749م - 846م) وهي الفترة التي كان الشغل الشاغل للخلفاء فيها وهدفهم الأكبر إبقاء أسس الخلافة و دولتها قوية و متماسكة⁴. غير أن دوام الحال من المحال حيث انقلبت الموازين في الخلافة العباسية و سارت من القوة إلى الضعف خلال النصف الثاني من القرن (5هـ/ 11م).

¹ الدولة الإدريسية: وقامت بالمغرب الأقصى على يد إدريس بن عبد الله الذي توجه إلى المغرب والتف حوله البربر و اجتمعوا تحت إمرته حيث نجح في تأسيس دولة علوية وهي الدولة التي نسبت إليه "دولة الدارسة" و كانت هذه الدولة من أكثر الإمارات استقلالاً عن العباسيين وقد عاصرت الفاطميين في المغرب و كذا الأمويين في الأندلس واستمرت من (172هـ - 275هـ) أي (788م - 888م). الخصري محمد بك : تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، تحقيق الشيخ محمد العثماني، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، ص ص (86 - 87).

² الدولة الفاطمية: وقامت بأرض المغرب بفضل جهود عبيد الله المهدي المتوفى سنة (322 هـ - 934م) و قامت هذه الدولة سنة (296 هـ - 909م) ، وقد خلف عبد الله في أبنائه حتى جاء المعز لدين الله الذي تمكن منه العودة إلى المشرق و إلى مصر تحديداً سنة (362 هـ - 973م) لتقوم بها الدولة الشيعة. السيوطي جلال الدين: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، (1371هـ - 1952م)، ص 450، محمد حسن العيدروس: حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، ط1، دار الكتاب الحديث للنشر، (1431هـ - 2010م)، ص ص (08 - 09).

³ أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر، الدار اللبنانية للنشر، ص 121 - 135

⁴ مولود جودت فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ط1، دار الفكر اللبناني، (1990م)، ص 8.

لقدت تعاقب على الحكم في هذه الفترة ثلاثة من الخلفاء العباسيين، وأول خلفاء هذه المرحلة: "القائم بأمر الله"، أبو جعفر عبد الله بن القادر الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (422هـ- 1031م)، وهو الذي لقب "بولي العهد" في حياة أبيه وهو الذي منحه لقب "القائم" وقد بقي في الحكم إلى غاية (467هـ/ 1075م)، فكانت بذلك مدة حكمه أربعة وأربعين سنة و خمسة وعشرون يوماً¹، غير أن فترة حكمه لم تكن لتستمر حيث لم تستتب له الأوضاع لكثرة الاضطرابات التي شهدتها المنطقة عامة و بغداد مركز الحكم خاصة ، حيث لم تكن لتهدأ له الأمور².

ففي عهده ضعفت الخلافة العباسية ببغداد و تدهورت أوضاعها حيث لم يعد الخليفة العباسي قادراً على بسط نفوذه فيها كما أصبح عاجزاً على إحكام سيطرته عليها و قد تعطل في بغداد القضاء و الفتوى، وكثر اعتداء الجند الأتراك على الناس حيث استباح الجند الأتراك أموال العامة فنهبوا ظلماً و جوراً باستعمال القوة³.

ومن الدويلات التي أحكمت سيطرتها على بغداد الدولة البويهية التي حكمت من (334هـ- 447هـ)، (942م- 1055م) والتي بسطت نفوذها على بلاد فارس و العراق غير أن هذه الدولة شهدت انحطاطاً كبيراً إثر ذلك الصراع الذي كان قائماً بين جلال الدولة⁴

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص 216، السيوطي، مصدر سابق، ص113.

² - نفس المصدر، ج15، ص(216- 220)، الحضري محمد بك: تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، تحقيق

أحمد حطيط، ط1، دار الفكر اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، (1994م)، ص262.

³ - وقد سبب هذه الفتنة الغلمان الأتراك الذين كانوا يعملون كجند للخليفة القائم بأمر الله فطالبوه بمرتباتهم غير أن الخليفة لم يكن قادراً على أدائها لهم في أوقاتها لقلّة موارد الدولة آنذاك فلم تكد تصل سنة (426هـ- 1034م) حتى عاثى هؤلاء الجند فساداً في بغداد حتى أنهم وصلوا إلى غاية جامع المنصور في أطراف بغداد. نفسه.

⁴ - جلال الدولة: هو جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة خطب باسمه في منابر بغداد، وكان والياً على البصرة، وكان اول سلطان على بغداد في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (422هـ-467هـ)، (1031م-1075م)، ولم يستقر الحكم له لكثرة شعب الجند الأتراك الذين طالبوه بدفع مستحقاتهم المالية غير أنه لم يكن قادراً على دفعها بهم مما أثار غضبهم عليه و قد كان خلال الدولة ضعيفاً و قد طلب من الخليفة القائم أن يلقبه بلقب "ملك الملوك" فامتنع عنه الخليفة. الحضري، مرجع سابق، تحقيق محمد العثماني، ص335.

و أبي كاليجار¹ على الحكم مما أدى إلى إضعاف جلال الدولة و هذا على الرغم من ذلك الصلح الذي تم بينهما و الذي تدعم بزواج أبي منصور بن أبي كاليجار من ابنة جلال الدولة في سنة (428هـ / 1037م)، غير أن أبي كاليجار هذا قد انتهز فرصة موت جلال الدولة (صهره) سنة (435هـ / 1044م) للاستيلاء على عرش السلطة البويهية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية.²

وفي الوقت الذي تم فيه استيلاء أبي كاليجار على السلطة في الدولة البويهية وظن بأنه سيطر على الحكم غير أن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً فقد وصلت الدولة البويهية إلى أواخر عهدها بدخولها مرحلة الانحلال التام حيث تحولت بغداد إلى مسرح تعمه الفوضى و الشغب و حياة يومية عنوانها البارز اللا استقرار.³

و كنتيجة حتمية للأوضاع الكارثية التي أصبحت تعيشها بغداد لجأ الخليفة العباسي القائم بأمر الله للاستعانة بالسلاجقة⁴ القوة الناشئة في المنطقة و ذلك بغرض التخلص من سيطرة البويهيين الشيعة خاصة وأن الدولة البويهية قد أصبحت ضعيفة و بلغت إلى قمة تدهورها و خاصة مع كثرة الصراعات الدائرة فيها بين أفراد الأسرة المالكة حول الحكم حيث أصبح مصير الدولة البويهية بين أيدي السلاجقة، الذين أخضعوا البويهيين لسيطرتهم على الرغم من كون السلاجقة وفي هذه الفترة لا يزالون يشكلون (يمثلون) قوة

¹ - أبي كاليجار: حكم سنة (416هـ - 1024م) وهو من البويهيين وهو ابن أخ جلال الدولة وهو الذي استقر في الملك بعده وهو أبو كاليجار المرزباني بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة وقد لقبه الخليفة بمحي الدين ولم يكن عهده بأحسن من عهد عمه فلم تستقر له الأوضاع هو الآخر فلم يكن بأحسن حظ من عمه. ابن الجوزي، مصدر سابق، ص224، محمد بك الخضري، مصدر سابق، ص338.

² - نفسه، قباني محمد: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصاله للنشر، الجزائر، (1431هـ- 2010م)، ص99.

³ - بطرس البستاني: موسوعة الحضارة الإسلامية، العصر العباسي، دار الكلمات للنشر، ص558.

⁴ - السلاجقة: وهم من أسرة تركية كانت بلاد ما وراء النهر و تعود أصولها إلى الجد الأكبر "سلجوق بن دقاق" الذي عرف بكفائه العسكرية وكثرة أتباعه، و تعود أصولهم إلى قبائل العز ونسبهم يعود إلى جدهم و كانوا يسكنون إقليم تركستان وقد هاجروا إلى ديار الإسلام، و توسعوا في مناطق خراسان نيسابور الري وأصفهان و توسعوا في بلاد فارس و العراق و قد بسطوا سلطانهم على العراق في عهد طغرل بك. ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص30، محمد بك الخضري، مرجع سابق، تحقيق محمد العثماني، ص339. وللاطلاع أكثر على مناطق توسع السلاجقة انظر الملحق الاول، ص

ناشئة في منطقة المشرق الاسلامي¹. و للإطلاع أكثر على مناطق توسع السلاجقة أنظر الملحق رقم 1 ص

و قد تمكن السلاجقة من توسع حدود مملكتهم بسرعة فائقة حيث سيطر قائدهم "طغرل بك" على أقاليم واسعة منها مرو حاضرة خراسان وما تلاها من المناطق كما توسعوا في كرمان ووصلوا حتى أصفهان² و بعد أن تمكن الحاكم السلجوقي "طغرل بك" من إحكام سيطرته على مناطق عديدة أصبح يفكر في بسط سلطانه على بغداد عاصمة العباسيين و مقر حكمهم و حاضرة الخلافة وقد ساعدته في تحقيق حلمه مجموع الظروف الغير مستقرة التي كان يعيشها العراق و التي شهدتها بغداد في ذلك الوقت حيث تمكن من تحقيق حلمه في الوصول إلى بغداد الحكم³.

وفعلا تمكن "طغرل بك" من دخول بغداد و بطلب من الخليفة العباسي القائم "بأمر الله" بذات نفسه على إثر فتنة البساسيري في بغداد⁴ لقد دخل السلاجقة بغداد سنة (447هـ/ 1055م)، عازمين على القضاء على سلطة البساسيري في بغداد المعروف ب" أبو الحارث أرسلان المظفر بن عبد الله" وهو من كبار قادة الجند الأتراك في بغداد في أواخر الحكم البويهى و يعتبر هذا الأخير بمثابة الحاكم العسكري العام للعاصمة بغداد وهو صاحب النفوذ الأكبر عند الخليفة⁵.

وقد كان البساسيري مواليا للشيعة والخليفة طوع يمينه حتى أصبح لا يمكنه استصدار أي أمر دون موافقته وهذه المكانة الكبيرة التي كانت له في بغداد إضافة الى موالاته للطائفة الشيعية جعلت الخلافة العباسية مهددة بالزوال في أي لحظة⁶ وبطلب من

¹- قباني محمد، مرجع سابق، ص100، بطرس البستاني، مرجع سابق، ص171.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص75، قباني، مرجع سابق، ص102.

³- قباني، نفسه.

⁴- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص75.

⁵- السيوطي جلال الدين، مصدر سابق، ص113، ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، لبنان، ج12، ص85.

⁶- نزار محمد قادر: الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية منذ تأسيسها و حتى سقوط بغداد، دار الكتاب الثقافي للنشر، (1426هـ - 2005م)، ص241.

ال خليفة القائم دخل السلاجقة بغداد مانحين ولاءهم و طاعتهم للخليفة العباسي له مقدمين فروض الطاعة والولاء معاهدين اياه على رفع راية الإسلام في ظل الخلافة العباسية مما جعل الخليفة راضيا عنهم و قد لقب "طغرل بك" بلقب "ملك المشرق و المغرب"¹.

و بتدخل السلاجقة في سير الأحداث و بوصولهم إلى مقر الحكم العباسي في بغداد لم تدم سيطرة البوهيين على العراق طويلا لأن نفوذهم بدأ بتراجع بشكل ملحوظ بدءا من الربع الأخير من القرن (4هـ/ 10 م)، و قد رافق هذا التراجع لهم الاضطراب الذي عاشته بغداد حتى القرن (5هـ/ 11م)، بسبب ذلك الصراع بين أمراء البيت البويهي على السلطة وما سمحت به هذه الأوضاع السياسية المضطربة و الضعف الكبير من تدخل القادة العسكريين المتمردين على السلطة المركزية و الخلافة العباسية ككل في التدخل في شؤون الحكم كما هو الشأن بالنسبة للبساسيري².

واستجد الخليفة العباسي القائم بالسلاجقة كان على إثر تخوفه من ذلك التقارب الكبير بين البساسيري و الفاطميين في مصر وهذا لميوله الشيعية، و هو ما يعتبر خيانة للخلافة العباسية السنية حيث أصبح الخليفة يحث "طغرل بك" على القدوم إلى بغداد مانحا له الموافقة على دخول بغداد ليصبح بذلك "طغرل بك" أول سلطان على السلاجقة منذ سنة (447هـ/ 1055م)، و قد خصه الخليفة القائم بأمر الله باستقبال باهر، و قد كان للخلافة العباسية مكانة كبيرة في نفوس السلاجقة الذين اعتبروها رمزا دينيا يمثل وحدة البلاد الإسلامية، كما اعتبروا الخليفة مجسدا لهذا الرمز فقدروه و أحاطوه بهالة من الإجلال و الإكبار، و رغم كون النفوذ الأكبر كان في الحقيقة بين أيدي السلاجقة إلا أنهم حافظوا على مكانة الخلافة العباسية ولو رمزيا باعتبار أن الخليفة يمثل عندهم السلطة الروحية المطلقة³ و هكذا نلاحظ أن سلطة الخليفة قد انحصرت في الجانب الروحي أكثر منه في الجانب السياسي.

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص75.

²- محمد أحمد عبد المولى: مغربيات في مشرقيات دراسات في التاريخ و الحضارة في العصر العباسي، ط1، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، مصر، الإسكندرية، (1410هـ- 1990م)، ص136، صص(138- 139).

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص75؛ محمد الخضري، مرجع سابق، تحقيق محمد العثماني، ص267، صص (270- 271)؛ محمد شعبان محمد عبد الحي: الدولة العباسية (الفاطميون)، ط1، دار الأهلية للنشر، بيروت،

فالسلاجقة أعادوا للخلافة العباسية هيبتها التي فقدتها مع البساسيري و الفتنة التي أحدثتها في بغداد، والذي عمل جاهدا لإخضاع مركز الخلافة العباسية للنفوذ الفاطمي الشيعي حيث جمع حوله العديد من الأتباع الغاضبين على الأوضاع السائدة في دار الخلافة و قد تمكن هذا الأخير من الاستيلاء على الموصل سنة (448هـ- 1056م)، و أقام الخطبة في مساجدها باسم الفاطميين ثم وسع البساسيري سلطانه نحو الكوفة و واسط و تلقى من الفاطميين مساعدات كثيرة حتى أنهم أعانوه بقوة عسكرية مكنته من التوجه إلى بغداد سنة (450هـ / 1058م)، فالبساسيري دخل بغداد و معه الرايات المصرية رمز الولاء للشيعنة وخضعت بغداد للخلافة الشيعية في مصر و أصبح الخليفة العباسي مهددا في عقر داره ببغداد حتى أنه اضطر للمغادرتها حفاظا على حياته.¹

وفي تلك الفترة التي شهدت فيها الخلافة العباسية هوانا كبيرا حاول القائد التركي المعروف بالبساسيري السيطرة على أكبر قدر ممكن من المناطق و كاد أن يستقر الأمر للفاطميين لولا تلك الشكوك التي ساورت الفاطميين بخصوص مدى صدق نوايا هذا الأخير مما جعلهم يمنعون عنه المساعدة و يقطعون عنه التأييد الذي خص به من قبلهم و هذا ما جعله يضعف أمام جيش "طغرل بك" الذي ألقى عليه القبض و قتله سنة (451هـ / 1059م)، و قد تمكن "طغرل بك" من هزم البساسيري بعدما تمكن من القضاء على ثورة أخيه عليه ابراهيم بن ينال في نفس الفترة.²

فالحقيقة هي أن البساسيري قد عاث فسادا في بغداد و قد ساعده الفاطميون في ذلك وهم في ديار مصر غير أنهم تمكنوا وعن طريق هذا القائد التركي الثائر من الوصول إلى مقر حكم الخلفاء العباسيين ببغداد.³

غير أن "طغرل بك" السلجوقي قد تصدى للبساسيري و لمؤامرة الفاطميين ضد الخلافة العباسية و سعيهم للسيطرة على بغداد حيث أنه لما اقترب جيش السلطان

لبنان، 1982م، ص 251؛ نفس المرجع، ص135، ص 138، ص(151- 165)؛ قباني محمد، مرجع سابق، ص (102- 103).

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص(30-31)؛ قباني محمد، مرجع سابق، ص 104.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص(30- 34)، ص (42- 45)؛ قباني، مرجع سابق، ص104.

³- طه الراوي: بغداد مدينة السلام، دار المعارف للنشر، د ط، د ت، ص 49.

السلجوقي من بغداد اضطر البساسيري للهرب منها و هكذا تمكن "طغرل بك" من إحكام سيطرته على بغداد بسهولة تامة بعدما سيطر عليها البساسيري مدة عام كامل، وقد أرجع "طغرل بك" الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى "دار الخلافة" معززا مكرما في 25 ذي القعدة 451هـ الموافق ل 14 ديسمبر 1059م، كما تمكن جند طغرل بك من قتل البساسيري في نفس السنة¹ و هكذا تسنى لطرغل بك تثبيت أقدام السلاجقة بأرض العراق بلد الخلافة العباسية.

لقد كان تعظيم السلاجقة للخلفاء العباسيين واضحا جليا فقد قدرهم حق قدرهم و أجلوهم و هذا هو شأن السلطان "طغرل بك" مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، و قد تبعه خلفاؤه من بعده في معاملتهم للخلفاء العباسيين معاملة حسنة كما يليق بمكانتهم² ومن خلال ما سبق تظهر المكانة الكبيرة للخلفاء العباسيين عند السلاجقة.

و بعد وفاة "طغرل بك" خلفه ابن أخيه سليمان بن داوود جغري لأنه لم يترك وريث له على العرش غير أن الناس قد اختاروا "ألب أرسلان" و فضلوه عليه، والذي تسلم الحكم سنة (455هـ/ 1036م) ، و قد تمكن هذا الأخير من توسيع حدود مملكته (مملكة السلاجقة)، التي انتقلت إليه من عمه "طغرل بك" و قد تمكن من تحقيق الاستقرار الداخلي بقضائه على حركات التمرد في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر وقد تمكن من تدعيم الوجود الإسلامي في أرمينيا، و أخذ مدينة حلب و دخلوا دمشق عن طريق إرسالهم لحملات عسكرية.³

تمكن السلاجقة بقيادة "طغرل بك" من فرض سيطرتهم على منطقة آسيا الصغرى تدريجيا، بعد ان اعتنقوا الإسلام بحماسة كبيرة وإخلاص حتى أنهم أصبحوا من حماته فهم الذين رعوه و تعهدوه بالحماية و عملوا على نشره و بسط نفوذه، وهم الذين وصلوا إلى قمة مجدهم في أواخر القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي تحت

¹ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص(30-51)؛ طه الراوي، نفس المرجع، ص (447- 552)، قباني محمد، مرجع سابق، ص ص(104- 105).

² - قباني محمد: مرجع سابق، ص105.

³ - قباني محمد، مرجع سابق، ص 16، ص ص(106-107)، محمد الخضري، مرجع سابق، ص 271، تحقيق أحمد حطيظ.

حكمهم فكانوا حماة للدولة الإسلامية الضعيفة في هذه الفترة، والتي حين أحس فيها الروم بضعف الخلافة العباسية ووهنها أرادوا أن يحكموا سيطرتهم على منطقة آسيا فضاغفوا من غزواتهم حتى أصبحت حملات عسكرية موسعة لاحتلال بلاد المسلمين وقد استولوا على مناطق كثيرة حتى توسعت دولتهم ووصلت إلى غاية مدينة أنطاكيا جنوبا.¹

و أكبر الانتصارات التي حققها السلاجقة على البيزنطيين كانت على عهد السلطان "ألب أرسلان" الذي حكم بعد وفاة عمه "طغرل بك" و الذي حارب الروم البيزنطيين و تظهر جهوده العسكرية و جهاده ضد الصليبيين المعتدين في معركة "ملازكرد" هذه المعركة الشهيرة في الصراع الإسلامي الصليبي وقد جرت هذه المعركة سنة (463هـ/ 1071م)، وذلك عندما أراد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع إخراج السلاجقة من آسيا الصغرى في محاولة لجعلها خاضعة للنفوذ البيزنطي فجهز جيشا كبيرا سنة (463هـ/ 1071م)، بلغ تعداده مائتي ألف مقاتل و قد تولى القيادة بنفسه و توجه الجيش إلى أرمينيا و عندما بلغ الخبر إلى مسامع السلطان ألب أرسلان، أعد العدة و قد جمع حوالي خمسة عشر ألف مقاتل و قد تعذر عليه جمع أكثر من ذلك و توجه بهم للقاء الجيش الصليبي والتقت مقدمة الجيش السلطاني بمقدمة الجيش البيزنطي فانتصرت عليها و أسر الإمبراطور البيزنطي والذي عومل معاملة حسنة تليق بالإسلام و أهله وقد تم تحريره بقدية² و هكذا حقق المسلمون انتصارا كبيرا على البيزنطيين في هذه المرحلة التي تعتبر مرحلة أولى من الصراع

عمل السلطان ألب أرسلان جاهدا على توسيع حدود مملكته التي ورثها عن عمه، وقد تمكن من تحقيق انتصارات كبيرة ضد خصومه سواء في الداخل أو الخارج حيث

¹ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص85، ص30. سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، ط1، دار الآفاق العربية للنشر و التوزيع، (1421هـ - 2001م)، ص ص (268- 269).

² ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص (125- 128)؛ فؤاد السيد حسين حيدر: أعظم أحداث العالم من تاريخ ما قبل الميلادي حتى نهاية 2005، د. ط. دار المناهل للنشر، بيروت، لبنان ص 79؛ الخضري محمد بك، تحقيق أحمد حطيظ، مصدر سابق، ص272.

سيطر على خراسان و منطقة ما وراء النهر حيث قضى على النفوذ الفاطمي بها¹ كما قضت معركة ملازكرد على النفوذ البيزنطي في أرمينيا ليفتح المجال أمام التوسع السلجوقي الإسلامي في منطقة آسيا الصغرى حتى ان السلاجقة أصبحوا يشكلون تهديدا للعاصمة البيزنطية و هي المعركة التي لا يمكن للباحثين أن يتجاهلوها كسبب أساسي في بحثهم عن جذور الحروب الصليبية وعن ظروفها.²

غير ان السلطان الب ارسلان تم طعنه من قبل يوسف الخوارزمي الذي طعنه فقتله، و بعد وفاته خلفه ابنه ملكشاه الذي تولى الحكم بعد أبيه بمباركة من الخليفة العباسي القائم بأمر الله و في فترة حكمه توفي القائم الخليفة سنة (467هـ / 1075م) و عمره أكثر من ستة و سبعين سنة و قد حكم بعد مقتل ألب أرسلان سنة (465هـ / 1073م) عندما كان متوجها في طريقه إلى بلاد ما وراء النهر لتأديب بعض الثائرين عليه و قد حكم مدة خمس وأربعون سنة، و قد عرفت فترة حكمه إنهاء الدولة البويهية و قيام الدولة السلجوقية وازدهارها.³

وقد انتقل الحكم العباسي بعد القائم لحفيده الملقب بالمقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله الذي حكم (467هـ - 487هـ / 1075م - 1094م) و في عهده وصلت الدولة السلجوقية إلى قمة مجدها و عظمتها على يد السلطان "ملكشاه" الذي حكم مدة عشرين عاما، وقد تمكن من مواصلة النجاح الذي حققه "طغرل بك" و ألب أرسلان، و ذلك بفضل مجهودات وزيره نظام الملك وقد تزامن أكثر ملكه مع خلافة المقتدي بأمر الله ، الذي اعتبر من خيرة بني العباس حيث عمل على إصلاح الأحوال ببغداد و القضاء على الفساد المنتشر بها غير أن الأحداث الخطيرة التي كان يعرفها المشرق آنذاك ، جعلت كل الأنظار تتوجه إلى الحكم السلجوقي صاحب النفوذ الأكبر، و لم يكن متجها لا الى الخليفة و لا إلى الخلافة العباسية بسبب ذلك الضعف المطبق على بغداد

¹ - عصام محمد شارو: السلاطين في المشرق العربي، معالم دورهم السياسي و الحضاري، السلاجقة الأيوبيون، دار النهضة للنشر، (1994م)، ص ص (21-22)؛ حسن علي حسن، عبد الرحمان سالم: مرجع سابق، ص 74، محمد الحضري بك، مصدر سابق، ص 571.

² - حسن علي حسن، عبد الرحمان سالم: مرجع سابق، ص (80-84).

³ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص(143-147).

وعلى خلفائها ، مقارنة بالتحديات التي شهدتها المرحلة وحتى حكم السلاجقة عرف هو الآخر اضطرابا في بداية حكم ملكشاه الذي دخل في صراع مع أخيه من أجل الحكم أما فيما يخص الروم فقد تمكن السلاجقة من فرض سيادتهم على أنطاكية غير أن الصليبيين لم ينسوا أنطاكيا و سيستولون عليها سنة (491هـ - 1098م).¹

و ب وفاة ملكشاه اضمحلت عظمة الدولة السلجوقية و تفككت أوامرها بسبب الصراع الذي قام بين أبنائه على الملك حيث طلبت أرملة ملكشاه من الخليفة العباسي أن يقر ابنها محمود الصغير على الحكم فوافق ملقباً إياه "ناصر الدنيا و الدين" غير أن أخوه الأكبر بركياروق أخذ منه الحكم و تلقب "بركن الدولة" و بدأ الصراع بينهما حول الحكم و مناطق النفوذ و قد أنهكت هذه الحرب الدائرة بين الإخوة قوة السلاجقة² و تدهورت قوتهم.

و عندما توفي الخليفة العباسي المقتدي سنة (487هـ - 1094م) خلفه ابنه أبو العباس أحمد المستظهر بالله و عمره 16 سنة و قد كان كريم الأخلاق لين الجانب كما وصفته المصادر التاريخية إلا أن طبيعة العصر الذي كان يعيش فيه قد حال دون أن يترك أثراً كبيراً في تاريخه.³

وقد شهد المشرق الإسلامي الحروب الصليبية المدمرة التي ارتكبت فيها أبشع الجرائم المروعة في حق المسلمين وهم الذين طالما تمتعوا بفيض من الكرم والتسامح في ظل الحكم الإسلامي حيث كانوا يؤدون مراسيمهم الدينية بكل حرية ويتمتعون بحقوقهم المدنية كما ضمنت لهم الدولة الإسلامية حرية التنقل في أرجائها، فقد كانوا يجدون مختلف ضروب الرعاية في حجهم إلى بيت المقدس غير أنهم قابلوا كل ذلك بالنقتيل والتعذيب والتتكيل في مختلف المدن التي سيطروا عليها جراء ذلك الحقد الدفين على الإسلام

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 240، ص 255. السيوطي، مصدر سابق، ص 365. عصام محمد شبارو، مرجع سابق، ص (32- 64)؛ محمد قباني، مرجع سابق، ص 351.

² - السيوطي، مصدر سابق، ص 365، ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 16، ص (90- 93)، ص (145- 147)، ج 17، ص 15.

³ - السيوطي، مصدر سابق، ص 368.

وأهله لذلك كان استيلاؤهم على المدن الإسلامية وحشيا¹ و السلاجقة في هذه الفترة كانوا عاجزين تماما عن حماية المسلمين وأراضيهم للضعف الكبير و التفكك والصراع الدائر بين أفراد البيت السلجوقي.

لقد كان تهاوي المدن الإسلامية في أيدي الصليبيين فاجعة كبرى للمسلمين ومن المدن التي سقطت في أيديهم "أنطاكيا" سنة (491هـ / 1098م) ، إثر خيانة الارمني فيروز الذي قيل بأنه ألقى الحبال على الأسوار حتى يتسنى للصليبيين الدخول إلى المدينة و قد فشل المسلمون في كل محاولاتهم لإنقاذ المدينة، وقد تعامل الصليبيون بنفس الأساليب الوحشية التي احترفوها أسلوبا لهم في كل مدينة تغلبوا عليها و في كل منطقة غلبوها.²

ولا تقل وحشية الصليبيين في مذبحه "بيت المقدس" عن سابقتها و ذلك سنة (492هـ - 1099م)، حيث تعاملوا بنفس الهمجية فقد اعملوا السيف في رقاب الهاربين دون شفقة أو رحمة ولم يوقفهم لا صراخ الأطفال و لا عويل النساء³ وهو نفس الوضع الذي شهدته كل المناطق (الأماكن) التي وصلتها أقدام الصليبيين من قتل و تدمير و تخريب.

لقد كان اتساع نفوذ السلاجقة و تهديدهم ليزنطا خاصة و أوروبا عامة و خصوصا بعد معركة "ملازكرد" سببا في قيام الحروب الصليبية حيث عقد البابا "اربان الثاني" مجمع كليرمونث في 18 نوفمبر (1095م / 488هـ)، و ألقى خطابا يدعو فيه مسيحي الغرب لتخليص الأماكن المقدسة المسيحية من قبضة المسلمين و طردهم منها قام السلاجقة بالتصدي لتلك الحروب حماية للعالم الإسلامي من أخطارها غير أن ذلك كان في بداية عهدهم فقط لأن الدولة السلجوقية لم تلبث أن بدأت تتمزق و تنهار بعد وفاة ملكشاه بدأ الصراع بينهم على حكم الشام فأصبحت قوتهم ضعيفة داخليا و خارجيا وهذه الأحوال

¹ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص43، جوزيف نسيم يوسف: الوحدة و حركات اليقظة العربية إبان العدوان

الصليبي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر، 1988، ص(07-16).

² ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص47، جوزيف نسيم، مرجع سابق، ص(7-16).

³ نفسه، سيد أمير علي: مرجع سابق، ص ص (282- 283).

المضطربة قد سمحت بنجاح الحملة الصليبية الأولى(489هـ / 1096م)، (491هـ/ 1099م) حيث اكتسحت الموجات الصليبية القوات السلجوقية في آسيا الصغرى ثم توجهوا نحو مدينة الرها الواقعة بين الموصل و الشام فاستولوا عليها وواصلوا زحفهم نحو أنطاكيا التي سقطت هي الأخرى بين أيديهم بعدما حاصروها حصارا محكما و كان النجاح الأكبر للصليبيين باستيلائهم على بيت المقدس في رمضان سنة (492هـ/ 1099م)، بعد حصار استمر عدة أسابيع ارتكبوا بعدها مجزرة رهيبة في حق السكان المقدسين الأمنيين.¹

لقد بقي السلاجقة عاجزين أمام هذا الزحف الصليبي، لأن أوضاع دولتهم كانت تنتقل من العز إلى الهوان كما كانت الخلافة العباسية خلافة شكلية لا غير و حتى الفاطميين في مصر لم تكن لهم القدرة على مجابهة الصليبيين الذين أصبحوا يمثلون قوة ضاربة في فترة النصف الثاني من القرن (5هـ/11م)، مقابل الضعف الكبير في الصف الإسلامي نتيجة الصراعات الداخلية التي كان يعيشها والتي أدت به (العالم الإسلامي) إلى الضعف و التقهقر.²

عرف المشرق الإسلامي وضعاً سياسياً و عسكرياً غير مستقر أبداً في هذه الفترة في المشرق الإسلامي خاصة مع ظهور الدويلات التي نافست الخلافة العباسية على الحكم بسبب ضعفها.³

ولعل أهم ما ميز هذه الفترة الحرجة من تاريخ المشرق الإسلامي ذلك الانتصار المرهلي للسلاجقة على الصليبيين في المرحلة الأولى من الصراع بل في بدايات الصراع الإسلامي الصليبي غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلاً وانكسرت شوكة المسلمين أمام إصرار الصليبيين في السيطرة على المشرق الإسلامي و شرastهم في الهجوم عليه حتى أن كل المحاولات للمسلمين في حماية أراضيهم قد باءت بالفشل⁴ غير أن الحروب

¹- ابن الجوزي مصدر سابق، ج16، ص 123، ج17، ص43، محمد قباني، مرجع سابق، ص116.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص48. قباني، مرجع سابق، ص ص (115- 116).

³- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: معالم تاريخ و حضارة الاسلام، دار الفكر العربي للنشر، مصر، القاهرة، (1998)، ص ص (184- 185).

3- احمد رضا، مرجع سابق، ص99.

الصليبية لم تأت بالنتائج التي كانت مرجوة من قبل من أشعلوا فتيلها حتى أنها اعتبرت هفوة سياسية كبيرة ظهرت فيها الأحقاد الدفينة على الإسلام وأهله.¹ ما نستنتج من خلال ماسبق ان المنطقة كانت عانت من وضع سياسي غير مستقر كما عانت من الحروب.

(2) الظروف الاقتصادية والاجتماعية:

لقد عانى المشرق في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي من ويلات الحروب التي جرت أحداثها بالبلاد الإسلامية خاصة الخطر الداهم على المشرق ألا وهو الخطر الصليبي الحاقد على الإسلام والمسلمين مخلفا خسائر كبيرة في الأرواح، وقد أسهم في هذا الوضع اللا أمن في المشرق ذلك الضعف السياسي الكبير الذي شهدته الخلافة العباسية، نتيجة ظهور دويلات منفصلة عن بعضها البعض تسودها الفرقة و الصراع و حب السيطرة على بعضها كل هذه الأوضاع المتردية في المنطقة قد أثرت بشكل أو بآخر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي.

و الجدير بالذكر هنا هو أن الحديث عن العصر العباسي خلال القرن (5هـ/ 11م)، يختلف كثيرا عن الفترة العباسية الأولى التي تميزت بقوة اقتصادية كبيرة حيث كانت الزراعة مزدهرة في المشرق الإسلامي والتي توفرت لها كل الظروف المؤدية لتطورها حيث وجدت شبكة من الأنهار الكبيرة التي وفرت المياه الضرورية لسقي المزروعات إضافة إلى وجود الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة وخاصة تلك الموجودة على ضفاف الأنهار وهذا مما ساعد على إيجاد أنواع مختلفة من المنتجات الزراعية

¹- احمد رضا، مرجع سابق، ص99.

الهامة¹ وهذا يبين مدى الاهتمام الكبير للعباسيين بالجانب الفلاحي والاهتمام بزراعة البساتين التي كان لها دورها في ازدهار اقتصاد البلاد المشرقية.²

لقد لعبت النهضة الزراعية دورا بارزا في تحقيق الازدهار الاقتصادي لما توفرت عليه من شروط أساسية لمثل هذه النهضة بتوفر الأراضي الصالحة لزراعة مختلف المحاصيل الفلاحية وقد ارتبط ذلك الازدهار بالتطور الذي عرفه نظام الري بفضل وجود المصادر الأساسية للسقي كنهري دجلة و الفرات اللذان انتشرا في أطرافهما البساتين الغناء الوارفة الظل و الثمار وقد انتشرت مختلف الزهور و النباتات الجميلة التي زينت المنازل و القصور البغدادية وهذا إلى جانب ما كانت تمتلكه الدولة من ثروة حيوانية خدمت هي الأخرى الجانب الاقتصادي وهو نفس الرقي الاقتصادي الذي عرفته الدولة البويهية و دولة السلاجقة لتحكمهم في زمام الحكم وفي الاقتصاد المشرقي بدلا من الخليفة العباسي لضعفه و تغلبهم على المناطق.³

و الازدهار الاقتصادي للبلاد المشرقية مرتبط بدرجة كبيرة بمنطقة النهرين التي تعتبر من أجود الأراضي الزراعية إنتاجا في البلاد الإسلامية بعد نهر النيل ولذلك نلاحظ اهتمام خلفاء بني العباس بالزراعة فاهتموا بإنشاء القنوات و شق الآبار فتتوعت المحاصيل الزراعية كما ولع العباسيون بالزهور و الورود فاهتموا بالحدائق و زينوا بها الدور و القصور.⁴

فعلى الرغم من الأوضاع السياسية و العسكرية غير المستقرة في البلاد المشرقية عامة و الشامية خاصة والتي أثرت على اقتصادياتها إلا أن الحياة الحضارية المتطورة

¹ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد محروم، دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1408هـ- 1987م)، ج1، ص (107- 111).

² حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي والاجتماعي، العصر العباسي، دار الجيل، لبنان، بيروت، ج4، ص 368.

³ قباني محمد، مرجع سابق، ص(154-156).

⁴ بطرس البستاني: موسوعة الحضارة الإسلامية، العصر العباسي، دار كلمات للنشر، ص600.

في البلاد قد دفعت بمن يمارس الزراعة إلى تنمية خبراته و استثمارها في أرضه حتى يحسن من وضعه المعاشي و الاقتصادي.¹

إلا أن البلاد المشرقية لم تسلم خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، من أزمات عديدة عصفت بالاستقرار الاقتصادي للبلاد الإسلامية و جعلت الوضع الاقتصادي على المحك ففي عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله تأخر سقوط المطر عن وقته المعتاد في السنة التي تولى فيها الحكم (422هـ/1031م)، فكان الإنتاج ضعيفا جدا بسبب الجفاف الذي أصاب المنطقة وما انجر عنه من آثار سلبية على مختلف المزروعات حتى لم يجد أغلبية الناس ما يقتاتون به وقد أصاب هذا الجفاف منطقة واسعة جدا حيث لم تسلم منه الري و همدان و حلوان وواسط و مناطق فارس و كرمان.²

وحتى أن هذه الظروف الاقتصادية المتدهورة قد أثرت على الحج الذي تعطل في هذه الفترة، وقد استمر هذا الجفاف الذي أصاب المنطقة المشرقية عند ولاية الخليفة العباسي القائم حتى سنة (423هـ/1032م)، حتى أن الخليفة قد طلب من الناس أن يصلوا صلاة الاستسقاء و قد وصل هذا الجفاف حتى وادي النيل بمصر التي تضررت منه.³

وتعرضت المنطقة في نفس الفترة إلى موجة برد شديدة جمدت أثناءها المياه في حواف نهر دجلة كما هبت رياح رملية مع استمرار الجفاف حتى أصبحت الأرض قاحلة و هلك الثمار و الزروع وعدد كبير من المواشي كل هذا صاحبه هبوب رياح شديدة، وقد رافق هذه القلة ارتفاع شديد في الأسعار خاصة مع التلف الذي أصاب المزروعات في الموصل و الأهواز وواسط حتى أن المزارعين لم يسترجعوا بذورهم و ضربت المنطقة مجاعة شديدة أكلت فيها كل المواشي وقد انتشر على إثر ذلك وباء كبير في خرسان

¹- أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي (463هـ- 769هـ)، دراسة سياسية واجتماعية و ثقافية اقتصادية، عسكرية، ط1، دمشق، سوريا، (1984م)، ص184.

²- احمد اسماعيل، مرجع سابق، ص184. وللتعرف على مناطق ماوراء النهر انظر الملحق رقم 2، ص

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص (220-22)

وجرجان و منطقة الري واصبهان و نواحي الجبل و الموصل و بغداد لم تسلم هي الأخرى أيضا.¹

وقد استمر هذا الوضع الاقتصادي المتدهور في سنة (450هـ/ 1058م) سقط برد كبير الحجم أفسد المزروعات و أهلك الدواب² كما تعرضت المنطقة إلى خطر الفيضانات العارمة حيث ارتفع منسوب الأنهار حتى أن نهر دجلة زاد منسوب المياه به وأغرقت المنازل جراء تلك الفيضانات وقد أرجعوا سبب ذلك إلى انتشار الفساد الأخلاقي واستباحة شرب الخمر وقد انعدمت الزراعة³. انتشرت الأمراض والأوبئة ببغداد والجزيرة⁴ كما تعرضت المنطقة سنة (458هـ/ 1066م) إلى هبوب رياح شديدة الحرارة هلكت على إثرها أشجار كثيرة ببغداد ومنها أشجار الليمون كما عرفت نيسابور ومناطق خرسان ودمشق و حلب و حران غلاء مفرطا جراء ارتفاع الأسعار، و انتشرت الأمراض والأوبئة بهذه المناطق، وهو نفس الوضع من الغلاء الذي شهدته كل من الديار الشامية و المصرية على حد سواء مما جعل أهلها يفرون منها إضافة إلى الجفاف الذي أصاب بغداد حيث نقصت مياه دجلة فهلكت المزروعات والثمار و نقص مياه الآبار وارتفعت الأسعار⁵.

ويبدو أن هذه الأوضاع الاقتصادية المتدهورة بالبلاد المشرقية قد أخذ وقتا طويلا من الزمن ففي سنة (464هـ/ 1072م)، عرفت خرسان فيضانات عارمة و سقوط برد أفسد المزروعات كالشعير و الحنطة ، كما تعرضت

خلالها أشجار كثيرة للتلف منها أشجار التوت التي اقتلعت من جذورها و تعرضت أشجار النخيل للتلف⁶ و تعرضت المنطقة إلى غزو كبير للجراد الذي أهلك الزرع من

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ص (223 - 230)، ج16، ص29.

² - نفس المصدر، ج16، ص29.

³ - نفس المصدر، ج16، ص83.

⁴ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص (96 - 102)، ص ص (117 - 118). وللاطلاع على هذه المناطق عد

للملحق رقم 02 أيضا

⁵ - نفسه.

⁶ - نفس المصدر، ج16، ص139.

المنتوجات الفلاحية المختلفة وهذا سنة (465هـ / 1073م)¹ و شهدت المنطقة فيضانات كبيرة سنة (466هـ / 1074م)، حيث سقطت أمطار غزيرة متواصلة بالموصل و منطقة الجبال وارتفع منسوب المياه في نهر دجلة وطلب من العامة أخذ الحيطة والحذر و قد خلفت هذه الفيضانات خسائر كبيرة تضررت من جرائها دار الخلافة و هلكت أرواح كثيرة كما هلكت أموال الناس و قد تضررت معظم أجزاء الموصل و بناياتها ودورها.²

و تعرضت البلاد إلى زحف كبير للجراد والذي أفسد الزرع وأهلك البلاد حتى تضرر منه العباد بسبب تخريبه لمساحات زراعية شاسعة مما تسبب في إحداث أزمة غذائية بالمنطقة مما تسبب في إحداث مجاعة شديدة و ذلك سنة (468هـ / 1076م) ، و شهدت دمشق فترة غلاء فاحش في هذه الفترة واستمر هذا التأزم قرابة الثلاث سنوات³ عان خلالها السكان فترات عصيبة وفي سنة (478هـ / 1086م)

عرفت منطقة المشرق الإسلامي إلى انتشار وباء خطير وهو وباء الطاعون الذي انتشر بالعراق و الحجاز و الشام توفي على إثره عدد كبير من الناس كما هلكت أعداد كبيرة من الثروة الحيوانية.⁴

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص147.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص (147-155).

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص ص(154-155)، ص171؛ ابن كثير: البداية و النهاية، مكتبة المعارف

للنشر، بيروت، لبنان ، ج12، ص109.

⁴- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج12، ص127.

الظروف الاجتماعية في المشرق الإسلامي :

اما عن الأوضاع الاجتماعية بالمشرق الإسلامي في هذه الفترة لم تكن مستقرة نتيجة الاضطرابات الكثيرة التي أشعلت فتيل نيرانها العصبية الطائفية ممثلة في ذلك الصراع بين أهل السنة¹ والشيعة ففي خلافة الخليفة العباسي القائم بأمر الله و في سنة(423هـ/ 1032م) و قعت فتنة كبيرة ببغداد بين الشيعة و السنة حيث على اثر احتفال الشيعيين بعيدهم فأشعلوا النار في تلك الليلة و قاموا بنحر جمل في صبيحة اليوم الموالي وكانوا قد جبو الأموال من الأسواق ومن المحلات التجارية وقد اشتد بلاء هذه الطائفة وزاد ظلمهم بعدما قويت شوكتهم ببغداد (خاصة وأن الدولة البويهية تدعمهم)، فضربوا الناس و قتلوا منهم و قد رد على هذا أهل السنة فعلقوا الثياب و السلاح في محالهم و قاموا بتعليق الزينة فنصبوا الأعلام وأشعلوا النيران ليلا في الأسواق وذلك بعد أسبوع من احتفال أهل الكرخ الشيعة.²

و أثناء تغلب البساسيري القائد المنشق على بغداد سنة (450هـ / 1058م)، وقعت فتنة كبيرة بين أهل الشيعة وأهل السنة حيث قام الشيعيون بنهب أكثر دور باب البصرة وسرقت بيوت المؤيدين للخليفة العباسي (القائم بأمر الله)، وقد سيطر هؤلاء على بغداد الحكم بضعف خليفاتها و أقاموا الأذان ب "حي على خير العمل" و قد فرح الشيعة كثيرا لهذا النصر على أهل السنة حتى أنهم نصبوا راية بيضاء وسط مدينة "الكرخ" و كتبوا في منابر المساجد للخليفة الفاطمي و قد دعى له بجامع المنصور ببغداد و تم خلالها تغيير

¹ - الطائفة السنية: وهم أهل الجماعة و السنة و هم الذين بقوا متمسكين بحكم القرآن والسنة و ظهرت هذه الجماعة الراسخة في مبادئها بعد الفتنة الكبرى (35هـ - 40هـ)، وهذه الطائفة تقدم الشرع على العقل و الإيمان عندها محل القلب و اللسان و يصادقها الجوارح على ذلك وهم مواليين للصحابة غير أنهم غير معصومين من الخطأ وهم يثبتون كل الصفات الإلهية التي أثبتها الله عز وجل له. البغدادي عبد القادر: الفرق بين الفرق، ط2، دار الآفاق للنشر، بيروت، لبنان، (1997)، ج1، ص12؛ عبد الوهاب محمد: عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة و الجماعة، ط3، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1997م)، ج1، ص12.

² - الشيعة: فرقة مغالية في حب سيدنا علي رضي الله عنه (ت40هـ)، وقد ظهرت على عهده، وقد حارب فئة منهم، وقد قدموه على كل الصحابة، وهم عدة فرق منهم الامامية و الاثناعشرية، التي تقدر الامام ابو جعفر الباقر الذي ولد سنة(56هـ)، وهم يعتقدون ان ائمتهم معصومون من الخطا. القلقشندي: مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص251، ابن الجوزي، مصدر سابق، ج15، ص219.

صيغة الأذان¹ وهذا تحد صارخ لأهل السنة وللخليفة العباسي السني و للخلافة السنية بأسرها وهي الممثلة الشرعية للمسلمين في كل أنحاء البلاد الإسلامية المترامية الأطراف والأمر في الأمر أن هذا التحدي كان داخل المدينة التي تعتبر المقر الرئيسي لحكم الخلفاء.

و لم تهدأ الفتن الطائفية و المذهبية في المشرق الإسلامي و ما إن تنطفئ فتنة لفترة حتى تندلع نيران فتنة أخرى كما هو الحال بالنسبة للفتنة التي جرت سنة (458هـ/1066م) بين الشيعة و السنة دائما حيث أغلق أهل الكرخ دكاكينهم يوم عاشوراء وأحضروا جماعة من النسوة اللواتي بدأن بالنواح و العويل على الحسين (عليه السلام) كما كانوا يفعلون كل سنة و قيل بأن جنازة خرجت فذهب معها الناحة فصلي عليها و قد ناح عليها هؤلاء مما أثار غضب و حفيظة السنين الذين شكوا ذلك إلى الخليفة الذي تدخل بسرعة لحل المشكلة حيث طلب من الشيعة أن لا يعودوا إلى مثل تلك التصرفات فهذأت الأمور بعد تطمينات من الخليفة وقد أصدر مرسوم خلافي يقضي بسجن كل من يسب الصحابة "رضوان الله عليهم" و يظهر البدع².

و ثارت فتنة كبيرة بين الطائفتين السنية و الشيعة في سنة (479هـ/1086م) و ذلك في فترة حكم الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله حيث جرى قتال عنيف بينهما و قد جرت هذه الحادثة بالقرب من جامع المنصور ببغداد و تحديدا بين القنطرة العتيقة والجامع و هدأت هذه الفتنة لوقت ثم تجددت مرة أخرى في فترة لاحقة حتى أن أموال الروافض الشيعة استبيحت في بغداد³ و هذا لتغلب الطائفة السنية في هذه الفترة أكيد.

و وقعت فتنة طائفية أيضا بأصبهان من بلاد فارس بين السنين و الشيعة فقتل من الشيعة عدد كبير واستبيحت بيوتهم وأموالهم للعامة و كانوا قد طغوا في الظلم وتجبروا

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص (32-34).

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص ص (94-95).

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص (256-259).

واعتمدوا و استولوا على قلاع كثيرة و ذلك سنة (494هـ / 1102م) أي في أواخر القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي¹.

وما نستنتج في الجانب الاجتماعي والاقتصادي هي تلك الفتنة المذهبية الواضحة والشديدة بين السنة والشيعة وما بين الفاطميين والدولة العباسية السنية و السلاجقة و عداؤهم الصريح للفاطميين الذين بسطوا نفوذهم على مصر وجزء كبير من الشام و هذا الانقسام الطائفي قد أضعف الجانب الإسلامي كثيرا و هذا ما اكتشفه الصليبيون مما جعلهم يكتفون غاراتهم الحاقدة على البلاد الإسلامية من أعالي الجزيرة الفراتية و حتى حدود مصر مستخدمين في ذلك كل الوسائل والأساليب الممكنة دون كلل أو ملل أو شفقة و الصليبيون هدفهم الأساسي هو خدمة مصالحهم بتوسيع مناطق نفوذهم وسيطرتهم في المشرق الإسلامي و لم يكونوا مستعدين أبدا لأن يفرقوا بين سني و آخر شيعي لأن الجميع قد تعرض لهذا الخطر الداهم على المشرق في وقت ضعفت فيه القوى الإسلامية فلم تستطع درء هذا الخطر الكبير المحقق بالحمى الإسلامية².

نستنتج أيضا أنه وعلى الرغم من أن الحياة الاقتصادية في بغداد مقر الخلفاء العباسيين كانت متدهورة في فترة القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي بحيث لم تعد لها القوة الاقتصادية التي كانت لها قبلا ورغم ذلك فقد عرفت بعض الدويلات التابعة للخلافة العباسية شكليا حياة اقتصادية مزدهرة بشكل ملحوظ³ مثلما كان عليه الحال في الدولة البويهية و السلجوقية.

ونلاحظ أيضا أن ذلك الانقسام الطائفي الكبير في المشرق الإسلامي ما بين طائفة سنية و أخرى شيعية قد جعل المنطقة تعاني من اضطرابات دائمة و تأججت الخلافات والأحقاد القديمة بينهما حتى أنهم أصبحوا يبالغون في أعيادهم و تقاليدهم تعصبا من كل

¹- ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص159.

²- السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للنشر، ص(5-7).

³- حسن علي حسن، عبد الرحمان سالم، مرجع سابق، ص103.

طرف لمذهبه و إثارة لغيض الطرف الثاني (الفريق الآخر) وهذا ما زاد من ضعف العالم الإسلامي غير المتماك اجتماعيا¹.

وهذا ما سهل المهمة أمام الأعداء الصليبيين للسيطرة على البلاد الإسلامية المشرقية خاصة و أن المنطقة أصبحت تغرق في أعاصير العصبية المذهبية الطائفية و أصبحت متصارعة فيما بينها متناسية الأعداء في الخارج والذين أصبحوا يتربصون بها الدوائر و ينتظرون الفرصة المناسبة لصب حقدهم على الإسلام و المسلمين و قد ظهر كل ذلك الحقد واضحا في الحروب الصليبية.

(3) الحياة العلمية خلال النصف الثاني من القرن (5هـ / 11م):

على الرغم من كل المشاكل والاضطرابات السياسية و العسكرية التي كانت تعصف بالدولة العباسية مقوضة أركانها في عصر وصف بعصر الضعف إلا أنه يعتبر أكثر من عصور التاريخ الإسلامي إشراقا في الجانب الحضاري و العلمي فالعطاء الفكري لم يتوقف حتى في أصعب الظروف وأحلكها كفترة القرن (5هـ / 11م)، و قد نشطت حركة التأليف في مختلف العلوم و الدليل على ذلك هو العدد الكبير للعلماء الأجلاء في هذه الفترة ومنهم "أبو المحاسن الجرجاني"، سعيد بن محمد بن منصور (ت 454هـ / 1062م)، والذي درس الفقه و درسه في حلقاته العلمية كما أنه روى الحديث الشريف².

ومن الفقهاء المحدثين أبو نصر الجذامي (ت 455هـ / 1063م)، الحسن بن علي بن حزام الذي قدم بغداد و تعلم بها الفقه و سمع الحديث ببغداد و البصرة و أفتى و حدث حتى أصبح مرجعا في الفتوى³.

¹ - محمد حسن العيروس: تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية و الفكرية في العصر العباسي، دار الكتاب الحديث للنشر، بيروت، لبنان، (1413هـ - 2010م)، ص 19.

² - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 16، ص 82.

³ - نفس المصدر، ج 16، ص ص (83 - 84).

ومن النشاطات العلمية التي كانت تقام في بغداد إقامة الحلقات العلمية و التي أقامها العالم الفقيه الحنفي مسعود الرازي (ت457هـ / 1065م)، وكان يعقد هذه الحلقات بجامع المنصور في بغداد و كان يحضرها حتى العلية من القوم كالقضاة و غيرهم.¹

وممن ضلع في علوم كثيرة أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي (ت458هـ / 1066م)، و كان من المعروفين بالحفظ والإتقان جمع علوما كثيرة منها الحديث وعلم الفقه و قد توفي بنيسابور.²

ومن العلماء أبو يعلى (ت458هـ / 1066م) محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، الذي سمع الحديث الكثير وحدث يه وأملاه وكان له مصنفات كثيرة تميز بها منها كتاب الزاهر لابن الأنباري و كتاب المطر لابن دريد و كتاب التفسير ليحيى بن سلام و قد اشتغل مدرسا وأفتى سنوات و كان رائد في المذهب الحنبلي، انتشرت مصنفاته و كثر عدد أصحابه جمع ما بين الإمامة و الفقه، وقد عرف بصدقه و حسن عبادته و خلقه.³

كما عرف أيضا أبو علي القاضي (ت459هـ / 1067م)، محمد بن إسماعيل بن محمد وهو من مدينة طوس، و قد لقب بالعراقي لكثرة مكوثه في بغداد، وولي القضاء بمدينةته و قد اتصف بالفقه و الفضل وهو يعتبر من العلماء البارزين في بغداد.⁴

كما اشتهر أيضا أبو بكر الخطيب (ت463هـ / 1071م)، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الذي سمع الحديث الشريف و قد نشأ ببغداد وقرأ القرآن وتعلم القراءات و علم الفقه و سمع من البغداديين ورحل إلى البصرة و نيسابور وأصبهان و همذان و إلى إقليم الجبال وعاد إلى بغداد التي رحل منها مرة آخر متوجها إلى الشام و قد سمع بدمشق وصور ووصل إلى غاية مكة التي حج بها و قفل راجعا إلى بغداد و قد روى كتاب تاريخ بغداد و سنن أبي داود، وقد كان بارعا في علم الحديث فصنف كتبا كثيرة

¹-ابن الجوزي،مصدر سابق ، ص91.

²- نفس المصدر، ص 97.

³- ابن الجوزي،مصدر سابق،ج16، ص ص (98- 99).

⁴- نفس المصدر، ص 104.

قيل أنها بلغت ستة و خمسون مؤلفا نذكر منها: تاريخ بغداد و كتاب شرف أصحاب الحديث و كتاب الجامع لأخلاق الراوي و كتاب آداب السامع و كتاب الكفاية في معرفة أصول علم الرواية و كتاب المتفق و المفترق و كتاب السابق و اللاحق و الباقي (باقي التلخيص)، و الفصل و الوصل و الفقه المتفقة...الخ.¹

كما عرف أيضا أبو نصر السجزي الوائلي (ت469هـ / 1076م)، وهو عبد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر الحافظ الذي أخذ الفقه والحديث وله مؤلفات حسنة منها كتابه "الإبانة".²

و مال علماء هذه الفترة إلى الاهتمام بالمناظرات ومنهم أبو سعد الوزان التميمي (ت469هـ / 1076م)، وهو عبد الكريم بن أحمد بن طاهر بن أحمد وهو من أهل طبرستان و قد سمع الحديث الشريف بمدينة "مرو" و في منطقة ما وراء النهر و في بغداد أيضا، و قد كان فقيها متمكنا و قد برع في المناظرة وقد اشتهر ببراعته في ذلك.³

و ممن برز أيضا من العلماء في نفس هذه الفترة أبو علي المقري (ت471هـ / 1078م)، وهو الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء الفقيه و المحدث الذي قرأ القرآن الكريم و سمع الحديث وتفقه و كان يعقد حلقات علمية بجامع القصر (قصر الخلافة) حيث أفتى وقرأ وحدث وقد أقام حلقة بجامع المنصور أيضا.⁴

و عرف من الشعراء أبو علي الشاعر (ت478هـ / 1085م) وهو محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل وهو الذي قال في أحد أشعاره:

لا تظهرن لعاذل أو عاذر
حالتك في السراء و الضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة
في القلب مثل شماتة الأعداء⁵

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص129.

²- ابن جوزي، مصدر سابق، ج16، ص187.

³- نفس المصدر، ص188.

⁴- نفس المصدر، ص200.

⁵- نفس المصدر، ص243.

وممن ظهر من العلماء في هذه الفترة أبو المعالي الجويني (ت478هـ / 1085م)، وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المعروف بلقب "إمام الحرمين" وهو من أهل نيسابور وجوين هي إحدى قرأها، درس الفقه و سمع الحديث في كثير من البلدان و سمع في بغداد أيضا و سافر إلى الحجاز ومكث في مكة مدة أربع سنوات ، وعاد مرة أخرى إلى بلدة نيسابور التي جلس فيها للتدريس فاشتغل في التدريس مدة الثلاث سنوات وقد جمع بين التدريس و الخطابة في المنبر و مجلس الذكر يوم الجمعة، و كان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة نفر، ومن مؤلفاته كتاب: نهاية المطلب في دراية المذهب¹.

وممن عرف بالتدريس أيضا أبو بكر الشاشي (ت482هـ / 1089م)، وقد درس في المدرسة التي بناها تاج الملك أبو الغنائم بباب أبرز، وقد وقفها على الشافعية وقد أطلق على المدرسة "التاجية"² وفي نفس هذه الفترة كانت المدرسة النظامية قائمة في بغداد وقد درس فيها أبو عبد الله الطبري الفقيه وأبو محمد عبد الوهاب الشيرازي بالتناوب يوما بيوم³ والمدرسة النظامية كانت قد بنيت ببغداد ووقفت على الشافعية وكان للدارسين بها حق في الاطعام حيث خصص لكل واحد منهم أربعة أرطال خبز كل يوم و ذلك سنة (459هـ / 1067م).⁴

وممن اهتم بإقامة المجالس العلمية نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس أبو علي الطوسي وزير السلطان السلجوقي ألب ارسلان وقد عرف باهتمامه الكبير بالفقه والحديث، وكانت مجالسه عامرة بالفقهاء والعلماء وأهل التدين من الصوفية (موضوع دراستنا) حتى أنهم كانوا يشغلونه عن بعض مهامه في أمور الدولة وهذا سنة (485هـ / 1093م)، وقد عرف بتبجيله للعلماء وإكرامه لهم وقد اهتم ببناء المدارس التعليمية والمساجد والأربطة للصوفية وأثره الكبير في بغداد المدرسة النظامية التي أقام فيها مدرسا وواعظا و كاتباً و مقرئاً للقرآن ونحويا ضليعا باللغة العربية وتدرسيها وقد

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص244.

² - نفس المصدر، ص281.

³ - نفس المصدر ص289.

⁴ - نفس المصدر، ص102.

خصص لهم أجورا، وقد حدث بمرور و نيسابور والري¹ و هذا دليل واضح على اهتمامه بالعلم رغم مشاغله الكثيرة ومهامه الكبيرة في الدولة ورغم ذلك نجد بأنه سمع الحديث الشريف وحدث به.

وممن أشهر العلماء في هذه المرحلة أبو المظفر السمعاني (ت489هـ / 1096م) وهو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد المشهور في الفقه والحديث وهو من أهل مرو، وقد تعلم الفقه و سمع الحديث و كان على مذهب الشافعي ورحل من بلده الى نيسابور التي وعظ بها ومن مؤلفاته كتاب "التفسير والبرهان" و"الاصطلاح" و"القواطع" وكتاب "الانتصار" في الحديث الشريف.²

وممن برع في فن المناظرات العلمية أبو تراب المراغي (ت492هـ / 1099م)، وهو عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح، وقد سمع بالموصل واصبهان ونيسابور، وقد اهتم بالتدريس والمناظرة والفتوى، وكان يقول بأنه يحفظ أربعة آلاف مسألة في الخلاف و يمكنه أن يناظر فيها وكان يحفظ الشعر الكثير وكان زاهدا في الدنيا.³

و هكذا فالعصر العباسي عرف اهتماما كبيرا بالحياة العلمية التي عرفت نشاطا فكريا شاملا في مختلف العلوم على تنوعها⁴ وقد ظهر هذا الرقي العلمي واضحا جليا من خلال تلك المجالس العلمية العامة التي كان يرعاها الخلفاء و الحكام والأمراء في هذه الفترة، وكانت مجالس عامة حضرها العلماء والفقهاء و الأدباء ويعتبر الوزير نظام الملك أعظم وزراء السلاجقة من أكبر الداعمين للحركة العلمية في المشرق الإسلامي فكان له دور كبير في نهوض الحركة العلمية التي فاضت نشاط و قوة و تجدد.⁵

وما يمكن استنتاجه أيضا هو ذلك الاهتمام الكبير للسلاجقة بتشجيع الحركة العلمية خاصة في عهد السلطان "ألب أرسلان" الذي شهد ازدهارا حضاريا مرموقا فلم يكن

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق ، ص ص (302- 303)،

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص37.

³- بطرس البستاني، مرجع سابق (موسوعة الحضارة)، ص605.

⁴- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص50.

⁵- محمد قباني، مرجع سابق، ص (145- 155).

تميزهم بحد السيف فقط ولم ينحصر فقط في مجال الحرب وإنما تعداه إلى الجانب العلمي حيث أسس نظام الملك في عهده أول المدارس النظامية¹ واهتمام المسلمين بمختلف العلوم جعلهم يؤسسون حضارة عظيمة في الفترة الوسيطة.²

وفي الأخير يمكننا القول بأنه وعلى الرغم من كل المشاكل والازمات السياسية و العسكرية والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية في المشرق الإسلامي والتي زادت من ضعفه وهوانه و تراجعته إلا أن دوره الحضاري لم يتراجع أبداً و بقي الجانب العلمي للعالم الإسلامي مزدهراً و مشرقاً رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تعصف بأركانه و ترمي به في بوتقة الانكسار و الزوال.

التصوف خلال النصف الثاني من القرن (5هـ / 11م):

لقد عرف النصف الثاني من القرن (5هـ / 11م)، وجوداً معتبراً لأفراد الحركة الصوفية كاستمرار لظاهرة التصوف³ التي عرفها المجتمع المشرقي الإسلامي هذه الظاهرة التي ترسخ وجودها واتسع مجالها في المشرق، و مثلت بغداد حاضرة الخلافة العباسية مركزاً علمياً هما جلب إليه العديد من العلماء الأجلاء والعباد الصالحاء، فقد عرفت بغداد بازدهارها العلمي و الأدبي و المعرفي حيث انتشرت بها مختلف أنواع العلوم، فأصبحت بذلك عاصمة عربية وإسلامية لها بعدها الحضاري الكبير الخاص بها وعلاوة على إسهامها العلمي فقد كانت مركز إشعاع ديني و بعمقها وإشعاعها الحضاري

¹- أحمد إسماعيل، مرجع سابق، ص350، محمد الحضري، مرجع سابق، ص572.

²- محمد حسن العبدروس: تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في العصر العباسي، دار الكتاب الحديث للنشر، (1413هـ-2018)، ص237.

³- التصوف: قد اختلف في نسبته العلماء و الصوفية وكل من كتب عنه فأعطيت له اشتقاقات كثيرة حيث رجح أبو القاسم القشيري الصوفي (ت465هـ-1069م) النسبة إلى الصوف مبعداً الترجمات الأخرى كالصفاء و الصفة و الصف الأول... الخ وهذا يقال تصوف اذا لبس الصوف. والكلام من التصوف كثير جداً. القشيري أبو القاسم: الرسالة القشيرية في علم التصوف تحقيق محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1419هـ-1998م)، ص355.

قصدها التجار و العلماء و الزهاد الصوفية، و قد عرفت بغداد و على غرار البلاد الإسلامية المشرقية تدفق الصوفية إليها.¹

وممن عرف من الصوفية في هذه الفترة أبو علي المخزومي المنيعي (ت463هـ / 1071م) وهو حسان بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمان بن خالد بن الوليد، و قد كان تاجرا في فترة شبابه و كان سيدا في قومه عرف بمروءته ثم حدث وأن أعرض عن الدنيا بما فيها واهتم بالورع و التقوى في حياته فسمع الحديث الشريف ، ووقف أعماله الخيرية في بنائه للمساجد والأربطة و القناطر و قد بنى جامع مرو بلده، و قد حدثت مجاعة في هذه الفترة فاشتد البلاء و الكرب على الناس فكان يخفف عنهم بأن ينصب قدور للطعام كل يوم و يحضر الكثير من الخبز و يوزع كل ذلك على الفقراء، وكان يوصل إليهم الصدقات سرا دون أن يعلم به أحد، وكان يكسو الفقراء الجباب و القمصان و السراويل وذلك كان يقدمه لحوالي ألف فقير، كما كان يرمى المنقطعين في الزوايا للعبادة من الصوفية، كما لم يفته تجهيز بنات الفقراء الأيتام، و كان مجتهدا في العبادة فقد كان يقوم الليل و يصوم النهار وهذا اجتهاد يعجز عنه غيره، وقد كان يمشي من بيته إلى المسجد و يلبس الخشن من الثياب ترهدا و إزارا من الصوف و يقعد على الأرض (التراب) حتى مرض و توفي.²

وممن اشتهر من الصوفية أيضا أبو القاسم النهرواني (ت468هـ / 1076م)، وهو يوسف بن محمد بن أحمد و كان يسكن في رباط الزوزني الموجود ببغداد، وقد عرف بكونه من كبار المحدثين الثقات في علم الحديث، وقد دفن على باب الرباط.³

و كذلك أبو سعد الصوفي (ت469هـ / 1077م)، غير أنه كان من أصحاب اللهو.⁴

وممن ذكر من الصوفية أيضا ابن أبي موسى الهاشمي (ت470هـ / 1078م)، وهو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن

¹ - جاسم عزيز السيد: متصوفة بغداد، د. ط، المركز الثقافي الغربي للنشر، ص28، ص30، ص39.

² - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص135.

³ - نفس المصدر، ج16، ص179.

⁴ - نفس المصدر، ص182.

العباس بن عبد المطلب أبو جعفر و قد عرف بحديثه وفقهه و حفظه الكثير، وهو عابد زاهد لا يخاف في الحق لومة لائم¹ و كذلك أبو القاسم الهمداني الملقب بالسحير (ت470هـ / 1078م)، وهو عبد الملك بن عبد الغفار بن محمد بن مظفر بن علي وقد كان له باع في الحديث والفقه و الحفظ وهو يعتبر من الأولياء الصالحين.²

عرف أبو القاسم الزنجاني (ت471هـ/1079م)، الصوفي وهو سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسن، الذي اشتهر بسفره حيث تنقل في أرجاء البلاد الإسلامية حيث رحل إلى مصر و الشام والتقى بمشايوخها و أخذ عنهم القراءة، وكان إماما حافظا، و ربما متدينا، انقطع في آخر عمره في مكة للعبادة، و كان الناس يتبركون به حتى قيل بأنهم كانوا يقبلون يده أكثر من الحجر، لقد كان صاحب عبادات³ و ربما كان في هذا التعبير شيء من المبالغة و رغم ذلك فهو يدل على كثرة الناس من حوله وحب الناس له وهذه هبة ربانية من الله سبحانه وتعالى.

و كذلك الصوفي سليم الجوزي (ت471هـ / 1079م)، و جوزي نسبه إلى جوزي وهي قرية من أعمال "دجيل" وكان متعبدا و قد حكى في أحد الأيام أنه يعرف رجلا يقتات كل يوم "حبة زبيب" و كان يقصد نفسه، و قد عرف بسماعه للحديث الشريف ، وقد دفن بقريته.⁴

وممن حاز على شهرة كبيرة من الصوفيين في هذه الفترة أبو عمر السنغواني (ت471هـ / 1079م)، وهو أحمد بن محمد بن عثمان، وكان من المهتمين بالعلم فسمع الحديث وتولى القضاء ثم تنازل عنه و رحل إلى مكة متجردا متعبدا على طريقة الصوفية، وعاد إلى نيسابور، وعاد إلى قريته التي بنى بها رباطا، وكان محافظا على

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ص195.

²- نفس المصدر، ص 195.

³- نفس المصدر، ص 201.

⁴- نفسه.

أوقات الصلاة كثير الذكر حتى أصبح له أتباع كثير قصدوه من مختلف المناطق و قد دفن بقريته.¹ فذاع صيته و عظمه الناس.

كما عرف في نفس هذه الفترة صوفي آخر هو أبو بكر الزوزني (ت472هـ/1080م)، وهو محمد بن علي بن محمود، وهو محدث معروف فقد اعتبر من "أهل الحديث" و قد دفن بالرباط المقابل لجامع المنصور ببغداد² و كذلك الصوفي ابن الصلاة (ت473هـ/1081م)، وهو عبد السلام بن أحمد بن جعفر أبو الفتح وهو فارسي الأصل، رحل إلى العديد من المناطق في البلاد الإسلامية فسمع الحديث و قدم بغداد وواصل السماع بها إلى أن وافته المنية.³

ومن الأعلام الذين برزوا في مجال التصوف أبو الحسن الهكاري (ت486هـ/1093م)، الهكارية هي جبال فوق الموصل فيها مجموعة قرى وقد قام ببناء أربطة وقد قدم إلى بغداد ونزل في رباط الزوزني و سمع الحديث وقد عرف بصلاحه و كثرة عباداته.⁴

وممن اشتهر في الحركة الصوفية أبو حامد الغزالي (ت488هـ/1095م)، وهو يعتبر من الأعلام البارزين في فترة القرن (5هـ/11م) ، و قد خرج إلى بغداد قاصدا بيت المقدس تاركا التدريس بالنظامية زاهدا فيها وقد لبس خشن الثياب و بعد ثلاث سنوات من خروجه صنف كتاب "الأحياء في علوم الدين" وقد اجتمع عنده خلق كثير في الرباط فيسمعون منه و قد حج سنة (490هـ/1097م)، وعاد إلى بلده⁵ و ظهر من الصوفية أيضا أبو إسحاق الخراز (ت489هـ/1096م)، وهو إبراهيم بن الحسين، وكان من الزهاد المتصوفة، وهو شيخ فاضل وصالح كان يلقي كتاب الله بدرب الديوان بالرصافة.⁶

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج16، ص ص (206 - 207)

²- نفس المصدر، ص209

³- نفس المصدر، ص 212.

⁴- نفس المصدر، ج17، ص7.

⁵- نفس المصدر، ج17، ص18.

⁶- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص33.

وممن برز من الصوفية أيضا عبد الرزاق الغزنوي (ت493هـ / 1101م)، و كان خيرا صاحب صلاح و ورع و تقوى توفي عن عمر يناهز المائة سنة زاهدا إلى أقصى الحدود¹ كما ظهر أيضا صوفي آخر هو أبو بكر الطرثيثي (ت497هـ / 1103م)، وهو أحمد بن زكرياء المعروف " ابن بهذا " ، وهو مقرب و قد سمع الحديث الشريف وحدث به و كان مؤذنا لرباط أبي سعيد الصوفي حتى أن صوته كان يسمع في جانبي بغداد وكان صحيح السماع في بداية الأمر غير أنه ادعى السماع لمن لم يسمع منهم أصلا.²

و بالنسبة للديار المصرية فإذا ما تتبعنا أحوال الحركة الصوفية بها خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، نجد أن موجته قد جفت شدتها بتراجع نشاط الصوفية الذي تقلص و بشكل ملحوظ خلال هذه الفترة مقارنة بالقرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي حيث كان نشاطهم مكثف أما في هذه الفترة فحسب المصادر التي تحدثت عنهم باختصار شديد و لم يوجد استرسال في الحديث عنهم واكتفوا بذكر ورع، تقي، زاهد ، صوفي. وهذا ما لم يعطينا أي فكرة عن تحركاتهم و نشاطهم و السبب الأكبر لهذا التراجع الكبير للحركة الصوفية يرجع أساسا إلى كون المصريين كانوا منشغلين طوال العصر الفاطمي بدعوة الشيعة التي بدأت تنتشر في مصر، والتي عمل حكامها على نشر مذاهبهم و بسط عقيدتهم لذلك لم يكن عندهم ميل لفكرة التصوف أو فكرة لتشجيعه

غير أن الحركة الصوفية في الديار المصرية ستستأنف نشاطها وبقوة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي سواء من المصريين أو حتى من الوافدين، الذين سيبدأ بعضهم في الانتظام في جماعات و فرق لها انتسابها و طابعها الخاص³ وهو نفس الحال بالنسبة للتصوف في بلاد الشام التي كانت تحت قبضة الفاطميين لفترة.

و يختلف التصوف عن الفلسفة في كونه يصل إلى الحق عن طريق تطهير النفس، فالنفس عندهم أصل طاهر تلوث من المادة التي حلت في الجسد وانساق وراءها

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ص57

²- نفس المصدر، ص85.

³- محمد علي غريب: في التصوف الاسلامي، ط1، مكتبة الدار العربية للنشر، (2008م)، ص ص (32-33).

وخضعت لها الروح، لذلك فالنفس عندهم تحاول التحرر من عبوديتها بقهر الجسد و حرمانه من رغباته، فإذا تم ذلك سمت النفس نحو الذات الإلهية و سلكت طريق الحق، وقد أصبح للتصوف مدرسة خاصة به وأصبح له نظام معين خاص به وأصبح لهم شيخ مرشد وأتباع له، والشيخ يكون هو المرجع الأعلى في نظام الحركة الصوفية، و قد تطورت الحركة الصوفية من مرحلة الزهد إلى غاية أن وصلت إلى حركة قائمة بذاتها و بشكلها المعروف.¹

وأول الزهد زهد الأنبياء عليهم السلام و قد تحدث عن زهدهم الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ/ 855م)، رحمه الله في كتابه "زهد الأنبياء" كما تحدث أيضا عن زهد الصالحين² والزهد الذي تدعو إليه الشريعة الإسلامية هو الذي يحد من طمع النفس و يريحها.*

وما ميز الحركة الصوفية خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، هو أن أبو حامد الغزالي الصوفي أراد أن يحرر التصوف من الغلو و يربطه بالشرع أي الكتاب والسنة ويحببه إلى القلوب³ وهذا الاتجاه معروف بالتصوف السني الملتزم بالشريعة الإسلامية قرآنا و سنة وهو يندرج ضمن مذهب أهل السنة لأنه ليس فيه ما يخرج صاحبه عن الإسلام وأبو حامد الغزالي ممثل لهذا التيار الصوفي السني خلال هذه الفترة.

و التصوف ليس ضربا من السلوكيات المنعزلة كما يرى البعض بل هو نشاط ديني متأصل من علوم و معارف و ممارسات نابعة من الغوص في أعماق نفس المتصوف و كما كان لهذه الحركة صور مشرفة للإسلام و أهله كان فيه أيضا صور غريبة عن الإسلام وأهله⁴ و تبقى هذه الظاهرة محل جدل و نقاش واختلاف حاد ما بين مؤيد و معارض، و تبقى العبرة بالأفعال لا بالأقوال و الأفعال هي التي تحدد مقدار الايجابية من السلبية على أرض الواقع المعاش في تلك الفترة و في كل فترة شهدتها الحركة الصوفية.

¹- بطرس البستاني، مرجع سابق، ص ص(645- 646).

²- أحمد بن حنبل: الزهد، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1414هـ - 1994م)، ص (10- 25).

*بطرس البستاني، مرجع سابق، ص647.

³-نفسه.

⁴- عزيز سيد الجاسم: متصوفة بغداد، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان.

وأهم ما يمكن أن نستنتجه في هذه الفترة (5هـ / 11م) ، هو أن التصوف قد اتخذ اتجاهًا إصلاحيًا ربطه بالكتاب و السنة وهو ما ساهم في جعل التصوف السني أو ما يعرف بالتصوف المعتدل ينتشر بصورة موسعة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، كما أنه ظهر اختلاف بين أتباع التصوف ما بين مستقيم و منحرف¹ في سلوكهم¹ وأهم نتيجة يجب أن ننبه إليها هي أن التصوف السني المعتدل الصحيح هو من عمق هذا الدين ومن روحه لما فيه من صدق وإخلاص في العبودية الخالصة لله جل و علا، وهؤلاء هم الصادقون حقا المخلصون فعلا وقولا العارفون بالله حقا بالمعنى الحقيقي للعبادة بكل أبعادها الروحية العميقة.

¹ - العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر (تاريخها و نشاطها)، ط1، دار البصائر للنشر، (2002)، ص 24.

الفصل الثاني: المؤسسات الصوفية حسب الأمصار خلال القرنين

(6هـ-7هـ)/(12م-13م)

المبحث الأول: المؤسسات الصوفية في دمشق

أ- الخوانق

ب- الزوايا

ج- الاربطة

المبحث الثاني: المؤسسات الصوفية في مصر

أ- الخوانق

ب- الزوايا

ج- الاربطة

المبحث الثالث: المؤسسات الصوفية في بغداد وفلسطين

أ- الاربطة (في بغداد)

ب- الزوايا (في بغداد وفلسطين)

المبحث الأول: المؤسسات الصوفية حسب الأمصار:

وقد ظهرت المؤسسات الصوفية في أنحاء المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م/13م) و تنوعت ففي بلاد الشام ظهرت الخوانق للدلالة على الطابع العمراني الذي جسد تطور هذه المؤسسات خلال القرن (7هـ/13م) و قد وصف الرحالة الجغرافي خوانق الشام قائلاً: "أما الرباطات التي يسمونها الخوانق فكثيرة وهي برسم الصوفية وهي قصور مزخرفة يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر، وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك لهذه البلاد، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا و فضولها، و فرغ خواطهم لعبادته من الفكرة في أسباب المعاش، وأسكنهم قصور الجنان فالسعداء الموفقون منهم قد حصل لهم فضل الله تعالى نعيم الدنيا والآخرة وهم على طريقة شريفة:"¹.

أولاً- في مدينة دمشق:

شهدت دمشق وجود الكثير من الخوانق، ومنها ما كان قائماً خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ومنها "خانقاه الدويرة"، التي كانت موجودة بدرب السلسلة في باب البريد خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وقد تم بناؤها سنة (401هـ-1010م)، وهي تعود لصاحب الدار حمد بن عبد الله بن علي أبو الفرج الدمشقي و قد بقيت قائمة خلال القرن السابع الهجري فقد تولى المشيخة فيها الشيخ مجد الدين محمد بن عيسى بن يحيى أبو الخطاب المصري الذي قطن دمشق وكانت وفاته بها سنة (687هـ-1288م)². وهذا دليل على انها كانت قائمة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

¹ ابن جبير: رحلة ابن جبير، دون محقق، دون طبعة، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص199.

² -النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص113.

وجدت في دمشق الخانقاه السميّاطية التي وجدت منذ القرن الخامس الهجري ،
الحادي عشر الميلادي، وقد سميت بهذا الاسم نسبة لواقفها السميّاطي الشيخ أبو القاسم
علي بن محمد بن يحيى السلمي الدمشقي، وقد دفن في داره التي وقفها على الفقراء
الصوفية، وقد عاش من العمر ثمانين سنة، وكانت هذه الخانقاه دار أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز وفي العهد النوري فوض السلطان نور الدين أمر الربط و الزوايا
والأوقاف بدمشق وحمص وحماة و حلب الى الشيخ أبي الفتح شيخ الشيوخ عمر بن علي
بن محمد بن حمويه، وقد كتب المنشور السلطاني وفيه: فينظر في رباط السميّاطية
وفيه الطواويس و رباط الطاحونة وغيرها من الربط التي للصوفية بدمشق و بعلبك، وفي
سنة (577هـ-1181م) كان شيخ الشيوخ في دمشق الشيخ محمد بن علي بن الزاهد
محمد بن علي بن محمد بن حمويه أبو الفتح الجويني الصوفي، شيخ الشيوخ بدمشق. وقد
أقبل إليه السلطان نور الدين، وأحسن وإليه، وفوض إليه مشيخة الشام بدمشق و بعلبك،
وحمص وحماة و حلب المحروسة وغيرها، وكان السلطان صلاح الدين يحترمه ويعظمه،
وقد فوض السلطان صلاح الدين المشيخة لولده صدر الدين من بعده، وقد توفي شيخ
الشيوخ أبو الفتح عمر بن علي بن الزاهد محمد بن علي بن حمويه الجويني الصوفي
الذي توفي و له من العمر أربع وستون سنة وقد تولى مشيخة الشيوخ بالشام أيضا زمن
السلطان نور الدين، وذلك الشيخ تاج الدين بن حمويه شيخ الشيوخ بالشام أبو محمد عبد
الله و اسمه أيضا عبد السلام بن عمر بن محمد الجويني الصوفي شيخ السميّاطية،
الذي سافر الى المغرب قبل سنة الستمائة وبقي به مدة 6 سنوات سنة (642هـ-
1244م)، وكذلك الشيخ الصدر البكري أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك
التميمي النيسابوري الدمشقي الصوفي تولى مشيخة الشيوخ و الحسبة في دمشق و كان
عظيم القدر ت (656هـ - 1258م)¹.

¹-النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،تحقيق ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، بيروت،

وفي أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي كان شيخ الشيوخ بها شرف الدين أبو بكر عبد الله بن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله بن عمر بن حمويه ، وقد استمر نشاط هذه الخانقاه حتى في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ففي سنة (701هـ-1301م) حبس قاضي القضاة و خطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه السميساطية بطلب من جماعة الصوفية¹، كما توفي بها الشيخ المجد الاسفراييني في سنة (648هـ-1250م)² كما أقيم بها عزاء الشيخ شمس الدين الأيكي، محمد بن أبي محمد الفارسي المتوفي (697هـ-1297م)³ .

وعرفت دمشق وجود الخانقاه الطواوسية: وهي منسوبة للسلاجقة دقاق وابنه فخر الملك دقاق السلجوقي وهي في المساجد خارج دمشق المسجد الكبير فيه قبة معروفة بقبة الطواويس بالشرف الأعلى وفي الرباط بيت أم دقاق الذي توفي سنة (497هـ-1103م)، وهو شمس الملوك أبو نصر بن تاج الدولة تنتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق، وهذا دليل على أنها كانت قائمة منذ القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وقد تولى دقاق الحكم بعد ابيه في دمشق، و قتل و دفن في خانقاه الطواويس التي كانت قائمة خلال القرن (6هـ/12م)، ففي سنة (507هـ-1113م) ، وردت عساكر الموصل و تخلف مقدمهم مودود الذي قتله باطني، و قد دفن هذا الأخير عند خانقاه الطواويس ثم تم نقله الى أصبهان، و قد ظلت هذه الخانقاه قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.⁴

(1410هـ-1990م)، ج2، ص (118-120).

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص121، للإطلاع أكثر عد ص (122-123-124).

²-ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اختبار من ذهب، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج3، ص243.

³-الذهبي: تاريخ الاسلام (ت748هـ 1374)، ط1، (661-670هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب

الاسلامي (1424هـ-2003م)، ج15، ص865.

⁴ -النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص129.

ففي سنة (626هـ-1228م)، أخلى الملك الكامل بيت المقدس و سلمه للصليبيين ثم حاصر دمشق و ضايق أهلها و كانت له حروب مع الناصر و قد تم احراق خانقاه الطواويس و خانقاه خاتون، واستمر الحصار أشهرًا ، وقد بقيت هذه الخانقاه قائمة خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ففي سنة (734هـ-1333م) توفي الشيخ عز الدين محمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن آدم بن ابراهيم الدريندي، المؤذن بجامع دمشق وفيه صلاح و تدين وكان خادما للصوفية بخانقاه الطواويس وسكن بها وفيها توفي، وكان نائبا في رئاسة الجامع المذكور مدة سنين.¹

وهذا دليل أنها ظلت قائمة حتى في فترة القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

وعرفت دمشق أيضا الخانقاه النجمية وهي تقع بنواحي باب البريد، و قد أنشأها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف الذي تعرف بالشيخ صدر الدين البكري المحتسب وهي تقع بدرب فطمطة وفي سنة (568هـ-1172م)، أيوب بن شادي الأمير نجم الدين الدين والد الملوك صلاح الدين يوسف وسيف الدولة و شمس الدولة وهو أخ الملك أسد الدين شيريكوه وقد شب به فرسه فوق وقع وحمل الى داره و توفي، وكان لقب بالملك الأجل الأفضل، لما ملك زكي بعلبك جعل نجم الدين أيوب نائبا له، و ولاها لنور الدين محمود قبل أن يستولي على دمشق، ولما ولد له الملك العادل أبو بكر، قام ببناء هذه الخانقاه للصوفية، وقد عرف نجم الدين بعقله الراجح و كثرة صدقاته، سمحا، وافر العقل قليل الكلام لا يتكلم إلا عن ضرورة، كما له بدمشق خانقاه أيضا بباب البريد.²

¹- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص192.

²- نفس المصدر، ج2، ص (136-138).

إضافة الى خانقاه الأسيديّة و تم بناؤها في درب الوزير الواقع داخل باب الجابية بدرب الهاشميين في دمشق و قد أمر ببنائها القائد الأيوبي أسد الدين شيركوه الكبير عم السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 561هـ - 1169م)¹.

فقد كانت هذه الخانقاه قائمة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وقد بقي نشاطها قائما خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد تولى المشيخة فيها الشيخ ابراهيم بن بركات بن أبي الفضل الذي ولد سنة (648هـ - 1250م)، الشيخ الصالح الصوفي أبو اسحاق الملقب "بابن القرشية"²، وقد بقي الشيخ في مشيخة هذه الخانقاه حتى وفاته سنة (740هـ - 1339م)³ و هذا دليل على أنها ظلت قائمة خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

وكانت خانقاه القصر النورية قائمة في دمشق خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وهي الخانقاه التي كانت قائمة خلال عهد السلطان نور الدين محمود (ت 569هـ - 1173م)، و قد كانت هذه الخانقاه في الميدان و قد أنشأها شمس الملوك في نواحي دمشق⁴ و قد ظل نشاطها مستمرا خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد سكن بها الشيخ الصوفي روزبهان بن جيحون قبل سنة (603هـ - 1206م)⁵ كما توفي بها الخطيب المشهور فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني في أواخر القرن (7هـ - 13م)

¹ -مصدر سابق، ج2، ص109.

² -الصفدي: الوافي في الوفيات، تحقيق محمد بن محمود، ابراهيم بن سليمان، ط2، جمعية المستشرقين الألمانية للنشر، (1389هـ - 1970م)، ج5، ص337.

³ -ابن حجر العسقلاني: الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية للنشر، حيدر أباد، الهند، (1972م)، ج2، ص20.

⁴ -النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص131.

⁵ -كمال الدين أبي حرارة: نعيمة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل، ط1، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1988)، ج9، ص3719.

في سنة (671هـ-1272م)، و قد وصفها الرحالة الجغرافي ابن جبير (ت614هـ-1217م) في كتاب رحلته واصفا اياها بأحلى الأوصاف مطلقا عليها اسم الرباط قائلا: ومن أعظم ما شاهدناه لهم موضع عظيم يعرف بالقصر، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء، في أعلاه مساكن لم ير أجمل اشراقا منها، وهو من البلد بنصف ميل ، له بستان عظيم يتصل به، وكان متنزها لأحد الملوك الأتراك، و قد استوهبه نور الدين محمود زنكي من صاحبه ووقفه برسم الصوفية مؤيدا لهم.¹

وعرفت دمشق خانقاه الخاتونية التي بنيت بتمويل من السيدة خاتون عصمة الدين (ت 644هـ- 1246م)، وقد أمرت ببنائها سنة (581هـ- 1185م)، و تم بناؤها تحديدا بمنطقة بانياس خارج باب النصر في أول الشرف القبلي، وقد أشرف على بنائها وعلى أوقاف سيدة الشام الأمير عماد الدين الشيرجي، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عماد الدين أبو عبد الله الأنصاري المعروف بابن الشيرجي وهو من كبار الأمراء الدمشقيين في وقته وأرفعهم جاها و مالا ولد سنة (613هـ-1216م)، وقد توفي سنة (683هـ-1284م).²

وعرفت هذه المرأة بعفافها وخيرها العميم فهي واقفة الخانقاه الخاتونية الجوانية بالمدرسة بمنطقة درب الحجر الى جانب الخانقاه موضوع كتابتنا خانقاه خاتون، ولهذه السيدة أوقاف كثيرة جدا، وقد اشتهرت هذه السيدة بكثرة صدقاتها وبرها، فقد نسبت هذه الخانقاه للعباد الصوفية³ و قد تولى مشيخة الخانقاه الخاتونية خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، الشيخ الصوفي عبد الواحد بن عبد الوهاب بن علي الملقب بابن

¹- ابن جبير: الرحلة، دن محقق، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص199.

²- النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص ص (388-389)؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر

الكتاني، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1405هـ)، ج1، ص108.

³- النعيمي، مصدر سابق، ص ص (388-389)، ابن بطوطة، مصدر سابق، ص108.

سكينة البغدادي (ت 608هـ-1211م)¹ و هذا دليل على نشاط الخانقاه في القرن (7هـ-13م)، و قد استمر نشاطها خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، فقد تسلم المشيخة فيها الشيخ الفقيه عماد الدين الحنفي الملقب بابن الرومي.

وشهدت دمشق وجود الخانقاه الحسامية، و قد كانت قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، و ربما قبل ذلك، فقد تم في سنة (613هـ-1216م)، بناء المدرسة الظاهرية البرانية خارج باب النصر بمحلة المنيع شرقي الخاتونية و غربي الخانقاه الحسامية، و قد بنى المدرسة الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر "صلاح الدين الأيوبي" حاكم حلب و بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي ولد سنة (568هـ-1172م).²

وكانت الخانقاه الحسامية أو الشبلية قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد قام ببنائها الحسامي شبل الدولة المنتسب الى الأمير حسام الدين محمد بن لاجين بن ست الشام ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي مع مطلع القرن (7هـ-13م)، فقد تم بناؤها سنة (623هـ-1226م)، و شبل الدولة الحسامي هو باني المدرسة الشبلية البرانية بسفح جبل قاسيون بالشام بالقرب من جسر ثوري و ذلك سنة (626هـ-1226م)، و كان له فوق الجسر المدرسة و التربة و الخانقاه و كان دينا وافر الحرمة و الحشمة و في سنة (623هـ-1226م) وقف الخانقاه الشبلية للصوفية و قد كان منزله بجانبها...وقد استمر نشاطها خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي ففي سنة (740هـ-1339م) توفي بدمشق الشيخ المعمر الصوفي نجم الدين ابراهيم بن بركات بن أبي الفضل بن القرشية البعلبكي، أحد أعيان الصوفية و من كبار

¹-النعيمي مصدرسابق،ص ص (388-390).

²-نفس المصدر، ص 257.

الفقراء القادرية عن عمر أكثر من تسعين سنة، و قد تولى مشيخة خانقاه الشبلية و
الأسدية.¹

ومن الخوانق التي عرفت في دمشق خانقاه الأمير النجيبى خلال القرن (7هـ-
13م)، وقد بنيت من طرف الأمير جمال الدين أقش النجمي الذي كان مقربا جدا من
السلطان الظاهر بيبرس، وكان هذا الأمير يتولى نيابة دمشق لمدة تسع سنوات قام
أثناءها ببناء خانقاه التي عرفت باسمه فيما بعد غير أنه لم يستمر طويلا في منصبه
لأنه تم عزله منه، فعاد الى القاهرة التي توفي بها سنة (677هـ-1278م).²

وجدت ايضا خانقاه الشهابية بدمشق وهي تعود لواقفها الأمير علاء الدين
الشهابي (677هـ-1278م)، الذي تولى إمارة حلب في عهد السلطان الأيوبي الظاهر
غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، حاكم حلب و أميرها الذي عرف بحبه الشديد
للسوفية و بكثرة اعتقاده فيهم، و قد تم بناء هذه الخانقاه داخل باب الفرج بدمشق، و قد
كانت لها نافذة مطلة على الطريق العام و الأمير الشهابي هذا ينسب الطواشي شهاب
الدين رشيد الكبير الصالحي.³

عرفت دمشق أيضا خانقاه دار الحديث السكرية الواقعة بالقصاعين داخل باب
الجابية بدمشق، و قد تولى المشيخة بها الشيخ الفقيه شهاب الدين عبد الحليم مجد الدين
بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الخضر بن تيمية الحراني والد الامام
تقي الدين بن تيمية سنة (682هـ-1283م) أي خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر
الميلادي.⁴

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص407، ج2، ص ص (127- 128).

²- نفس المصدر، ج1، ص 358.

³-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص499.

⁴-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص56.

إضافة الى خانقاه دار الحديث السامرية التي أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري بفتح الميم نسبة الى مدينة سرى من رأى او (سمراء) العراقية الواقعة بالقرب من نهر دجلة، وهذه الخانقاه تقع بجانب الكروسية بدمشق وأصل الخانقاه بيت فقد كانت تعرف " بدار ابن القوام" في دمشق، وهي مبنية من الحجارة المنحوتة، وهذا خلال القرن (7هـ-13م)، و قد تمتع هذا الأمير بحرمة واسعة و جاه عريض عند الملوك في وقته.¹

وعرفت أيضا في دمشق خانقاه الطاحون التي كانت قائمة خلال هذا القرن، وشيخها الشيخ سعد الدين الكاساني محمد بن أحمد سعد الدين (ت699 هـ-1299م)، وتقع هذه الأخيرة خارج دمشق وقد ذكر بأنها تنتسب الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي² وهكذا نلاحظ أن عدد الخوانق كان كبيرا في دمشق فقد انتشرت الخوانق في مختلف أرجائها، و قد تولى المشيخة فيها عدد كبير من كبار العباد من مشايخ الصوفية في تلك الفترة من الزمن.

ومن الخوانق التي وجدت في دمشق "خانقاه الدويرة" المعروفة بدويرة حمد و كانت موجودة بدرب السلسلة في باب البريد وقد بنيت هذه الخانقاه خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (50هـ / 11م)، و بالضبط قد تم بناؤها سنة (401هـ/ 1011م) وهي تنتسب في تسميتها لمالك الدار حمد بن عبد الله بن علي أبو الفرج الدمشقي، وقد استمر نشاطها خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، حيث تولى المشيخة فيها الشيخ مجد الدين محمد بن عيسى...بن يحيى...أبو الخطاب المصري الذي قطن دمشق و توفي بها سنة (687هـ / 1292م)³.

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص54.

²-نفس المصدر، ج2، ص132.

³-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص113.

وجدت في دمشق أيضا خانقاه السمسطية التي يعود وجودها إلى القرن (5هـ/11م) والتي سميت بهذا الاسم نسبة لواقفها الشيخ علي بن محمد بن يحيى بن محمد أبو القاسم السلمي الدمشقي المعروف "بالسمسطية" وقد أرجع المؤرخ ابن خلكان (ت681هـ/1283م) في كتابه وفيات الأعيان وقف الخانقاه المذكورة إلى سنة (448هـ/1056م)¹ في حين أرجعها المؤرخ الذهبي (ت748هـ/1374م) في كتابه سير أعلام النبلاء إلى سنة (454هـ/1062م)² والأرجح ما ذكره المؤرخ ابن خلكان لسبقه التاريخي. وكانت هذه الأخيرة دارا للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت101هـ/720م)³ قبل أن تصبح خانقاه في القرن الخامس الهجري⁴ كما أنها كانت نشطة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، حيث سكن فيها الشيخ الصوفي الخويشاني الملقب "بالنجم" الذي كان على سابق معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيه أسد الدين شيركوه وكان هذا الشيخ لا يزال حيا حتى سنة (579هـ/1183م)⁵ كما أنها كانت موجودة على عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي⁶ وقد استمر نشاطها خلال القرن (7هـ/13م)، حيث سكنها الشيخ الصوفي عبد الواحد (ت

¹ - ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء الزمان، ج5، ص70.

² - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص71.

³ - عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الأموي المشهور بعدله والذي اعترف له به حتى الشيعة الذين عاشوا في دولته وتحت حكمه، و قد لقب الخليفة عمر بن عبد العزيز بلقب المعصوم بالله، وقد ولد عمر بمنطقة حلوان المصرية وينتهي نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو جده من ناحية أمه، و قدحكم مدة ثلاث سنوات (99هـ - 101هـ)، (718م - 721م)، نشر خلالها العدل بين الناس، توفي سنة (101هـ - 721م). ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج6، ص249، السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، دون محقق، ج1، ص24، ص201.

⁴ - الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص71.

⁵ - ابن أبي اصبيعة، مصدر سابق، ج1، ص581.

⁶ - كمال الدين ابن أبي جرارة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1988م)، ج9، ص4310.

639هـ/1248م) الذي كان راهبا مسيحيا مدة سبعين سنة ثم دخل الإسلام و تصوف¹ كما تولى مشيختها خلال هذا القرن الشيخ الصوفي تاج الدين بن حمويه شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله المسمى أيضا ب عبد السلام بن عمر بن علي بن محمد الجويني و ذلك سنة (642هـ/ 1245م)² كما توفي بها الشيخ الصوفي المجد الاسفرايني سنة (648هـ/ 1250م)³ كما أنه أقيم بها عزاء الشيخ شمس الدين الايكي محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي المتوفي في أواخر القرن (7هـ/ 13م) أي في سنة (697هـ/ 1298م)⁴.

إضافة إلى الخانقاه الأَسدية و تم بناؤها في درب الوزير الواقع داخل باب الجباية بدرب الهاشميين في دمشق وقد أمر ببنائها القائد الأيوبي أسد الدين شيركوه الكبير عم السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 564هـ/ 1169م) فقد كانت هذه الخانقاه نشطة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي⁵ وقد استمر نشاطها خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي حيث تسلم مشيختها الشيخ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن مظفر الوزيري (ت 690هـ/ 1295م)⁶ وقد استمر نشاطها هذه الخانقاه خلال القرن (8هـ/ 14م) حيث تولى المشيخة فيها الشيخ إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل المولود

¹-ابن كثير ، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج13، ص158.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص121.

³-ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج13، ص243.

⁴-الذهبي: تاريخ الإسلام (ت 748هـ- 1374م)، ط1، (661- 670هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب

الإسلامي للنشر، (1424هـ- 2003م)، ج15، ص865.

⁵-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص109.

⁶-نفسه.

سنة (648هـ / 1250م) الصالح أبو إسحاق الصوفي، الملقب "بابن القرشية"¹ و قد بقي في مشيخة الخانقاه المذكورة إلى غاية وفاته سنة (740هـ / 1343م)².

عرفت دمشق أيضا وجود خانقاه القصر النورية المنتسبة للسلطان الزنكي نور الدين محمود (ت 569هـ / 1174م)، والتي كانت قائمة موجودة خلال القرن (6هـ / 12م)، وقد وصفها الرحالة الجغرافي ابن جبير (ت 614هـ / 1217م) في كتاب رحلته مانحا وصفا دقيقا لخانقاه القصر مصطلحا عليها لفظ الرباط قائلا: "ومن أعظم ما شاهدناه لهم موضع عظيم يعرف بالقصر، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء، في أعلاه مساكن لم ير أجمل إشراقا منها، وهو من البلد بنصف ميل، له بستان عظيم يتصل به، وكان منتزها لأحد الملوك الأتراك و قد استوهمه نور الدين زنكي من صاحبه ووقفه برسم الصوفية مؤبدا لهم:"³ وكانت هذه الخانقاه مطلة على الميدان الذي أنشأه شمس الملوك خارج دمشق⁴.

وقد استمر نشاطها خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد قطن بها الشيخ الصوفي روزبهان بن جيحون قبل سنة (603هـ / 1207م)⁵ كما توفي بها الخطيب الدمشقي المشهور فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني في أواخر القرن (7هـ / 13م) و ذلك سنة (671هـ / 1273م)⁶.

¹ -الصفدي: الوافي في الوفيات، تحقيق محمد بن محمود، إبراهيم بن سليمان، ط2، جمعية المستشرقين الألمانية للنشر، ج6، قسم 5، ج5، (1389هـ - 1970م)، ص337.

² -ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية للنشر، حيدر أباد، الهند، (1972م)، ج1، ص20.

³ -ابن جبير، مصدر سابق، ج1، ص199.

⁴ -النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص131.

⁵ -كمال الدين بن أبي جرادة، مصدر سابق، ج8، ص3719.

⁶ -ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص264.

إضافة إلى الخانقاه الخاتونية التي بنيت بطلب من السيدة عصمت الدين خاتون (ت644هـ / 1246م) وكانت أمرت ببنائها سنة (581هـ / 1185م) بمنطقة بانياس خارج باب النصر في أول الشرف القبلي وكان المشرف على بنائها وعلى أوقاف سيده الشام الأمير عماد الدين الشرجي محمد بن أحمد بن محمد بن عماد الدين أبو عبد الله الأنصاري المعروف "بابن الشيرجي" وهو من كبار أمراء دمشق في زمنه ومن أكثرهم مالا وجاها فيها وفي غيرها وقد ولد سنة (613هـ / 1216م)، و توفي سنة (683هـ / 1284م)¹ وقد تولى مشيخة الخانقاه الخاتونية خلال القرن (7هـ / 13م)، الشيخ الصوفي عبد الواحد عبد الوهاب بن علي الملقب بابن سكيمة البغدادي (ت 608هـ / 1213م)² وقد استمر نشاطها خلال القرن (8هـ / 14م) حيث تسلم مشيختها الشيخ الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي³.

امتد نشاطها حتى القرن (9هـ / 15م) حيث توفي بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن السلاوي عاملها سنة (810هـ / 1408م)⁴.

وجدت في تلك الفترة الخانقاه الشبلية أو الحسامية التي كانت نشطة خلال القرن (7هـ / 13م)، وقد قام ببنائها شبل الدولة الحسامي المنتسب إلى الأمير حسام الدين محمد بن لاجين بن ست الشام ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي في بداية

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص389؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4،

مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1405هـ)، ج1، ص108.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص113.

³-ابن بطوطة، مصدر سابق، ص108.

⁴-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص129.

القرن حيث اكتمل بناؤها سنة (623هـ / 1226م)¹ وهي تقع قبالة المدرسة البدرية بالجبل عند جسر كحيل المعروف بجسر الشبلية² بسفح جبل قاسيون بدمشق³.

وكانت بدمشق أيضا الخانقاه المجاهدية التي كانت نشطة خلال القرن (7هـ / 13م) وقد عرفت بهذا الاسم لمؤسسها الأمير مجاهد الدين إبراهيم الدمشقي (ت656هـ / 1258م)، وكان تمام بنائها في منتصف القرن السابع الهجري تقريبا وقد أوقفها الأمير علي عشرين صوفيا يسكنون فيها⁴ وهي تقع غربي المدرسة الأمينية القريبة من أبواب الجامع الأموي⁵ على الشرق القبلي من دمشق⁶ وقد تولى مشيختها في هذه الفترة الشيخ نجم الدين الواعظ بجامع دمشق علي بن علي بن اسفنديار سنة (676هـ / 1278م)⁷.

وإضافة إلى الخانقاه المجاهدية وجدت الخانقاه النجيبية التي تم بناؤها خلال النصف الثاني من القرن (7هـ / 13م)، حيث تزامن افتتاحها مع افتتاح المدرسة النجيبية بدمشق سنة (676هـ / 1278م)⁸ وبعد مرور سنوات من انطلاق نشاط الخانقاه تولى المشيخة فيها الشيخ تقي الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان الفارقي (ت682هـ / 1283م)⁹.

.9(م1283)

¹-ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج13، ص116.

²-نفس المصدر، ج11، ص365.

³-نفس المصدر، ج12، ص127.

⁴--نفس المصدر، ج12، ص167.

⁵- نفس المصدر، ج11، ص132.

⁶-- نفس المصدر، ج11، ص132.

⁷-نفس المصدر، ج13، ص279.

⁸- ابن كثير: مصدر سابق، ج13، ص280.

⁹- ابن رافع السلامي: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق للنشر، بيروت، لبنان، (1978م)، ج2، ص30.

وقد تواصل نشاطها خلال القرن (8هـ / 15م) حيث تسلم مشيختها الفقيه الضياء القرمي (ت794هـ / 1392م) وهو إسماعيل بن أمين الدولة الحلبي الحنفي المذهب¹.

عرفت دمشق أيضا وجود خانقاه الأمير النجيبى خلال القرن (7هـ / 13م)، وقد بنيت من قبل الأمير جمال الدين أقرش النجمي الذي كان مقربا جدا من الملك "الظاهر بيبرس" و قد تولى نيابة دمشق مدة تسع سنوات خلالها قام ببناء هذه الخانقة التي عرفت باسمه إلا أنه لم يستمر طويلا في منصبه الذي عزل عنه فعاد على القاهرة التي توفي بها سنة (677هـ / 1279م)².

ووجدت الخانقاه الشهابية بدمشق وسميت بهذا الاسم نسبة إلى واقفها الأمير علاء الدين الشهابي الدمشقي (ت677هـ / 1279م)، والذي تولى إمارة حلب في عهد السلطان الأيوبي الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي وحاكم حلب الذي كان شديد الحب للصوفية كثير الاعتقاد فيهم وقد تم إنشاء هذه الخانقاه داخل باب الفرج بدمشق وكانت مزودة بنافذة مطلة على الطريق العام³ وقد استمر نشاطها خلال القرن اللاحق حيث تولى التدريس بها الفقيه والمحدث زين الدين عمر بن عثمان بن سالم بن يخلف المقدسي (ت760هـ / 1262م)⁴.

إضافة إلى خانقاه دار الحديث السكرية الواقعة بالقصاعين داخل باب الجابية بدمشق والتي تولى مشيختها خلال القرن (7هـ / 13م) الفقيه شهاب الدين عبد الحلیم مجد

¹-ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص335.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص358، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص357.

³-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص280.

⁴-ابن العماد، مصدر سابق، ج3، ص189.

الدين بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحصر بن تيمية الحراني والد الإمام تقي الدين بن تيمية سنة (682هـ / 1284م)¹.

وكذا خانقاه دار الحديث السامرية التي أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري بفتح الميم نسبة على مدينة سري من رأى أو (سامراء) العراقية الواقعة بالقرب من نهر الدجلة وتقع هذه الخانقاه بجانب الكروسية بدمشق وكانت هذه الخانقاه دار تعرف "بدار ابن قوام" بدمشق وهي مبنية من الحجارة المنحوتة وكان هذا الأمير (ت696هـ / 1298م) واسع الحرمة والجاه عند الملوك في وقته².

وكذا خانقاه الطاحون التي كانت قائمة خلال هذا القرن وشيخها هو الشيخ سعد الدين الكاساني محمد بن أحمد سعد الدين (ت699هـ / 1300م) وهي تقع خارج دمشق وقيل بأنها تنتسب على السلطان نور الدين محمود بن زنكي³ وهكذا عرفت دمشق وجد ثلاثة عشرة خانقاه خلال القرن (7هـ / 13م)، تولى مشيختها عدد من كبار شيوخ الصوفية آنذاك.

ثانياً- الزوايا في دمشق:

لقد عرفت دمشق وجود الزوايا ومنها الزاوية الغزالية، التي تنتسب الى الشيخ الغزالي، الذي عندما دخل دمشق خلال القرن السادس الهجري، الثالث عشر الميلادي توجه الى الخانقاه الساميساطية ليدخل اليها فمنعه صوفيتها من الدخول اليها لأنهم لم يعرفوه، و لاحقاً عندما عرفوا قدره اعتذروا منه، ومنها توجه الى زاوية الجامع التي عرفت باسمه و أوقف السلطان (الناصر) على زاويته الأوقاف سنة (527هـ-1132م)،

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص56.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص54.

³-نفس المصدر، ج2، ص132.

وعلى من يدرس بها العلوم الشرعية ، وقد وفر كل ما يحتاج إليه الفقيه، و قد درس بها الشيخ الصوفي الكبير العز بن عبد السلام، و هذا دليل على أن هذه الزاوية قد بقي نشاطها مستمرا خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، و قد درس بها الشيخ محمد بن علي بن الوزير، نظام الملك أبي علي الطوسي، كما درس بها الشيخ الصائغ أبو الحسين هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعي الذي تفقه و سمع ببغداد، سنة (563هـ-1167م)¹، و في سنة (589هـ-1193م)، توفي الملك السلطان صلاح الدين الأيوبي التكريتي، الذي ملك البلاد و حكم العباد، وهزم الصليبيين و كان شديد الهيبة ، محبوبا، ذا همة عالية، حكم مدة عشرون سنة، توفي بقلعة دمشق، فبكاها الناس بكاء شديدا، دفن بالقلعة ثم نقل منها الى تربة بنيت له و عرفت بالعزيفية، وهي تقع شمالي دار الحديث الفاضلية بالكلاسة الملاصقة للجامع الأموي شمالا بالقرب من الزاوية الغزالية.²

عرفت دمشق و في نواحي حران، زاوية حران التي كانت قائمة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فقد كان للشيخ العابد، الزاهد، القدوة الشيخ "حبان بن قيس الحراني" الصوفي الصالح، شيخ حران و أهلها، و هي بلدة قريبة من دمشق، فقد كان لهذا الشيخ الصالح زاوية بحران، و قد كان له أتباع و قد زاره الملوك و السلاطين و منهم الأشرف و نور الدين محمود و صلاح الدين، و قد توفي سنة (581هـ-1185م) عن عمر الثمانين سنة³ وهذا دليل على أن هذه الزاوية كانت نشطة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي.

¹-النعمي، مصدر سابق، ج1، ص ص (314-315).

²-نفس المصدر، ص251.

³-الحافظ الذهبي، العبر في خير من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية

للنشر، بيروت، لبنان، ج3، ص81.

شهدت دمشق أيضا وجود الزاوية القوصية بالجامع الأموي، خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، غير أنه تجدر بنا الإشارة الى أنه لم ترد أي معلومات بشأن واقفها، غير أن الثابت أن وجودها بقي مستمرا خلال القرن السابع الهجري، الثامن و الثالث عشر الميلادي، و قد رجح أن يكون واقفها من حملت اسمه القوصي، الشيخ الفقيه الأديب المدرس شهاب الدين أبو حامد أبو الطاهر أبو العز اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمان بن المرجان المرchl النصاري الخزرجي، المسؤول عن بيت المال في الشام، ولد بقوص سنة (554هـ-1149م)، و سافر الى القاهرة سنة (590هـ-1193م) ثم توجه الى الشام سنة (591هـ-1194م)، و سكن بها، وقد توفي سنة (653هـ-1255م)، و دفن بداره التي وقفها دار للحديث بالقرب من الرحبة داخل باب الشرقي أحد أبواب دمشق¹ وهذا دليل آخر على أن هذه الزاوية كانت قائمة خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

عرفت دمشق وجود الزاوية الهكارية، وهي للشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري غربي دمشق، من قرية بيت فار، و قد سافر الى بغداد والتقى بعدد من العباد البغداديين، فقد اجتمع بالشيخ أبي النجيب السهروردي و غيرهم، ثم انعزل عن الناس بجبل الهكارية و بنى له هنالك زاوية واعتقد فيه أهل تلك الناحية اعتقادا بليغا، حتى أن منهم من كان يغلوا فيه غلوا كبيرا.²

وكانت الزوايا قائمة في دمشق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، كالزاوية الفرنثية و التي تقع بسفح قاسيون، وهي تنتسب لمؤسسها الأول الشيخ الصوفي علي الفرنثي (ت 621هـ-1224م)، وهي تقع على نهر يزيد، وهو صاحب حال و كشف وعبادة و صدق، وهو شيخ صالح و قد خلفه في المشيخة الشيخ محمد بن الحسن بن

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص333.

²-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص91.

علي (ت 685هـ-1286م)، في مشيخة الزاوية، وهو الملقب بابن المرأة لأنه ابن زوجة الشيخ علي الفرنثي، وكان بجانب الزاوية يوجد ضريح الشيخ علي. و قد ذكر عنه رحمه الله أن الشيخ محمد بن أبي الفضل روى أنه شاهد الشيخ الفرنثي و الحجر ينزل من جبل المقطع فيشير إليه يا مبارك يمين فينزل يمينه، و يقول يا مبارك شمال فينزل شمال.¹

وكانت الزاوية الشمالية الشرقية للجامع الأموي بدمشق و كان يتم فيها تخزين الكتب التي كانت بأعداد الكبيرة جاوزت السبعمئة مجلدا، و كان المهتم بشؤونها الشيخ ياقوت أو يعقوب بن عبد الله بن نجيب الدين (ت 623هـ-1226م).²

عرفت أيضا الزاوية الغربية لصيقة الجامع الأموي بدمشق، وهي الزاوية التي سميت بالزاوية الغزالية غير أن اسمها تغير مع مرور الوقت، فقد عرفت فيما بعد بزاوية الدولعي ثم عرفت باسم زاوية القطب النيسابوري، و قد سكن فيها الشيخ بيرم المارديني (ت 627هـ-1229م)، و قبره في دمشق في سفح جبل قاسيون.³

وعرفت أيضا الزاوية الدينورية الواقعة في جبل قاسيون في ضواحي دمشق، وهي تنتسب للشيخ عمر بن عبد الملك الدينوري الشيخ الصالح، الزاهد الذي نزل بسفح قاسيون والمتوفي (ت 629هـ-1231م)⁴ كما كانت الزاوية الدرزيية، و مؤسسها الشيخ الساوجي، وهو محمد بن يونس بن حمال الدين الساوجي الزاهد، شيخ الطائفة القلندرية (ت 630هـ-1232م)، الذي أقام في دمشق و سكن في زاويته ورغم أن الشيخ صالح غير أن

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص161.

²-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص116،

³-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص343.

⁴-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص159، ص156.

أصحابه كانوا منحرفين سلوكيا مما أدى الى طردهم من دمشق.¹ وهؤلاء الاتباع تطلوا من الشريعة فتفسخت اخلاقهم ولا حول ولا قوة الا بالله.

و كانت الزاوية الأرموية قائمة خلال القرن (7هـ/13م) و هي تقع فوق الروضة بجبل قاسيون، وهي تنتسب لشيخها عبد الله بن يونس الأرموي الشيخ، الزاهد، القدوة، شيخ الزاوية بجبل قاسيون، وقد عرف بصلاحه و تواضعه في غير تكلف، يمشي وحده و يشتري حوائجه بنفسه، وله أحوال و مجاهدات، وهو راسخ في التصوف توفي عن كبر في (631هـ-1233م)، و في سنة (632هـ-1234م)، توفي الشيخ غانم بن علي المقدسي الزاهد في شعبان، و في سنة (692هـ-1292)، و الشيخ الأرموي الزاهد ابراهيم بن الشيخ القدوة عبد الله روى عن الشيخ الموفق و غيره توفي في المحرم، و كان شيخا صالحا، و قد استمر نشاط هذه الزاوية خلال القرن الثامن الهجري فقد كان فيها الشيخ الصالح المعمر القدوة علاء الدين علي بن ابراهيم بن الشيخ عبد الله الأرموي².

عرفت دمشق أيضا زاوية الشيخ طي المصري في نفس الفترة و الذي قصده الناس بالزيارة و قد بقي نشاط الزاوية مستمرا، وقد توفي الشيخ سنة (631هـ-1233م)³ كما كانت زاوية الشيخ سعد الدين قائمة بقاسيون القريبة من دمشق، وكان قد دفن بها الشيخ الصوفي العماد المولى الصاحب شيخ الشيوخ أبو الفتوح عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد عماد الدين عمر بن حمويه الدمشقي (ت636هـ-1238م)⁴.

شهدت دمشق أيضا وجود الزاوية الحريرية بالشرف القبلي من مدينة دمشق، و هي تنتسب لشيخها علي الحريري، أبو محمد بن أبي الحسين علي بن مسعود الدمشقي الحراني، الذي انتهج طريق التصوف و العبادة في البداية، و قد كثر اتباعه الذين سكنوا

¹- نفس المصدر، ج2، ص163.

²- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص153.

³- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص357.

⁴- الذهبي: السير، مصدر سابق، ج23، ص99.

معه في الزاوية و أقاموا السماعات غير أنه كان فيهم من الانحلال، و قد بقوا على طريقتهم تلك الى غاية وفاة الشيخ سنة (645هـ-1247م)¹. وهذا ما يعابون عليه لانحرافهم عن المنهج القويم للعبادة الصحيحة الصادقة التي يملؤها الاخلاص للمولى جل جلاله في علاه.

وعرفت الزاوية المالكية بجامع دمشق الذي زاول فيها الشيخ الفقيه أبو عمر بن الحاجب أبو عمر عثمان بن عمر بن عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني المصري المالكي المذهب دراسته فيها وقد توفي الشيخ سنة (646هـ-1248م)، بالاسكندرية².

كانت الزاوية الدينورية قائمة في دمشق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهي المنتسبة لشيخها أبو بكر الدينوري (ت 661هـ-1262م)³ كما كانت زاوية الشيخ أبو القاسم الحوراني قائمة خلال هذه الفترة وهو أبو القاسم يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام شيخ زاوية حران بدمشق، و قد عاش في زاويته تلك رفقة مريدية الى غاية وفاته سنة (633هـ-1235م)⁴. و أتباعه يحبونه و له مريدون كثير، وهم حنابلة لا يحبون الضرب بالدف.

عرفت أيضا زاوية الشيخ أبو بكر بن قوام البالسي الزاهد المتوفي (670هـ-1271م)، و كانت هذه الزاوية قائمة في دمشق⁵ و قد دفن بالقرب منها الشيخ الصوفي

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص154.

²-ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص ص (248-249).

³-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص157.

⁴-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص ص (463-464).

⁵-ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص295.

أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي نزيل دمشق المولود سنة (634هـ-1236م)¹ و هذا دليل على نشاط الزاوية خلال هذه الفترة.

إضافة الى زاوية نجم الدين بن الحكيم عبد الله بن محمد بن أبي الخير الحموي (ت687هـ-1288م)، و كان له أتباع يعيشون معه في زاويته² و كذلك الزاوية الفقاعية التي كانت نشطة في هذه الفترة، وهي تعود لشيخها المؤسس الشيخ يوسف بن نجاح بن موهوب الفقاعي (ت679هـ-1280م)³.

إضافة الى زاوية الكلاسة بجامع دمشق، و كانت هذه الأخيرة قائمة في دمشق في هذه المرحلة، فقد درس بها الشيخ محي الدين أحمد بن الشيخ زين الدين عمر بن مكّي بن مرّحل (ت683هـ-1284)⁴

عرفت أيضا الزاوية الرومية التي كانت قائمة خلال القرن (7هـ-13م)، و هي للشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي (ت684هـ-1285م)، وموقعها بسفح جبل قاسيون في ضواحي دمشق⁵ و كذلك الزاوية العمادية، و قد أسسها الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور البغدادي (ت688هـ-1289م)⁶. عرفت دمشق أيضا زاوية الشيخ أبو الرّحال المنيني بن مرعي (ت694هـ-1294م)، و هذا خلال فترة القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، و كانت هذه الأخيرة قائمة في قرية منين إحدى قرى دمشق⁷، وهو شيخ صالح، زاهد، كان أهل دمشق دمشق يزورونه في قريته، و في بعض الأحيان كان هو ينزل دمشق فيكرم و يضاف، و

¹- نفس المصدر، ج3، ص410.

²-الذهبي، مصدر سابق، ج5، ص320.

³-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص160.

⁴- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص522.

⁵-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص154.

⁶-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص160.

⁷- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص558.

كان من البرئين من السماعات الشيطانية، و كان تلميذا للشيخ الصالح الكبير جندل، الذي سلك طريق السلف وقد عاش الشيخ أبو الرحال ثمانين سنة، توفي في بيته في منين، و قد خرج خلق كثير لتشييع جنازته، و حضر الناس من دمشق، و قد دفن الشيخ رحمه الله في زاويته سنة (694هـ-1294م)¹.

كما لا ننسى زاوية الشيخ الخالدي التي كانت قائمة في دمشق، وهو الشيخ الصالح اسرائيل علي بن حسين الخالدي، له زاوية خارج باب السلامة، و كان يقصد فيها للزيارة، و قد عرف بزهده و عبادته، و كان لا يقوم لأحد من الناس، وكان له معرفة، كان محبا للعزلة في أكثر الأوقات فلم يكذب يخرج من بيته إلا للجمعة، توفي سنة (695هـ-1295م)².

الزاوية القوامية البالسية:

شهدت دمشق وجود الزاوية القوامية البالسية، والتي كانت قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهي تقع غربي جبل قاسيون و الزاوية السيوفية، و دار الحديث الناصرية على حافة نهر يزيد و شيخها ابن قوام الشيخ الزاهد الكبير أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، جد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر الزاهد، العابد صاحب الأحوال. و له زاوية و أتباع، و لد سنة (584هـ-1188م) و توفي سنة (658هـ-1259م) في شهر رجب ببلاد حلب المحروسة، و قد دفن في سفح قاسيون و قبره يزار، وهذه الزاوية كانت قائمة خلال القرن (7هـ-13م)، ن و قد استمر نشاط هذه الزاوية خلال القرن اللاحق أي القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ففي سنة (718هـ-1318م) توفي بالزاوية الشيخ الامام القدوة بركة الوقت الشيخ محمد بن عمر

¹-نفسه.

²-ابن كثير، مصدر سابق، ص564.

بن الشيخ الكبير أبي بكر بن قوام البالسي عن عمر فاق الستين سنة، وهو شيخ عابد، صالح، ناسك، ورع، زاهد، قدوة، بقية السلف والخلف، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، ولد سنة (650هـ-1252م) ببالس، وكان شيخاً جليلاً، بشوش الوجه، حسن السميت، مقصداً لكل أحد، كثير الوقار عليه سيماء الخير والعبادة، وزاويتهم معروفة غربي الصالحية والناصرية والعدلية، وقد عرض عليه الوقف لزايته أكثر من مرة غير أنه لم يقبل و كان يقصد بالزيارة وله معرفة تامة، وكان حسن العقيدة صحيح الطوية.

نستنتج من خلال ما سبق ان عدد الزوايا في دمشق كبير جدا وهذا ان دل على شيء فهو يدل على كثرة المشايخ الزاهدين العابدين في فترة القرنين المخصصين لدراستنا والاستنتاج الاهم ان اغلبية المشايخ كانوا على طريقة صحيحة سليمة في العبادة وان وجد حديث عن بعض الانحرافات فهو عند الاتباع والاسباب لهذا كثيرة والاسباب وحدها تحتاج لدراسة اخرى جديدة وهذا ليس مقاما لذكرها.

انتشرت الزوايا في دمشق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي كالزاوية اليونسية المنتسبة لشيخها يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي، شيخ الطائفة اليونسية المنحرفة خلقيا والبعيدة عن الفضيلة وتقع زاويتهم بالشرف الشمالي لمدينة دمشق غربي الوراق والأعزية ، وقد استمر نشاطها إلى غاية القرن (9هـ / 15م)، حيث تولى المشيخة فيها القاضي محي الدين عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن عيسى بن الشيخ يوسف سيف الدين الراجحي بن سابق... بن الشيخ يونس الكبير المولد سنة (852هـ / 1450م)¹.

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص(160-169).

والزاوية الفرنثية التي كانت نشطة خلال القرن (7هـ/ 13م)، وهي تنتسب لمؤسسها الأول الشيخ علي الفرنثي الصالح (ت621هـ/ 1206م) وهي تقع في سفح جبل قاسيون بدمشق وهي تقع على نهر يزيد، وقد خلف الشيخ علي في مشيخة الزاوية الشيخ محمد بن الحسن بن علي المتوفى سنة (685هـ/ 1287م) والملقب بابن المرأة لأنه ابن زوجة الشيخ علي الفرنثي، وبجانب هذه الزاوية يوجد ضريح الشيخ علي¹.

والزاوية اليونسية كانت قائمة في سنة (619 هـ/1204)، و ينسب شيخها الى قرية القنية، وهي في نواحي ماردين، وهذه الطائفة عرفت بقلعة العقل غير أن شيخهم شيخ الطائفة اليونسية رحمه الله كان صاحب حال وعشق يحكى عنه كرامات وهؤلاء يعرفون به غير أنه كان رجلا صالحا ولم يذكر للشيخ شيخ لذلك قيل أنه مجذوب وهم يسمون من لا شيخ له كذلك، و يقصدون بذلك أنه جذب الى طريق الخير والصلاح. قنى من أعمال دارا، وهي بضم القاف و فتح النون و تشديد الياء المثناة و قبره مشهور بها، وهو يزار، وقد ناهز التسعين سنة من عمره، فالشيخ كان شيخا زاهدا كبير الشأن، وله أحوال ومقامات وعشق، والشيخ يونس لم يكن من أولي العلم بل كان من أولي الحال والعشق، أما طائفته فقد كان فيهم انحلال خلقي واستهتار وانحلالهم هذا كان قولا وفعلا، وهذه الطائفة اليونسية كانت من الطوائف التي حاربها ابن تيمية وتحدث عن أفعالها، فاليونسية هم من شر طوائف الفقراء² و كما أن هذه الطائفة من شر طوائف الفقراء فهناك كذلك خير طوائف الفقراء وهؤلاء اليونسية إن كانوا بهذه الصفات السيئة فالأرجح أنهم حادوا عن الطريق الصحيح والجاد في العبادات والمجاهدات وابتعدوا عن الأخلاق الفاضلة، و في رأي الشخصي هؤلاء لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نحسبهم على التصوف السني الصادق فهم بعيدين كل البعد عن الصوفية السنية في اخلاقهم الرفيعة العالية.

¹- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص161.

²- النعيمي، مصدر سابق، ج 2، ص (166 – 169).

والمعروف على نشاط هذه الزاوية أنه بقي مستمرا الى غاية القرن التاسع الهجري،
الخامس عشر الميلادي فقد تولى المشيخة فيها القاضي محي الدين عبد القادر بن
محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن عيسى بن الشيخ يوسف سيف الدين الراجحي بن
سابق... بن الشيخ يونس الكبير المولود سنة (852 هـ / 1450م)¹

ظهرت الزاوية الشرقية الشمالية للجامع الأموي بدمشق وكان يتم فيها تخزين الكتب التي
بلغت سبعمائة مجلد وإحدى عشر مجلدا وكان القائم على شؤونها الشيخ ياقوت أو يعقوب
بن نجيب الدين المتوفي ببغداد سنة (623 هـ / 1226م)².

إضافة إلى الزاوية الغربية الملاصقة للجامع الأموي بدمشق وهي التي يطلق عليها
اسم الزاوية الغزالية التي تغير اسمها مع مرور الوقت لتعرف فيما بعد بزاوية الدولعي
وبعدها عرفت باسم زاوية القطب النيسابوري وقد سكن بها الشيخ الصوفي بيرم المارديني
(ت 627 هـ / 1229م) الذي دفن بمقبرة سفح جبل قاسيون في نواحي دمشق³.

الزاوية الدينورية بسفح جبل قاسيون نواحي دمشق والمنسبة لشيخها عمر بن عبد الملك
الدينوري الزاهد نزيل السفح بالشام (ت 629 هـ / 1231م)⁴.

ووجدت أيضا الزاوية الدركزنية نسبة لمؤسسها الشيخ الساجي (ت 630 هـ /
1232م) وهو محمد بن يونس جمال الدين الساجي المتزهدي شيخ الطائفة القلندرية الذي
سكن دمشق وأقام زاويته بها في موضع قريب من القبة وأتباعه منحرفين سلوكيا مما
تسبب من طردهم من دمشق⁵.

¹ - نفس المصدر، ص 169 .

² - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 116.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 118.

⁴ - النعمي، مصدر سابق، ج 2، ص 159.

⁵ - نفس المصدر، ج 2، ص 163.

عرفت بدمشق زاوية الشيخ علي المصري الذي قصده الناس بالزيارة وظلوا كذلك حتى وفاته سنة (631هـ / 1233م)¹، إضافة إلى الزاوية الأرموية المنتسبة لشيخها ومؤسسها الشيخ عبد الله الأرموي (ت 632هـ / 1234م)، وقد أنشأها الشيخ أسفل جبل قاسيون بدمشق وكانت وفاته بها² كما وجدت أيضا زاوية سعد الدين بقاسيون القريبة من دمشق وقد دفن بها الشيخ الصوفي العماد المولى الصاحب شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد عماد الدين عمر بن حمويه الدمشقي (ت 636هـ / 1238م)³.

والزاوية القلندرية الدر كزينية تعود الى مؤسسها محمود بن محمد شرف الدين الطالباني الدر كزيني المتوفي بدر كزين بدال مهمة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم كاف مكسورة ثم زاي بعدها ياء تحتية ثم نون، وهي بلدة من همدان بينهما مسافة، وهذه الزاوية تقع بمقبرة باب الصغير شرقي محلة مسجد الذبان، و شرقي مئذنة البصية، وشيخ هذه الزاوية، الشيخ محمد بن يونس الساوجي الزاهد، قدم دمشق وقرأ القرآن و العلم، و سكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي، و صلى بالشيخ عثمان مدة، و قد حصل له زهد و فراغ من الدنيا، فترك الزاوية وأقام بقبرة الباب الصغير في موضع القبة الي بنيت لأصحابه، و بقي مدة بقبة زينب زين العابدين رضي الله تعالى عنهم غير أن الساوجي حلق وجهه ورأسه، فتبعه جماعة غير أن أصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي فلما وجدوه قبخوا فعله فلم ينطق، ثم اشتهر أمره و تبعه جماعة و ذلك في حدود العشرين، و قد توفي هذا الأخير في دمياط مصر، و قبره مشهور هناك.⁴

¹-ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 141.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج 2، ص 153.

³-الذهبي، (السير)، مصدر سابق، ج 23، ص 99.

⁴-النعيمي، مصدر سابق، ج 2، ص ص (163- 164).

وقد جلس بعده في المشيخة بمقبرة باب الصغير جلال الدرزيني، وبعده تولى المشيخة الشيخ محمد البلخي، وهو الذي أعاد للزاوية نشاطها كما كان في أول العهد، وكثر أتباعه، وقد كان الملك الظاهر يعتقد فيه اعتقادا كبيرا، فلما أصبح سلطانا، طلبه فلم يذهب اليه، فبنى لهم السلطان القبة، وكان إذا جاء الى الشام يعطيهم ألف درهم وقمح، كانوا يحضرون سماط السلطان الملك الظاهر فيمازحهم السلطان و يمازحونه، ولما تم الانكار على الشيخ الحريري علي في عهد السلطان الأشرف موسى، أنكروا على القلندرية و نفوهم، وقيل أن حالهم ملعون وطريقتهم خارجة عن الدين.¹

وكذا الزاوية الحريرية بالشرق القبلي من دمشق وهي تنتسب لشيخها علي الحريري أبو محمد بن أبي الحسن علي بن مسعود الدمشقي الحراني الذي تصوف وكثر أتباعه الذين قطنوا معه الزاوية وأقاموا فيها السماعات وبقي على حاله من الانحلال إلى غاية وفاته سنة (645هـ / 1247م)². إضافة إلى الزاوية المالكية بجامع دمشق الذي درس بها الفقيه أبو عمر بن الحاجب أبو عمر عثمان بن عمر بن عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني المصري المالكي المذهب المتوفي سنة (646هـ / 1248م) بالإسكندرية³.

عرفت دمشق أيضا الزاوية الدينورية المنتسبة لشيخها أبو بكر الدينوري (ت 661هـ / 1263م)⁴ إضافة إلى زاوية الشيخ أبو القاسم الحواري أبو القاسم يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي شيخ زاوية حران الدمشقية التي عاش فيها مع أتباعه إلى غاية وفاته سنة (663هـ / 1265م)⁵ كما كانت هناك زاوية الشيخ أبو بكر بن قوام البالسي الزاهد المتوفي (670هـ / 1272م) والموجودة بدمشق⁶ وقد دفن بالقرب منها الشيخ

¹ - النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص 165.

² - النعيمي، مصدر سابق، ص154

³ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص ص (248-249).

⁴ - النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص157.

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص246 ؛ ابن رجب، مصدر سابق، ج4، ص216.

⁶ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص295.

الشيخ الصوفي أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي نزيل دمشق المولود سنة (634هـ / 1236م)¹ وهذا دليل على استمرار نشاط الزاوية خلال القرن (8هـ / 14م).

شهدت دمشق أيضا زاوية الشيخ نجم الدين بن الحكيم عبد الله بن محمد بن أبي الخير الحموي (ت 678هـ / 1280م) وكان له أتباع يعيشون معه في زاويته² إضافة إلى الزاوية الفقاعية التي كانت نشطة أثناء هذه الفترة وهي تنتسب إلى الشيخ يوسف الفقاعي بن نجاح بن موهوب (ت 679هـ / 1281م)³.

وكذا زاوية الكلاسة بجامع دمشق وكانت نشطة خلال القرن (7هـ / 13م) حيث درس بها الشيخ محي الدين أحمد بن الشيخ زين الدين عمر بن مكّي بن مرّحل (ت 683هـ / 1285م)⁴.

عرفت الشام وجود الزاوية القلندرية الحيدرية ففي سنة (655هـ / 1257م) ، دخل الفقراء الحيدرية الشام، وقد كانوا يقصون لحاهم و يتركون شواربهم، وقد تركوها اتباعا لشيخهم حيدر حين أسر الملاحدة فقصوا لحيته و تركوا شواربه، فاقتدوا به وهو في ذلك معذور ومأجور وليس لهم فيه قذوة وقد بنيت لهم زاوية تظاهر دمشق بالقرب من العوينة.⁵

كما شهدت دمشق وجود الزاوية القوامية البالسة، والتي كانت قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهي تقع غربي جبل قاسيون والزاوية السيوفية، ودار الحديث الناصرية على حافة نهر يزيد و شيخها ابن قوام الشيخ الزاهد الكبير أبو بكر بن

¹ - نفس المصدر، ج3، ص410.

² - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص280؛ الذهبي، (العبر)، مصدر سابق، ج5، ص320.

³ - النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص160.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص304.

⁵ - النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص ص (165 - 166).

قوام بن علي بن قوام البالسي، جد الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر، الزاهد، العابد صاحب الحوال، و له زاوية و أتباع، ولد سنة (584هـ/1187م)، وتوفي سنة (658هـ/1260م)، في شهر رجب ببلاد حلب المحروسة، وقد نقل تابوته و دفن في سفح قاسيون و قبره يزار، وهذه الزاوية كانت قائمة خلال القرن (7هـ/ 13م)، وقد استمر نشاط هذه الزاوية خلال القرن اللاحق أي القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ففي سنة (718هـ/1319م)، توفي بالزاوية الشيخ الإمام القدوة بركة الوقت الشيخ محمد بن عمر بن الشيخ الكبير بن قوام البالس عن عمر ثمان و ستون سنة، وهو شيخ عابد، صالح، ناسك، ورع، زاهدا، قدوة، بقية السلف و الخلف، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، ولد سنة (650هـ/1252م) ببالس، و كان شيخا جليلا، بشوش الوجه، حسن السمات، مقصدا لكل أحد، كثير الوقار عليه سيماء الخير و العبادة، و زاويتهم معروفة غربي الصالحية و الناصرية و العادلية، وقد عرض عليه الوقف لزاويته أكثر من مرة غير أنه لم يقبل و كان يقصد بالزيارة و له معرفة تامة، وكان حسن العقيدة صحيح الطوية¹.

الزاوية القوامية البالسية:

و تقع هذه الزاوية غربي جبل قاسيون، والزاوية السيوفية، ودار الحديث الناصرية، وهي تقع على حافة نهر يزيد، وهي تنتسب إلى الشيخ الصالح الزاهد الكبير القدوة أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي جد الشيخ الإمام الذهبي صاحب كتاب العبر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر، وقد كان زاهدا عابدا، صاحب حال و كرامات، وله زاوية و أتباع، و قد ولد سنة (584هـ-1190م)، و توفي في شهر رجب في مدينة حلب

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص162. وللاطلاع على مناطق انتشار المؤسسات الصوفية في المشرق الاسلامي انظر الملحق رقم 03، ص

المحروسة، ثم تم نقله إلى سفح جبل قاسيون حيث دفن هناك في أوائل سنة سبعين، و قبره معروف هناك¹، فهذه الزاوية كانت نشطة خلال القرن (7هـ/13م).

وقد استمر نشاط هذه الزاوية قائماً خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، فقد توفي بها الشيخ القدوة بركة الوقت الشيخ محمد بن عمر بن الشيخ الكبير أبي بكر بن قوام البالسي عن سبع و ستين سنة وهذا في سنة (718هـ/1317م)، وقد عرف بكونه محمود الطريقة، متين الديانة، وهو شيخ المفسر ابن كثير، وهو شيخ عالم عامل صالح ناسك ورج زاهد قدوة بقية السلف والخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، ولد (650هـ-1252م)، وكان شيخاً جليلاً بشوش الوجه مقصداً لكل أحد كثير الوقار، عليه سمات الخير والعبادة، وقد توفي في شهر صفر بالزاوية المعروفة بهم غربي الصالحية والناصرية والعدلية، و صلى عليه بها، و دفن فيها، و حضر جنازته خلق كثير وجمع غفير، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم كما لم يكن لزاويته مرتب ولا وقف، و قد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل، وكان مقصوداً بالزيارة وهو صاحب معرفة تامة، وكان حسن العقيدة صحيح الطوية، محباً للحديث، وآثار السلف الصالح، كثير التلاوة، وقد صنف جزءاً فيه أخبار جده رحمه الله، و قد توفي الشيخ عن ثمان وستون سنة من أبنائه الشيخ الأصيل الفقيه نور الدين أبا عبد الله محمد المدرس، المحدث، و قد كان من العلماء الفضلاء، وقد درس بالمدرسة الناصرية البرانية مدة سنتين بعدائية، و قد درس بالرباط الداوداري داخل باب الفرج، وكان محباً للسنن و يفهمها جيداً و قد تفقه و درس وكان حسن الخلق².

الزاوية الفقاعية:

¹-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص162.

²-النعيمي، مصدر سابق، ص163.

عرفت دمشق وجود الزاوية الفقاعية الواقعة بسفح جبل قاسيون وقد قال البعض أنها كانت قائمة في سنة (739هـ/1338م)، غير أن المؤرخ النعيمي قال بأن الصواب هو سنة (679هـ/1281م)، وشيخها هو الشيخ يوسف الفقاعي الزاهد بن نجاح بن موهوب، الذي توفي في شهر شوال رحمه الله، وقد دفن بزوايته هذه بسفح قاسيون، وقد تجاوز الثمانين سنة من العمر، وقد عرف الشيخ الفقاعي بكثرة عبادته و صلاحه وخوفه وقنوته، وقد كان كبير القدر و له أتباع و مریدون¹ وهكذا فقد كانت هذه الزاوية قائمة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

¹- نفس المصدر، ج2، ص 160.

الزاوية الطالبية الرفاعية:

وهي تقع بقصر حجاج، و شيخها هو الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج، و له زاوية مشهورة به، وقد كان يزور بعض المريدين فتوفي سنة (683هـ/1285م)¹.

الزاوية العمادية المقدسية:

وتقع هذه الزاوية عند كهف جبريل في سفح جبل قاسيون بدمشق، وهي تنتسب الى شيخها أحمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ الامام عماد الدين بن الشيخ العماد المقدسي الصالحي، سمع عن جماعة من العلماء، ثم رحل الى بغداد، وهو شيخ معروف بصلاحه، وله حظ وافر من صيام وصلاة وذكر، و سمع منه جماعة، وقد أقام مدة بزاوية له بسفح قاسيون عند كهف جبريل، وفي آخر عمره كف بصره، و قد توفي رحمه الله تعالى و دفن يوم عرفة عند قبر والده بالروضة سنة ثمان و ثمانين وستمئة.²

وعرفت أيضا الزاوية الرومية التي كانت موجودة خلال القرن (7هـ/ 13م) و شيخها الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي (ت 684هـ/ 1286م)، وكانت تقع بسفح جبل قاسيون في نواحي دمشق³ إضافة على الزاوية العمادية بالسفح والتي أنشأها الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور البغدادي (ت 688هـ/1290م)⁴ كما كانت زاوية الشيخ أبو الرجال المنيني بن مرعى (ت 694هـ/ 1295م) قائمة خلال القرن (7هـ/ 13م) بمنطقة منين إحدى القرى الدمشقية⁵.

¹- نفس المصدر، ج2، ص159.

²- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص160.

³- نفس المصدر، ج2، ص154.

⁴- نفس المصدر، ج2، ص160.

⁵- ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص304.

و ظهرت بدمشق زاوية الشيخ الخالدي (ت 695هـ / 1296م)، الشيخ الصالح إسرائيلي بن علي بن حسين الخالدي شيخ الزاوية الموجودة خارج باب السلامة بدمشق¹.

تعد الأربطة من أهم مؤسسات الصوفية التي يعرفونها على أنها أماكن مخصصة للعبادة² وقد وجدت هذه الأربطة بكثرة في دمشق خلال القرن (7هـ / 13م).

ثالثا - الأربطة في دمشق:

ومن الأربطة التي وجدت في دمشق خلال القرن السادس الهجري، الثالث عشر الميلادي، الرباط البياني الذي كان قائما خلال هذه الفترة، وهو يقع داخل باب شرقي، فقد تم بناؤه بحارة درب الحجر سنة (551هـ/1156م)، وهو يعود إلى شيخه المؤسس له الشيخ أبو البيان بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي الدمشقي الزاهد المعروف بابن الحوراني، وقد كان شيخا صالحا ، عابدا، ملازما للعلم والمطالعة، كثير المراقبة ملازما للأثر، وهو من كبار مشايخ دمشق، وقد توفي في شهر ربيع الأول، وقبره بباب الصغير رحمه الله³ و سيكون لنا حديث عن هذا الرباط الذي كان قائما في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي بل وقد استمر في نشاطه حتى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

إضافة إلى مجموع الربط التي بناها السلطان نور الدين محمود باقي الربط و الجسور⁴ في دمشق، وهو المتوفي سنة (569هـ/1174م)، وهذا دليل آخر على أن هذه الربط كانت قائمة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وهذه الربط التي أمر ببنائها نور الدين محمود السلطان الزنكي، قد اهتم بأمر بنائها هو شخصيا وهو

¹-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص345.

²-ابن قيم الجوزية: حاشية ابن القيم علي سنن أبي داود ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج7، ص706.

³-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص150، ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص83.

⁴-ابن سباط، تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر تدمري، ط1، (1413هـ - 1993م)، ج1، ص156.

المعروف "بالمك العادل " نور الدين محمود زكي آق سنقر، وهو الذي أمر ببناء المدرسة النورية سنة (563هـ/1168م)، كما بنى المدارس و المساجد ووسع الأسواق، ومنع الضرائب، وهو محارب شجاع أحسن إلى العلماء وأكرمهم، وبنى دور العدل وحضر مجالسها، ووقف على المرضى، وأنفق على الضعفاء والأيتام.

وأمر بإكمال سور المدينة النبوية وحفر عينا للماء بجبل أحد، كما اهتم اهتماما كبيرا ببناء الربط والخوانق والجسور والطرق... الخ، وقد كان متشبها بالعلماء والصلحاء وكان زاهدا، عابدا، متدينا¹ وقد قال عنه ابن كثير بأنه الملك العادل نور الدين محمود بن زكي التركي السلجوقي، الذي عندما افتتح دمشق سنة (549هـ/1154م)، أحسن إلى أهلها، وبنى لهم المدارس والمساجد والربط، وكان يحب العلماء والصوفية (العباد) (الزهاد)، ويكرمهم ويحترمهم ويحسن إليهم، وأفضاله كثيرة تفوق الحصر، وقد بنى الربط والخوانق، وكان يجمع عنده الفقهاء للبحث، والمشايخ الصوفية فكان يكرمهم ويعظمهم².

ومن الأربطة التي وجدت في دمشق خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي رباط الشيخ أبي البيان الذي ظهر خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وقد حمل اسم صاحبه (مؤسسه الشيخ أبي البيان (ت 551هـ/ 1156م) الملقب "بابن الحوراني"، وقد تواصل نشاط هذا الرباط خلال القرن (7هـ/ 13م)، حيث تولى مشيخته ابن أبي الشيخ المذكور وهو الشيخ محمد بن نصر الدين عبد الرحمان بن محمد بن محفوظ الدمشقي (ت 635هـ/ 1237م) وكان هذا الرباط يقع داخل باب الشرقي بحارة درب الحجر في دمشق³.

¹- النعيمي، مصدر، سابق، ج1، ص466.

²- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص129.

³- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص150.

وقد استمر نشاطه خلال القرن (8هـ / 14م) فقد دفن بالقرب منه الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن علي بن هلال بن حميد التدمري المولد الملقب بالطيار الذي دفن بسفح جبل قاسيون القريب من دمشق والذي أقام خلال فترة حياته بالمسجد الواقع بدرب الحجر القريب من هذا الرباط¹.

إضافة إلى رباط صفية الذي كان نشطا خلال هذا القرن وهو ينتسب إلى الشيخة الصالحة صفية ابنة قاضي القضاة عبد الله بن عطاء الحنفي التي تولت مشيخة هذا الرباط وأشرفت على تسيير شؤونه المختلفة وقد عرفت هذه الشيخة بلقب "صفية القلعية" وقد تم بناؤه سنة (633هـ / 1236م)² بالقرب من المدرسة الطاهرية الواقعة خارج باب النصر غربي الخانقاه الحسامية على الميدان بالشرق القبلي³.

ووجد أيضا الرباط الناصري وتم بناؤه سفح جبل قاسيون بنواحي دمشق وقد أمر ببنائه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قدم على دمشق وأمر ببناء هذا الرباط سنة (654هـ / 1256م)⁴.

إضافة إلى الرباط التكريتي الذي كان قائما خلال القرن (7هـ / 13م) والذي حمل اسم التكريتي نسبة إلى بانيه وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طال بن سويد التكريتي وقد كان أحد كبار الأثرياء في دمشق في وقته وقد اكتمل بناء هذا الرباط سنة (670هـ / 1275م)⁵ وهكذا نلاحظ أن الأربطة أيضا كانت موجودة في دمشق كنوع من المؤسسات

¹-ابن رافع السلامي، مصدر سابق، ج1، ص307.

²-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص319.

³-نفس المصدر، ج2، ص257.

⁴-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص193.

⁵-النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص150.

الصوفية و الحقيقة أنها مشابهة للخوانق و من خلال دراستنا للمؤسسات الصوفية في دمشق نجد أن النصيب الأكبر منها كان للخوانق و الزوايا أكثر من الأربطة.

ثانيا- الخوانق في مصر:

لم تكن الخوانق والأربطة معروفة في مصر قبل مجيء السلطان صلاح الدين الأيوبي إليها وحكمه فيها ومع بداية حكمه عرفت الخوانق¹ التي استمر وجودها خلال القرن (7هـ / 13م) كمؤسسات للطائفة الصوفية.

أ- الخوانق:

ومن الخوانق المعروفة في مصر الخانقاه الصلاحية التي يعود تاريخها الى عهد الفاطميين بمصر، فلما تولى صلاح الدين الأيوبي الحكم في مصر حول دار قنبر خادم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الملقب بسعيد السعداء الى خانقاه للصوفية² ووقفها على الفقراء الصوفية الوافدين من المناطق البعيدة الى مصر وذلك سنة (569هـ / 1174م) وأقام بها شيخ يسير شؤونها وقد رتب للصوفية طعاما من لحم وخبز علاوة على توفرها على حمام و مطبخ بجانبها وقد تمتع شيخها بلقب "شيخ الشيوخ" وقد وصفهم المؤرخ المقريري (ت846هـ/1442م) في كتابه الخطط بقوله: "وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولى مشيختها الأكابر والأعيان...ونزل بها الأكابر من الصوفية وكان الناس يأتون من مصر الى القاهرة يوم الجمعة ليشاهدوا

¹-القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص417، ص4293.

²-القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص447؛ ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص244.

صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون على صلاة الجمعة... كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم:¹

وقد استمر نشاط هذه الخانقاه خلال القرن (7هـ / 13م) حيث توفي بها الشيخ شرف الدين محمد بن صاحب بهاء الدين أحمد هبة الله بن صاعد القادري (ت673هـ/1275م) والذي تولى مشيخة الخانقاه الصلاحية² كما تولى مشيختها في نفس القرن الشيخ شمس الدين أبو بكر بن الشيخ العماد المقدسي الصالحي الحنبلي المولود سنة (603هـ / 1206م) والمتوفى سنة (ت676هـ / 1278م) بالقاهرة الذي تسلم المشيخة على عهد الملك الظاهر بيبرس البندقداري³ كما كان عفيف الدين التلمساني من صوفيتها⁴.

عرفت في مصر أيضا الخانقاه الطقزدمرية وكان نشاؤها قائما خلال القرن (7هـ / 13م) فقد تولى بها الشيخ فخر الدين عثمان بن علي الحنفي المذهب سنة (679هـ / 1281م) وقد تم بناؤها في القرافة بالقاهرة⁵ إلى جانب الخانقاه البندقدارية وكانت نشطة هي الأخرى خلال القرن (7هـ / 13م)، وقد أنشأت من قبل الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري النجمي الصالحي الذي ينتسب إليه السلطان الملك الظاهر بيبرس الذي كان مملوكا لديه قبل أن يصبح ضمن المماليك البحرية، وقد تم بناء هذه الخانقاه سنة

¹ -المقريزي، الخطط، تحقيق خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1418هـ - 1998م)، ج4، ص282.

² -ابن رافع السلامي، مصدر سابق، ج1، ص500.

³ -الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1424هـ - 2003م)، ج15، ص321.

⁴ -الصفدي، مصدر سابق، ج1، ص209.

⁵ -ابن رافع السلامي، مصدر سابق، ج1، ص436.

(683هـ / 1285م) وأقيم بجانبها مسجد وقد أوقفت على مجموعة من الصوفية وقد توفي هذا الأمير بعد سنة واحدة فقط من إنشائه للخانقاه أي سنة (684هـ / 1286م)¹.

وعرفت مصر أيضا خانقاه بكتمر بالقرافة في القاهرة المصرية وقد تولى مشيختها أحمد بن ترکان شاه بن أبي الحسن شمس الدين أبو محمد الأقراني الصوفي الذي كان صوفيا بخانقاه سعيد السعداء في بداية أمره وكان متمكنا في مجال التصوف وقيل أنه أخذ الذكر عن الشيخ الشرف الاسفرايني سنة (630هـ / 1232م) وقد بقي في مشيخة الخانقاه إلى غاية وفاته سنة (730هـ / 1328م)² وهذا دليل على استمرار نشاط هذه الخانقاه خلال القرن (8هـ / 15م)، وعدد الخوانق في مصر خلال القرن (7هـ / 13م) قدر بأربعة خوانق وهو عدد قليل مقارنة بعدد الخوانق التي كانت قائمة في دمشق والتي وصلت فيها إلى ثلاثة عشر خانقاه.

ثالثا- الأربطة في مصر:

وعلى غرار دمشق وبغداد انتشرت الأربطة في مصر أيضا باعتبارها أحد أصناف المؤسسات الصوفية فكان رباط سوار بالإسكندرية الذي كان قائما خلال القرن (7هـ / 13م) فقد اعتكف فيه الشيخ الصوفي أبو عبد الله بن سليمان المعافري الشاطبي سنة (617هـ / 1220م)، وهو نزيل الإسكندرية المشهور "بابن أبي الربيع" (ت672هـ / 1274م) أحد الأولياء المعروفين بالزهد والصلاح³.

¹-المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص292.

²-ابن حجر، مصدر سابق، ج1، صص(133-134).

³-المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص140؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية للنشر، (1387هـ - 1968م)، ج2، ص253.

عرف أيضا بمصر رباط الآثار الذي أشرف على بنائه الوزير صاحب تاج الدين محمد بن صاحب فخر الدين محمد بن الوزير صاحب بهاء الدين علي بن سليم بن حنا المولود سنة (640هـ / 1242م)، وكان هذا الرباط مطلا على النسل مجاورا لأحد البساتين الكبرى بمصر¹ ويقول عنه الرحالة ابن بطوطة الذي عاش خلال القرن (8هـ / 14م) في كتابه الرحلة بأن هذا الرباط يقع بين القاهرة وأسيوط على طريق الصعيد المصري وهو رباط بهي المنظر عظيم البناء به آثار للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحتوي على قطعة من قصعته عليه الصلاة والسلام والعود الذي كان يكتحل به وكذلك مصحف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المكتوب بخط يده حتى قيل بأن الوزير صاحب قد اشترى تلك الآثار بمبلغ باهظ وجعله مأوى لعابري السبيل².

و ظهر أيضا الرباط العلاني وقد بناه الأمير علاء الدين أبو الحسين علي بن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق ملك الجزيرة الفراتية بالعراق الذي ولد سنة (657هـ / 1259م) وكان هذا الرباط موجودا خارج مصر بين الزقابين شق الخليج وقد عرف هذا الرباط باسم الخانقاه³ إضافة إلى رباط الأفرم الذي يعتبر من أحسن المنتزهات في مصر وقد قام ببنائه الأمير عز الدين الأفرم سنة (663هـ / 1265م)، والذي أسكن فيه عددا من الصوفية وعين لهم شيئا وإماما وأنشأ به منبرا لصلاتي العيد و الجمعة وكان يقع بالسفح المشرف على بركة الحبش بالقاهرة⁴.

عرف أيضا رباط داود ابن إبراهيم الذي بني سنة (663هـ / 1265م) وهذا الرباط كان موجودا بالقرب من بركة الفيل بالقاهرة⁵ إضافة إلى رباط صاحب فخر الدين أبو

¹ -المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص 305؛ السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص273.

² -ابن بطوطة، مصدر سابق، ج1، ص63؛ السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص273.

³ -المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص307.

⁴ -المقريزي، مصدر سابق، ص306.

⁵ -المقريزي، مصدر سابق، ص304.

عبد الله محمد بن الوزير صاحب بهاء الدين الذي اشترط أن يسكنه عشرة من الصوفية وجعل له وقفا خاصا به وقد تم بناؤه سنة (668هـ / 1270م) وكان هذا الرباط مطلا على بركة الحبش بالقاهرة¹.

إضافة إلى جانب رباط القرافة الصغرى بالقاهرة وكان قائما خلال القرن (7هـ / 13م) فقد توفي به الشيخ سالم البرقي الصالح الزاهد شيخ هذا الرباط سنة (672هـ / 1274م)² إضافة إلى رباط الفخري الذي بناه الأمير عز الدين أيبك الفخري أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس المتوفى سنة (676هـ / 1278م)، وكان موجودا خارج باب الفتوح بالقاهرة بالقرب من باب النصر³، كما عرف بمصر أيضا رباط البغدادية وأمرت ببنائه السيدة تذكاري خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة (684هـ / 1286م)، وقد جعلته وقفا على الشيخة الصالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة بلقب "ابنة البغدادية" وقد خصص للنساء الصوفيات يتعلمن فيه أمور الدين و تولت مشيخته الصوفية أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية (ت 614هـ / 1210م) و قد أصبحت كل من تسلمت المشيخة بعدها تعرف بلقبها البغدادية، وكان هذا الرباط موجودا بالدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس في الرواق المعروف برواق البغدادية⁴.

و ظهر أيضا رباط رواق ابن سليمان الرفاعي شيخ الصوفية الأحمدية الرفاعية بمنطقة مصر (ت 691هـ / 1292م)، وكان هذا الرباط يقع بحارة الهلالية خارج باب الزويلة بالقاهرة⁵، إضافة على رباط الست كليلة وقد أمر ببنائه الأمير سيف الدين الذي أوقفه على السيدة "دولاي" سنة (694هـ / 1295م)، وتم إلحاق مسجد به و رتب فيه إمام

¹ -المقريزي، مصدر سابق، ص 302.

² -ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 268؛ السيوطي، مصدر سابق، ج 1، ص 521.

³ -المقريزي، مصدر سابق، ج 4، ص 303.

⁴ -المقريزي، مصدر سابق، ج 4، ص 303.

⁵ -نفس المصدر، ص 304.

و مؤذن خاص به وهو ينتسب للسيدة كليلة زوجة الأمير سيف الدين السلاحدار الظاهري واقف هذا الرباط الذي كان موجودا خارج درب بطوط الملاصق لسور الحجر بالقرب من سوق الغنم بالقاهرة¹ وأما عدد الأربطة الموجودة في مصر هو إحدى عشر رباطا وهو عدد مرتفع مقارنة بعدد أربطة دمشق الذي قدر بأربعة.

ج- الزوايا في مصر:

لقد عرفت مصر ظهور مجموعة من الزوايا خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي كزاوية القرافة بمصر التي بناها الشيخ الفخر الفارسي (ت 620هـ/ 1223م) وهو أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الفيروز آبادي الشافعي المذهب الذي بنا زاويته بمعبد ذي نون الصوفي بالقاهرة² إضافة إلى زاوية الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني (ت 676هـ/ 1278م) وقد بنيت بأمر من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وكانت موجودة بالجامع الظاهري في الحسينية بالقاهرة المصرية³.

عرفت مصر أيضا ظهور زاوية المقس التابعة للشيخ ابن منظور الزاهد المصري محمد ابن احمد بن منظور أبو عبد الله الكناني المصري العسقلاني (ت 676هـ/ 1278م)⁴ إضافة إلى زاوية الجميزة التي أسسها الأمير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد كبار أمراء الملك المنصور قلاوون وذلك سنة (682هـ/ 1284م)، وقد وضع فيها مجموعة من الفقراء الصوفية وهي تقع بأراضي الزهري خارج باب الزويلة بالقاهرة⁵. كما شهدت مصر أيضا وجود الزاوية الحلاوية وقام ببنائها الشيخ الصوفي

¹-المقريزي، مصدر سابق، ص 303.

²-السبكي، مصدر سابق، ج 2، ص 83؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 4، ص 307.

³-المقريزي، مصدر سابق، ص 307؛ ابن العماد، مصدر سابق، ج 3، ص 352؛ ابن تغري بردي، مصدر سابق،

ج 7، ص 192.

⁴-الصفدي، مصدر سابق، ج 1، ص 194.

⁵-المقريزي، مصدر سابق، ص 309.

مبارك الهندي السعودي الحلاوي سنة (688هـ / 1289م) وهي تعتبر من أشهر الزوايا في مصر¹ إضافة إلى زاوية الشيخ عمر السعودي وكانت قائمة خلال القرن (7هـ / 13م) فقد دفن بالقرب منها الأمير حسام الدين أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصوري (ت 689هـ / 1290م) الأمير الكبير نائب الملك المنصور قلاوون بمصر وكان يسكن في البندقانيين بالقاهرة².

ووجدت زاوية الدمياطي التي قام ببنائها الأمير عز الدين أيبك الدمياطي الصالحي النجمي أحد كبار أمراء الملك الظاهر بيبرس وقد دفن بزوايته التي بناها سنة (696هـ / 1297م) وهي تقع بالقرب من قنطرة السد بمصر و بجانبها حوض الدمياطي المنتسب إليها³ إضافة إلى زاوية ابن منظور وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى شيخها جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور...أبو عبد الله الكناني العسقلاني (ت 696هـ / 1279م) وقد دفن بزوايته تلك⁴ كما وجدت بمصر أيضا زاوية الظاهري نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهري (ت 696هـ / 1297م)، وهي تقع خارج باب البحر خارج القاهرة وبها توافذ تطل على نهر النيل⁵

اضرب المؤسسات الصوفية

نلاحظ أن عدد الأربطة كان مرتفعا مقارنة بعدد الزوايا والأربطة في مصر.

لقد عرفت مختلف مناطق المشرق الإسلامي وجود عدد من المؤسسات الصوفية بها ومن ضمنها الأربطة.

¹ - المقرئزي، مصدر سابق، ص 309.

² - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 7، ص 383.

³ - المقرئزي، مصدر سابق، ج 4، ص 307.

⁴ - المقرئزي، مصدر سابق، ص 303.

⁵ - المقرئزي، مصدر سابق، ص 309.

ما يمكن أن نقوله بالنسبة للديار المصرية عن المؤسسات الصوفية في القرن (6/12م) أنها كانت قليلة جدا حيث لم يكن لنا حديث مطول عليها على عكس القرن (7/13م) الذي انتشرت فيه المؤسسات الصوفية بمختلف أنواعها في مصر و السبب الأساسي لهذا هو أن العبيديون الشيعة حكموا مصر خلال الفترة الأولى من القرن (6/12م) لذلك لم يشجعوا التصوف وأهله لأن عقائدهم كانت مختلفة عن أهل السنة و الجماعة.

ما يمكن أن نقوله عن التصوف في مصر أنه قد انتشر في زمن الأيوبيين والمماليك، فقد شجع الكثير من السلاطين والأمراء بمصر حركة التصوف، وقد رافق هذا التشجيع انتشار العديد من المؤسسات الصوفية من خوانق وربط و زوايا، والتي وإن اختلفت في أسمائها فإن الهدف منها واحد، فالخوانق جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسية معناها البيت، والدار التي يقيم فيها الصوفية للعبادة، وهذه المؤسسات غالبا ما ينشئونها السلاطين أو الأمراء أو غيرهم من ذوي اليسار والتقوى، كما رتبت بعض الاوقاف للانفاق عليها وعلى من ينزل بها من الصوفية وأما الزاوية فمأخوذة من فعل انزوى أي ركن الى ركن، وفي بدايتها كانت ملتصقة بالمسجد ثم تطورت الى أبنية صغيرة للصلاة وللعبادة يتخذها احد المشايخ المشهورين بالتقوى والصلاح سكنا له و لمن يرد عليه من العابرين، ويقوم الشيخ بالوعظ والارشاد لمن يتردد عليه من الناس، والرباط مكان محصن يقام قرب الحدود غير أن الرباط يطلق أيضا على الدار يسكن بها أهل الطريق الى الله، وهو بذلك مشابه للخانقاه والزاوية، أدت هذه المؤسسات وظائف كثيرة دينية وتعليمية واصلاحية فقد كانت مراكز علمية وتحتوي على أضخم المكتبات، و تدرس فيها دروس الفقه و الحديث والنحو والصرف وعلم القراءات والطب وغيره من العلوم.¹

وعن المساكن الصوفية ومؤسساتهم المختلفة قال الامام ابن قدامة المقدسي (ت 689 هـ/ 1290م) ، في هذا الموضوع، المسكن و للزهاد فيه ثلاثة درجات أعلاها أن لا يطلب

¹-جمال علي الدهشان: الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، كلية التربية، فسخ أصول التربية، المجلد الأول، العدد الثاني، جامعة حلوان، مصر، يونيو 1995.

موضعا خاصا لنفسه مقتنعا بزوايا المساجد، و أوسطها طلبه لموضع خاص كالكوخ وأقصاها أن يطلب حجرة مبنية.¹

والحقيقة أن ما ذهب إليه الإمام ابن قدامة المقدسي صحيح غير أنه ينطبق على فرد واحد فقط يريد أن يسلك طريق الزهد و التعبد لكن من يريد أن يهتم بتسليك المريدين فالأكيد أن مكانا ضيقا كهذا لن يكفيه أبدا و لن يتسع للوافدين وهذا فضلا عن المريدين خاصة إذا كان عددهم كبيرا.

ثالثا - الأربطة في بغداد:

لقد ظهرت المؤسسات الصوفية أو المساكن الصوفية منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي حيث ظهرت الأربطة² و الزوايا³ و الخوانق⁴ مجسدة تاريخ الصوفية منذ القرون الأولى، وقد عرفت هذه المؤسسات تطورا واضحا بعدما كانت بسيطة جدا في البداية، وقد شمل هذا التطور مختلف المرافق التي تحتوي عليها هذه الأخيرة.⁵

¹ ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، ط1، الشركة الجزائرية للنشر، الجزائر، (1427 هـ - 2006م)، ص ص (419-420).

² الأربطة: و مفردا رباط و معناها ملازمة الثغور لمحاربة العدو كما له معنى آخر وهو التعبد فيها كالمساجد. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ط3، المكتب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1404، ج1، ص 534)؛ محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير الحجامع بين الرواية و الدراية من علم التفسير، دون محقق، ط، د. ت، ج2، ص 433؛ السيوطي: الدار المنثور، د. ط، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1993م)، ج2، ص417، ج2، ص417.

³ الزوايا: تكون صغيرة في بنائها و عادة ما تكون ملتصقة بالمساجد أو عبارة عن مساجد صغيرة أو أمكنة في الجوامع الكبيرة تقيم فيها مجموعة أو شيخ واحد. ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، ط1، الشركة الجزائرية للنشر، الجزائر، (1427 هـ - 2006م)، ص420.

⁴ الخوانق: وهي في الجمع و في المفرد تصبح خانقاه، وهو مكان يتعبد فيه الصوفية، وهي مبنية بنفس نمط المساجد غير أن فيها غرف يبني فيها هؤلاء الصوفية. الغزالي: إحياء علوم الدين، دون محقق، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، د. ت، ج2، ص153؛ عبد الرحمان الجزري: الفقه على المذاهب الأربعة دون محقق، د. ت، ج1، ص 99؛ أحمد عطية: القاموس الاسلامي، د. ط، د. ، ج2، ص ص (211-112)

⁵ -برمنجهام، مرجع سابق، ص44.

المؤسسات الصوفية حسب الأمصار: لقد وجدت المؤسسات الصوفية في مختلف أرجاء المشرق الاسلامي خلال القرنين (6هـ - 7هـ)، (12م - 13م)، و قد اختلفت هذه المؤسسات في نوعها ما بين زوايا و أربطة و خوانق و قد جسدت الطابع العمراني لطائفة الصوفية وأفراد الحركة الصوفية خلال هذه الحقبة الزمنية، و قد وصف الجغرافي ابن جبير الرحالة والجغرافي الأربطة و الخوانق قائلاً: "أما الرباطات التي يسمونها الخوانق فكثيرة وهي برسم الصوفية وهي قصور مزخرفة يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر، وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك لهذه البلاد، قد عفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في أسباب المعاش وأسكنهم قصور الجنان فالسعداء والموفقون منهم قد حصل لهم فضل الله تعالى نعيم الدنيا والآخرة وهم على طريقة شريفة¹.

أولاً: في مدينة بغداد: لقد انتشرت الأربطة في بغداد ومن الأربطة التي عرفتها مدينة بغداد العباسية رباط أبي سعد الصوفي و قد كان قائماً في بداية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي فقد سكن فيه الشيخ الصوفي أبو الفتوح الاسفرائيني (ت 516هـ-1122م)²

وخلال هذا القرن تعرض الرباط للفيضان الذي لحقه من نهر دجلة سنة (568هـ- 1172م) وهو يقع بالقرب من قبر الامام أحمد بن حنبل و كذا مدرسة الامام أبي حنيفة النعمان وهو قريب أيضاً من المدرسة النظامية³ وقد بقي هذا الرباط مستمرا في نشاطه خلال فترة القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي حيث سكن به الشيخ سعد الله بن أبي الفتح بن معالي بن الحسين الذي سافر الى بغداد بغرض الحج سنة (605هـ-

¹ - ابن جبير: رحلة ابن جبير، دون محقق، دون طبعة، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، د. ت، ج1،

ص199.

² - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص 210.

³ - نفس المصدر، ج10، ص244.

1208م)، ومن العراق سافر الى دمشق التي توفي بها سنة (651هـ - 1253م)¹ كما سلم للشيخ أبي الفتوح الاسفرائيني رباط آخر هو رباط الأرجوانية و قد كان قائما أيضا في بداية القرن (6هـ - 12م) وقد قدم إليه هذا الرباط من قبل السيدة والدة الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله (ت 512هـجري).

عرفت بغداد رباط الأرجوانية الذي بقي مستمرا في نشاطه خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد تولى المشيخة فيه الشيخ الصوفي الواعظ أبو الفضل أحمد بن اسفنديار بن الموفق بن أبي علي البوشنجي (ت 639هـ - 1241م)، وقد عرف بحسن أخلاقه و تواضعه و حسن عباراته و طيب انشاده و شعره، وقد تولى المشيخة في عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي (ت 640هـ - 1242م)².

وكان رباط بهروز قائما خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي فقد تولى المشيخة فيه الشيخ الصوفي أحمد الطوسي (ت 520هـ - 1226م)، وهو أحمد بن محمد أبو الفتوح الغزالي الطوسي أبو الفتوح الغزالي الطوسي أخو الشيخ أبو حامد و قد كان زاهدا متصوفا في بداية أمره وقد تسلم هذا الرباط المذكور فوعظ فيه و كانت له نكت طريفة غير أن كلامه غلب عليه التخليط³ وقد شب في بغداد حريق احترقت بسببه الكثير من الدور ومن بينها هذا الرباط المذكور⁴ غير أن الملاحظ عليه الرباط، أنه قد استؤنف النشاط فيه لأن الحريق وقع قبل مشيخة الشيخ أحمد الطوسي وفي سنة (544هـ - 1149م)، زلزلت الأرض زلزلة عظيمة و بقيت تموج حوالي عشر مرات، وكانت زلزلة بحلوان تقطع منها جبل وساخ في الأرض وعلى إثرها تهدم الرباط البهروزي، كما توفي الشيخ يعقوب الخطاط سنة (547هـ - 1152م) برباط بهروز الذي قلنا بأنه انهدم⁵ وهذا

¹-كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج9، ص 4275.

²-ابن كثير، مصدر سابق، ج17، ص ص (374- 357).

³-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص ص (237- 240).

⁴-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص19.

⁵-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص83.

يدل على انه استأنف نشاطه فلربما انهدم جزء منه فأعيد ترميمه أو أنه انهدم كلياً و أعيد بناؤه.

سكن فيه الشيخ أبو الفضائل بن شقران (ت 561هـ -1165م)، فقيه النظامية البغدادية، والذي أصبح معيذا بها، ووعظ زمانا ثم ترك الوعظ، وأقام برباط بهروز الى غاية وفاته.¹

وكان لنساء بغداد نصيب أيضا في الأربطة الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي ومن هذه الأربطة النسوية الصوفية رباط الشیخة الصالحة فاطمة بنت الحسين بن حسين بن فضلويه الرازي (ت 521هـ -1127م)، وقد كانت هذه المرأة الجليلة القدر امرأة عابدة، زاهدة، واعظة في رباطها الذي كانت تجتمع فيه النساء الزاهدات في بغداد² وهكذا فالنساء أيضا انتهجن نهج التصوف وعرفت بامتلاكهن الربط الخاصة بهن.

وشهدت بغداد أيضا وجود رباط الزوزني، وقد كان قائما خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وشيخه الأول هو الشيخ أبو الحسن الزوزني (ت 452هـ -1060م)، وهو كبير شيوخ الصوفية في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ورباطه هذا معروف منذ ذلك الوقت³ وخلال القرن (6هـ -12م)، سكن فيه الشيخ الصوفي أحمد الفيروز آبادي (ت 528هـ -1133م)، أحمد بن علي بن ابراهيم، أبو الوفاء، وقد عرف بحلاوة كلامه و حفظه للكثير من سير مشايخ الصوفية وأخبارهم و أشعارهم⁴، وهو رباط يقع بالقرب من مقبرة باب البصرة، والتي دفن فيها الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن أبي غالب بن أحمد الباقداري المنتسب لقرية بقدار والتي لا

¹- نفس المصدر، ج18، ص173.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص247؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص19.

³- أبي يعلى، طبقات الحنابلة: تحقيق حامد محمد الفقي، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص219.

⁴- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص51.

تبعد كثيرا عن بغداد وذلك سنة (575هـ-1179م)¹ كما أن هذا الرباط يقع في مكان مقابل لجامع المنصور ببغداد وهو قريب أيضا من درب بهروز وقد دفن عنده الشيخ جعفر أبو البركات الثقفي (ت 563هـ-1167م)، وهو جعفر بن عبد الواحد² كما تولى المشيخة فيه الشيخ كامل بن سالم بن الحسن (ت 548هـ-1153م)، وهو أبو تمام التكريتي شيخ رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور، شيخ كثير التلاوة، دائم الذكر. قليل الكلام، تم دفنه على باب هذا الرباط³ وقد بقي هذا الرباط مستمرا في نشاطه خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد أقام في هذا الرباط الشيخ الصوفي أبوطالب اليزدي (ت 637هـ-1239م)، وهو سعد بن المظهر⁴.

كما كان رباط الشيخ أبو بكر العامري (ت 530هـ-1135م)، قائما في بغداد خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وقد اجتمع في هذا الرباط الزهاد و العباد، و قد دفن الشيخ في رباطه في منتصف شهر رمضان، غير أن هذا الرباط قد تعرض للغرق إثر الفيضانات التي شهدتها بغداد سنة (554هـ-1159م)، وهو الشيخ المعروف بابن الخبازة، الشيخ الورع، التقى⁵ كما كان أيضا رباط أبو النحيب السهرودي (ت 563هـ-1167م)، قائما في بغداد، وهو عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عمويه أبو النحيب، وقد كا قائما خلال القرن السادس الهجري، السابع و الثاني عشر الميلادي وقد لجأ إليه أبو كرم عندما عرفت بغداد شدة على الناس سنة (531هـ-1136م). و كثرت الضرائب على الناس فأسفه ما يحدث فقرر أن يتزهد و يترك كل شيء ابتعادا عن

¹-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص327.

²-ابن الحوزي، مصدر سابق، ج10، ص224.

³نفس المصدر، ج18، ص193.

⁴-كمال الدين أبي جرادة، مصدر سابق، ج9، ص4275.

⁵ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص56.

الظلم غير أنه تم استدعاؤه للعمل مرة أخرى¹ و ربما تكون قد تحسنت الأحوال في بغداد وعمها الرخاء بعد الشدة.

كما وجد أيضا خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي رباط البسطامي في بغداد حيث أنه تم صلب رجل صوفي (لم يذكر اسمه في المصدر) ، وهو ينتمي لهذا الرباط المذكور و ذلك بسبب صبي كان عندهم مات فاقتص منه وذلك سنة (532هـ - 1137م)² و قد تولى المشيخة فيه الشيخ طاهر بن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير اليتي أبو القاسم (ت 542هـ - 1147م) ، وقد كان كثير الصوفية في زمنه، وهو شيخ ظاهر الوقار و السكون و الهيئة و الصمت توفي في شهر ربيع الأول³.

و كذلك هناك رباط آخر كان قائما في بغداد خلال القرن (6هـ - 12م)، وهو رباط الخدم، وقد سكن به الشيخ الصوفي عمر بن عمويه محمد بن عمويه (ت 532هـ - 1137م)، أبو حفص عمر السهروردي، عم أبي النجيب الواعظ، وكان متقدم الصوفية في بغداد هذا الرباط المعروف باسم "سعادة الخادم"⁴. و يعود الفضل في بناء هذا الرباط الى بهروز بن عبد الله أبو الحسن الخادم الأبيض الغياتي الملقب بمجاهد الدين، والذي عمر دار السلطان و منع اختلاط الرجال بالنساء في المراكب، وقد توفي سنة (540هـ - 1145م)، في رباطه الذي بناه على شاطئ دجلة وهو الرباط المعروف ب "رباط الخدم" أو رباط "سعادة الخادم"⁵.

عرفت بغداد أيضا وجود رباط دار الخلافة، وهو يعود الى واقفة الشيخ محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة ت (542هـ - 1147م)، وهو أبو الحسن بن أبي الفتح بن أبي القاسم الذي ولد سنة (484هـ - 1091م)، الذي روى الحديث، و تزهد، و تصوف،

¹-ابن كثير،مصدر سابق، ص ص (55-56).

²-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص327.

³-نفس المصدر، ج18، ص59.

⁴-ابن الجوزي،مصدر سابق،، ج17، ص331.

⁵-نفس المصدر، ج18، ص46.

وقد جعل بيته الذي في دار الخلافة رباطا للصوفية و عند وفاته في شهر رجب حمل الى جامع القصر حيث صلى عليه و دفن بالقرب من رباط الزوزني (المذكور سابقا) قبالة الجامع¹ و ربما كان نفسه رباط الخليفة الذي كان قائما خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي و الذي توفي به الشيخ أحمد بن أبي الفضائل عبد المنعم بن أبي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد أبي الخير الميهني الصالح المتوفي سنة (614هـ - 1217م).²

وشهدت بغداد أيضا وجود رباط الغزنوي: (ت 551هـ - 1156م)، ويمكن أن نطلق عليه "رباط باب الأزج"، وقد كان قائما خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، و قد تولى المشيخة فيه الشيخ أبو الحسن الغزنوي الواعظ، وهو علي بن الحسن، وقد بنت له هذا الرباط السيدة زوجة الخليفة المستظهر بالله، الخاتون، وقد تم بناؤه في باب الأزج، و قد وقفت عليه السيدة أوقافا كثيرة، وقد أصبح له جاه عظيم وكثر قاصدوه الى الرباط³ كما كان للشيخ صدقة بن وزير الواسطي (ت 557هـ - 1161م)، والذي جاء الى بغداد وتكشف وتزهد ولبس لباس التصوف، حتى أن تقشفه كان زائدا عن الحد، و قد كان يصعد المنبر وليس عليه قرش وكان له الجاه العريض في بغداد غير أنه عرف بميله للروافض، وقد بنى رباطا، واجتمع فيه جماعة وعند وفاته دفن برباطه⁴ كما كان في العراق أيضا خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي "رباط الموصل" الذي أمر ببنائه الملك سيف الدين غازي بن أقي سنقر حاكم الموصل وهو أخو السلطان نور الدين محمود حاكم حلب ومن بعدها دمشق و قد كان سيف الدين هذا من خيرة الملوك ومن أكرمهم، وقد عرف بحسن سيرته و صفاء سيرته، وهو شجاع كريم كان يوزع اللحوم كل يوم من الغنم و الدجاج وهو الذي بنى المدرسة في الموصل، كما

¹-ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 61.

²-كمال الدين بن أبي جرادة، مصدر سابق، ص 4240.

³-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 18، ص 108، ص 110.

⁴-نفس المصدر، ص 154. ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 94

بنى أيضا رباط للصوفية فيها. وقد حكم ثلاثة سنوات و خمسين يوما و عند وفاته دفن بالمدرسة و ذلك سنة (544هـ - 1149م)¹ و الرباط بني قبل ذلك

وكان رباط الشيخ عبد القادر (ت 561هـ-1165م)، قائما في بغداد خلال القرن السادس الهجري، السابع و الثاني عشر الميلادي، وهو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة (470هـ-1077م)، و قد تاب على يده و في رباطه خلق كثير و قد توفي عن عمر يناهز التسعين سنة.

وكان هناك أيضا رباط آخر كان قائما في موصل العراق خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ويعود فضل بنائه الى الوزير محمد بن علي بن أبي منصور، أبو جعفر الأصبهاني، الملقب بالجواد، وزير قطب الدين مودود بن زنكي، وكان كثير الصدقات وآثاره في كل مكان حتى في مكة والمدينة، ومن ذلك أن أوصل الماء الى جبل عرفات، وبني المسجد وأكمل أبواب الحرم وزخرف الكعبة و ذهبها، وبني جسرا على دجلة.

وكان رباط الشيخ عبد القاهر السهروردي قائما في بغداد خلال القرن السادس الهجري، السابع و الثاني عشر الميلادي، وهو عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه أبو النجيب السهروردي ، و كان يذكر أنه من أولاد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و قد توفي (ت563هـ - 1167م)، وكان يقول أنه ولد قريبا من (490هـ-1096م)، و قد بنى لنفسه رباط.²

عرف أيضا في العراق خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي ،رباط الموصل و قد بناه الأمير مجاهد الدين قايماز، نائب قلعة الموصل حيث تم بناؤه الى جانب المدرسة و المارستان بظاهر مدينة الموصل و تم بناؤه سنة (572هـ-1176م) ،

¹-ابن الجوزي،مصدر سابق، ج18، ص173.

²-ابن الجوزي،مصدر سابق، ج18، ص180.

وله مجموعة من الخوانق غير أنه لم يذكر متى تم بناؤها، توفي سنة (595هـ - 1198م).¹

اشتهرت رباط الشيخ الصوفي شهاب الدين عمر أبو حفص السهروردي (ت632هـ - 1234م)، ومنها رباط المأمونية و رباط البسطامي² و هذا الأخير كان قائماً في فترة القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي فقد صلب فيه أحد الصوفية المنتسبين إليه سنة (532هـ - 1137م)³، و قد أقام بأحد تلك الربط الشيخ أبو يحيى علي بن حسان بن علي بن حسين البغدادي السقلاطوني العريمي المعروف بلقب الغني (ت631هـ - 1233م).⁴

وعرف أيضا رباط "الخلاطية"، وقد سكن به الشيخ ابن روزبة الصوفي أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي القلانسي (ت633هـ - 1235م)⁵، وكذلك رباط الشيخ أبو المعالي عماد الدين عبد الرحمان بن قاضي القضاة الواسطي الشافعي المذهب (ت639هـ - 1241م)، ودرس الشيخ بالمدرسة المستنصرية ببغداد وقد تنازل عن كل الوظائف التي منحت له، وتولى مشيخة رباط عرف باسمه ببغداد سنة (635هـ - 1237م)، و قد بقي في المشيخة حتى وفاته.⁶

عرفت بغداد وجود "رباط الحریم" وقد كان نشطا خلال القرن (7هـ - 13م)، وتولى المشيخة فيه الشيخ الصوفي عبد العزيز بن دق بن أبي طالب المكلف بتخزين كتب

¹-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص148.

²-ابن ثغري بردي، مصدر سابق، ج5، ص11.

³-ابن الجوزي، (المنتظم)، ج10، ص (71 - 72).

⁴-الذهبي، (السير)، ج22، ص359.

⁵-الذهبي، مصدر سابق، ص (287 - 288).

⁶-ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص204.

المدرسة المستنصرية، وقد اهتم الخليفة المستنصر بهذا الرباط شخصياً¹ فكان المسؤول عن شؤونته ونفقاته.

شهدت بغداد وجود رباط "شهادة" الذي كان قائماً خلال القرن (7هـ/13م)، فقد سكن فيه الشيخ الصوفي أبو علي بن القاضي أبو الفتح بن محمد بن محمود بن المعز بن اسحاق الحراني البغدادي ،وقد عرف بلقب "ابن المعز" الذي سكن حتى وافته المنية سنة (638هـ-1240م)² كما عرفت بغداد أيضاً رباط المرزبانبة الذي تولى المشيخة فيه الشيخ قاضي القضاة عماد الدين أبو المعالي عبد الرحمان بن مقبل بن حسن الواسطي، الشافعي المذهب الملقب "بابن مقبل" الذي تولى التدريس بالمدرسة المستنصرية سنة (631هـ-1233م)، ثم ترك التدريس و تنازل عن كل المناصب و اكتفى بتولي المشيخة في هذا الرباط، بقي به حتى وفاته سنة (639هـ-1241م)³.

كما لا تفوتنا الإشارة الى وجود رباط "ابن الأمير" الذي عرف بنشاطه خلال القرن (7هـ- 13م)، و قد تولى المشيخة فيه الشيخ الصوفي الصالح شمس الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن عبد القادر بن محمود بن يوسف الوجوهي البغدادي المعروف بفقهاء، وهو حنبلي المذهب، و أحد المرموقين في بغداد (ت672هـ-1273م) ، و تم دفنه بمقبرة باب حرب ببغداد.⁴

وعرفت بغداد أيضاً رباط سوسيان"، وقد تولى المشيخة به الشيخ الصوفي عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الحسن بن عبد الله البغدادي (ت676هـ-1277م)، وهو إمام بغداد و شيخها المعروف⁵ والملاحظ على بغداد كثرة الأربطة بها.

¹-الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات و الامصار، ج2، ص ص (626- 627).

²-الذهبي السير، ج23، ص ص (73- 74).

³-نفس المصدر، ج23، ص ص (104- 105).

⁴-ابن العماد الحنبلي،مصدر سابق، ج3، ص337.

⁵ابن رجب الحنبلي،مصدر سابق، ج4، ص291.

و تعتبر الأربطة من أهم مؤسسات الحركة الصوفية وهي معروفة لديهم بأنها أماكن للعبادة¹، و الأربطة و الخوانق لفظين لنوع واحد من المساكن الصوفية، و قد قال في هذا المؤرخ و الجغرافي ابن جبير (ت614هـ-1217م)، أما الرباطات التي يسمونها الخوانق فكثيرة، وهي برسم الصوفية، وهي قصور مزخرفة، يطرد في جميعها الماء، وهو نفس ما ذهب اليه المؤرخ عبد القادر بن أبي الوفا القرشي (ت775هـ-1373م) في كتابه الجواهر في طبقات الحنفية²، حيث قال: والرباط مسكن للصوفية وهو خانقاه لهم³، وهذا نفس ما أشار اليه الباحث المعاصر عوض الله محمد أمين في كتابه أساليب التربية والتعليم في الاسلام فقد قال: و الخوانق هي نفس ما عرف عند البغداديين باسم الأربطة وكما كان للرجال أربطة خاصة بهم، كان للنساء أيضا أربطة خاصة بهن⁴، وهذا يدل على ان مفهوم الرباط و الخانقاه مفهوم واحد.

شهدت بغداد وجود عدد من الأربطة خلال القرن (7هـ / 13م)، والأربطة مشابهة للخوانق من حيث نمط بنائها، فقد قال عنها المؤرخ الجغرافي ابن جبير (ت 614هـ/ 1217م) في كتاب رحلته قائلا: "أما الرباطات، التي يسمونها الخوانق فكثيرة وهي برسم الصوفية وهي قصور مزخرفة: ⁵ جاعلا من الرباطات والخوانق لفظين لمعنى واحد وهو ما أكده المؤرخ عبد القادر بن أبي الوفا القرشي (ت775هـ / 1277م) في كتابه الجواهر المضية في طبقات الحنفية بقوله: "والرباط مسكن للصوفية وهو خانقاه لهم"⁶ وهو نفس نفس ما ذهب إليه الباحث المعاصر عوض الله محمد أمين في كتابه أساليب التربية

¹-أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي للنشر، (1405هـ) ، ج8، ص99.

²-ابن جبير، مصدر سابق، ج1، ص 199.

³-عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق أمير محمد، كتب خانة للنشر، ج1، ص301.

⁴-عوض الله محمد أمين: أساليب التربية و التعليم في الاسلام، د. ط، دار القراءة للنشر، دبي. الامارات العربية المتحدة، د. ت، ص66.

⁵-ابن جبير، مصدر سابق، ج1، ص199.

⁶-عبد القادر بن أبي الوفا القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة للنشر، د. ت، ج1، ص301.

والتعليم في الإسلام حيث يقول: "والخوانق هي نفس ما عرف عند البغداديين باسم الأربطة وكما كان للرجال أربطة خاصة بهم، كان للنساء أيضا أربطة خاصة بهن"¹ وهذا يوضح الشبه الكبير إن لم نقل التطابق الكامل بين الأربطة والخوانق في المشرق الإسلامي عامة و في بغداد خاصة من حيث التجهيزات والمرافق أما الصوفية فيقصدون بالرباط المكان المخصص للعبادة فيه.²

أ-الأربطة:

انتشرت الأربطة في بغداد بشكل موسع فكان منها رباط بهروز الذي كان قائما خلال القرن (6هـ / 12م) ببغداد فقد اختبأ فيه بعض العساكر الخوارزمية.

والذين أرادوا الدخول لدار الخلافة فحاصروهم جنود الخليفة مما اضطرهم للجوء إلى هذا الرباط سنة (521هـ / 1127م) و قد تعرضوا بالأذى لمن كان فيه من الصوفية³ كما تعلم فيه الإمام ابن الجوزي الحديث عن الشيخ أحمد بن منصور بن أحمد أبو نصر الصوفي الهمداني (ت 536هـ / 1142م)⁴

وقد استمر نشاط هذا الرباط خلال القرن(7هـ / 13م) فقد سكن به الشيخ إبراهيم بن علي المعروف "باسحاق الانصاري" البغدادي الملقب بالمرواحي (ت602هـ / 1205م)⁵ وعرف أيضا رباط باب الأزج ببغداد وتولى مشيخته الشيخ الصالح الزاهد أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعالي الحنبلي (ت609هـ / 1213م)⁶ وهو الفقيه والزاهد المعروف بالأزجي، الذي اجتمع لديره أهل الدين من العلماء والفقهاء الحنابلة، وكان هذا

¹-عوض الله محمد أمين،مرجع سابق، ص66.

²-أبو نعيم الأصفهاني،مصدر سابق، ج8، ص99.

³-ابن الجوزي،(المنتظم)، ج10، ص2.

⁴-ابن الجوزي، مصدر سابق، ص(99-100).

⁵-ابن كثير،مصدر سابق، مصدر سابق، ج13، ص64.

⁶-نفس المصدر، ص66.

الرباط قائم في بغداد منذ سنة (572هـ / 1176م)، وقد دفن هذا الشيخ في هذا الرباط المذكور¹ ورباط ابن النقال ببغداد وكان قائما خلال القرن (7هـ / 13م) حيث قصدهم الشيخ فخر الدين (ت622هـ / 1225م)، محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرائي أبو عبد الله بن أبو القاسم الفقيه، المفسر، الواعظ، المتوفى بحران وقد اشتغل الشيخ بهذا الرباط مدة قبل حجه سنة (406هـ / 1207م) إلى مكة².

وكان هناك أيضا رباط الزوزني الذي يعود تاريخه إلى القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي فقد بناه الشيخ أبو الحسن الزوزني شيخ الصوفية في بغداد في زمنه المتوفي سنة (452هـ / 1060م)³ وقد استمر نشاطه خلال القرن (6هـ / 12م)، وقال عنه الجغرافي ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بأنه يقع بالقرب من مقبرة باب البصرة ببغداد والتي دفن فيها الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن أبي غالب بن أحمد الباقداري المنتسب لباقدار التي لا تبعد كثيرا عن بغداد وذلك سنة (575هـ / 1180م)⁴ وقال عنه المؤرخ ابن الجوزي في المنتظم بأن رباط الزوزني يقع في مكان مقابل لجامع المنصور ببغداد قريب من درب بهروز وقد دفن عنده الشيخ جعفر بن عبد الواحد أبو البركات الثقفي (ت563هـ / 1168م)⁵ قد بقي نشاطه مستمرا خلال القرن (7هـ / 13م)، حيث سكن فيه الشيخ الصوفي سعد بن المطهر أبو طالب اليزيدي (ت637هـ / 1240م)⁶.

¹ - ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص63.

² - نفس المصدر، ص158.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص84؛ أبو الحسن محمد بن أبي العلي: طبقات الحنابلة، تحقيق حامد محمد الفقي، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص219.

⁴ - ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص327؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص(99-100).

⁵ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ص224.

⁶ - كمال الدين بن أبي جرادة، مصدر سابق، ج9، ص4275.

عرفت بغداد رباط أبي سعد الصوفي الذي كان قائماً خلال القرن (6هـ / 12م) وقد لحقته فيضانات نهر دجلة سنة (568هـ / 1173م) وهو يقع بالقرب من المدرسة النظامية ببغداد وكذا بالقرب من مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان وقبر الإمام أحمد بن حنبل¹ وقد استمر نشاطه خلال القرن (7هـ / 13م) حيث قطن به الشيخ الصوفي سعد الله بن أبي الفتح بن معالي بن الحسين الذي رحل إلى بغداد بهدف الحج سنة (605هـ / 1209م)، وسكن الرباط المذكور ثم رحل منه إلى دمشق التي توفي بها سنة (651هـ / 1253م)².

إضافة إلى رباط المورانية بماردين نواحي بغداد والذي تم بناؤه في أواخر القرن (6هـ / 12م) سنة (599هـ / 1203م) وقد تم تخصيصه لجماعة من الصوفية وتولى المشيخة فيه الشيخ شهاب الدين عمر أبو حفص السهروردي وقد بقي نشاط هذا الرباط مستمرا خلال القرن (7هـ / 13م)³.

وعرفت بغداد أيضا وجود رباط الخليفة الذي كان قائماً خلال القرن (7هـ / 13م)، فقد توفي به الشيخ أحمد بن أبي الفضائل عبد المنعم بن أبي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن أبي الخير الميهني الصالح سنة (614هـ / 1217م)⁴ كما عرف أيضا رباط ابن السهروردي بالموصل وقد سكن به الشيخ شرف الدين محمد عز الدين أبو القاسم الذي استقر بهذا الرباط إلى غاية وفاته سنة (619هـ / 1222م)⁵ إضافة إلى رباط السلجوقية الذي بني بالجانب الغربي من مدينة بغداد في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (ت622هـ / 1225م)⁶ كما تم بناء رباط شيخ الشيوخ في بغداد على عهد الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص244.

²- كمال الدين عمر بن أبي جرادة، مصدر سابق، ج9، ص4275.

³- ابن جوزي، مصدر سابق، ص241.

⁴- كمال الدين بن أبي جرادة، مصدر سابق، ص4240.

⁵- ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص34.

⁶- ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص381.

الله الذي حكم ما بين (623هـ / 632هـ)، (1226م / 1235م)¹ والذي توسعت أملاكه وخطب له على المنابر بالبصرة.

امتلك الشيخ شهاب الدين عمر أبو حفص المتوفي سنة (632هـ / 1235م) مجموعة من الأربطة في بغداد هي الرباط الناصري ورباط المامونية و رباط البسطامي² والذي كان قائما خلال القرن (6هـ / 12م) فقد تم فيه صلب أحد الصوفيين المنتسبين إليه سنة (532هـ / 1132م)³ وقد قطن بأحد أربطته الشيخ أبو يحيى علي بن حسان بن علي بن حسين البغدادي السقلاطوني الحريمي المشهور بالغنى (ت631هـ / 1234م)⁴، إضافة إلى رباط الخلاطية الذي سكنه الشيخ ابن روزبة الصوفي أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي القلانسي (ت633هـ / 1236م)⁵ إلى جانب رباط الشيخ أبو المعالي عماد الدين وهو عبد الرحمان بن نقيل قاضي القضاة الشافعي المذهب الواسطي (ت639هـ / 1242م) الذي درس بالمدرسة المستنصرية ببغداد ثم ترك جميع الوظائف وولي مشيخة رباط عرف باسمه سنة (635هـ / 1238م) ببغداد وقد بقي في مشيخته الى غاية وفاته⁶.

ظهر أيضا رباط الارجوانية الذي كان نشطا خلال القرن (7هـ / 13م) الذي تولى مشيخته الشيخ الصوفي أبو الفضل أحمد بن اسفنديار بن الموفق بن أبي علي البوينجي

¹- ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص239.

²- ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج5، ص11.

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص (71-72).

⁴- الذهبي، مصدر سابق، ج22، ص359.

⁵- الذهبي، مصدر سابق، ص (287-288).

⁶- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص204.

الواعظ (ت639هـ / 1242م) وقد أخذ هذا الأخير المشيخة على عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي¹.

ووجد أيضا رباط الحريم ببغداد وكان نشطا خلال هذا القرن حيث تولى مشيخته في هذه الفترة الشيخ الصوفي عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب خازن كتب المدرسة المستنصرية وقد كان الخليفة المستنصر قيما على هذا الرباط² مسؤولا عن نفقاته و شؤونه.

عرفت بغداد أيضا رباط شهدة الذي كان نشطا خلال هذه الفترة من الزمن فقد قطن به الشيخ الصوفي أبو علي بن القاضي أب الفتح محمد بن محمود بن المعز بن إسحاق الحراني البغدادي الديار والمستقر المشهور بلقب "ابن المعز" الذي سكن الرباط حتى وفاته سنة (638هـ / 1241م)³ وكذا رباط المرزبانية الذي تولى مشيخته خلال القرن (7هـ / 13م)، الشيخ المعروف "بابن مقبل" قاضي القضاة عماد الدين أبو المعالي الرحمان بن مقبل بن حسن الواسطي الشافعي المذهب الذي تولى التدريس بالمدرسة المستنصرية سنة (631هـ / 1234م) ثم تركها وعزل عن جميع المناصب متوليا مشيخة الرباط المذكور الذي بقي به حتى وفاته سنة (639هـ / 1242م)⁴، كما تولى مشيخة هذا الرباط الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال الصالح المصري الزاهد (ت656هـ / 1258م)⁵.

وكذا رباط ابن الأمير الذي عرف بنشاطه خلال القرن (7هـ / 13م)، حيث تولى المشيخة فيه الشيخ الصوفي الصالح شمس الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن عبد

¹ -ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص158.

² -الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، ج2، ص ص(626 - 627).

³ -الذهبي، مصدر سابق، ج23، ص ص(73 - 74).

⁴ - نفس المصدر، ج23، ص ص(104 - 105).

⁵ -ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص ص(254 - 255).

القادر بن محمود بن يوسف الوجوهي البغدادي الفقيه الحنبلي المذهب أحد الكابر البغداديين المرموقين (ت672هـ / 1274م) المدفون بمقبرة باب حرب ببغداد¹ ورباط سوسيان ببغداد وشيخه عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الحسن بن عبد الله البغدادي المتوفى (ت676هـ / 1278م)، وهو شيخ بغداد وإمامها المعروف².

شهد العراق قيام عدد من الزوايا خلال القرنين السادس و السابع هجريين حيث ظهرت في عدد من مناطق بغداد.

ب-زوايا بغداد:

شهدت بغداد ظهور عدد من الزوايا خلال فترة القرنين (6هـ-7هـ) (12م-13م). ومن الزوايا التي كانت قائمة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، زاوية لم يذكر لها اسم في المصادر، هي زاوية تقع بالقرب من قبر الامام أبو حنيفة النعمان (ت150هـ-767م) رحمه الله، و قد دفن بها (الزاوية) الشيخ محمد الملقب بأبي حمادي، وهو أحد كبار الصالحين، و قيل إنه كان به مرض مزمن عانى منه كثيرا فرأى النبي (صلى الله عليه و سلم) في المنام فشفى من مرضه ذلك، وقد لزم مسجده أربعين سنة لا يخرج منه إلا لصلاة الجمعة و قد انعزل عن مخالطة الناس فكانت وفاته سنة (504هـ-1110م)³.

وعرفت أيضا زاوية الشيخ يعلى بن المدير (ت515هـ-1121م)، وهو الشيخ الصالح العابد، الزاهد، الذي سكن دار البطيخ الواقعة في الجانب الغربي من بغداد و له مسجد معروف باسمه ، و قد بنيت له دار و بجانبها الزاوية التي كان يتعبد فيها، وعند وفاته

¹-ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص337.

²-ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص291.

³-ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص11.

دفن بزوايته تلك الى جانب المسجد¹ كما شهدت بغداد قيام زاوية الشيخ عبد الغني الزاهد (ت597هـ - 1200) ببغداد، وهو يعد من كبار المشايخ الزهاد، العباد، الصالحين و كان يقصد بالزيارة² و عدد الزوايا في بغداد في هذه الفترة فترة القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي قليل جدا فالملاحظ على المشايخ العباد البغداديين أن وجودهم في في الأربطة كان أكثر بكثير من وجودهم في الزوايا و الأكيد أن طابعهم الاجتماعي له أثر كبير و واضح في ذلك كله انهم لا يحبون الانعزال عن المجتمع وانما نلاحظ انهم خدموا مجتمعهم المشرقي.

وفي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي عرفت مجموعة من الزوايا كزاوية الشيخ عبد الله الجبائي (ت605هـ - 1208م)، عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الطرابلسي، الزاهد، الشيخ الفقيه أبو محمد يزيد الأصبهاني صاحب المكانة المرموقة في بغداد، و قد بنيت له زاوية خاصة به، وكان هذا الشيخ ممن يحضرون مجالس الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني، وقد نصحه بالتفقه في الدين قبل الانقطاع في الزاوية³ وكذلك زاوية الشيخ يحيى بن المظفر بن نعيم بن علي البغدادي البدري (ت 607هـ - 1210م)، الشيخ الزاهد الملقب بأبي زكريا بن خير المعروف بصفي الدين، وقد ابتعد عن الناس وانعزل في بيته بالبدرية شرق بغداد، و كان لا يغادر زاويته تلك إلا من أجل الصلوات المفروضة.⁴

وكذلك زاوية السلامية للشيخ الصوفي الملقب بالمكي، و قد تم ذكر هذه الزاوية من قبل فقيه السلامية و قاضيها الامام ظهير الدين أبو اسحاق ابراهيم بن نصر بن عسكر

¹ -ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص201.

² -ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص ص (242- 243).

³ ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص ص (46-47).

⁴ نفس المصدر، ص62.

الشافعي (ت610هـ-1213م)¹ و السلامية هي قرية من قرى الموصل بالعراق² و كذلك زاوية الشيخ محمد المأموني، محمد بن المعالي بن غنيمة البغدادي (ت611هـ - 1214م)، الزاهد، الفقيه³ و زاوية الفارسية للشيخ عبد الكريم بن أبي عبد الله بن مسلم بن أبي الحسن الفارسي (ت635هـ-1237م)، الشيخ الزاهد أبو بكر بن المبارك المولود في قرية الفارسية الواقعة على نهر عيسى ببغداد، و قد كانت له زاوية بها، و كان يقصده الناس بالزيارة، و للتبرك، و كذلك زاوية الشيخ الصوفي ابن دويرة البصري حسن بن أحمد بن أبي الحسن بن دويرة البصري الزاهد (ت652هـ-1254م)، وهو الشيخ المعروف بلقب أبي علي الورع شيخ الحنابلة بالبصرة و المكلف بشؤون مدرسة الحنابلة.⁴

اضافة الى زاوية الشيخ الصوفي العابد علي الخباز، وكانت هذه الأخيرة قائمة في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي وهي تنتسب لشيخها علي الذي قتل على يد التتار عند دخولهم بغداد سنة 656هـ-1258م).⁵

والحقيقة الظاهرة لنا من خلال بحثنا أن عدد الزوايا قليل جدا إذا ما قرناه بعدد الأربطة التي كانت قائمة في بغداد خلال القرنين (6هـ-7هـ)، (12م-13م) و هذا ليس غريبا إذا ما علمنا أن مشايخ بغداد من العباد الزهاد كانوا يفضلون الاختلاط مع الناس مؤثرين بذلك خدمة مجتمعهم على الانعزال و يظهر هذا جليا من خلال الوصف الذي قدمه لنا المؤرخ و الفقيه ابن الجوزي عن أحوال صوفية العراق الذين لم يميلوا الى العزلة كما مال إليها غيرهم من الصوفيين في المناطق الأخرى كبلاد الشام حيث نجد ابن الجوزي يشير

¹ ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص66، ابن كثير، تحقيق محمود بن الجميل، ط1، دار الامام مالك للنشر، الجزائر، ج7، ص ص(279-280).

² الفيروز ابادي: القاموس المحيط، ج1، ص49، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص92.

³ ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص77.

⁴ ابن رجب، مصدر سابق، ج4، ص216.

⁵ ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص430، برهان الدين ابراهيم: المقصد الارشد في ذكر اصحاب احمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، (1990)، ج2، ص226.

الى أن العباد من مشايخ بغداد كانوا يفضلون المجالس الوعظية و الالتقاء بالعامّة و الاجتماعات و عقد الحلقات و المناظرات العلمية¹.

وعن قلة الزوايا في بغداد يقول الباحث المصري المعاصر توفيق الطويل على الرغم من الانتشار الكبير للزوايا في مختلف أنحاء العالم الاسلامي غير أنها لم تنتشر في مهد الحركة الصوفية بغداد فوجود الزوايا نادر جدا بها قلما أشارت إليه المصادر التاريخية².

لقد حاولت جاهدة رصد مختلف المؤسسات الصوفية التي كانت قائمة خلال القرنين (6هـ - 7هـ)، (12م/13م)، وذلك من خلال جميع المصادر التي اطلعت عليها.

وما نلاحظه في بغداد أن عدد الزوايا قليل جدا مقارنة بعدد الأربطة وهذا راجع للطبيعة الاجتماعية التي تميز بها شيوخ بغداد وعبادها.

ومن الزوايا التي عرفتها بغداد زاوية الشيخ عبد الله الجبائي(ت605هـ / 1209م)، عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الطرابلسي، الفقيه الزاهد أبو محمد نزيل اصبهان الذي تمتع بمكانة عالية في بغداد التي بنيت له فيها زاوية خاصة هبه، وكان ممن يحضرون مجالس الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد نصحه بالتفقه في الدين قبل الانقطاع في الزاوية³ وزاوية الشيخ يحيى بن المظفر بن نعيم بن علي البغدادي البديري (ت607هـ/ 1211م) الزاهد المعروف بأبي زكريا بن خير الملقب بصفي الدين، وقد انعزل في بيته بالبدرية شرق بغداد وكان لا يخرج من زاويته تلك لإقامة الصلوات المفروضة⁴.

وزاوية السلامية لشيخها الصوفي المعروف بالمكي، وقد ذكر وجود هذه الزاوية من قبل قاضي السلامية و فقيها الإمام ظهير الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر

¹-ابن الجوزي، (المنتظم)، مصدر سابق، ج10، ص446.

²-توفيق الطويل، مرجع سابق، ج3، ص635.

³-نفس المصدر، ص ص(46-47).

⁴-ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص62.

الشافعي (ت610هـ / 1214م)¹ والسلامية إحدى قرى الموصل بالعراق² و زاوية الشيخ محمد بن معالي بن غنيمة البغدادي الماموني (ت611هـ / 1215م)، الزاهد، الفقيه أبو بكر بن الحلاوي، الملقب بعماد الدين الذي انقطع عن الناس في زاويته بالمسجد وكان يكتفي بمخالطة أهل الدين فقط و قد عرف بتدينه والتزامه³.

وزاوية الفارسية للشيخ عبد الكريم بن أبي عبد الله بن المسلم بن أبي الحسن بن أبي الحوار الفارسي (ت635هـ / 1239م)، الزاهد أبو بكر بن المبارك المولود بقرية الفارسية الواقعة على نهر عيسى ببغداد، وكانت زاويته قائمة بها و كان يقصد فيها بالزيارة والتبرك و زاوية ابن دويرة البصري الشيخ حسن بن احمد بن أبي الحسن بن دويرة البصري الزاهد (ت652هـ / 1254م)، الملقب بأبي علي الورع شيخ الحنابلة بالبصرة و المكلف بشؤون مدرستها⁴ وزاوية الشيخ علي الخباز وكانت قائمة ببغداد خلال القرن (7هـ / 13م) وهي تنسب لشيخها المذكور والذي قتل على يد التتار عند دخولهم بغداد سنة (565هـ / 1258م)⁵ عدد قليل جدا من الزوايا في عاصمة الخلافة العباسية.

ويظهر من وصف ابن الجوزي لأحوال صوفية بغداد بأنهم لم يميلوا إلى العزلة كما مال إليها غيرهم من الصوفيين في المناطق الأخرى كمصر وبلاد الشام لذلك نجده يشير إلى كونهم كانوا يؤثرون الاجتماعات و عقد الحلقات العلمية والمجالس الوعظية والالتقاء بالعامّة⁶.

¹-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص66.

²-الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1، ص1149؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص92.

³-ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص77.

⁴-نفس المصدر، ج4، ص216.

⁵-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص213، برهان الدين إبراهيم، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد، تحقيق

عبد الرحمان بن سليمان، العثيمين، ط1، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، السعودية، (1990م)، ج2، ص226.

⁶-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص446.

وعن هذه القلة في الزوايا ببغداد يقول الباحث المعاصر توفيق الطويل بأنه على الرغم من أن الزوايا قد انتشرت في كامل أرجاء البلاد الإسلامية تقريبا إلا أنها لم تنتشر في بغداد مهد الحركة الصوفية فوجود مثل هذه المؤسسات الصوفية بها نادر جدا قلما أشارت إليه كتب التاريخ¹.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا بأن عدد الأريطة أكبر من عدد الزوايا في بغداد وهذا راجع إلى تفضيل الشيوخ البغداديين للاختلاط مع الناس على الانعزال في الزوايا في فترة القرنين (6/هـ/7هـ)، (12م/13م).

فلسطين:

شهدت فلسطين وجود عدد من الزوايا التي كانت قائمة في بعض مدنها خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، منها الزاوية الخثنية، و قد أسسها السلطان صلاح الدين خارج سور المسجد الأقصى خلف المنبر، وقد وقفها على الشيخ الأجل الزاهد العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد جلال الدين النشابتي المجاور في بيت المقدس وكان تاريخ وقفها في 18 ربيع الأول سنة (587هـ/ 1192م)²، وابن كثير المؤرخ يقول عن سنة (587هـ/ 1192م)، أن الصليبيين كانوا يريدون أخذ بيت المقدس فأسرع السلطان صلاح الدين إليها مع الجيش، وقد شرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه، وعمل فيه بنفسه مع أولاده وقد ساعد في تحصين البلد الأمراء والقضاة والعلماء والصوفية بأنفسهم، وكان وقتا مشهود³ وهذا دليل على وجود التصوف في هذه الفترة في بيت المقدس الشريف أي في وقت القرن (6هـ/ 12م).

¹ -توفيق الطويل، مرجع سابق، ج3، ص635.

² -مروان القاضي: المباني الأثرية والتاريخية والاسلامية في فلسطين، القدس، ص1.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص204.

عرفت بيت المقدس أيضا خلال هذه الفترة من الزمن وجود الزاوية الجراحية، وهي تقع بظاهر القدس القديمة في الجهة الشمالية، وتعرف بزاوية الشيخ جراح، و هي تقع على جانب طريق نابلس، ولها وقف، وهي تنتسب الى واقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي، أحد امراء الملك صلاح الدين ، وقد توفي هذا الأخير سنة (598 هـ / 1202 م)، وهو مدفون بزاويته هذه.¹

عرفت القدس أيضا وجود زاوية الدركاء، وهي تقع بجوار البيمارستان الصلاحي، وقيل أنها كانت في زمن الفرنج دارا الاسبتارية، و أنه كان عليها منارة، هدم جزء منها، و كان ينزل بها نواب القدس، وواقفها هو الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين في سنة (613هـ / 1216م) غير أنه لم يبق لها أثر في الوقت الحاضر.

وكانت الزوايا قائمة أيضا في بيت المقدس خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ومنها زاوية الهنود وهي تقع داخل سور المدينة و تبعد بنحو مئة متر الى جنوب باب الساهرة، و قد كانت للفقراء الرفاعية ثم نزل بها طائفة من الهنود فعرفت بهم، ويعود تاريخ نشأتها الى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي² غير أن التاريخ لم يعط بالتحديد بل ذكر فقط القرن (7هـ / 13)، لذلك ارتأيت أن أبدأ بها فهي تدخل ضمن فترة الدراسة.

عرفت فلسطين وجود الأربطة وذلك خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وذلك في عهد المماليك البحرية، والأربطة أثار لهم منها رباط علاء الدين البصير ويقع هذا الرباط في الجهة الشمالية من الطريق الموصلة الى حرم المسجد الأقصى المبارك من مدخل باب الناظر قرب دوائر المجلس الاسلامي الأعلى سابقا (في الوقت الحالي)،

¹- مروان القاضي، مرجع سابق، ص (3-1).

²-مروان القاضي، مرجع سابق، صص(3-2)..

وهو تجاه الرباط المنصوري، وواقفه هو الأمير علاء الدين ايدعدي بن عبد الله الصالحي النحوي سنة (666هـ / 1267م)، جدد باب المطهرة وهو أحد أبواب الحرم الغربية، وفي أيامه رمت قبة الصخرة الشريفة.

عرفت فلسطين وجود عدد من الزوايا كانت قائمة في بعض مدنها خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي منها زاوية الشيخ علي البكاء (ت 670هـ / 1272م)، شيخ الزاوية الموجودة بالقرب من بلدة الخليل عليه السلام والتي لا تبعد كثيرا عن القدس الشريف وكان الشيخ من المشهورين بالعبادة والصلاة¹ وزاوية الشيخ ابن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي (ت 672هـ / 1274م)، وهي زاوية تقع في مدينة نابلس الفلسطينية² الواقعة بالقرب من بيت المقدس³.

وزاوية الشيخ خضر الكردي (ت 676هـ / 1278م)، شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس، وقد قام ببنائها في بيت المقدس الشريف على أنقاض كنيسة أمر بهدمها⁴ وزاوية الشيخ عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان المقدسي النابلس (ت 698هـ / 1299م) الإمام المشهور بعبادته وصلاحه، باني المدرسة الموجودة بنابلس في ذلك الوقت، وقد تم دفنه في زاويته الواقعة في منطقة طور عسكر⁵ كما عرفت بيت المقدس أيضا وجود الرباط المنصوري، وهو رباط يقع في الجهة الغربية من طريق باب الناظر تجاه رباط علاء الدين البصير، وقد بناه السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة (681هـ / 1282م)، وقد أوقفه على الفقراء، وزوار بيت المقدس،⁶ وعند ابن كثير في كتابه البداية

¹-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص262.

²-نفس المصدر، ج13، ص266.

³-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص478.

⁴-ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص278.

⁵-ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص341.

⁶- مروان القاضي، مرجع سابق، ص1.

والنهاية في هذه السنة المذكورة وهي سنة (681هـ / 1282م)، كان سلطان المسلمين آنذاك الملك المنصور قلاوون¹.

الزاوية الكيكية: وهي تقع في مقبرة مأمّن الله، وهي تنتسب الى بانيها الأمير علاء الدين بن عدي بن عبد الله الكيكي، المدفون بها سنة (688هـ / 1289م).²

ومن خلال ما توصلنا إليه من المعلومات حول المؤسسات الصوفية في المشرق الإسلامي يظهر لنا بأنها كانت منتشرة خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي باستثناء مصر لظروف خاصة بها تم ذكرها، وقد زاد انتشار هذه المؤسسات أكثر خلال القرن السابع الهجري، الثاني عشر الميلادي في المنطقة خاصة وأنها حظيت بدعم كبير من قبل السلاطين و الأمراء وكبار الأثرياء إلا أن توزيعها كان متبايناً من منطقة إلى أخرى ومن نوع إلى آخر عبر مدن و أقاليم المشرق الإسلامي وهذا حسب طبيعة الظروف السياسية والعس كرية والاقتصادية والاجتماعية لهذه المدن و حسب وضعية التصوف و مكانة شيوخه في كل منها.

¹- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 517.

²- مروان القاضي، مرجع سابق، ص1.

الفصل الثالث: دور الصوفية في الحياة السياسية خلال القرنين

(6هـ/7هـ) (12م/13م)

المبحث الأول: نظرة عامة حول الأوضاع في المشرق في المشرق الإسلامي خلال

القرنين (6هـ/7هـ)

المبحث الثاني: علاقة الصوفية بالحكام

*نشاطهم وأثرهم في الحياة السياسية

المبحث الثالث: دور الصوفية في الجهاد

*معنى الجهاد في الشريعة الإسلامية

*الصوفية ودورهم في الجهاد

نظرة عامة حول الأوضاع في المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7هـ):

لقد عرف المشرق الإسلامي أحداثاً جد خطيرة خلال القرن (6 هـ - 12م)، عانى فيه المسلمون من اضطرابات سياسية وعسكرية بسبب الضعف والوهن الذي أصاب الخلافة العباسية ومركز حكمها بغداد، خاصة مع ازدياد الأطماع الصليبية والخطر المغولي القادم نحو المشرق، فقد أصبح ضعف العباسيين واضحاً في هذه الفترة رغم محاولة بعض الخلفاء إعادة الحكم للبيت العباسي غير أن تلك المحاولة كانت دون جدوى، لأن ضعف العباسيين كان كبيراً جداً¹ بدأ القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، على عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله الذي استمر في الحكم إلى غاية (512 هـ - 1119)².

أما في مصر فقد كانت الدولة الفاطمية قائمة، وقد حكمها المستعلي أبو القاسم أحمد بن المستنصر في سنة (495 هـ - 1102)، ثم الحاكم بامر الله علي المنصور بن المستعلي حتى سنة (524 هـ - 1130) أما في آسيا الصغرى فقد بسط السلاجقة سلطانهم غير أنهم ضعفوا بسبب الصراعات التي دارت بينهم من أجل الحكم بدخول بركيا روق في صراع مع كل من عمه تتش بن ألب أرسلان و أخيه محمد)، وبقيت الفتنة مستمرة في البيت السلجوقي وكان شرها مستطيراً على العالم الإسلامي، ثم تولى الخلافة المسترشد بالله بن المستظهر (513 هـ - 529 هـ)، (1120 م - 1135 م) وعلى عهده كان في بغداد³ السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشان سلطاناً على خراسان

¹ - الترماني عبد السلام: أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ط1، (1411هـ - 1991م)، ص ص (18-19).

² - ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق محمود بن الجميل أبو عبد الله، ط1، دار الإمام مالك للنشر، الجزائر (1427هـ - 2006م)، ج7، ص 22؛ محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، (الدولة العباسية)، ط1، 2004، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، لبنان، ص 344.

³ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص 107؛ الخضري، مرجع سابق، ص (345-357)؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس.

وبلاد ما وراء النهر، وما كاد محمود ينتهي من الحرب مع عمه حتى ثار ضده أخوه مسعود بن محمد بن ملكشاه، وكان هذا الأخير يحكم الموصل، فكانت الحرب بينهما سنة (514 هـ-1121م)، وقد انهزمت الجيوش المسعودية ووقع الصلح بينهما.

وقد حاول الخليفة المسترشد أن يعيد شيئاً من القوة للبيت العباسي حيث أشرف على قيادة الجيش بنفسه، مما جعل السلاجقة يتخوفون على نفوذهم منه، ففي سنة (521 هـ - 1127م)، وقعت الحرب بين الخليفة والسلطان السلجوقي محمود ثم جنا إلى الصلح وبعد وفاة محمود خلفه ابنه داود في حكم بلاد الجبل وأذربيجان إلا أن ابن عمه السلطان مسعود بن محمد ملكشاه نازعه وانتصر عليه وخطب له على المنابر في بغداد مما أغضب سنجر الذي قاتل بدوره مسعوداً وهدمه ونصب مكانه "طغرل" ابن أخيه محمد، وبمجرد عودة سنجر حارب مسعود طغرل فهزمه، و بعد المسترشد حكم الراشد، أبو جعفر المنصور الذي أراد أن يثأر لأبيه من مسعود وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصل يدعمه غير أنه تخلى عنه فلا تطل خلافة الراشد حيث عين مكانه المقتفي لأمر الله، أبو عبد الله الحسين عم الراشد سنة (530 هـ - 1136م)، فكانت مدة خلافته أربعة وعشرون سنة، توفي مسعود سنة (547 هـ - 1154م)، وقد حكم بعده ابن أخيه ملكشاه بن محمود غير أن هذه الدولة ازداد ضعفها حيث استقل الأمراء بأجزائها مؤسسين دويلات صغيرة متفككة عن بعضها البعض.¹

¹ - ابن سباط: صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، (1413 هـ - 1993م)، ج1، ص 58-64

الخضري، مرجع سابق، ص (355-357)؛ حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 48-51؛ خالد غرام: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي الثاني، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، 2003م، ج4، ص 278.

وقد عرفت هذه الدويلات بالأتابكية¹ وقد ظل حال السلاجقة في ضعف وهوان للصراع الدائم الذي كان بينهم، ثم حكم الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف حتى سنة (566 هـ - 1171م)، وكان صالحا أزال الضرائب على الناس وكان شديدا مع أهل الفسق، وكان سلطان السلاجقة في عهده "أرسلان شاه بن محمد بن ملكشاه" وفي هذه الفترة كان الخليفة هو الحاكم الفعلي لبغداد، ولم يكن للسلطان السلجوقي شيء في الحكم، ثم حكم المستضيء بالله، أبو محمد الحسن، وكان عاد لأحسن السيرة، وكان العامة يحبونه وعاشوا معه في فترة أمن وسلام توفي سنة (575 هـ - 1180م)، وفي عهده انقرضت الدولة الفاطمية في مصر، وظهرت الدولة الأيوبية على يد مؤسسها صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب الذي ظهر في كنف سيده نور الدين محمود الملقب بالشهيد، وكان ذلك سنة (567 هـ - 1172م)، حيث قطع صلاح الخطبة للعاضد لدين الله الفاطمي وخطب للخليفة العباسي، وفي هذه الفترة توفي نور الدين محمود وكان ملكه قد اتسع فوصل إلى الحرمين و اليمن و سوريا.²

ثم حكم الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس (575 هـ - 622 هـ)، (1180م - 1225م)، وفي عهده حكمت الدولة الأيوبية في مصر واليمن والحرمين و سوريا التي أسسها صلاح الدين الأيوبي، وبقونية السلاجقة الروم وفي خوارزم وخراسان الدولة الخوارزمية بزعامة السلطان تكش بن ألب أرسلان سنة (596 هـ - 1200 م)، ثم علاء الدين محمد إلى سنة (617 هـ - 1220م)، وفي عهد الناصر انتهى ملك السلاجقة في

¹- الأتابكية: من الدول التركية التي زاحمت دولة السلاجقة، و بيوتها كثيرة جدا إلا أن جميعها ينتهي إلى البيت السلجوقي والأتابك و يبلغ أقصى الدرجات من التقدير ومنهم شاهات خوارزم و اتابكية دمشق و أتابكية الموصل، الخصري، مرجع سابق، ص (360 - 362) - ابن سباط، مصدر سابق، ج، ص 111، 129، 131، 135، 153.

²- ابن النوردي: تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1417 - 1996)، ج2، ص (74 - 77)؛ الخصري، مرجع سابق، ص (370 - 371)؛ حسن إبراهيم حسن، بيروت، لبنان، ص (354 - 355)، ص 450؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية للنشر، مصر، القاهرة، (1997م)، ص ص (224 - 225).

العراق سنة (590 هـ - 1194م)، يقتل طغرل بن ألب أرسلان على يد خوارزمشاه علاء الدين تكش الذي ملك بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى بلاد الري والتي امتلكها بعد قضائه على السلاجقة وقد خلفه ابنه قطب الدين خوارزمشاه سنة (596 هـ - 1200م)، وأراد هذا الأخير أن يخطب باسمه في العراق (بغداد)، فرفض الخليفة ذلك مما جعل السلطان يغضب لذلك و يقطع الخطبة للخليفة الناصر في بلده مما جعل البعض يعتقد بأن قدوم التتر كان بتدبير من الخليفة الناصر انتقاماً من هذا الأخير.¹

وهكذا فقد حكم العباسيون فترة طويلة تزيد عن خمسة قرون من الزمن (132هـ - 656هـ)، وقد شملت مساحة كبيرة من العالم الإسلامي، وقد مرت الخلافة العباسية بمرحلتين العصر الأول (132هـ - 232هـ) وقد عرف حياة مزدهرة حتى اشتهر بالعصر الذهبي وذلك راجع لحفائه ووزرائه الأكفاء، كما ازدهرت الحياة الاقتصادية وارتفع مستوى المعيشة وكثر العمران، وشيدت العواصم والمدن وأقيمت الأسواق و شيدت المساجد و القصور وازدهرت الحياة العلمية، أما العصر الثاني فقد شهد العباسيون فيه ضعفاً كبيراً حيث ضاع الحكم من أيدي الخلفاء و تغيب الأمراء و السلاطين على الدولة العباسية.²

وهي نفس الأوضاع السياسية المضطربة التي شهدتها منطقة المشرق الإسلامي خلال القرن (7 هـ - 13م) ، فقد ظل المشرق يعاني من النزاعات السياسية والعسكرية التي كانت تمثل امتداداً لأوضاع القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي حيث تعرضت المنطقة لأخطار داخلية وأخرى خارجية من صراعات بين الحكام إلى الغزو الخارجي خاصة الهجوم المغولي على الديار الإسلامية حيث غزت الجحافل التتارية المدن

¹ - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ص(360 - 362)، محمد الخضري، مرجع سابق، ص 372.

² - حسن علي حسن، عبد الرحمان سالم: موسوعة سفير، العصر العباسي في العراق والمشرق، (132هـ - 656 هـ)

الإسلامية موقعة لها مجازر أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مروعة¹ فقد سقطت عاصمة العباسيين في يد التتار سنة (656هـ - 1258م)، حيث احتلها هولاكوخان² وجيوشه التي استباحت البلاد قتلا وتدميرا و سبيا وأسرا لمدة فاقت الشهر³ وذلك في فترة حكم الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد بن المنتصر بالله آخر خليفة عباسي في بغداد وقد قتل في هذه السنة على يد المغول.⁴

أما الأيوبيين في مصر والشام فقد أنهكتهم الصراعات و الانقسامات التي كانت دائرة بينهم من أجل الوصول إلى السلطة⁵ وقد حكم الملك الصالح أيوب مصر بعد وفاة أبيه الملك الكامل بن العادل حاكم مصر سنة (635هـ - 1240م)، والذي عمد إلى تنظيم مملكته في المنطقة الغربية من القاهرة⁶ ورغم كل تلك الأخطار التي هددت أمن المنطقة الشرقية بأسرها إلا أن الأيوبيين لم يلقوا بالا لها وظنوا منهمكين في نزاعاتهم الداخلية حيث منح الملك الصالح إسماعيل⁷ (ت 647هـ - 1250م)، القدس للصليبيين

¹ - ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق محمود بن الجميل، ط1، الجزائر، (1427 هـ - 2006م)، ج7، ص 417.

² - هولاكوخان: تولى خان الكبير ملك التتار وبن ملكهم وجنيكيزخان كان سفاحا سماكا للدماء لم يكن له دين وقد قتل الكثير من المسلمين توفي سنة (663هـ - 1268م) نفس المصدر، ج7، ص463.

³ - نفس المصدر، ص417؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، دون محقق، طبعة دائرة المعارف الإسلامية للنشر، ج1، ص11

⁴ - نفس المصدر، ص418.

⁵ - غوانمة يوسف: معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين و الإفرنج، ط ، دار الفكر للنشر، الأردن، عمان، ص45.

⁶ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387هـ - 1968م)، ج2، ص34؛ أفاند حماد عاشور، جوزيف نسيم، العلاقات السياسية بين المماليك و المغول في الدولة المملوكية الأولى، د. دار المعارف للنشر، مكتب الدراسات التاريخية للنشر، مصر، القاهرة، د. ت، ص12

⁷ - الملك الصالح إسماعيل: كان حاكما حازما، غير أنه كان مزاجي الطبع مع العلم أن الملك الأشرف موسى قد منح له دمشق يحكمها بعده فحكمها شهورا ثم أخذها منه أخوه الملك الكامل وملكها الصالح نجم الدين أيوب إلا أنه أخذها منه و حكمها أكثر من أربع سنوات ثم عادت إلى الصالح أيوب وهو عم الصالح أيوب (ت 647هـ - 1249م) ، ابن كثير، مصدر سابق، ص ص 383-384).

سنة (638هـ - 1241م) ، وكان حاكما على دمشق ، مما أثار غضب الملك الصالح أيوب الذي احتل دمشق و معظم بلاد الأيوبيين بالشام.¹

وقد قصد الإفرنج دمياط المصرية حيث اضطر خلالها الجيش المصري للتراجع إلى المنصورة² وقد تزامن ذلك مع وفاة السلطان الملك الصالح أيوب سنة (647هـ - 1250م)، حيث تولت زوجته شجرة الدر³ الحكم حتى قدوم ابنه تورنشاه الأيوبي سنة (648 هـ - 1251م)⁴.

وقد حكم الأتراك المماليك خلال هذا القرن، كما كانت البلاد مهددة من قبل الصليبيين والمغول⁵ حتى استطاع السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالح⁶ الذي حكم البلاد سنة (678 هـ - 1280 م)، من استرجاع مدينة حمص من يد المغول كما استرجع مدينة طرابلس من أيدي الإفرنج، وقد خلفه في الحكم ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون الذي قتل سنة (693 هـ - 1294م)⁷ والذي انتهج نفس سياسة أبيه في

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ص 372

² - المنصورة: مدينة مصرية بناها الملك الكامل بن العادل بن ابي بكر بن ايوب عند مفرق البحرين(الابيض والاحمر)، سماها المنصورة وحصنها باسوار. السيوطي جلال الدين، مصدر سابق، ص 365.

³ - شجرة الدر: هي جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب، تركية الأصل، ولها مكانة خاصة، وهي ام ولده خليل، حكمت مصر بعد وفاة ابن زوجها تورنشاه، وقد أقيمت الخطبة باسمها في المساجد، حكمت مدة 3 أشهر ، توفيت سنة (655 هـ - 1257م). قطب الدين اليونيني ، مصدر سابق، ج 1، ص 61؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 415.

⁴ - تورنشاه: الملك المعظم بن الملك الصالح أيوب بن الكامل بن العادل، تم استدعاؤه من قبل المماليك الاتراك ليحكم ليحكم بعد وفاة ابيه ح مصر غير أنهم سرعان ماقتلوه سنة (648 هـ - 1251م) ابن كثير، مصدر سابق، ص ص (394 - 395).

⁵ - نفس المصدر، ج 7، ص 396، ص 531.

⁶ - السلطان المنصور قلاوون: وقد حكم سنة (678هـ- 1280 م)، بعد خلع أبناء الملك الظاهر الملك السعيد وأخيه الملك سلامش، ولقب هذا الأخير بالملك المنصور وكان عالي الهمة ، شجاعا وقورا ، المتوفى سنة (689هـ - 1290م)، و بعد وفاته حكم ابنه الملك الأشرف خليل ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 535، ص 506.

⁷ - الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، د. د الجيل للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج 1، ص 32؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 513، ص ص (530 - 531)، ص 534، ابن عماد الحنبلي ، مصدر سابق، ج 3، ص 409.

استرجاع المناطق حيث فتح عكا وخربها سنة (690هـ - 1291م) م جعل الإفرنج يرحلون من مدن صيدا وصور وبيروت خوفا من السلطان وبطشه، وقد تمكن أخيرا من القضاء على الوجود الإفرنجي في جميع المناطق الساحلية سنة (691هـ - 1292م)¹.
ينتهي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي بحكم المماليك حيث حكم السلطان محمد بن قلاوون، الذي كان على عرش السلطة الحاكمة سنة (699هـ - 1301م)².

وهكذا يمكن أن تستنتج أن العصر المملوكي لم يكن خاليا من إحاكة المؤامرات و الدسائس وتدبير الانقلابات بهدف الوصول على عرش الحكم ، مما أبرز الجانب الاستبدادي عند الحاكم، فالصراعات حول الحكيم لم تكن لتهدأ حتى أنها أصبحت طابعا مميزا للوضع السياسي في منطقة المشرق الإسلامي في حكم المماليك و في فترة القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي³.

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن المشرق الإسلامي شهد حوادث خطيرة جرت فصولها على امتداد رقعته الجغرافية المترامية الأطراف خلال القرنين (6هـ - 12م) و (7هـ - 13م)، عانى فيها المسلمون من اضطرابات سياسية وعسكرية كثيرة بسبب الضعف والانحلال الذي نخر وأصاب قلب الدولة العباسية، فأصبحت بغداد مجرد رمز ديني بعدما كانت عاصمة لدولة الخلافة القوية، ومركزا وعنوانا لعظمة وقوة الدولة الإسلامية في عصور سابقة، إلا أن هذا لم يدم طويلا حيث أصبحت الدولة الإسلامية

¹ - ابن كثير ،مصدر سابق، ج7، ص (537- 539)، ص544 ؛ القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، د. د عالم الكتب للنشر، لبنان، بيروت، ج2، ص118.

² - المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1968 ، ج1، ص 386.

³ - بسام العسلي، الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، ط5، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، (1412 هـ - 1992م)، ص136.

مهدة من شرقها وشمالها بفعل الخطر الداهم الذي كان يشكله زحف المغول وأطماع الصليبيين على المنطقة فقد شهدت تلك الفترة حكم ثلاثة خلفاء عباسيين هم: المستجد بالله¹ أبو المظفر يوسف بن المقتدي الخليفة العباسي الذي حكم بعد وفاة أبيه ما بين (555هـ - 566هـ)، (1160م - 1171م)² وقد خضعت بغداد لحكمه المطلق فقد بسط نفوذه عليها بفضل قوة شخصيته وصلابته في الحكم.³

حكم أيضا الخليفة العباسي المستضيء بالله⁴ الحسن أبو محمد بن المستجد بالله الذي تولى الحكم بوفاة والده سنة (566هـ - 1171م) وبقي فيه حتى سنة (575هـ - 1180م)⁵ وقد عرفت بغداد في عهده الأمن والاستقرار فقد انقضت في فترة حكمه

¹ - عرف بعلمه وذكائه و عدله ولد سنة (518 هـ - 1043م) ، توفي سنة (566 هـ - 1171م) .السيوطي: تاريخ الخلفاء، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 354.

² - نفسه ؛ محمد بك الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ط5، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، (1420 هـ - 1994م) ، ص 393.

³ - نفسه.

⁴ - ولد سنة (536 هـ - 1139م)، اشتهر بالعلم و الكرم، خطب له في مصر، توفي سنة (575 هـ - 1180م)، السيوطي، مصدر سابق، ص 355.

⁵ - السيوطي، مصدر سابق، ص 355.

الدولة الفاطمية¹ في مصر بظهور الدولة الأيوبية فيها بقيادة صلاح الدين الأيوبي² الذي كان يعمل تحت راية السلطان نور الدين محمود³ ورعايته⁴.

كما شهدت الفترة أيضا حكم الخليفة الناصر لدين الله⁵ الذي تسلك زمام الحكم سنة (575 هـ - 1180م) واستمر فيه حتى سنة (622 هـ - 1225م)⁶ غير أن فترة حكم الناصر قد عرفت اضطرابا شديدا للأوضاع الأمنية اثر محاولة السلطان الخوارزمي خوارزمشاه محمد بن محمود⁷ السيطرة على بغداد عاصمة العباسيين التي فرض عليها

¹ - الدولة الفاطمية: قامت بالمغرب سنة (296 هـ - 909م) على يد عبيد الله المهدي، الذي توفي سنة (322 هـ - 934م) ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله محمد الذي توفي سنة (333 هـ - 945م) ثم ابنه المنصور إسماعيل المتوفى في (341 هـ - 953م) ثم المعز لدين الله الذي رحل إلى القاهرة سنة (362 هـ - 973م) لتقوم بها الدولة الفاطمية بالمشرق. السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دون بلد، (1371 هـ - 1952م)، ص450.

² - صلاح الدين الأيوبي: الملقب بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو أخ الملك العادل بن أيوب والده نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه وهم من القبائل الكردية يرجع أصوله إلى قرية درين من منطقة أذربيجان توفي سنة (589 هـ - 1193م) وهو من أكبر المحاربين للصليبيين. ابن كثير: البداية والنهاية، د. ط ، دار المعارف للنشر، بيروت، لبنان، د. ت ، ج12، ص259، نفس المصدر، ج13، ص2 و ص7.

³ - نور الدين محمود: الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابكي عماد الدين أبي سعيد زكي الملقب بالشهيد الملك اقسنفر، ولد سنة (511 هـ - 1126م) نشأ في كنف أبيه صاحب حلب والموصل، توفي سنة (559 هـ - 1174م). نفس المصدر، ج12، ص277.

⁴ - السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص (356 - 358).

⁵ - الخليفة الناصر: ولد سنة (553 هـ - 1157م)، وهو أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله وأمه تركية اسمها زمرد، بويغ له بالملك سنة (575 هـ - 1180م)، عرف بقوته وتحكمه في زمام الحكم إلى أن توفي، وهو يعتبر أكثر من مكث في الخلافة فقد بقي فيها سبعة وأربعين سنة، وقد عرف بشدته وحنكته في السياسة إلى أن توفي سنة (622 هـ - 1225م)، السيوطي، نفس المصدر، ص358.

⁶ - نفسه.

⁷ - خوارزمشاه محمد بن محمود الحاكم الخوارزمي الذي أراد امتلاك بغداد والسيطرة عليها مما جعله يفرض حصارا شديدا عليها بعد قطعة لخطبة لبني العباس في بلده، وذلك في فترة حكم الخليفة الناصر لدين الله العباسي (ت 622 هـ - 1225م)، وهو محمد بن السلطان خوارزمشاه تكش بن خوارزمشاه أرسلان بن الملك أئسز بن محمد بن نوشكين الخوارزمي ملك بلاد البلاد الخوارزمية، ووالده علاء الدين وأخوه جلال الدين هو الذي قام بحرب التتار إلا أنهم تمكنوا من هزيمته ووالده علاء الدين توفي سنة (617 هـ - 1220م) في إحدى الجزر في البحر. السيوطي، تاريخ الخلفاء، نفسه، دون محقق، ص359؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤوط ،محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة للنشر، 1413 هـ ، ج22، ص327.

حصاراً دام عدة أيام مطالباً بعش سلطتها والخطبة له باسمه فيها مما جعل الخليفة عبد الناصر يعمد إلى تقوية جيشه وتنظيمه تقادياً لهذا الخطر الداهم وحماية لبغداد الحكم¹ إلا أن السلطان الخوارزمي لم يثنه عن رغبته في دخول بغداد سوى تساقط الثلوج التي أعاقت تقدم جيشه نحوها فاضطر للعودة إلى بلده دون تحقيق مساعيه في السيطرة على بغداد.²

وهكذا أصبح أمن بغداد والخلافة بأسرها مهدداً بسبب انتشار الفتن والنزاعات بين الحكام، مما أوجد انحلالاً سياسياً كبيراً عاشته الخلافة العباسية في آخر عهدها، أدى إلى انفصال الكثير من الدويلات عنها، مشكلة ما يعرف "بدويلات الأطراف" التي أوهنت جسم الخلافة العباسية ومزقته³ خاصة وأن بعض الدويلات قد امتد نفوذها إلى أراضي العراق و إلى بغداد نفسها في عصور لاحقة، مما جعل زمام الحكم يضيع نهائياً من أيدي خلفاء بني العباس.⁴

أما الدولة الفاطمية فقد أشرفت على الاضمحلال والأفول بسبب الضعف الكبير، الذي وصلت إليه نتيجة الصراعات الداخلية بين وزرائها على الحكم، حيث انتزعت الوزارة من يد الوزير الفاطمي شاور بن مجير⁵ سنة (564 هـ 1169م) من قبل أحد منافسيه على السلطة لمصر آنذاك، مما اضطر شاور لطلب المساعدة من السلطان الزنكي نور

¹ -السيوطي، مصدر سابق، ص (359 - 366).

² - ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملك والأمم، ط1، دائرة المعارف للنشر، حيدر أباد، (1358 هـ)، ج10، ص 191 . السيوطي، مصدر سابق، ص (363 - 364).

³ - عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة للنشر، بيروت، لبنان، (1970م) ، ج1، ص63 ؛ خالد عزام: موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي الثاني، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، (2003م)، ج4، ص 278.

⁴ - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ط5، دار العلم للملايين للنشر، لبنان، بيروت، ج3، ص350.

⁵ - شاور بن مجير: هو أبو شجاع السعدي الملقب بأمير الجيوش، وزير الديار المصرية أيام السلطان العاضد الفاطمي، وهو الذي انتزع الوزارة من أيدي رزيك الوزير الفاطمي الأسبق في مصر، توفي (564 هـ -1169م). ا كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص259

الدين محمود¹ (ت 569 هـ - 1174م) قصد إرجاعه إلى منصبه الوزاري بمصر، فما كان من نور الدين محمود إلا أن أرسل له قائده الكبير أسد الدين شيركوه²، (ت 564 هـ - 1169م)، مخلصا إياه من منافسه مرجعا إياه إلى منصبه السابق في الوزارة، إلا أن هذا الاستمرار لم يدم طويلا بمصر حيث تعرضت لغزو الصليبيين، مما دفع بالخليفة الفاطمي العاضد³ (ت 567 هـ - 1172م)، للاستجداد بالسلطان نور الدين محمود، باعثا إليه بشعور نساء القصر، مستجدا به فأرسل إليه السلطان نور الدين محمود بن زكي قائده أسد الدين شيركوه الذي توجه قبلا إلى مصر إلا أنه في هذه المرة كان رفقة ابن أخيه القائد صلاح الدين الأيوبي⁴ (ت 589 هـ - 1194م) من أجل إنقاذ مصر من قبضة الصليبيين، حيث حققا نصرا باهرا على الإفرنج الذين عادوا أدرجهم خائبين، ولأن شاور كان من المتآمرين مع الصليبيين قام أسد الدين بالتخلص منه بإيعاز من العاضد الفاطمي، الذي سرعان ما سلم وزارة مصر لشيركوه ملقبا إياه "الملك المنصور أمير الجيوش"، وبوفاته سنة (564هـ - 1169م)، انتقلت الوزارة إلى يد ابن أخيه صلاح الدين

¹ - الدين محمود: هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابكي عماد الدين أبي سعيد زكي الملقب بالشهيد بن الملك أفسنقر، ولد يوم الأحد 17 شوال (511 هـ - 1116م) بحلب، ونشأ في كنف أبيه عماد الدين صاحب حلب والموصل، توفي سنة (569 هـ - 1174م). ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص277.

² - أسد الدين شيركوه: هو شيركوه بن شادي أسد الدين الكردي، أصله من قرية درين بأذربيجان كان يعمل رفقة أخيه نجم الدين أيوب تحت لواء الأمير مجاهد الدين بهروز ثم تحولا إلى حلب تحت خدمة عماد الدين زكي، فقربهم إليه، ثم أصبح أسد الدين من أكبر أمراء نور الدين محمود فمنحه الرحبة و حمص وعرف بجهاده ، توفي سنة (564 هـ - 1169م). نفسه.

³ - العاضد لدين الله: وهو عبد الله يوسف بن الحافظ لدين الله الحاكم الشيعي على مصر الذي بقي في الحكم إلى غاية سنة (567هـ - 1172م) حيث سقطت الدولة الفاطمية الشيعية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في نفس هذه السنة لتصبح مصر تحت الحكم السني وأصبحت تابعة للعباسيين. السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص 450 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، دون محقق، ج10، ص 196؛ ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، د. ط ، مطبعة الرغاية للنشر، الرغاية، الجزائر، 1995 م، ج3، ص ص (214- 215).

⁴ - ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص 73- 80.

الأيوبي الذي كان يعمل تحت لواء الدولة الزنكية، بقيادة نور الدين محمود¹ أمر هذا الأخير صلاح الدين الأيوبي بإقامة الخطبة للخليفة العباسي "المستضيء" وخطبها عن الخليفة العاضد الفاطمي، وذلك سنة (567هـ - 1172م)، فكانت الاستجابة من قبل صلاح الدين الأيوبي نهاية الخلافة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية بمصر، بعد أن مكثت بها أكثر من قرنين كاملين من الزمن، مما أبهج الخليفة العباسي، فقدم هدايا ثمينة لكل من السلاطين صلاح الدين الأيوبي ونور الدين محمود، بل والأكثر من ذلك أنه منحهما الحرية المطلقة للتصرف في شؤون كل من مصر والشام²، ليصبح صلاح الدين الأيوبي صاحب القرار والكلمة العليا بمصر، خاصة وأن الأجواء قد خلت له تماما بوفاة الخليفة العاضد الفاطمي³، فبسط سلطانه على مصر التي دانت له بالطاعة والولاء، ورغم ذلك فهو لا يستطيع الاستقلال كليا بمصر، لأنه وحتى هذا الوقت من الزمن، لا يزال تابعا لسيده نور الدين محمود حاكم دمشق وحلب، فهو يحكم مصر نيابة عنه⁴.

وبوفاة السلطان نور الدين محمود سنة (569هـ - 1174م)، ثارت المنافسة بين أمرائه في حلب ودمشق وشمال العراق وغيرها من الأقاليم حول من يخلفه في حكم الدولة الزنكية، وقد انتهت المنافسة بتصيب ابنه الصغير "الملك الصالح إسماعيل"⁵ وكان عمره

¹ - القلقشندي: مآثر الأتاقفة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، د. دار عالم الكتب للنشر، لبنان، بيروت، د. ت، ج2، ص40؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عبد الحليم عويس، د. دار الصحوة للنشر، مصر، القاهرة، 1401 هـ، ج1، ص108.

² - ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ص(219-220).

³ - الأصفهاني عماد الدين: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، لبنان، بيروت، (1423 هـ - 2002م)، ص401.

⁴ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: معالم تاريخ وحضارة الإسلام، دار الفكر العربي للنشر، مصر، القاهرة، 1998م، ص183.

⁵ - الملك الصالح إسماعيل: بن السلطان نور الدين محمود الملقب بالشهيد صاحب حلب، أراد أن يسلم أملاكه قبل وفاته لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل بالعراق لقوة سلطانه حتى لا يأخذها صلاح الدين الأيوبي إلا أنه

لا يتجاوز (11سنة)، ونظرا لصغر سنه استضعفه وزراءه الذين تنافسوا فيما بينهم للاستئثار بشؤون الحكم، مما أغضب صلاح الدين الأيوبي الذي لم يلبث أن قصدهم ضاماً البلاد الشامية إليه، حيث بسط سلطانه على دمشق وحمص وحماة وبعلبك¹ وكل الأعمال الحدودية التي قام بها كان هدفه الأساسي منها، تكوين جبهة موحدة تمكنه من مواجهة الصليبيين في المراحل اللاحقة².

وبهذا قضى صلاح الدين مدة 24 سنة، عمل خلالها جاهداً على إرساء قواعد الوحدة، بدءاً بالجبهة الداخلية التي طالما عانت الانقسامات، فضم أجزاءها، ووحدها سياسياً وفكرياً، بتدعيم المذهب السني ترسيخاً للمواجهة مع الصليبيين بواسطة تثبيت فكرة الجهاد الإسلامي ضد الغزاة المعتدين لمنطقة المشرق الإسلامي، نظراً للازدیاد الكبير لأطماع الصليبيين بها³ فقد قام صلاح الدين الأيوبي بأهم مرحلة جهادية ضد الصليبيين لاسترجاع المناطق الإسلامية الخاضعة للصليبيين بالمشرق⁴.

ركز صلاح الدين الأيوبي مجهوداته في الحرب ضد الصليبيين، تلك الحرب التي استمرت سنوات طويلة⁵ ولما ثبت صلاح الدين وجوده سعى جاهداً لإخراج الصليبيين من المشرق فكانت الشرارة الأولى لبداية المواجهات العسكرية بين المسلمين بقيادة صلاح

لم يفلح في ذلك لامتلاكه صلاح الدين لها، توفي في 25 رجب سنة (577 هـ - 1172م)، بقلعة حلب التي دفن بها؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص ص (308-309).

¹ - المقدسي أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط1، دون محقق، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، (1997م)، ج2، ص (321-323)؛ عبد الرحمان، تاريخ الجبرتي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، بيروت، 1997م، ص ص (21-22).

² - أحمد عوض مؤنس: الصراع الإسلامي الصليبي، ط1، دار عين شمس للنشر، مصر، القاهرة، 1998م، ص 275.

³ - نفس المرجع، ص276.

⁴ - مصطفى شاكر: صلاح الدين المجاهد، الملك الزاهد المفترى عليه، ط1، دار العلم للنشر، سوريا، دمشق، (1419 هـ - 1998م)، ص 12.

⁵ - أحمد عوض، مرجع سابق، ص276.

الدين الأيوبي والصليبيين بسبب إغارة أرناط¹ ، حاكم حصن الكرك² على قوافل المسلمين وقطعه الطريق أمام الحجاج وهم متوجهون إلى مكة سنة (582هـ - 1187م)³ ورغم إنذارات صلاح الدين المتكررة له إلا أنه لم يأبه لذلك ضاربا عرض بتهديداته الحائط.

فشن صلاح الدين غاراته على المناطق الصليبية حيث تمكن من هزيمتهم في موقعة حطين⁴ الكبرى سنة (583 هـ - 1187م)، فقتل وأسر وتبع فلول الهاريين حتى سيطر على حصن طبرية مواصلا زحفه على أن بلغ عكا فحاصرها واستولى عليها في نفس السنة إضافة إلى نابلس والرملة وقيسارية وغزة وعسقلان،... الخ من المناطق حيث بدأ بعد العدة لاسترجاع بيت المقدس، لتصبح معظم مناطق الشام الصليبية في قبضته بعد موقعة حطين، فبدأ يستعد لفتح باقي المدن الصليبية المتبقية الواحدة تلو الأخرى.

وصل صلاح الدين مدينة القدس وطلب من الصليبيين تسليمها دون قتال، على أن يمنحهم تعويضا ماليا عن جميع ممتلكاتهم التي يتركونها في القدس، إلا أن الصليبيين رفضوا الاستجابة لهذا الطلب فقام صلاح الدين بمحاصرتهم فلما تيقنوا من عجزهم عن المقاومة تأكدوا من هلاكهم الحتمي، لجؤوا إلى طلب الصلح منه و تعهدوا بتسليم المدينة

¹ - أرناط : أحمد ملوك الإفرنج يلقب بالبرنس، أرناط وهو صاحب قلعة الكرك، يعتبر من أكبر قادة الحروب الصليبية في وقته كان عازما على احتلال المدينة المنورة غير أنه قتل على يد صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين العبرة سنة (589 هـ - 1193م). و لوانزيل الديورانت: قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، د. ط دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت ، ج12، ص 320.

² - حصن الكرك: من أعظم حصون النصارى يقع على طريق الحجاز يبعد عن بيت المقدس في فلسكين مسافة يوم؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، د.ط ، ت، ج1، ص 201.

³ - لوانزيل الديورانت: قصة الحضارة، عصر الإيمان، نفسه، ج12، ص ص(321- 322).

⁴ - حطين: منطقة تقع ما بين طبرية وعكا بالقرب من فلسطين، وفيها كانت المعركة الشهيرة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الإفرنج و قتل فيها ارناط صاحب الكرك، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دون محقق، د. دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص274.

شريطة أخذ أموالهم وأبنائهم معهم فقبل صلاح الدين بذلك مقابل فدية يدفعونها على كل شخص منهم.¹

وبعد هذا النصر العظيم المحقق من قبل صلاح الدين أخذ يفكر في إخضاع باقي مناطق الصليبية المتواجدة على ساحل البحر كصور و طرابلس و أنطاكية، فقد افتتح حوالي خمسين منطقة صليبية ما بين قلاع ومدن² وهكذا واصل صلاح الدين الأيوبي سيره في نفس مسار نور الدين في حربه ضد الصليبيين، فقام بمجموعة من الفتوحات حقق خلالها انتصارات كثيرة كما حدث في موقعة حطين الشهيرة وبيت المقدس الذي استرجعه من الصليبيين بعدما بقي في أيديهم أكثر من تسعين سنة³ وللاطلاع أكثر على أوضاع المشرق الإسلامي في هذه الفترة أنظر الملحق رقم 1 ص 211.

وبعد فتح بيت المقدس توجه صلاح الدين لأخذ مدينة صور الصليبية سنة (583هـ -1187م)⁴ وكانت نوايا سكان المدينة تقضي في بداية الأمر إلى تسليمها لصلاح الدين، حيث عزموا على مكاتبته و تبليغه برغبتهم في تسليم المدينة إليه⁵ إلا أن المدينة تلقت إمدادات من قبل الصليبيين الذين حرضوهم على تحصين المدينة⁶.

¹ - ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص (320 - 322)؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مصدر سابق، ج3، ص275.

² - ابن كثير: البداية والنهاية، نفسه، ج12، ص322.

³ - عبد المعطي فاروق: أعلام الفقهاء والمحدثين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1413 هـ - 1993م)، ص6 ؛ بسام العسلي: صلاح الدين الأيوبي، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، (1414 هـ - 1944م)، ص161.

⁴ - ابن سباط: تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، حروس بولس للنشر، لبنان، بيروت، ج1، ص182، دائرة المعارف الإسلامية، صلاح الدين الأيوبي، د. ط. د. ت، ج14، ص (57 - 60) و ص (363 - 374).

⁵ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دون محقق، د. ط. ، دار الهلال للنشر، لبنان، بيروت، د. ت. ، ج11، ص544.

⁶ - ابن العبركي: تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق الرملة، ط2، دار المشرق للنشر، لبنان، بيروت، 1958م، ص212.

مما جعل صلاح الدين يواجه صعوبات كثيرة في إخضاع المدينة لسلطته بسبب حصانتها المنيعة ووصول المساعدات إليها بحرا¹ و بعد حصار مكثف للمدينة استمر فترة من الزمن اضطر صلاح الدين وأصحابه على فك الحصار عن المدينة بسبب نقص المؤونة ولأن فصل الشتاء كان على الأبواب إضافة على تعب الجيش الإسلامي من الحروب كثيرة.²

ثم فرضت القوات الصليبية حصارا محكما على مدينة عكا (585هـ - 1189م) برا و بحرا إلا أنه سرعان ما وصلت الجيوش الإسلامية فحاصرت هي الأخرى القوات الصليبية برا واستمرت المعارك المتواصلة بين الطرفين.³

وبلغ إلى مسامع صلاح الدين خبر رحيل الصليبيين من مدينة صور إلى مدينة عكا، فاتفق صلاح الدين وأصحابه على محاربة الصليبيين وهم في طريقهم إلى المدينة⁴ ورغم المحاولات العديدة التي قام بها صلاح الدين وجيشه لتخليص من بها من المسلمين، إلا أنه لم ينجح حيث اضطر سكان عكا إلى الاستسلام بعدما تأكدوا يقينا من استحالة نجدتهم وفك الحصار عليهم.⁵

ورغم أنهم أرسلوا على صلاح الدين يصفون له حالهم تحت وقوع الحصار، إلا أنه لم يستطع أن يعينهم في شيء مما اضطرهم على مفاوضة الصليبيين وتسليمهم المدينة⁶.
المدينة⁶.

¹ - ابن الأثير، مصدر سابق، ج11، ص544.

² - نفس المصدر، ج11، ص ص (556 - 557).

³ - نفس المصدر، ج12، ص(33 - 36)؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، دون محقق، ج4، ص (284 - 285).

⁴ - ابن الأثير، مصدر سابق، ج12، ص33، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسنية للنشر،

مصر، القاهرة، ج3، ص ص(79 - 80)

⁵ - ابن الأثير، مصدر سابق، ج12، ص33، أبو الفدا، مصدر سابق، ج3، ص(76 - 78).

⁶ - ابن الأثير، مصدر سابق، ج12، ص (65 - 67)؛ ابن سباط، مصدر سابق، ج1، ص(192 - 193).

وقد اختتمت هذه الانتصارات للقائد صلاح الدين الأيوبي بوفاته سنة (589 هـ - 1193م) ليبقى حكم البلاد التي كان واليا عليها بيد أبنائه، حيث ملك العزيز¹ مصر، أما الأفضل² فقد امتلك دمشق، في حين أخذ الظاهر غازي³ حلب⁴ فانقسمت الدولة الصلاحية إلى دويلات صغيرة متناحرة فيما بينها، حيث أخذ كل حاكم منهم يتربص بالآخر ليسقطه و يستولي على أملاكه، مما أذكى نار الحروب وزاد انتشار الفتن.⁵

وقد عرف الفضل بن صلاح الدين باستهتاره، وعدم اكرثائه بشؤون الحكم حيث سلم إدارة القدس لنواب أخيه العزيز مالك مصر فطمع هذا الأخير في الاستيلاء على ممتلكات أخيه، وضمها إليه فنشب صراع حاد بين الأخوين مما اضطر الفضل إلى الاستجداد بعمه الملك العادل⁶ الذي تمكن أخيرا من حل المشكلة بمساعدة أخيهم الملك

¹ - الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي: حكم مصر بعد وفاة أبيه و كان محبا للعلماء، مقربا لهم فقد تعامل بنفس سيرة أبيه و توفي سنة (595 هـ - 1199م). الذهبى،(السير)، ج22، ص219، ص395.

² - الملك الافضل بن صلاح الدين: أبو الحسن علي بن يوسف حكم دمشق ودخل في حرب ضد أخيه العزيز صاحب مصر فقد أخذ مكانه في حكم مصر بعد وفاته، توفي بسمسياط في دمشق سنة (622 هـ - 1225م). ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج13، ص330.

³ - الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين: يوسف بن أيوب من أخبار الملوك، عرف بتشدده ومعاقبته على أبسط الأخطاء، قرب العلماء والشعراء والصوفية بقي في الحكم 30 سنة، حضر الكثير من الغزوات، عرف بكونه من خيرة الملوك وأحسنهم سيرة. (ت 609 هـ - 1212)، نفس المصدر ، دون محقق، ج13، ص71.

⁴ - أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج4، ص (359-419-425-427).

⁵ - غوانمة يوسف: معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والإفرنج، ط1، دار الفكر للنشر، الأردن، عمان، (1415هـ)، ص ص (94-95).

⁶ - الملك العادل: أبو بكر بن أيوب أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان متدينا وقد قام ببناء جامع خارج ميدان الحصى في دمشق وبعد وفاة صلاح وانقسام أولاده اجتمعت كلمة المسلمين على تنصيب الملك العادل في الحكم، توفي سنة (613 هـ 1216م). الفلقشندي، مآثر الأناقة، مصدر سابق، ج2، ص 63؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دون محقق، ج13، ص6.

الظاهر غازي سلطان حلب¹ فورثة صلاح الدين لم يكونوا على شاكلته، لتصارعهم على الحكم مما أضعف الدولة الأيوبية التي تمكنت في فترة قوتها وفي أوقات سابقة من هزيمة الصليبيين في موقعة حطين، إلا أن حفدة صلاح الدين جعلوا منها دولة ضعيفة و معرضة لأطماع الصليبيين في السيطرة عليها مرة أخرى.²

وقد بقيت الأوضاع على هذا الحال من الاضطراب السياسي والضعف العسكري إلى أن استقر الملك بيد الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (615هـ - 1219م)، سلطانه على مصر والشام، وحارب الصليبيين وكان شديدا عليهم حتى قال عنه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: " كان للعادل التاريخ المشرف والباع الطويل واليد البيضاء في محاربة الصليبيين"³ ، ففي سنة (603هـ - 1207م)، أغار صليبيو "طرابلس" على مدينة اللاذقية الإسلامية، فهزموا جيشها وطمعوا في الاستيلاء عليها لضعف تحصينها العسكري ففاجأهم العادل بشن غارة عليهم، استطاع بواسطتها فرض سيطرته المحكمة على مدينة عكا الصليبية، حيث اضطر أهلها لطلب الأمان منه، فوافق مقابل إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين بها، فكان له ما اشترط عليهم⁴ إلا أنه لم يكتفي بما حققه في عكا بل واصل سيره نحو طرابلس ضاربا عليها حصارا شديدا في نفس السنة اضطر معه من كان بها إلى إعلان و الطاعة للملك العادل والعمل على محاباته.⁵

¹ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (1413هـ 2992م)، ج6، ص(109 - 111).

² - غوانمة يوسف، مرجع سابق، ص95.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج13، ص(68 - 71).

⁴ - الحافظ الذهبي: تاريخ الإسلام السياسي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، (1417هـ - 1997م)، ج9، ص (6 - 7).

⁵ - نفس المصدر، ج9، ص(6 - 7).

ونستنتج مما ذكرناه أن الأوضاع السياسية والعسكرية كانت جد مضطربة خلال هذه الفترة في المشرق الإسلامي نتيجة انفصال الدويلات المتناثرة في أجزائه عن الخلافة العباسية بسبب ضعفها¹ كما ظهرت خلال هذه المرحلة محاولة صلاح الدين الأيوبي لتوحيد البلاد الإسلامية بالقضاء على الفرقة التي سادت في أرجاء دولة نور الدين محمود بعد وفاته.²

وأهم ما ميز فترة النصف الثاني من القرن (6هـ - 12م)، ذلك الانتصار السياسي والعسكري الجليل للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله على القوات الصليبية في موقعة حطين و بيت المقدس وغيرها من المناطق مما أعز الإسلام والمسلمين³ ، إضافة على كثرة الحملات الصليبية على المسلمين وطغيان الشقاق والصراع بين ملوك وأمراء الدولة الأيوبية حول السيطرة على شؤون الحكم.⁴

احوال المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7م-12م/13م):

وفي القرن (7هـ - 13م) عاش المشرق الإسلامي أحداثا خطيرة مما جعله يعاني اضطرابات سياسية وعسكرية كانت بمثابة امتداد لما عرفه من أوضاع خلال النصف الثاني من القرن (6هـ - 12م)، فقد تعرض المشرق الإسلامي للصراعات الداخلية بين حكامه وللغزو الخارجي حيث اجتاحت جحافل التتار البلاد الإسلامية محتلة المدن الكبرى بها مرتكبة مجازر مروعة⁵ كما سقطت بغداد عاصمة العباسيين تحت قبضة

¹ - عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص ص (184 - 185).

² - عبد المنعم محمد حسن حمدي: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، د. د المعرفة، مصر، القاهرة 1996

³ - أحمد مختار العبادي: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر، القاهرة، (220م)، ص 38.

⁴ - قدور رحمانى، البناء الفتي في ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي، جامعة الجزائر، (1998 - 1999م)، ص 16.

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 71؛ أحمد شبلي، مرجع سابق، ص 23.

التتار في منتصف القرن (7هـ - 13م) فقد استولى عليها زعيم التتار هولاكوخان¹ سنة (656هـ - 1258م) وجيوشه التي اجتاحت بغداد قتلا وسبيا و أسرا في مدة فاقت الشهر² وذلك على عهد الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد بن المنتصر بالله الذي كان آخر الخلفاء العباسيين في العراق والذي قتل على يد التتار في نفس هذه السنة.³

أما الأيوبيون في مصر والشام فقد كانوا منقسمين متصارعين فيما بينهم حول السلطة ومن أجل الحكم⁴ وبوفاة الملك الكامل بن العادل صاحب مصر سنة (635 هـ - 1240م) حكم ابنه الملك الصالح أيوب الديار المصرية سنة (635 هـ - 1240م)، والذي عمل على ترتيب مملكته وتنظيم جيشه الذي اعتمد فيه على عنصر المماليك الأتراك الذين شيد لهم قلعة الروضة بالغرب من القاهرة⁵ ورغم الأخطار المحدقة بالمنطقة إلا أن الأيوبيين بقوا غارقين في صراعاتهم الداخلية حيث سلم الملك الصالح إسماعيل (ت 647هـ - 1249م)⁶ القدس للصليبيين سنة (638هـ - 1241م) وكان وقتها حاكما على دمشق، مما جعل الملك الصالح أيوب يحتل دمشق ومعظم بلاد الأيوبيين بالشام.¹

¹ - هولاكوخان: بن تولى خان بن جنكيزخان الكبير ملك التتار وابن ملكهم جينكيز وهو سمي عند العامة "هولاكوخان" وكان مؤذيا جبارا فاجرا كفارا قتل من المسلمين عدد لا يحصى لم يكن على أية دين في الوقت الذي كانت فيه زوجته "ظفر خاتون" مسيحية، توفي سنة (663هـ - 1265م). ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص248.

² - البونيني: ذيل مرآة الزمان، دون محقق، دون طبعة، دائرة المعارف الإسلامية للنشر، ج1، ص11؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1413هـ - 1992م)، ج7، ص48؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، مصدر سابق، ج3، ص(270 - 271).

³ - السيوطي، مصدر سابق، ص371.

⁴ - غوانمة يوسف، مرجع سابق، ص45.

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص248؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387هـ - 1968م)، ج2، ص34؛ ابن كثير: نفسه، ج13، ص181؛ أفاند حماد عاشور، جوزيف شيم: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، د.ط، دار المعارف للنشر، مكتب الدراسات التاريخية للنشر، مصر، القاهرة، د. ت، ص12.

⁶ - الملك الصالح إسماعيل: كان ملكا عاقلا حازما غير كان منقلب المزاج، وكان الملك الأشرف موسى قد أوصى له بدمشق من بعده فملكها شهورا ثم انتزعها منه أخوه الملك الكامل وملكها الصالح نجم الدين أيوب إلا أنه أخذها منه

وبعدها كانت وقعة "دمياط"² المصرية مع الإفرنج والتي تراجع فيها الجيش المصري الى المنصورة³ وقد تزامن ذلك مع وفاة الملك الصالح أيوب سنة (647هـ - 1249م)، فتولت شجرة الدر⁴ زوجته تسيير شؤون الحكم إلى غاية مقدم ابنه تورنشاه الأيوبي⁵ سنة (648هـ - 1250م)⁶.

وقد انهزم الصليبيون بالمنصورة إلا أن النزاع سرعان ما دب بين المماليك الأتراك و تورنشاه الذي أراد تقريب مماليكه وإبعاد مماليك أبيه "المماليك الصالحية" الذين انحازت إليهم زوج أبيه شجرة الدر ليقتل هذا الأخير على أيديهم سنة (648هـ - 1250م)، وقد تمكن المسلمون من تحقيق النصر على الصليبيين في نفس السنة التي كان فيها نهاية الحكم الأيوبي في مصر بمقتل تورنشاه.⁷

و حكمها أكثر من أربعة سنوات ثم استعادها الصالح أيوب إ منه سنة (643هـ - 1254م) توفي سنة (647هـ - 1249م)، وهو عم الصالح أيوب. ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص ص (179 - 180).

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ص 155، ص (167 - 168).

² - دمياط: مدينة مصرية وفيها البرج المعروف ببرج السلسلة وهو برج عال وسط نهر النيل ودمياط تقع شرق هذا البرج وغرب مدينة دمياط توجد منطقة الجزيرة. السيوطي، مصدر سابق، ص 365.

³ - المنصورة: مدينة مصرية بناها الملك الكامل بن العادل ابن بكر بن أيوب عند مفرق البحرين (الأبيض والأحمر) وقد سماها المنصورة وحصنها بأسوار. نفس المصدر، ص 365.

⁴ - شجرة الدر: بنت عبد الله جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل كانت تتمتع بمكانة خاصة عنده، وقد ملكت مصر بعد وفاة ابنه تورنشاه وخطب لها على المنابر وحكمت مدة ثلاثة أشهر وهي تركية الأصل، توفيت سنة (655هـ - 1257م) قطب الدين البونيني، مصدر سابق، ج 1، ص 61.

⁵ - تورنشاه: الملك المعظم تورنشاه بن الملك أيوب بن الكامل بن العادل ثم استدعاه من قبل المماليك الأتراك ليحكم مصر بعد وفاة أبيه غير أنه لم يلبث طويلا أن قتلوه سنة (648هـ - 1250م). ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 180.

⁶ - ابن العماد الحنبلي، (الشذرات)، ج 3، ص 237؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والثقافي، العصر العباسي الثاني، ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، (1411هـ - 1991م)، ج 4، ص 111.

⁷ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 180؛ حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 111.

بعد ذلك تزوجت شجرة الدر عز الدين أيبك التركماني¹ أحد المماليك الأتراك والتي تنازلت له عن الحكم حيث اعترف به جنوده سلطانا عليهم ولقبوه بالملك المعز² وإضافة منهم للشرعية على حكمهم للبلاد المصرية التي انتزعوها من الأيوبيين أشركوا معهم في الحكم أميرا أيوبيا صغير السن هو "الأشرف موسى الثالث" حفيد الملك الكامل الذي لم يتجاوز السادسة من العمر إلا أنهم سرعان ما أبعده عن الحكم لصغر سنه وعدم قدرته على تسيير شؤون الحكم مع ما هو آت من أخطار من قبل التتار.³

وقد بقي حكم الشام بيد الناصر⁴ من أحفاد صلاح الدين الأيوبي في الوقت الذي أصبحت فيه مصر في قبضة المماليك الأتراك⁵ ليقتررب خطر المغول من دمشق بعد قضائهم على بغداد وخلافتها حيث استجد الملك الناصر بالسلطان المظفر قطر (ت658هـ - 1260م)⁶ وبعدها تعرضت حلب للنهب من قبل المغول سنة (658هـ - 1260م)، استولوا على دمشق التي فر منها الناصر وقيل بأنه وقع أسيرا بين أيديهم.⁷

¹ - عز الدين أيبك: بن عبد الله الصالحي الملك المعز عز الدين المعروف بالتركمانى، كان أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب وقد اشتراه في حياة أبيه الملك الكامل وقد لازمه كثيرا حتى صار مقربا لديه، عرف بالصلاح والتدين، وهو من أوسط الأمراء وتمت مبايعته على الحكم تزوج شجرة الدر وقتل بأمر منها سنة (653هـ - 1255م).
البيونيني، مصدر سابق، ج1، ص(55-59).

² - نفس المصدر، ج1، ص55؛ السيوطي، مصدر سابق، ص372.

³ - قطب الدين البيونيني، مصدر سابق، ج1، ص55؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص179.

⁴ - الناصر: الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين الكبير الأيوبي ملك المنطقة الممتدة من حلب إلى دمشق دخل في حرب مع المماليك سنة (649هـ - 1251م) وانتصر عليهم ورد جيوشهم إلى مصر، وقد قتل على يد التتار سنة(658هـ - 1260م). ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص181، ص215، ص219.

⁵ - نفس المصدر ج13، ص215.

⁶ - المظفر قطر: سيف الدين قطر أحد مماليك المعز أيبك التركماني الذي ملك مصر، اتصف بالشجاعة والجزم تمكن من إلحاق الهزيمة بالتتار. شاب أشقر وافر اللحية قيل أنه كان هو محمود بن ممدود بن أخت سلطان خوارزمشاه وكان مملوكا لأحد التجار في مصر، وتم قتله من قبل الظاهر ركن الدين بيبرس سنة (658هـ - 1260م)، محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العثمانية، ط2، دار النفاس للنشر، بيروت، لبنان، (1403 هـ)، ج1، ص107.

⁷ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص218.

إلا أن هؤلاء المغول قد تعرضوا لهزيمة كبرى على يد الجيوش الإسلامية بقيادة قطر والظاهر بيبرس¹ في معركة عين جالوت² سنة (658هـ - 1260م)، لينتقل حكم البلاد إلى يد السلطان بيبرس الذي تسلم مقاليد الحكم بعد مقتل المظفر قطر وقد عمل على إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة لمبايعته للخليفة العباسي أحمد بن الظاهر بالله بن الخليفة الناصر لدين الله البغدادي الذي قلد بدوره بيبرس زمام حكم البلاد الإسلامية ثم توجه عائداً إلى بغداد ليقتله التتار وهو في طريقه إليها سنة (660هـ - 1262م).³

وقد ظل الحكم في يد المماليك الأتراك خلال هذا القرن كما ظلت البلاد تتعرض للغزو الصليبي والتتاري حتى تمكن أخيراً السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي⁴ الذي حكم البلاد سنة (678هـ - 1280م) من أخذ مدينة حمص من يد التتار كما أخذ أيضاً مدينة طرابلس من أيدي الإفرنج ثم حكم بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون

¹ - الظاهر بيبرس: هو الملك الظاهر السلطان الكبير ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقاري، الصالحي، ملك مصر، والشام ولد في حدود سنة (600هـ - 1202م)، واشتراه الأمير علاء الدين البندقاري الصالحي وصادف أن قبض عليه الملك الصالح أيوب وأخذ ركن الدين بيبرس منه فأصبح من حملة مماليكه وقد كان فارساً شجاعاً وقد ظهرت شجاعته في وقعة المنصورة بدمياط ثم أصبح أميراً في دولة المعز أيك التركماني ثم أصبح من كبار البحرية ثم تولى السلطة سنة (658هـ - 1260م)، فكان مجاهداً ذو مهابة له فتوحات كثيرة والتاريخ المشرف في الإسلام لولا ظلمه في بعض الأحيان توفي بقصره في دمشق بالقرب من الميدان الأشهر وقد افتتح 40 حصناً وترك من الأولاد الملك السعيد محمد والخضر و سلامش وسبع بنات توفي سنة (678هـ - 1280م). ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص (274 - 276).

² - عين جالوت: بالقرب من بيت المقدس، وهي تقع غرب بيسان، نفس المصدر ج 13، ص 314.

³ - السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص (381 - 382)؛ محمد السعيد جمال الدين: موسوعة سفير التاريخ الإسلامي، المشرق الإسلامي بعد العباسيين (656هـ - 1343م)، شركة سفير للنشر، المهندسين، مصر، د. ط، ج 4، ص 36؛ بسام العسلي: المظفر قطر، ط 1، دار النفائس، بيروت، لبنان، (1399هـ - 1979م)، ص (221 - 126)؛ بسام العسلي: الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، ط 5، دار النفائس، بيروت، لبنان، (1412هـ - 1992م)، ص 20، ابن العماد الحنبلي، (الشندرات)، ج 3، ص 350.

⁴ - كانت بيعته على الملك سنة (678هـ - 1279م) بعد خلع الملك السعيد وأخيه الملك سلامش أبناء السلطان ركن الدين بيبرس وقد لقب هذا الأخير بالملك المنصور وهو الملك المنصور قلاوون الصالحي الذي توفي سنة (689هـ - 1290م) وخلفه ابنه الملك الأشرف خليل في الحكم. ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 13، ص 288،

الذي قتل سنة (693هـ - 1294م)¹ والذي اتبع نفس مسار أبيه في الفتوحات حيث فتح عكا وخربها مما جعل سنة (690هـ - 1291م) مما جعل الإفرنج يرحلون من صيدا وصور وبيروت خوفا من بطش هذا السلطان الذي تمكن أخيرا من تطهير جميع المناطق الساحلية من الإفرنج نهائيا سنة (691هـ - 1292م).²

ليختتم القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي بحكم السلطان محمد بن قلاوون الذي كان لا يزال متربعا على سدة الحكم سنة (699هـ - 1300م)³ ،

ومن خلال ما سبق نستنتج أن العصر المملوكي هو الآخر لم يخلوا من تدبير الاعتداءات وإحاكة المؤامرات والدسائس كطريق للوصول إلى سدة الحكم مما جعل هو الحكام استبداديين في بعض الأحيان فتاريخ المماليك حافل بالصراعات حول الملك وهي السمة الغالبة والطابع الغالب على الأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي خلال القرن (7هـ - 13م).⁴

وفي خضم كل تلك الظروف الصعبة والاضطرابات السياسية والعسكرية التي عاشتها المنطقة المشرقية خلال القرنين (6هـ/7هـ) السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، عرفت طائفة الصوفية مكانة مميزة في الحياة السياسية ظهرت فيما كان لهم

¹ - الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، د. ط، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت، ج1، ص32؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص409. وللاطلاع على خريطة العالم الإسلامي خلال القرن (7هـ - 13م)، انظر الملحق رقم 04، ص

² - القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دون طبعة، دار عالم الكتب للنشر، لبنان، بيروت، ج 2، ص118.

³ - المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1968م)، ج1، ص386.

⁴ - بسام العسلي: الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، ط5، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، (1412هـ - 1992م)، ص136.

فيها من تأثير واضح وجلي في بعض مجريات الأحداث الهامة التي شهدتها الحياة السياسية والعسكرية في المشرق الإسلامي.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

كان المشرق الإسلامي في هذه الفترة، مسرحاً لحروب طاحنة دارت رحاها في مناطق كثيرة من البلاد الإسلامية تمثلت في موجات الحملات الصليبية، التي استهدفت فلسطين و سوريا ومصر آنذاك، مستغرقة ما يقارب القرنين من الزمن انتشر بسببها الدمار، ولحق الخراب بكثير من المدن و القرى تاركة وراءها الآلاف من الضحايا والقتلى، إضافة إلى الضعف السياسي الكبير الذي عاشته الخلافة العباسية، نتيجة انقسام الإسلامي إلى دويلات متناثرة و متصارعة فيما بينها رغبة في التوسع والسيطرة، كل هذه المعطيات جعلت الحياة الاقتصادية والاجتماعية تضطرب خلال النصف الثاني من القرن (6هـ - 12م).

فبعدما كانت الزراعة مزدهرة في المشرق الإسلامي بفضل وجود مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة وتوفر المياه اللازمة للسقي بفضل وجود شبكة هامة من الأنهار التي ساعدت في تنويع المنتجات الفلاحية¹ التي يحتاجها السكان في حياتهم اليومية، كدليل ملموس على الاعتناء الكبير للعباسيين بالجانب الزراعي، وفلاحة البساتين ضماناً للاستمرار الاقتصادي للبلاد الإسلامية² غير أن هذه الأوضاع الاقتصادية المستقرة

¹ - المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد محزوم، . د.ط ، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، (1408 هـ - 1987م)، ج1، ص 107- 111؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دون محقق، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، (1409هـ - 1989م)، ج2، ص ص (667- 668)؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق محمد مصطفى زيادة، د. ط ، الشركة العالمية للكتاب للنشر، د.ت، ص 163.

² - حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني، د.ط ، دار الجميل، لبنان، بيروت، ج4، ص368.

سرعان ما تدهورت نتيجة تعرض البلاد المشرقية إلى خطر الفيضانات المدمرة التي تسببت في خراب المدن والقرى وإتلاف المزارع والبساتين ونشرت الأمراض والمجاعات وقضت على أعداد كبيرة من السكان.¹

إضافة على ما تعرضت إليه البلاد من جذب و قحط أدى على هلاك الزرع وندرة الطعام وغلاء المعيشة وانتشار الجفاف² لتصبح المنطقة رعوية قليلة الزراعة والسكان حيث تحولت مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة إلى صحاري قاحلة جرداء أو مستنقعات تكسوها الأملاح، وفي أحسن الحالات وجدت أراضي زراعية لكن بقوة إنتاجية ضعيفة جدا³ بسبب التدخل السلبي للخلفاء في شؤون التسيير الزراعي والاقتصادي للبلاد آنذاك، عن طريق منحهم لمساحات كبيرة من الأراضي الزراعية "الاقطاعات" للأمراء الذين طغوا وأصبحوا يستولون على الأراضي "الاقطاعات" بالقوة، وهو ما حدث على عهد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (ت 555 هـ/1160م)، الذي دخل في صراع مع أحد أمرائه⁴ المحتكرين للأراضي سنة (553 هـ/1158م)، وقد حقق الخليفة انتصارا عليه في آخر المطاف.⁵

أما الأوضاع الاجتماعية فقد شهدت مجموعة من الاضطرابات بتفاقم العداوة والصراع بين السنيين.⁶

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص263، ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص410 و ص432.

² - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص395.

³ - الرفيعي عبد الأمير: العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، د. ط ، دار الفرات للنشر، لبنان، بيروت، ج1، ص53.

⁴ - ذلك الأمير هو: سنقر الهمداني الذي كان حاكما لقلعة الماهكي وأراد الاستيلاء على إقطاع بلاد اللحف ، ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص420.

⁵ - نفسه، الرفيعي عبد الأمير، مرجع سابق، ص(53- 54).

⁶ - السنيون: هم جمهور المسلمين الذين عرفوا باسم أهل السنة والجماعة، اثر انفصال الخوارج والشيعية عن الجماعة الإسلامية بعد الفتنة الكبرى في التاريخ الإسلامي (35هـ- 40 هـ) وبعدها انفصلت عنها فرق أخرى كالمعتزلة و الجهمية وغيرها، وقد بقي أهل السنة يمثلون الأغلبية الساحقة ومن أصولهم المذهبية المعروفة الاعتماد على الكتاب

والشيعة¹ ففي الوقت الذي تراجع فيه المد الشيعي في مصر بعد زوال دولته الفاطمية بها سنة (567هـ/1172م)، على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي في فترة حكم الخليفة المستضيء بالله العباسي (ت 575 هـ/1180م)، حيث فتح الباب واسعا وعلى مصراعيه أمام انتشار المذهب السني فيها، خاصة بعدما خسر الشيعة حليفهم الكبر في المنطقة بأكملها.²

وفي مقابل ذلك التراجع للمذهب الشيعي في مصر شهد انتشارا واسعا له في بغداد لزيادة ثقل كفة الروافض بها بسبب تعصب بعض الأمراء الكبار من ذوي المناصب العليا في الدولة بهذا المذهب ونصرته، فعملوا على تغليب كفته، مما ألحق الأذى الشديد بأهل السنة من البغداديين سنة (568هـ/1173م).³

والسنة كمصدران أساسيان في التشريع وتقديم الشرع على العقل والاعتقاد بأن الإيمان يكون بالقلب واللسان وعمل الجوارح و موالاته كل الصحابة لأنهم عدول، غير أنهم ليسوا بمعصومين عن الخطأ وإثبات كل الصفات التي أثبتها الله عز وجل لنفسه. البغدادي: الفرق بين الفرق، دون محقق، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (1977م) ج1، ص12؛ محمد عبد الوهاب: عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ط3، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1377 هـ)، ص21، ص26. خالد الكبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين (5 و6 هـ)، ط1، دار الإمام مالك للنشر، البليدة، الجزائر، (1426 هـ-2005م)، ص07.

¹ -الشيعة: فرقة ظهرت على عهد سيدنا علي رضي الله عنه (ت40هـ) وقد ظهر فيهم من ذهب إلى القزل بتأهيله، وقد حارب قوما منهم وقد غالى الشيعة في حب علي رضي الله عنه وقدموه على الصحابة، وهم خمسة عشر فرقة منها الشيعة الامامية الاثنا عشرية التي تبجل الإمام أبو جعفر الباقر محمد بن علي ابن الحسن بن علي العلوي ابن زين العابدين المولود سنة (56 هـ) في حياة السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن مبادئهم القول بعصمة الأئمة؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ج1، ص12، ص ص (14-15)؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص251.

² -كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة؛ أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار الملايين للنشر، لبنان، بيروت، (1968م)، ص ص (352-353).

³ -ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص242، (ومن هؤلاء الأمراء المتعصبين للمذهب الشيعي المناصرين له الأمير التركي يزدن الذي شجع التشيع في عهد الخليفة العباسي المقتفي بالله، وقد مرض وتوفي ببغداد سنة 568 هـ. نفس المصدر، ج10، ص(343).

ولم تقتصر النزاعات الطائفية على بغداد وحدها فحسب بل تجاوزتها على مناطق مشرقية أخرى كمدينة حلب التي شهدت تجدد مواجهات دامية أودت بحياة الكثير من مناصري الطائفتين السنية والشيعة. إضافة على ما تعرضت إليه المدينة من نهب و سرقة وتخريب اثر وفاة السلطان الزكي نور الدين محمود سنة(567هـ / 1174م).¹

وقد تجدد الصراع الشيعي السني ببغداد مرة أخرى سنة(583هـ / 1187م)، بسبب طعن الشيعة في الصحابة رضوان الله عليهم، والخط من شأنهم والتعرض لهم بالسوء " يوم عاشوراء" ، مما أثار العاطفة الدينية لدى السنيين فدخلوا في اشتباكات حادة مع الرافضة الاثني عشرية، كانت نتيجتها سقوط عدد كبير من القتلى في صفوف الطائفتين.²

كما حاول الشيعة إعادة إحياء دولتهم الفاطمية بمصر مغتتمين فرصة غياب السلطان صلاح الدين الأيوبي عنها حين توجه لتحرير المناطق الإسلامية من سيطرة الصليبيين وفتح بيت المقدس، فحاولوا إسقاط حكمه لبعده عن مصر ولغياب العادل عنها أيضا، حيث لم يبق بها سوى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي الذي استصغروا شأنه فبعث الشيعة باثني عشر رجلا ينادون في جنح الليل "بآل علي"، فلم يستجب لهم أحد من سكانها، فعادوا خائبين يجرون أذيال الهزيمة والانكسار سنة (583هـ / 1187م).³

كما عرفت الطائفة السنية خلافات شديدة فيما بينها، تسبب في إحداث شقاق بين الأفراد الممثلين لأهل السنة خلال النصف الثاني من القرن (6هـ / 12م)، وإن لم يكن الخلاف الطائفي السني طاغيا هذه الفترة إلا أنه يطفوا على السطح من حين لآخر و

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج10، ص 247، ص242.

² - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص70.

³ - أحمد بن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشراوي، د.ط، مكتبة الثقافة لدينية للنشر، مصر، القاهرة، (1415 هـ-1996م)، ص ص (97-98)، ص 111 ؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، معالم تاريخ وحضارة الإسلام، مرجع سابق، ص183؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص331.

بحدة ما بين الحنابلة¹ والشافعية²، خاصة من طرف أولئك المناصرين لأحد المذهبين، ومما ميز هذه الفترة وقوع خلافات شديدة بين الحنابلة والشافعية ببغداد على عهد الخليفة المستضيء بالله (ت 575هـ/1180م)، حيث ظهرت ملامح الصراع بين الشافعيين والحنابلة، نتيجة تعصب بعض المقربين من الخليفة للمذهب الشافعي على حساب اضطهاد المذهب الحنبلي حيث تعرض الإمام ابن الجوزي الحنبلي (ت 597هـ/1200م)، في هذه المرحلة لمؤامرة أحيكت ضده قصد الحط من شأنه عند الخليفة إلا أنه نجا من المؤامرة وعادت إليه مكانته المميزة عند الخليفة.³

كما عاشت مدينة مرو⁴ الفارسية فتنة كبيرة بسبب الصراع الطائفي بين الحنابلة والشافعية سنة (599هـ/1202م)، وسببها أن الوزير الخوارزمي نظام الدين مسعود⁵ قام ببناء مدرسة ومسجد للشافعية بخوارزم مما أثار حقد وضغينة الحنابلة الذين قاموا بإحراق

¹ - الحنابلة: هو أتباع الإمام أحمد بن حنبل العالم الجليل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل الفقيه البغدادي المتوفي سنة (241هـ-854م). ابن قدامة المقدسي: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1405هـ)، ص 322؛ ابن كثير، المصدر السابق، دون محقق، ج10، ص(330-340).

² - الشافعية: هو أتباع الإمام محمد بن إدريس الشافعي المولود بغزة من أرض فلسطين والذي حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس الفقه و التفسير و الحديث من علماء مكة وغيرها والمتوفى سنة (204هـ-817م). نفس المصدر، دون محقق، ج10، ص ص(251-252)؛ محمد بن أحمد الأزهرى الهروي أبو منصور: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق محمد جبر الألفي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للنشر، الكويت، (1399هـ)، ص33؛ السيوطي: تدريب الراوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض للنشر، الرياض، السعودية، د. ت ، ج2، ص360.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10 ، ص 213. وقيل أن مرجان الخادم المقرب جدا من الخليفة المستضيء بالله العباسي قد تعصب للمذهب الشافعي على حساب المذهب الحنبلي الذي أعلن عن كرهه الشديد له ولأتباعه أكثر من مرة، لذلك أحاك للإمام ابن الجوزي مؤامرة عند الخليفة لا شيء فقط لكونه حنبليا، فقد صرح أكثر من مرة أنه يرغب في اقتلاع المذهب الحنبلي كليا. نفسه.

⁴ - مدينة مرو: إحدى مدائن مدينة خراسان الفارسية (إيران حاليا). الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1407 هـ)، ج1، ص339.

⁵ - الوزير الخوارزمي نظام الدين مسعود: بن علي كان حسن السيرة، عرف باعتناقه للمذهب الشافعي، له مدرسة وجامع بخوارزم، وهو وزير السلطان علاء الدين خوارزمشاه، عاش فترة بعد سنة (599هـ-1202م) ثم توفي. ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص23.

المسجد تعصبا منهم على المذهب الشافعي، إلا أن ما فعلوه لم يبق بلا جزاء حيث أرغموا على تعويض كل الخسائر التي انجرت عن عصبيتهم المتعنتة.¹

لقد عاش المشرق الإسلامي فترة متأزمة عانى خلالها من الاضطرابات السياسية والعسكرية التي انعكست سلبا على مظاهر الحياة العامة، كما برزت الخلافات الطائفية به والتي أثرت بشكل مباشر على الحياة الاجتماعية التي عرفت صراعات من وقت لآخر بين المناصرين للمذاهب مما عكر صفو الاستقرار الاجتماعي، كما أن المواجهات الحادة بين الطرفين الشيعي والسني لم تعرف طريقها على الهدوء أبدا لأنها كانت تتكرر من حين لآخر، وما تزال الفتن الطائفية السنية الشيعية مستمرة إلى وقتنا الحاضر.

ونستنتج مما سبق أن سكان المشرق الإسلامي قد عاشوا ظروفًا صعبة خلال فترة النصف الثاني من القرن (12/هـ) بسبب التدهور الاقتصادي والصراع الطائفي اللذان شهدتهما المنطقة آنذاك.

ثالثا: أوضاع التصوف خلال النصف الثاني من القرن (12/هـ)

شهد النصف الثاني من القرن (12/هـ) انتشارا واسعا للطائفة الصوفية، مجسدة استمرار الحركة الصوفية التي رسخت في المجتمع واتسع نطاقها ببروز مجموعة هامة من الطرق التي ارتبطت بأسماء كثيرة لكبار شيوخ الأوائل المؤسسين لها، فقد ظهرت الطريقة القادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ "عبد القادر الجيلاني"² (ت 561هـ / 1164م)،

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص23.

² - الشيخ عبد القادر الجيلاني، هو عبد القادر أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست أبو محمد الحنبلي، الزاهد، شيخ العصر وقدوة العارفين، صاحب المقدمات والكرامات، مدرس الحنابلة، الواعظ، ولد بجيلان سنة (471 هـ - 1081م)، تفقه على يد أبي سعيد المحرمي، سمع الحديث من أبي غالب الباقلائي المحدث و جماعة لآخرين، كانت له مدرسة خاصة به ببغداد، كراماته كثيرة اشتهرت بالتواتر، عاش 90 سنة توفي سنة (561 هـ - 1164م)الذهبي : العبر في خبر

الذي دخل إلى بغداد ودرس فيها الفقه الحنبلي، ثم سلك طريق التصوف¹ ، واهتم بالوعظ في مدرسته المعروفة ببغداد حيث حاز على شهرة كبيرة، فذاع صيته بين الناس حتى قيل بأنه لم يعظم احد من أجل الدين أكثر منه² ، وقد نشر تلامذته طريقته في مختلف البلدان الإسلامية كاليمن وسوريا ومصر، كما انتشرت في الهند أيضا، فهو يعتبر مرشد للكثيرين حتى أيامنا هذه³ ، والشيخ الجيلاني يربط التصوف بالكتاب والسنة حتى قيل عنه بأنه: كان مدرسا قائما على الشرع، متبحرا في مسائل الإجماع تخلق عنده علماء

من غير، تحقيق أبو مهاجر بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، بيروت، ج3، ص36، ومعظم كتب التراجم تتحدث عنه وعن مناقبه.

¹ - وقد اختلف العلماء وحتى الصوفية في نسبة التصوف فتحت له اشتقاقات كثيرة حيث خطأ أبو القاسم القشيري الصوفي (ت465هـ - 1069م) كل الاشتقاقات التي نسبت إلى التصوف كالصفاء والصفة والصف الأول... الخ، بينما رجح النسبة إلى الصوف قائلا: "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال من الصوف، ولهذا يقال: تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال تقمص إذا لبس القميص، أما الإمام ابن الجوزي رحمه الله فقال عن هذه الاشتقاقات بأن منهم من نسب التصوف إلى أهل الصفة لما رأوا من حالهم في الانقطاع إلى الله عز وجل إلا أن هذه النسبة خاطئة من الناحية اللغوية المشتق منه يصبح صفي كما أن منه من أرجعه إلى الصوفانية وهي بقلة رعناء قصيرة فنسبوا إليها والنسبة إليها خاطئة من حيث اللغة لأن المشتق الصحيح منها يصبح صوفاني، وقال البعض منهم هو منسوب إلى صوفة القفا وهي الشعيرات النابتة في مؤخرة الناقة وكأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق وقال البعض بأنه منسوب إلى الصوف وهذا الأرجح، في حين جعله أبي العباس السبتي التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى الملقب بابن الزيات (617هـ - 1220م) اسما ينطبق على جميع الوارعين وأهل الفضل والعبادة وقد اعتبر بأن الكثيرين لم يتوصلوا إلى حقيقة اشتقاق التصوف و الغالب هو المنقطع بعبادته لله تعالى الراسخ في الطاعة وهو ينتسب إلى صوفة وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة و يجيزون الحجاج في الجاهلية وهم من قبيلة تميم العربية، وعن الصوفية قال الباحث المعاصر عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي في كتابه موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية بأن الصوفية طائفة إسلامية كباقي الفرق فيها الصالح والطالح والمخطئ والمصيب. القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق محمد عبد الرحمان المرعلشي، ط1، دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1419هـ - 1998م)، ص 355؛ ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، تحقيق السيد الجميلي، دون طبعة، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1425هـ - 2005م)، ص 144؛ ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وإخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، (1997م)، ص34؛ عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي: موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، ط3، دار السلام للنشر، مصر، القاهرة، (1421هـ - 2001م)، ص ص (8 - 9).

² - الذهبي ، (العير)، ج3، ص36.

³ - التفتازاني أبو الوفا: مدخل إلى التصوف، ط3، دار الثقافة للنشر، مصر، القاهرة، (1399 هـ - 1979م)، ص(236 - 237).

وفقهاء، كما لبس الخرقة¹ من يده عدد كبير من الفقراء والمشايخ الكبراء والعلماء الخبراء، و شيوخ اليمن ينسب و إليه في لبس الخرقة، وله كرامات عديدة تفوق الحصر² على حد ما يروى.

وعندما رأى الشيخ الجيلاني كارثة حلت بالمسلمين وبلادهم من مشاحنات وفرقة وصراع حول السلطة والجاه، انشغل كلياً بالوعظ والإرشاد عن طريق الدعوة لإصلاح النفوس المريضة وتزكيتها بعثاً إحياءاً للشعور الديني السليم وإرساء لقواعد الحياة الإسلامية وهذا يظهر جلياً من خلال كتابه "الغنية لطالب طريق الحق" الذي يوضح فيه أسس ومبادئ الطريقة القادرية القائمة على أسس دينية قوية للمحافظة على أركان هذا الدين والتحلي بالأخلاق الكريمة والابتعاد عن الأخلاق الذميمة، كالتزام بالصدق والوفاء بالعهد، وحب الخير للمجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغبة في الإصلاح الاجتماعي بالاعتماد على النفس وتجنب المعاصي والى غير ذلك من المبادئ الأخلاقية الأساسية والنبيلة³ فالمنهج القادري منهج أخلاقي بالدرجة الأولى.

كما ظهرت الطائفة العدوية نسبة على شيخها عدي بن مسافر الدمشقي⁴ (ت556هـ/1151م)، وقد بني الشيخ زاوية له بجبل هيكار في دمشق فكثرت اعتقاد الناس

¹ - الخرق الصوفية: أو المرقعة الصوفية وعادة ما تخاط من ثوبين أو ثلاث أثواب يكون كل منها بلون معين، وهي معروفة بكونها من لباس الزهاد من الصوفية، كما تكون مصنوعة من الصوف، ومن الصوفية من يعمد إلى ترقيع خرقة الصوفية بنقطيعها ثم إخطتها، وقد جعل الصوفية في لباسها علافاً وتقليداً هاما هو لبسها من يد شيخ في الطريقة، كما أن لباسهم فيه ميل للألوان كالأزرق مثلاً وهذا ما يعتبره الإمام لبن الجوزي رحمه الله لباس شهرة فيه تظهر في الزهد و ترك الدنيا. ابن الجوزي: التلبيس، ص 165، ص 171، ص 168.

² -اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دون محقق، ط2، مؤسسة الأعلمي للنشر، لبنان، بيروت، (1997م)، ج2، ص59.

³ - الجيلاني عبد القادر: الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والأدب والتصوف، تحقيق عبد الكريم العجم، ط1، دار البشائر، لبنان، بيروت، (1416هـ-1996م)، ص(12-14)؛ محمد بن حسين موهوب: وصايا وأدعية الشيخ عبد القادر د. ط، دار الهدى للنشر، الجزائر، عين مليلة، ص (18-21).

⁴ - الشيخ عدي بن مسافر: بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهيكاري، شيخ الطائفة العدوية، أصله من البقاع غربي دمشق، ذهب إلى بغداد، وهناك التقى الشيخين عبد القادر الجبلي وأبو النجيب السهروردي،

فيه، حتى أصبح منهم من يغالي فيه مغالاة شديدة لدرجة تأليهه، قد بقي اعتقاد الناس فيه على هذا الحال إلى أن توفي.¹

وعاصر الشيخ الجيلاني وعدي بن مسافر الدمشقي صوفي آخر من كبار الشيخ العراقيين المعروفين ألا وهو الشيخ أبو النجيب السهروردي² (ت 563 هـ/1167م)، مؤسس الطريقة السهروردية المشهور بعلمه وسعة ثقافته، فقد كان محدثا ومفتيا وفقهيا، درس بالمدرسة النظامية ببغداد وبنى لنفسه رباطا خاصا به يقوم فيه بالوعظ والإرشاد لأتباعه ومريديه إلى أن توفي بمسقط رأسه.³

وفي ظل هذا الظهور المكثف والقوي للشخصيات الصوفية ظهر الشيخ أحمد الرفاعي⁴ (ت 587 هـ/1191م)، الذي تمتع بمكانة مميزة في الحركة الصوفية خلال هذه الفترة، حيث التفت حوله طائفة من المريدين اشتهر باسم "البطائحية"⁵ نسبة لمسقط رأس شيخهم، وقد عرف أتباعه بأحوال شيطانية عجيبة، فقد أكلوا الحيات وهي تتحرك، كما نحلوا في حفر تشتعل نارا، إضافة على مسكهم النار بين أيديهم وهي تشتعل دون

توفي سنة (556 هـ - 1161م) عن عمر يناهز 70 سنة، ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص243.

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص243.

² - الشيخ أبو النجيب السهروردي: هو عبد القهار بن محمد بن عبد الله أبو النجيب السهروردي، يعود في نسبه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سمع الحديث و تفقه وأفتى ودرس بالنظامية وابتنى لنفسه رباطا ومدرسة، كان متصوفا يعظ الناس، توفي سنة (563 هـ - 1168م) ودفن بمدرسته، نفسه.

³ - نفسه.

⁴ - تعريف أحمد الرفاعي: أبو العباس بن علي بن يحيى سكن منطقة البطائح في قرية أم عبيدة بالعراق، ولد سنة (500 هـ - 1105م) وقيل بأنه كان صاحب أحوال وكرامات صوفية وقد ظهرت طائفة صوفية عرفت باسمه "الرفاعية"، وقد اشتهر بأحوال عجيبة في نزولهم إلى النار وغيرها. اليافعي، مرآة الجنان، د.ط، د. ت، ج2، ص91؛ قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، (1407هـ)، ج2، ص5.

⁵ - البطائحية: نسبة إلى البطائح زهي عدة قرى مجتمعة وسط الماء بين واسط والبصرة بالعراق. نفس المصدر، ج2، ص91.

أن يحترقوا أو يصابوا بأذى أذى، وأكثر من ذلك أنهم كانوا يركبون الأسود ولا يهابونها، ولأن الشيخ قد حرم من الخلفة فقد بقيت المشيخة في عقب أخيه¹، ورغم ما اشتهر به أتباعه فالشيخ كان على المذهب الشافعي متبعا للسنة على عكس أتباعه المنحرفين منها وسلوكا، وعن مسلكه القويم في الطريق الصوفي السني قال: "سلكت كل الطرق الموصلة، فما رأيت أقرب ولا أسهل، و لا أصلح من الافتقار والذل والانكسار، فقيل له: يا سيدي، كيف يكون ذلك، فقال: تعظم أمر الله، و تشفق على خلق الله، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله صلى الله عليه و سلم"²، هذا يدل على الفكر السليم للشيخ ومنهجه الصحيح في السلوك على عكس أتباعه الذين كان لهم شأن آخر في ذلك.

وكان انتشار طريقته مماثلا لانتشار الطريقة القادرية حيث شملت نطاقا واسعا من المناطق ومنها مصر التي لا تزال بها هذه الطريقة منتشرة على وقتنا الحالي³.

و لا يمكن تجاهل ما كان للشيخان الجيلالي والرفاعي من دور مهم في توسيع حركة الطرق الصوفية في مختلف مناطق العالم⁴ فقد ساهما في بلوغ مدارس الصوفية على أوج تنظيمها في المجال العلمي والاجتماعي والروحي⁵ انطلاقا من بغداد الحاضرة الإسلامية التي تعتبر منطلقا لمعظم الطرق الصوفية الأولى، ومنها انتشرت في باقي

¹-البياعي، مصدر سابق، ج2، ص91.

²- القاضي شهبه، مصدر سابق، ج1، ص5.

³-أبو الوفاء، التفنازاني، مرجع سابق، ص238.

⁴-عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، الرفاعي والجيلالي وآخرون، ط3، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1986 م، ص88.

⁵- عبد المجيد حملوي: تطور المدارس الصوفية، مجلة الشهاب الجديدة، العدد 3، أبريل (1425 هـ - 2004 م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص(265 - 266).

الأصقاع والأمكنة من العالم، خاصة مع نشاط شيخها الرمز صاحب الطريقة السنية عبد القادر الجيلالي.¹

وذاع في نفس هذه الفترة صيت صوفي آخر هو الدين أبو الفتوح يحيى بن محمد بن حبش بن أمرك، العارف بعلوم الأوائل، المناظر، المتزهد تزهدا فارسيا، وقد شاع بكونه ضعيف الدين² وهو الملقب بالشيخ المقتول تمييزا له عن النجيب السهروردي، وكان متقنا للفلسفة، كما كان له أتباع ومريدون كثر حتى أن الملك الظاهر غازي حاكم حلب وابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان ممن أعجب به، فمال عليه، وقربه منه، مما جعل علماء حلب يطلبون من السلطان إنقاذ عقيدة ابنه من الانحراف والفساد لمخالطته للسهروردي، فأمره والده بإقامة مناظرة بينه وبين الفقهاء للفصل في شأنه، ليتبين أخيرا سوء اعتقاد السهروردي حينما سأله الفقهاء عن مقصوده من وراء قوله بقدره الله سبحانه وتعالى في رده على الفقهاء بأن: "الله القادر لا يمتع عليه شيء" متحديا لهم، مما أثار حفيظتهم لما رأوا من انحلال عقيدته وخروجه عن مبادئ الشرع الإسلامي، فأرسلوا محضرا بتكفيره على السلطان صلاح الدين، محذرين إياه من انتشار عقيدته الفاسدة بين الناس، فأمر ولده بقتله وذلك سنة (587هـ / 1191م).³

وقد ورد عند الذهبي فيما نقله عن السيف الذهبي قوله عن السهروردي: "رايته كثير علم، قليل عقل، قال: لا بد أن أملك الأرض"، أما الذهبي نفسه فقد قال بأن سائر مصنفاة فلسفة⁴، وهو لا يعتبر رائد المذهب الاشرقي الذي يدور حول فكرة الإشراق والارتقاء إلى

¹ -سيمون حديس بيتي: التراث الصوفي في الجزائر، مجلة سنة الجزائر في فرنسا، العدد 9، نوفمبر، ديسمبر، (2003م)، دار الرايس حميدو، المدنية، المؤسسة الوطنية للاتصال والثقافة، الجزائر، ص38.

² -الحافظ الذهبي، (العبر)، ج3، ص95.

³ -ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج6، ص(102-103).

⁴ -الذهبي، (العبر)، ج3، ص95.

نبع الأنوار العلوية¹ لأن العالم عند السهروردي ينقسم إلى العالم الأعلى، عالم النور والعالم الأدنى، عالم الظلام وفي قمة العالمين يوجد الإله الذي يدعو السهروردي بـ "نور الأنوار" القاهرة وهو في هذا كله متأثراً بالفكر الفارسي القديم القائل بـ اله النور واله الظلام²، وللتعرف على مناطق استقرار الصوفية خلال هذه الفترة وخلال القرن (7هـ/13م).

وأكبر سبب لقتله أنه بدأ في بث أفكاره الغربية عن الإسلام في وقت كان لا بد فيه من تكتل المسلمين حول لواء السنة خاصة بعد اندحار المذاهب الباطنية وسقوط الدولة الفاطمية وانتصار الإسلام السني حتى يتمكن المسلمون من مقاومة الغزو الصليبي الدخيل على العالم الإسلامي والانتصار عليه، بحدود إمارة أنطاكية الصليبية.³ و يتبين مما ذكرناه أن التصوف قد بلغ ع قمة نضجه و نشاطه في هذه الفترة من بظهور العديد من الشخصيات الصوفية البارزة⁴ ، كما أنه تميز باختلاف كبير مناهج أتباعه بين الاستقامة والانحراف في السلوك والتوجه النظري والتطبيقي.⁵

¹ -يوسف زيدان: شعراء الصوفية المجهولون، ط2، دار الجيل، لبنان، بيروت، (1416هـ-1996م)، ص22.

² -أبو الفيض محمود المنوفي: التصوف الإسلامي الخاص، د. ط ، دار النهضة للنشر، مصر، القاهرة، ص183؛ محمد علي أبو ريان: أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي، ط2، دار المعرفة للنشر، مصر، الإسكندرية، ص62؛ عبد الرحمان بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، ط3، دار سيناء للنشر، مصر، القاهرة، (1995م)، صص(212- 213).

³ - يوسف غوانمة، مرجع سابق، ص95.

⁴ -قدور رحمانى، مرجع سابق، ص16.

⁵ - عمر عبد الله الكامل: التصوف بين الإفراط والتفريط، ط1 ، دار ابن حزم للنشر، بيروت، لبنان، (1422هـ-2001م)، ص 23.

رابعاً: الأوضاع العلمية خلال النصف الثاني من القرن (12/هـ/1م)

وعلى الرغم من الحروب الطاحنة والفتن التي عاشها المشرق الإسلامي طيلة فترة النصف الثاني من القرن (12/هـ/1م)، إلا أنها تميزت بنواحي أخرى مشرقة تتعلق بالحياة العلمية ويظهر ذلك جليا في الدور الكبير الذي قام الحكام والسلاطين والأمراء في تنشيط الحركة العلمية ودفعها قدما نحو الرقي والازدهار، من ذلك ما قام به بعض الخلفاء العباسيين كالمستضيء بأمر الله العباسي (ت 575/هـ/1180م)، الذي خصص الأموال الطائلة لصالح العلماء وبناء المدارس¹، وهو نفس ما قام به السلطان نور الدين محمود بن زنكي (ت 569/هـ/1171م).² ا لذي بجل العلماء وأكرمهم إلى جانب اهتمامه ببناء المدارس التعليمية² وهو نفس المسار الذي انتهجه السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 589/هـ/1193م)، خليفة نور الدين محمود، الذي قرب منه العلماء وعرف لهم جليل قدرهم.³

ومما يؤكد الاهتمام البالغ بالعلم في المشرق الإسلامي خلال هذه الفترة ذلك العدد الكبير للمدارس التعليمية المنتشرة بالمنطقة ما كان في العراق كمدرسة الوزير ابن هبيرة (ت 560/هـ/1165م)، أبو المظفر يحيى بين محمد بن هبيرة بن سعيد الشيباني وزير الخليفة المقتفي بالله العباسي المتوفى سنة (555/هـ/1160م) وابنه المستجد بالله، وقد أنشأ مدرسة تلك بباب البصرة ببغداد⁴، إضافة إلى مدرسة الشيخ الصوفي أبو النجيب السهروردي (ت 563/هـ/1168م) ببغداد، في نفس الفترة التي كانت فيها المدرسة

¹ - السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص 355.

² - ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج 12، ص 277.

³ - ابن تغريد بردي، مصدر سابق، ج 6، ص 8؛ أبو شامة، مصدر سابق، ج 2، ص 69؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير،

د. ط ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د. ت ، ج 1، ص (50 - 53).

⁴ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 10، ص 203؛ ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، دون محقق، ج 4، ص 197.

النظامية¹ لا تزال قائمة، وقد درس بها الشيخ مدة عامين، وكذا المدرسة التي أسسها العلامة الفقيه المحدث ابن الجوزي البغدادي (ت597هـ/1200م) عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي وينتهي نسبه على سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بدرب دينار ببغداد، وقد استهلّت نشاطها العلمي سنة (570هـ/1175م)، وكان يقام بها أربعة عشر حلقة علمية منها حلقة في تفسير القرآن.²

اشتملت منطقة الشام على مجموعة كبيرة من المدارس منها المدرسة الحنبلية بدمشق ومؤسسها الشيخ العالم الفقيه المحدث أبو الفرج الشيرازي (ت536هـ/1148م)، عبد الواحد بن محمد بن علي وقد استمر نشاطها بعد وفاته بزمن طويل³ إضافة الى المدارس الأسدية التي بناها القائد أسد الدين شيركوه الأكبر الملقب بأسد الدين بدمشق وكانت مطلة على الميدان الأخضر لها⁴ وكذا المدرسة الصلاحية التي قام ببنائها السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد (ت569هـ/1174م)، إلا أنها نسبت الى السلطان صلاح الدين الأيوبي⁵ إلى جانب المدرسة التقوية التي تعتبر من أشهر المدارس بدمشق، وقد تم بناؤها سنة (574هـ/1179م) داخل باب الفراديس من قبل الملك المظفر تقي الدين بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الذي أضاف إليها بناء مدرسة بمصر لمنازل الغز، ومدرسة أخرى بحماة الدمشقية وقد ضمن لهذه المؤسسات تمويلا ماليا خاصا بها⁶، والمدرسة العذراوية التي أمرت بنائها السيدة عذراء بنت أخ السلطان صلاح

¹- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص(208-209).

²- ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج3، ص405.

³- النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص51.

⁴- نفس المصدر، ج1، ص114.

⁵- نفس المصدر، ج1، ص250.

⁶- نفس المصدر، ج1، ص162.

صلاح الدين الأيوبي (ت593هـ/1197م) داخل باب النصر المعروفة بدار السعادة ببيت المقدس سنة (580هـ/1184م) وقد خصصت للشافعية.¹

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي ببناء مدرسة بالقدس، سميت بالصلاحية، واشتهرت باسم المدرسة الناصرية، وكانت مخصصة للشافعية² إضافة إلى مدارس أخرى أنشأها في مصر ومنها مدرسة القرافة الصغرى بالقاهرة بالقرب من ضريح الإمام الشافعي رحمه الله.³

وكذا المدرسة المخصصة للحنفية بدار "علي بن سلام"، والمدرسة المعروفة "بزين النجار" المخصصة للشافعية، كما أنه خصص مدرسة للمالكية بالقاهرة وأخرى بالقدس وكل هذه المدارس أجريت عليها نفقات خاصة بها.⁴

عرف المشرق الإسلامي انتشارا واسعا للمجالس والحلقات العلمية ومنها الحلقات التي كانت تعقد بالزاوية المالكية بالجامع الأموي بدمشق، والتي أقام بها المالكية حلقات في التفسير والحديث وعلومه وقد استمر نشاطها العلمي إلى غاية القرن (7هـ/13م).⁵

كما كان يقام هذا النوع من النشاط العلمي ببغداد من خلال الحلقات العلمية والمجالس الوعظية التي كان يقيمها الإمام العالم ابن الجوزي رحمه الله، والتي كان يتناول فيها مختلف فنون العلم من تفسير للقرآن وحديث وفقه، حتى قيل أن الناس كانوا

¹ - النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص283.

² - نفس المصدر، ج1، ص251.

³ - الياضي: مرآة الحنان وعبرة اليقظان لما يعبر من حوادث الزمان، مصدر سابق، ج3، ص464.

⁴ - نفسه.

⁵ - النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص3.

يزدحمون عند باب مجلسه الذي كان يحضره العلماء والفقهاء وأكابر الدولة وحتى الخليفة المستضيء بالله العباسي (ت 575هـ/1180م).¹

انتشرت المناظرات العلمية آنذاك حيث كانت منازل كبار الدولة والوزراء والأمراء والأعيان والعلماء تحتضن المناظرات بين أهل العلم على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم، ومن ذلك أنه أقيمت مناظرة فقهية في بيت الوزير ابن هريرة البغدادي المعروف بتفقهه في المذهب الحنبلي وكان مجلسه عامراً بالعلماء الذين يتباحثون في مختلف العلوم لساعات طويلة² وقيل أنه في أحد المناظرات "بيت الوزير" حدث وأن خالفهم أحد الفقهاء المالكية في بعض الشروح الفقهية، فغضب منه الوزير وأهانته، إلا أنه استدرك الأمر وعاد فاعتذر منه.³

كان العالم الفقيه أبو يعلي الصغير الحنبلي (ت 560هـ/1165م) محمد بن أبي حازم محمد بن القاضي أبو يعلي الكبير بن الفراء البغدادي، المعروف بفصاحته بقي المناظرات العلمية ببغداد.⁴

وقد أدت هذه النهضة العلمية المزدهرة إلى ظهور طائفة كبيرة من أهل العلم في مختلف التخصصات نذكر منهم طائفة من أهل العراق كالفقيه محمد بن الحسن المرعشي (ت 576هـ/1181م)، من مؤلفاته المختصر في الفقه⁵ كما اشتهر الفقيه المحدث العلامة ابن الجوزي، البارع في مختلف أصناف العلوم، من مؤلفاته: صفوة الصفوة، ومنهاج القاصدين، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ومنهاج الإصابة في

¹ - ابن رجب، مصدر سابق، ج 3، ص 407، ص 411.

² - ابن العماد الحنبلي، (الشذرات)، ج 4، ص (191 - 194).

³ - الذهبي، (السير)، ط 9، ج 20، ص (426 - 427).

⁴ - ابن العماد، مصدر سابق، ج 4، ص 190.

⁵ - قاضي شهبة، مصدر سابق، ج 1، ص 309.

محببة الصحابة، وفنون الألباب، ومناقب بن حنبل،... و غيرها من المؤلفات¹ كما اشتهر الفقيه إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الصقال الطيبي البغدادي الملقب بمفتي العراق، البارع في الفقه والفن والحساب واللغة، والذي عاش في نفس هذه الفترة ومن مؤلفاته "الترغيب"² كما عرف أيضا الفقيه المحدث محمد عثمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الباقي الملقب بابن العبكري فقيه العراق ومحدثها الحنبلي المذهب، في هذه الفترة أيضا ومما ألفه "معجم شيوخه" في خمسة أجزاء³ وغيرهم كثير من علماء العراق.

احتضنت دمشق هي الأخرى طائفة من العلماء أمثال المحدث العميد بن القلانسي (ت555 هـ/1160م)، أبو يعلي حمزة بن أسد التميمي الدمشقي، ومن مؤلفاته كتاب "التاريخ"⁴ كما ظهر بالشام أيضا الفقيه المحدث ابن عساكر (ت571 هـ/1176م)، علي ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الحافظ، الملقب بإمام أهل الحديث، مصنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلدا، وقد كان محبا لعلم الحديث الذي قال فيه شعرا:

إلا أن الحديث أجل علم
أنفع كل علم عندي
و أشرفه الأحاديث العوالي
وأحسنه الفوائد في الأمالي

من مؤلفاته الأخرى المواقع باثتان وسبعون جزءا ومعجم شيوخه في اثني عشر جزءا ومناقب الشبان في خمسة أجزاء، و فضل أصحاب الحديث في إحدى عشر جزءا.⁵

جزءا.⁵

¹ - ابن رجب، مصدر سابق، ج3، ص411، ص420.

² - نفس المصدر، ج3، صص(440-441).

³ - نفس المصدر ج3، ص435.

⁴ - الذهبي، (العبر)، دون محقق، ج2، ص23.

⁵ - قاضي شبهة، مصدر سابق، ج2، ص(311-314)؛ ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج12، ص29.

وفي مصر عرفت طائفة أخرى من العلماء نذكر منهم الفقيه البارع في الأدب عمارة بن علي بن زيدان (ت569هـ/1174م)، أبو محمد الحكمي التميمي الشافعي المذهب، الملقب بنجم الدين، نزيل مصر وشاعرها الكبير¹ كما اشتهر أيضا في هذه الفترة الحافظ أبو طاهر السلفي(ت576هـ/1181م)، الذي سكن الإسكندرية، المعروف بالفقه و الحديث والتصوف، وله مؤلفات كثيرة منها معجم مشايخ أصفهان، ومعجم مشايخ بغداد وغيرها من التأليف.²

عرف أيضا بمصر أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش، بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي قاطن القاهرة (ت582هـ/1186م)، البارع في الأدب، صاحب التصانيف المفيدة.³

ويتبين مما ذكرناه في هذا المبحث أن الحياة العلمية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن(6هـ/12م)، كانت مزدهرة بفضل التشجيع الكبير للحكام والأمراء للحركة العلمية آنذاك.

وبفضل الانتشار الواسع للمؤسسات التعليمية والموسوعات العلمية والمؤلفات الضخمة والكثيرة العدد والتي كان لها دور هام في تفعيل وإثراء الحركة العلمية وتوسيع مجال المعرفة والثقافة في تلك الفترة من التاريخ.⁴

وهكذا عاش المجتمع المشرقي الإسلامي التطور العلمي في مختلف حواضره رغم ما كان يعانيه من ضعف سياسي وتدهور اقتصادي وعسكري واضطراب اجتماعي

¹ - الذهبي، (العير)، ج3، ص58.

² - القاضي شبيهة، مصدر سابق، ج2، ص6.

³ - ابن كثير، البداية والنهاية، دون محقق، ط7، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، لبنان، (1413هـ-1992م)، ج12، ص314.

⁴ - ابن تيمية: التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمان عميرة، د. ط، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، بيروت، ج1، ص30.

بالمنطقة، إلا أن العلماء و العباد قد أثبتوا دورهم الفعال و مكانتهم المميزة في تلك الفترة التي شهدت فيها الدولة الإسلامية رهانات وتحديات خطيرة.¹

تباينت سياسات الدول واختلفت مواقف حكامها في المشرق الإسلامي من الحركة الصوفية وأتباعها خلال القرن (7هـ - 13م)، تماشياً مع الأوضاع السائدة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الاعتبارات المذهبية، وهو ما انعكس على مواقف الحكام بالمشرق تشجيعاً للحركة الصوفية ومعارضة لها.²

علاقة الصوفية بالحكام:

علاقة الحكام بالصوفية:

وفي ظل كل تلك الانزلاقات السياسية والاضطرابات العسكرية والظروف الصعبة التي عرفها المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجري، الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، كان لأفراد الحركة الصوفية دور بارز في الجانب السياسي، وقد تبين ذلك جلياً من خلال أثرهم في تحريك مجريات الأحداث أو لدورهم فيها والذي يتراوح ما بين القوة أحياناً والضعف أحياناً أخرى.

لقد اختلفت مواقف الحكام وسياسات الدول في منطقة المشرق الإسلامي اتجاه أفراد الحركة الصوفية خلال فترة القرنين السادس والسابع الهجري، الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، وذلك تبعاً لظروف المهيمنة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي،

¹ - عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، د. ط ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، مصر، القاهرة، 2001م ، ص (184-187).

² - سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، ط1، دار الكتاب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1413هـ-1993م)، ص 538.

وهو ما كان له أثره الواضح على الحكام في المشرق الإسلامي والذي تراوح ما بين المساندة لأفراد الحركة الصوفية وما بين معارضتها.¹

أولا-نشاطهم السياسي:

لقد شهد النصف الثاني من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، والقرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ظهور بارز لأفراد الحركة الصوفية و قد شمل نشاطهم نطاقا واسعا في المشرق الإسلامي، وقد كان لهم أثر واضح في عدة مجالات وأهمها الجانب السياسي، فقد توضح هذا جليا من خلال علاقتهم بالحكام في هذه الفترة، ففي القرن (6هـ/12م) تمتع الشيخ "أبو حامد الغزالي" (ت505هـ/1112م)، المعروف بحجة الإسلام، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، وهو من كبار علماء القرن (6هـ/12م)، بمكانة كبيرة عند الوزير السلجوقي "نظام الملك"، والذي استحسنته، ولقي فتوى عنده فسلم إليه منصب التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد التي قضاها سنة (584هـ/1188م)، غير أنه لبس لباس التصوف، ولازم الصوم، وذهب للحج ثم عاد، وسافر بعدها إلى دمشق ثم إلى بيت المقدس، وعاد إلى مسقط رأسه مهتما بالعبادة فلما كانت الوزارة في يد فخر الملك، طلب منه الحضور عنده فسمع كلامه ثم طلب منه الذهاب إلى نيسابور ليدرس بها، و ذلك بطلب من فخر الملك غير أنه عاد إلى بلده بعبادته، وكان قبل تزدهه يلبس الثياب الفاخرة، وقد حكي أن الوزير أنوشروان (الوزير العباسي)، قد قام بزيارة إلى حامد.

الغزالي: ناصحا له مذكرا بأنه وزير وبأنه مسؤول وعليه الاهتمام بما وكل إليه من مصالح لأنه سيحاسب عليها وبأن اهتمامه بأمور الرعية أولى له من زيارة الشيخ، فخرج الوزير أنوشروان وزير الخليفة من عنده وهو يقول: لا اله إلا الله هذا الذي كان في أول

¹-سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، ط1، دار الكتاب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1413هـ-1993م)، ص 538.

عمره يستزيدني فضل لقب من ألقابه وكان يلبس الذهب والحريير قال أمره إلى هذا الحال¹ وهكذا يظهر لنا جليا أن أبا حامد بعد تصوفه قد اختار إبعاد نفسه عن الحكام وأصحاب السلطة والمناصب.

وإن كان أبا حامد قد أسعفه الحظ بأن كانت له مكانة عالية عند حكام زمانه فإن الشيخ الصوفي "أبو علي مغربي" (ت506هـ / 1113 م)، لم يسعفه الحظ فرغم تزدهه و قناعاته بين الصوفية حيث كان يتحصل على رز و رغيفين من تعب يده إلا أنه اشتغل بالكيمايا فتم أخذه إلى دار الخلافة ولم يظهر له خبر بعد ذلك² ولربما أمر الخليفة بتصفيته أو سحبه ورغم أن هذا الشيخ الصوفي لم يكن مخالط للأمرء والحكام إلا أنه لم يسلم من بطشهم.

وممن حظي بمكانة كبيرة عند الحكام الشيخ الصوفي أحمد الغزالي (ت520هـ/ 1126م)، أحمد بن محمد، أبو الفتوح الغزالي الطوسي شقيق أبو حامد الغزالي فقد حكي عنه أنه أقام مجلسا في دار السلطان "محمود" فمنحه ألف دينار، فلما خرج رأى فرس الوزير في دهليز الدار، وفيه مركب من ذهب وقلائد وطوق فركبه وذهب فأسرع الوزير الى السلطان بخيره لما كان من الشيخ الصوفي "فقال السلطان: لا يتبعه أحد ولا يرد الى الفرس³ وهذا دليل على المكانة العالية لأفراد الحركة الصوفية في نفوس الأحكام وعلو قدرهم عندهم تعظيما له.

¹ - ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر، عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج17، ص(124- 127)؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص387؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص(13- 14).

² - ابن الجوزي، مصدر سابق، ص128.

³ - نفس المصدر، ص235؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص39؛ الذهبي، مصدر سابق، ص412.

ومما يدل على علاقة الحكام بالصوفية في بغداد هو أن الشيخ الصوفي ابن السهروردي جلس للوعظ في المدرسة النظامية في بغداد فحضر مجلسه ذلك كبار الدولة وذلك سنة (534هـ/1140م)¹ أي في النصف الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي وهذا يبين اهتمام الحكام بأفراد الحركة الصوفية وجمال قدرهم فأصحاب الشأن في الدولة كانوا مجالس الصوفية.

ورد في الأخبار عند ابن الجوزي أنه قدم إلى بغداد رجل اظهر الزهد والنسك على طريقة الصوفية، وقد سكن في قرية السلطان بباب بغداد، فقصده الناس، وفي ذلك الوقت دفن بعض أهل السواد ولدا له فذهب ذلك المتزهده فنبش القبر ودفن الصبي في مكان آخر، ثم قال للناس بعد أيام، اعلموا أنني قد رأيت عمر بن الخطاب في المنام ومعه علي بن أبي طالب فسلمت عليهما و سلما وقالالي: إن في هذا الموضع صبي فرأوا الصبي وهو امرد، فمن وصل إلى قطعة من أكفانه فكأنه ملك الملك، فخرج أرباب الدولة وأهل بغداد، وانقلب البلد وملئ المكان بماء الورد والبخور، وأخذ التراب للتبرك، غير أن أذكيا بغداد تنبهوا وظهر والد الطفل، وهو من أهل السواد، واكتشف أمر الزاهد الذي ما إن سمع الخبر حتى هرب غير أن الناس أمسكوا به وقرروه فأقر أنه فعل ذلك حيلة فأخذ و أركب حمارا و شهد به لاحتياله² وقد انطلقت هذه الحيلة على كبار الدولة والعامه على حد سواء، وفي رأي الخاص كان خروج أرباب السلطة للمكانة الكبيرة الصوفية عندهم ولأنهم اعتقدوا بأنه صوفي زاهد حقا.

كان للشيخ الصوفي محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة (ت542هـ/1148م) و هو أبو الحسن بن أبي الفتح بن أبي القاسم ، مكانة عالية في بغداد وعند الحكام، فحين

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص5.

² - نفس المصدر، ج18، ص ص(8-9).

وفاته حملت جنازته إلى جامع القصر، وقد أزالوا جزءا من شباك المقصورة حتى أدخل التابوت وقد أم الناس في الصلاة عليه الوزير "أبو علي بن صدفة" المسمى بالقوام.¹

وعظم السلطان مسعود (ت547هـ/1153م)، الشيخ ابن الطالبة (ت548هـ/1154م)، أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي، الوراق، الزاهد، العابد، فقد زاره السلطان في مسجده حتى شغل الشيخ عن الصلاة، فلما أراد الشيخ أن يصلي مخافة أن يفوته وقت الصلاة قال للسلطان: يا مسعود اعدل وادع لي ، الله أكبر ، وأحرم بالصلاة، فبكى السلطان وأزال المكوس وألغى الضرائب واستقام بالتوبة.²

وممن كانت له علاقة طيبة تقرب من الطائفة رئيس الرؤساء في بغداد أبو الفتح (ت549هـ/1155م)، عبد الله بن هبة الله بن المظفر، الذي كان يتولى الأستاذية في دار الخلافة، فقد كانت له صدقات وأغطية للفقراء والمتصوفة، فقد أنفق عليهم الكثير من الأموال، وعندما وافته المنية دفن بالمقبرة الملاصقة لمقبرة رباط الزوزوني³ تمتع الشيخ علي بن الحسن (ت551هـ/1118م)، أبو الحسن الغزنوي الذي قدم بغداد سنة (516هـ/1122م) سمع الحديث على مشايخ بغداد وكان له قبول تام عند العامة والخاصة، حيث أمرت السيدة خاتون زوجة الخليفة العباسي المستظهر ببناء رباط له، فكان له ذلك، وقد أوقفت عليه الوقوف، وأصبح الشيخ يتمتع بجاه عظيم ومالت إليه الأعاجم، وكان السلطان يأتيه فيزوره، وكثر زائروه غير أنه ثبت عنه أنه كان يميل للتشيع و يحب الأعاجم و لا يعظم بيت الخلافة، كما انه سمع يقول: تتولانا وتغفل عنا ومما قاله شعرا:

¹- ابن الجوزي، مصدر سابق، ص61.

²- الذهبي، (العبر)، ج3، ص5.

³- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص99.

إذا لم يك قتالا
وضعه لك خلخالا

فما تصنع بالسيف
فغير حلية السيف

وهذا الشعر فيه تحريض على القتال، وكان ما يقوله يثبت في القلوب حتى أنه منع من الوعظ، وعندما قدم السلطان مسعود استدعى الشيخ المذكور فقدم وجلس في جامع السلطان ولما جلس بين يدي السلطان قال الشيخ الصوفي:

يا سلطان العالم "محمد بن عبد الله" أمرني أن أجلس (يعني السلطان)، ومحمد أبو عبد الله منعني أن أجلس، وهو يقصد الخليفة العباسي (المقتفي)، وكان الغزنوي إذا نبغ واعظ و تفوق عمل بكل الوسائل لقطع مجلسه حسدا، وكان يتباهى بالبرهان وقد حظي بدعم ورعاية وحماية من السلطان مسعود ، فلما توفي السلطان مسعود تتبع الغزنوي وأذل لما كان منه من انبساط في الحديث، وقد كانت له ضيعة في البداية كانت عبارة عن مارستان، فطولب بزرعها أمام الحاكم وتم حبسه على ذلك ثم سئل وأطلق سراحه لأنه تبين من خلال التحقيق معه أن السيدة خاتون زوجة الخليفة السيدة خاتون قد اشترتها من الخليفة ومنحتها له، وقد قال: أنا رجل منقطع عن الأشغال وكان قد تزهد و ترك العمل غير أنه منع من الوعظ ولأن الوضع بينه وبين الخليفة العباسي كان متوترا جدا فقد حذره الخليفة بلهجة شديدة الخطاب فقد قال عنه: أولا يرضى أن يحقن دمه؟ وبقي الغزنوي يلقي الذل والهوان بعد العز الذي عاشه في ظل السلطان مسعود، ومن شدة الذل الذي لاقاه قال عن نفسه: من الناس من الموت أحب اليه من الحياة، وقد مرض وتوفي ودفن بمقبرة الخيزران¹ كما زار السلطان نور الدين محمود الشيخ الصوفي ابن الحوراني (ت551هـ -1118م)، أبو البيان نبا بن محمد الشامي وقد زاره في درب الحجر

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص (108 - 110).

فقد كان له رباط هناك¹ وهذا العظيم من السلطان للشيخ الصوفي، ودليل على مكانه الشيخ الكبير عند نور الدين محمود.

وفي سنة (552هـ-1157م)، عندما وقع خلاف بين السلطان محمد شاه والخليفة الذي رفض أن يخطب لمحمد على منابر بغداد حيث حاصر محمد بغداد ، قدمت امرأة سليمان شاه بنت خوارزم شاه، وكانت قد أصلحت بين الأمراء جميعهم في همدان، وقد جاءت في زي الحجاج الصوفية إلى الموصل وعليها المرفعة (لباس الصوفية)، ومعها مرافقين حتى وصلت إلى عسكر محمد شاه فوفقت ونادت بملاح وطلبت منه أن يخبر قائدا من القادة أمير المؤمنين فأرسلوا إليها حاجبا فلما علموا من يكون سمحوا لها بالعبور فعبرت ولما علم الخليفة بقدمها أحسن ضيافتها (المصفي)، وقد تحدثت عن خبر ملكشاه الذي كبس بيوت المخالفين وهدم دورهم² وقد ارتدت زوجة سليمان شاه لباس الصوفية حتى تتخفى فيه فالصوفية لهم جلالة قدر وهيبة في نفوس العامة والخاصة فلا يتعرض لهم أحد .

وممن كان معظما عند الحكام، وعرف بعلاقته الوطيدة بحكام زمانه الشيخ حمزة بن علي بن طلحة، أبو الفتوح (ت 556هـ-1167م) ، الراوي، وكان قريبا جدا من الخليفة العباسي المسترشد بالله ، كما أنه ولى للمقتفي الخليفة العباسي في أحد المناصب (لم تذكر طبيعة هذا المنصب في المصدر)، وقد قام ببناء مدرسة الى جانب داره.

ثم ذهب للحج ولبس لباس الصوفية، وعاد متزهدا قد ترك جاه الدنيا وابتعد عن حكامها، وقد أنشده الشاعر أبو الحسن بن الخل قائلا:

¹-ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق محمود بن الجميل، ط1، دار الإمام مالك للنشر، الجزائر، (1427هـ- 2006م)،

ج7، ص83.

²- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص111.

يا عضد الإسلام يت من سمت
كانت لك الدنيا فلم ترضها
إلى العلى همته الفاخرة
ملكا فأخلدت إلى الآخرة
وقد انقطع في بيته مدة عشرين سنة، وقد كان محترما مهيب الجانب من قبل أرباب
الدولة وغيرهم.¹

وقد ظهرت المكانة المميزة لأفراد الحركة الصوفية عند الحكام خلال القرن السادس
الهجري، الثاني عشر الميلادي، من خلال اهتمام الخلفاء بدعوة الصوفية للمأدبات التي
تقام في القصر أو القصور الجديدة، ففي سنة (559هـ-1164م)، وفي شهر شوال
أقيمت دعوة في الدار الجديدة التي بناها الخليفة المستجد بالله، والتي تم بناؤها بباب
الغرب في بغداد، وقد حضر الدعوة كبار الدولة و مشايخ الصوفية والفقهاء وقد غادر
الجميع بينما بات الصوفية على سماع².

وما يبرز علو ومكانة الصوفية عند أرباب الدولة، هو أن محمد بن علي بن منصور
أبو جعفر الأصفهاني (ت 559هـ-1164م)، وهو الملقب بالجمال الموصلية، وكان وزيراً
لساحب الموصل، وقد اشتهر هذا الوزير بكثرة صدقاته و بمعروفه فقد كانت له آثار
كثيرة في مكة المكرمة، حيث أحكم أبواب الحرم و بنى لها عتبة عالية، واهتم بحفر
عيون للماء خدمة للحجاج وكانت صدقاته تصل إلى بغداد كل سنة حيث كانت تقدم
للزهاد الصوفية و للفقهاء، وكل من قصده لم يخب رجاؤه.

إلا أن تلك الأموال قد ذكر بأن غالبها من المكوس، وقد وصل خبر وفاته فحمل إلى
بغداد وصلى عليه فيها ثم حمل إلى مكة ثم إلى المدينة، وقد دفن بالرباط الذي عاش

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج18، ص 150.

² - نفس المصدر، ج18، ص 159.

فيه في حياته ويقع بين قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين مقبرة البقيع فليس بينه وبين قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أذرع.¹

وقد ظل الخليفة العباسي بالله (555 هـ - ت 566 هـ)، على علاقته الطيبة مع أتباع الحركة الصوفية حيث أنه في سنة (560 هـ - 1165 م) أقام الخليفة دعوة في دار الخلافة يوم الثلاثاء 28 جمادى الثانية، وحضر كالعادة كبار القائمين في الدولة والفقهاء والصوفية، وقد وزعت عليهم الأموال² ويبدو أن حضور الصوفية أصبح أمراً ضرورياً بالنسبة للخليفة فحضورهم من أولى الأولويات لإقامة أي دعوة في دار الخلافة .

ومما يبين الخلافة القوية التي جمعت الحكام بأتباع الحركة الصوفية تلك الدعوة التي أقيمت بكرة الأربعاء ثاني رجب حيث حضر الناس على عادتهم دعوة أمير المؤمنين، وهذه الدعوة كانت تقام كل سنة فحضر أصحاب الشأن في الدولة والعلماء وطائفة الصوفية، وقد رتب لهم سماط مستحسن (مأدوبة)، وقد قرئت ختمة، وقام الإمام ابن الجوزي (ت 597 هـ/1201 م) بالدعاء، وأنشد أحد الشعراء قصيدة يمدح فيها الخليفة وهذه العادة كانت كل سنة، وقد خرج معظم أرباب الدولة وخرج أيضاً الإمام ابن الجوزي، وبات الصوفية على سماع الإنشاد كعادتهم، وقد وزعت عليهم الأموال³ وهذا يبين مدى الأهمية التي حظي بها أتباع الطائفة الصوفية والمكانة العالية التي تمتعوا بها.

في حين اختار بعض مشايخ الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي الابتعاد عن الحكام وعدم مخالطتهم وهو ما كان من الشيخ أحمد الرفاعي (ت 578 هـ - 1183 م)، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 18، ص 161.

² - نفس المصدر، ج 18، ص 163.

³ - نفس المصدر، ج 18، ص 229.

رفاعة الشيخ الكبير الرفاعي البطائحي، ولد سنة (500هـ-1107م)، و تزهد على يد خاله الشيخ الزاهد أبي منصور، وكان هذا الشيخ الصوفي لا يقوم للسلطين والملوك والأمرء إذا حضروا عنده، وكان يقول عن الحكام والسلطين: النظر في وجوههم يقسي القلب.¹

وطائفته عرفت باسم البطائحية، وقد عرفوا بأحوال عجيبة غريبة لم يعرف بها الشيخ قط لأنه كان على منهج سليم وقويم في التصوف فقد عرف بعبادته وتدينه والتزامه بالشرعية² وكلام الشيخ أحمد الرفاعي يدل على تمام قناعاته بعدم مخالطة حكام الدنيا والانشغال ب العبادة.

وإن كنا قد رأينا فيما سبق علاقة تعظيم من الحكام للصوفية وتقرب منهم، وابتعاد بعض الصوفية عن الحكام فعلاقة هذا الصوفي الذي سنذكره الآن مع ما كان لديه من أفكار فلسفية ستجعل الحكام يقررون موته، إنه صوفي ذاع صيته عاليا وهو شهاب الدين السهروردي (ت 587هـ-1191م)، الصوفي المشتغل بالفلسفة شهاب الدين أبو الفتح يحيى بن محمد بن حبش بن أمرك المتزهد تزهدا فارسيا، كان مناظرا عارفا بعلم الأوائل وقد شاع بكونه الديانة³ وحتى يميز عن الشيخ الصوفي المستقيم الطريقة النجيب السهروردي لقب هذا الأخير "بالشيخ المقتول"، وقد كان له أتباع ومريدون بعدد كبير حتى أن ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي الملك الظاهر غازي، حاكم حلب قد أعجب بأفكاره التي بدأت تؤثر عليه خاصة وأنه جعله من مقربيه مما جعل فقهاء حلب يستتجدون بالسلطان طالبين منه أن ينفذ عقيدة ولده من الفساد لكثرة مجالسته للسهروردي

¹ - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج4، (ص259-261).

² - اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دون محقق، ط 2، مؤسسة الأعلمي للنشر، لبنان، بيروت، 1997م، ج2، ص91؛ شهية، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، 1407هـ . ج2، ص5، ص91.

³ - الحافظ الذهبي، (العبر)، ج3، ص95

المذكور، فأمر السلطان صلاح الدين ابنه الظاهر بإقامة مناظرة بين هذا الصوفي الفيلسوف وبين الفقهاء، وبعد هذه المناظرة توضح سوء اعتقاد السهروردي وانحلال عقيدته وخروجه عن مبادئ الشرع الإسلامي، وقد قام الفقهاء بإرسال محضر تكفيره إلى السلطان صلاح الدين موضحين له مخاطر انتشار عقيدته بين الناس، فأرسل أمرا إلى ابنه بقتله سنة (587هـ-1191م).¹

ثانيا: نشاطهم السياسي في القرن (7هـ/13م):

فقد تمتع الشيخ عبد الله اليونيني الصوفي الشامي (ت 617هـ - 1220م) أبو عثمان بن عبد العزيز بن جعفر الزاهد الملقب بأسد الشام بمكانة جد مميزة عند الملك الأجد الأيوبي² حاكم بعلبك حيث كان يجلس ب يدي الشيخ فيأمره الشيخ وينهاه بقوله: " يا أجد فعلت كذا و كذا" والسلطان يصغي لكل ما يقوله الشيخ باهتمام و يطبقه³ كما شغل شيخ الشيوخ الصوفي صدر الدين الجويني أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني (ت617هـ - 1220م)، منصب مرسل (سفير).

فقد أرسله الملك الكامل الأيوبي بمصر إلى الخليفة في بغداد "الخليفة الناصر" يستنصره على الصليبيين إلا أن الشيخ توفي في هذه السنة بالموصل عن عمر يقارب ثلاث وسبعين سنة وهو في مهمته بالرسالية.⁴

¹ - ابن تعزي، مصدر سابق، ج 6، ص ص (102-103).

² - بهرام شاه بن فروخشاہ بن شاهنشاه بن أيوب حاكم بعلبك الشامية بقي حاكما عليها حتى انتزعها منه الشرف موسى بن الملك العادل سنة (627هـ - 1230م) وأسكنه عنده في دمشق وقد قتل على يد أحد مماليكه الأتراك وقد دفن الأجد بدمشق وكان شاعرا فاضلا (ت628هـ - 1231م)، ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص131.

³ - نفس المصدر، ج13، ص94.

⁴ - نفس المصدر، ج13، ص93.

أرسل السلطان المعظم عيسى بن الملك الكامل¹ صوفيا اسمه "الملق" كرسول سياسي في رسالة إلى السلطان جلال الدين خوارزمشاه² الذي حكم الدولة الخوارزمية حتى يعينه على محاربة أخيه السلطان الأشرف موسى.³

عرف الخليفة العباسي البغدادي "الناصر لدين الله" (ت 622هـ / 1225م) بعلاقته الطيبة مع طائفة الصوفية، وتأثره الشديد بهم لدرجة أنه في منتصف خلافته هم أن يترك الخلافة و يبتعد عن الملك و يتفرغ للتعبد فقد بنى رباطا للصوفية كما سبق ذكره وأقام بجانبه بيتا لنفسه يتردد إليه و يتحدث فيه مع أعيان الصوفية و يستمع إليهم وقد أخط لنفسه ثيابا مشابهة لزي الصوفية إلا أنه تخلى عن كل ذلك وعاد إلى حياته في الخلافة والملك.⁴

كان الخليفة الظاهر بأمر الله العباسي أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله (ت 623هـ / 1226م)، كريما جدا مع طائفة الصوفية فقد أغدق عليهم الأموال رفقة العلماء حيث قدم إليهم في يوم العيد الأضحى مبلغ مائة ألف دينار، وقد أخبره البعض بأن

¹ -المعظم عيسى: ابن الملك العادل الذي دخل في حرب مع الإفرنج الصليبيين سنة (594هـ-1198م)، وهزمهم، وكان نائبا على دمشق في حياة أبيه العادل ثم أنه ملك بلاد الجزيرة، وكان حسن السيرة والسلوك مع الرعية وقد ملك دمشق في الوقت الذي ملك فيه أخوه الملك الكامل مصر، وقد توفي سنة (623هـ-1231م). ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص16.

² - جلال الدين خوارزمشاه: وهو السلطان الخوارزمي على بلاد خوارزم، وأخ السلطان محمد بن خوارزمشاه تكش... ابن نوشكين خوارزم شاه، الذي دخل في حرب مع التتار غير أنه انهزم فيها وانتهى أمره بعدما هرب ناحية غزنة وقد تفوق عليه الملك الأشرف موسى بن العادل، ليقتل على يد أحد الأكراد سنة (628هـ-1231م). الذهبي، (السير)، ج22، ص(327-329).

³ -الأشرف موسى: ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وأخوه المعظم عيسى، استتابه أبوه على مناطق كثيرة منها الجزيرة وحران، عرف بكرهه الشديد للفلسفة وعلومها لذلك شجع دراسة الفقه و الحديث، وكان من أكبر المحبين للصوفية فقد كان يكرمهم ويقدم لهم الحلوى في المناسبات توفي سنة(635هـ-1238م). النعمي، مصدر سابق، ج2، ص 255؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، لبنان، د. ت، ج1، ص672.

⁴ - الذهبي: تاريخ الإسلام وفيات (سنة 622هـ-1225م)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، (1418هـ-1998م)، ص92.

الأموال التي أنفقتها كثيرة جدا عليهم فرد عليهم بقوله " أتركوني افعل الخير " فيما بقي لي من عمر، وفعلا لم يبق طويلا في الخلافة حيث حكم مدة تسعة أشهر وأيام فقط¹.

في حين كانت هناك مواقف تشدد فيها الحكام مع الصوفية نتيجة لتصرفاتهم غير اللائقة في بعض المناسبات كما هو الشأن بالنسبة للملك الصالح إسماعيل (ت 656هـ/1258م) سلطان دمشق الذي أمر باعتقال شيخ الزاوية الحريرية علي بن الحسن بن منصور أبي الحسن الحريري (ت 628هـ/ 1231م)، الذي فر حينما سمع بصدور أمر باعتقاله من دمشق متوجها إلى بسر مسقط رأسه الواقعة في نواحي دمشق، وهذا الموقف الحازم من الملك الصالح إسماعيل كان نتيجة لصدور فتوى بإباحة دم هذا الحريري من قبل الشيخ الصوفي الكبير "عز الدين بن عبد السلام) (ت 660هـ/ 1262م)² والإفتاء بقتله كان نتيجة لما اشتهر به من إباحة وتحلل من الشرائع وقذف للأنبياء بغير حق، وعندما لم يتم العثور على الشيخ الحريري تم إلقاء القبض على جماعة من أصحابه الذين سرعان ما تبرؤوا من الشيخ و أفعاله فتم إطلاق سراحهم ونجا الشيخ من القتل إلى أن توفي سنة (645هـ/ 1248م)³.

و كان للشيخ شهاب أبي حفص عمر السهروردي (ت 632هـ/ 1235م) مكانة مميزة لدى خلفاء بغداد⁴ فقد عاصر عددا من الخلفاء العباسيين منهم الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وقد شهدت الفترة التي عاش فيها الشيخ عدة حوادث خطيرة في تاريخ

¹ - السيوطي، مصدر سابق، ص ص (367 - 368).

² - عز الدين بن عبد السلام: هو العز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الشافعي الفقيه المحدث العالم الصوفي، توفي بمصر ودفن بمقبرة القرافة بها سنة (660هـ - 1262م)، وله مؤلفات كثيرة تفوق الحصر. اليونيني، مصدر سابق، ج1، ص505؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص255.

³ - محمد بن شاکر بن احمد الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دون طبعة، دار صادر للنشر، بيروت،

لبنان، 1973م، ج3، ص6.

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص161.

العالم الإسلامي منها النزاعات الداخلية بين الملوك والسلاطين المشرقيين حول الحكم¹ وفي ظل هذه الأوضاع عادت مكانة الشيخ السهروردي عند الخليفة الناصر الذي جعله مرسوله الخاص في مختلف الرسائل إلى حكام الأقاليم المجاورة فقد أرسله إلى السلطان خوارزم شاه محمد الذي أراد السيطرة على بغداد وقد عمل الشيخ على رده عليها بذكره لفضائل بني العباس محذرا إياه من إيذائهم ورغم ما بذله الشيخ من مجهودات في محاولته لإقناع السلطان الخوارزمي إلا أنه أصر على موقفه في الاستيلاء على بغداد ولم يثن من عزمه سوى الثلوج التي أعاقت مسيره إليها مما اضطره للتراجع.²

فقد كان للشيخ السهروردي قدر جليل عند الخليفة الناصر وكان عنده من الشيوخ المفضلين في بغداد حيث جعله مرسولا له في الرسائل الهامة³ فالشيخ السهروردي استقر ببغداد وصار من المقدمين في بلاد الناصر لدين الله العباسي فقد نال منصب شيخ الشيوخ في بغداد⁴ وروي أن الشيخ السهروردي: "رأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد"⁵.

وذكر صاحب التاريخ المنصوري أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت 628هـ / 1234م) في تاريخه بأن الشيخ شهاب الدين السهروردي وفد رسولا من الخليفة الناصر لدين الله العباسي إلى الملك الأشرف موسى بهدايا وتحف جميلة كمبعوث لخلافة بغداد⁶.

¹ - عائشة يوسف المناعي: أبو حفص عمر السهروردي، حياته و مذهبه، ط1، دار الثقافة للنشر الدوحة، قطر، (1413هـ-1991م)، ص18.

² - الذهبي، مصدر سابق ج5 ، ص161.

³ - ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص290.

⁴ - الشنتاوي: دائرة المعارف الإسلامية، مادة سهرورد، د. ط ، د. ت، ج12، ص296.

⁵ - اليافعي، مصدر سابق، ج2، ص81، ص169.

⁶ - أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري المعروف بتلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، د. ط ، مطبعة الحجاز و دمشق للنشر، 1981م، ج1، ص110.

فقد كان الشيخ رسولا للملك الناصر لدين الله الذي أرسله بالتشريف إلى الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي وفي طريق ذهابه مر بحلب التي وعظ فيها وكان حاكمها الملك الظاهر غازي شديد الاحترام له، كما استقبله العادل في قصره فقد كان يوما مشهودا، وفي اليوم الموالي قدمت للشيخ هدايا كثيرة منها جبة سوداء بطراز ذهب وعمامة سوداء مطرزة بالذهب، و قلد بسيف محلى وعلم أسود مكتوب فيها باللون الأبيض ألقاب الخليفة الناصر لدين الله قدم الشيخ بدوره لكل من السلطانين الملك المعظم عيسى والأشرف موسى من أبناء الملك العادل عمامة سوداء و ثوب واسع أسود اللون كما أنه توجه إلى مصر وقدم هدايا للملك الكامل¹ .

وقد تمتع الشيخ الصوفي عمر بن الفارض المصري (ت 632هـ / 1235م) بمكانة خاصة وقصد بالزيارة من قبل العامة والخاصة، ومما يدل على مكانته ما كان يكنه له السلطان محمد بن الكامل بن العادل الذي عرف بحبه لأهل العلم الذين خصص لهم مجلسا يجتمع فيه بهم وقيل عنه بأنه كان ميالا لفن الأدب فحدث أن تذكروا يوما في أحد مجالسه أصعب القوافي، فقال السلطان بأن من أصعبها الياء الساكنة، فمن كان يحفظ منكم شيئا منها يسمعنا منه، فأسمعهم أحد الحاضرين قصيدة منها بمائة وخمسين بيتا، فسأل السلطان عن قائلها فأخبروه بأن قائلها هو الشيخ الصوفي عمر بن الفارض وهي قصيدة سائق الأطفغان، فسأل السلطان عن مكان وجوده، فقيل له بأنه كان بمكة مجاورا وقد حضر إلى القاهرة، وهو مقيم بقاعة الخطابة بالأزهر الشريف، فطلب من قائل الشعر إحضار الشيخ إليه فتوجه من حينه إلى مكانة إقامة الشيخ طالبا منه الحضور إلا انه أبى الحضور، فلما علم السلطان بما كان منه من رفضه للقائه، توجه بنفسه إلى الجامع حتى يراه، إلا أن ابن الفارض لما علم بقدم السلطان لرؤيته خرج من الباب الخلفي للجامع وسافر إلى الإسكندرية حتى لا يلتقي السلطان لأنه كان ممن لا يرغب في

¹ - الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام التدمري، ج23، ص271.

التقرب من الحكام ومخالطة الأمراء والسلاطين¹ ، وقيل بأن الملك الكامل كان ينزل لزيارة لزيارة الشيخ ابن الفارض، حتى أنه طلب منه أن يكون ضريحه قريبا من ضريح الشيخ الذي بناه عند ضريح الإمام الشافعي فرفض وأبى.²

كان للشيخ الصوفي محي الدين بن عربي المتوفى (638هـ / 1241م)³ علاقات طيبة جمعه برجال السياسة الذين اتصل بهم وراسلهم وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع في كتابه الشهير الفتوحات المكية الذي تحدث فيه عن الرسائل التي كانت بينه وبين ملك سلطنة الروم عز الدين كيكوس⁴ ، قائلا : " وكتبت إلى عز الدين كيكوس سلطان بلاد الروم جواب كتاب كتب به إليه وكان مقيما بملطية وذاك الجواب عبارة عن أبيات شعرية ينصح فيها الملك قائلا:⁵

كتبت كتابي والدموع تسيل	مالي إلى ما ارتضيته سبيل
أريد أرى دين النبي محمد	يقام ودين المبطلين يزول
فلم أرى إلا الزور يعلو وأهله	يغزون والدين القويم دليل
فيا عز الدين الله سمع لناصح	شفيق، ونصاح الملوك قليل

¹ - ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طيارة، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (1420هـ - 1999م)، ص ص(71-72).

² - يوسف ابن إسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، د. ط ، المكتبة الثقافية للنشر، بيروت، لبنان، (1411هـ - 1991م)، ج2، ص 413.

³ - ابن عربي: هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الاشبيلي أبو بكر بن العربي من أرض الأندلس، قرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وعلم القراءات، توفي سنة (638هـ - 1241م). أ عبد الله محمد بن عبد الملك النصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، 1973م، ص511.

⁴ - عز الدين كيكوس: ابن كيكوس ملك الروم بن قلع أرسلان حاكم قونية وأقصر وملطية من بلاد الروم. ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص391.

⁵ - ابن عربي، (الفتوحات المكية)، ج4، ص547.

وفي سنة (609هـ/1212م)، كتب صاحب سلطنة الروم رسالة إليه، فرد عليه محي الدين في خطاب طويل يدعوه فيه إلى إقامة شعائر الدين ويحذره من التفريط أو التهاون في تطبيق حدود الشريعة مؤكدا على السلطان ضرورة التزامه بتطبيق الشريعة الإلهية وهو ما يظهر من خلال الأبيات الشعرية التي بعث بها والتي قال فيها:

إذا أنت أعززت الهدى و تبعته	فأنت لهذا الدين عز كما تدعى
وإن أنت لم تحفل به وأهنته	فأنت مذل الدين تحفظه وضعا
فلا تأخذ الألقاب زورا فإنكم	لتسأل عنها يوم يجمعكم جمعا
فإن شهد الدين العزيز بعزكم	تكن مع دين الله في عزة شفعا
وإن قال دين الله كنت بملكه	ذليلا وأهلي في ميادينه صرعى
فما حجة السلطان إن كان قوله	كما قلت، فليسكب الدمعا
فإني لكم والله أنصح ناصح	أنود الردى عنكم وأمنعه منعا ¹

وقد ذكر المؤرخ ابن شاعر الكتبي صاحب فوات الوفيات أن صاحب الروم وصف ابن عربي بأنه رجل تذعر منه الأسود، وقد منح له دارا تساوي مائة ألف درهم، فسكنها ولما مر به سائل يطلب صدقة لم يجد ابن عربي ما يتصدق به عليه إلا داره التي منحها لذلك المتسول² كما قيل بأن صاحب حمص (واسمه غير مذكور في المصدر) قد جعل له مبلغ مائة درهم في كل يوم، إلا أنه كان يتصدق بها جميعا.³

وعندما كان ابن عربي في حلب سنة (609هـ/1212م)⁴، اتصل بالملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي، الذي كانت له عنده كلمة مسموعة، فكان كلما دفع إليه حاجة من حوائج الناس قضاها في حينها من غير تردد حيث يذكر محي الدين أنه وفي أحد الأيام رفع إليه مائة وثمانية عشر حاجة فقضاها له كلها في مجلس واحد وكان الملك

¹ - ابن عربي، مصدر سابق، ج4، ص ص(547 - 548).

² - الكتبي، مصدر سابق، ج3، ص436.

³ - ابن عربي، مصدر سابق، ج4، ص560.

⁴ - نفس المصدر، ج4، ص539.

الظاهر أراد من خلال هذه الاستجابة الكبيرة لابن عربي التكفير عن ذنبه الذي اقترفه في حق شهاب الدين السهروردي الذي قتله.¹

وكما يذكر المؤرخ المقرئ صاحب كتاب نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب إجازة² محي الدين بن عربي للملك المظفر الظاهر غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.³

أما عن شيخ الأكراد الصوفي الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر (ت644هـ / 1246م) فقد قال الباحث المعاصر عمر فروخ بأن موته كان نتيجة لتقطن الحكام المسلمين للخطر الكبير الذي كان تمثله شريحة الصوفية في البلاد الإسلامية.

خاصة لما لها من تأثير كبير وقوي على الجماهير العريضة التي يمكن للصوفية استغلالها حتى ففي قلب نظام الحكم لأي حاكم ترغب الصوفية نفسها في إزاحته ومن ذلك كان تشدد موقف حاكم الموصل مع كبير أعيان الصوفية بها لدرجة قتله خوفا من نفوذه الكبير عند العامة و سعة سلطانه عليهم ودرءا لخطره على استقرار منطقتة⁴ وهو شيخ الطائفة العدوية من الأكراد والملقب عندهم "بتاج العارفين" شمس الدين الذي كان له أتباع كثيرون من الأكراد الذين كانوا متعلقين به كثيرا حيث قيل بأن شيخهم هذا حضر

¹ - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، لبنان، 1989م، ج3، ص ص (401-402).

² - الإجازة: هي عبارة عن أخذ العلم عن العلماء بواسطة كتبهم دون السماع والأخذ عنهم بصورة مباشرة وشخصية فالمجاز لا يقرأ عن المجيز بصفة شخصية والإجازة غير السماع فهي تختلف عنه لأن المتعلم يكون بعيدا عن شيخه. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية الهند، ط3، مؤسسة الأعلمي للنشر، بيروت، لبنان، (1406هـ - 1986م)، ج4، ص 459؛ ابن حجر: فتح الباري، مع شرح صحيح البخاري، دون محقق، دون طبعة، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، 1379هـ، ج13، ص 546.

³ - المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص164.

⁴ - عمر فروخ، مرجع سابق، ج3، ص431.

مرة وعظ فتأثر بما كان يسمع من الواعظ الذي أجاد في وعظه لدرجة أنه بكى وقد رأى أبتاعه دموعه فقاموا بقتل الواعظ لإبكائه الشيخ وهو لا يعلم بذلك إلى أن وصله الخبر فيما بعد فأنكر عليهم فعلهم.¹

قد كان بدر الدين لؤلؤ (ت656هـ / 1258م) حاكم الموصل يخاف من الشيخ عدي كثيرا للتعلق الشديد للأكراد به، خاصة وأنهم كانوا يغيرون على بلاده من حين لآخر، فما كان من السلطان بدر الدين إلا أن قام باعتقال الشيخ وحبسه ثم قتله خنقا بقلعة الوصل خشية تمرد الأكراد عليه، لما للشيخ و بما له من تأثير عليهم لو أنه أمرهم بتخريب الموصل أو قلب الحكم على سلطانها لفعلوا مما جعل السلطان يقرر موت الشيخ دون تردد ضمانا لاستقرار أمن بلاده.²

ورغم أن نهاية هذا الشيخ الصوفي كانت نهاية مأسوية على يد السلطان بدر الدين لؤلؤ ورغم أن مصيره كان سيئا إلا أن هناك من الصوفيين من تمتع بجاه عريض وحرمة وافرة لدى الحكام والسلاطين ومن هؤلاء الشيخ مفرج بن موفق بن عبد الله الدماميني الحبشي (ت648هـ/1250م)، الذي لعب دور الوسيط للإفراج عن بني الفقيه نصر الذين قبض عليهم السلطان نجم الدين أيوب عند لقائه القبض على أخيه العادل المستهتر باعتبارهم ممن كانوا أكثر المقربين لأخيه هذا، وهم جماعة كانوا بقوص المصرية وكانت تجمعهم بالصوفية علاقات ودية جدا إليه فقد كانوا يحسنون إليهم، لذلك توجه الشيخ مفرج إلى القاهرة ليستشفع لهم عند السلطان الذي لما سمع بمقدم أرسل إليه يطلب منه المجيء معتذرا منه عن عدم قدرته "السلطان" المسير إليه و لقائه بنفسه بسبب العامة، و لما دخل الشيخ إلى مجلس السلطان تخوف السلطان من أن يكون قد جاء بغرض الشفاعة في أخيه مما جعل ملامح وجهه تتغير غضبا، فلما علم بأن قدوم الشيخ كان

¹ - عمر فروخ ، مرجع سابق، ج3، ص431.

² - الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص(334-335) الذهبي ، (تاريخ الإسلام)، ج23، ص271.

بسبب بني الفقيه نصر فرح السلطان، وأمر بإطلاق سراحهم جميعا، كما أخرج أهل بيته يتبركن بالشيخ الذي دعا لهن¹ وقد تمت مهمته بنجاح لما للصوفية من وجهة عند السلطان الكامل الأيوبي سلطان مصر.

كان للشيخ وبرة اليونيني (ت 654هـ / 1256م)، وهو عيسى بن أحمد بن الياس بن أحمد بن خليل بن محمود بن كرز البعلبكي بعيدا عن مخالطة الأمراء وأرباب الدنيا وأصحاب المراتب العليا والمناصب الكبيرة في الدولة، فقد كان يعاملهم بنفس معاملته للناس العاديين الذين كانوا يقصدونه بالزيارة.²

أما عن علاقة الشيخ الصوفي أبو الحسن الشاذلي³ (ت 656هـ / 1258م)، المغربي الأصل الذي رحل إلى المشرق قاصدا الإسكندرية بعدما كان مستقرا بأرض المغرب ورغم هجرته إلا أن الوزير المغربي ابن البراء التونسي الذي عاش في نفس الفترة التي عاش فيها الشيخ أبو الحسن الشاذلي خلال القرن (7هـ / 13م)، والذي لم يترك الشيخ الشاذلي وشانه فقد ورد فيما كتبه المؤرخ أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي المعروف بالصباغ صاحب كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب أبي الحسن الشاذلي بأن الوزير المغربي قد بعث برسالة مستعجلة إلى نائب الإسكندرية قائلا فيها: "يقدم عليكم مغربي زنديق وقد من ديارنا فاحذروه"⁴ وبناء على ذلك أمر السلطان المصري محمد الكامل الأيوبي باعتقال أبي الحسن الشاذلي في القلعة حيث عقد له

¹ - سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري المعروف بابن الملقن: طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريعة، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، مصر، القاهرة، (1393هـ - 1973م)، ص ص (474 - 472).

² - اليونيني، مصدر سابق، ج1، ص25.

³ - أبو الحسن، الشاذلي وهو شيخ الطائفة الصوفية المعروفة بالشاذلية، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الحميد المغربي الزاهد الذي سكن منطقة الإسكندرية بمصر والتي اتبعه فيها جماعة سلكت نفس طريقته في التصوف، توفي (656هـ - 1258م). السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص 381، وكل كتب التراجم تتحدث عنه.

⁴ - ابن الصباغ: درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب أبي الحسن الشاذلي، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، رقم 2264، ص6.

مجلسا حضره العلماء والفقهاء الذين وقفوا على سعة علمه واطلاعه حينئذ أدرك السلطان من أنها مكيدة من الوزير لا غير، فما كان منه إلا اعتذر من الشيخ وأكرمه فقدم له هبات وأعطيات، حيث خصص له برجاً من أبراج الإسكندرية وقفاً عليه وعلى أولاده من بعده.¹

وسبب الخلاف بين الشيخ وقاضي القضاة الفقيه أبو القاسم بن البراء بتونس أنه سمع ما كان من اجتماع الفقهاء والعلماء والعامّة حول الشيخ مما أغضب الفقيه أبو القاسم بن البراء والذي ما إن سمع بأمره حتى قال للسلطان "إن ها هنا رجلاً من أهل شاذلة سراق الحمير يدعي الشرف وقد اجتمع عليه خلق كثير ويشوش عليك في بلادك"² وبعد انتهاء الشدة التي مرت بالشيخ في تونس قرر السفر إلى المشرق رفقة أصحابه من الفقهاء حيث قصد الإسكندرية التي سمع به أهلها قبل وصوله ليها فأقبلوا عليه غير أن البراء لم يتركه وشانه بل أنه قد بعث برسالة إلى السلطان الكامل سلطان مصر الأيوبي بمصر يقول له: "إن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم".³

فأمر السلطان باعتقال الشيخ في الإسكندرية التي بقي بها أياماً ثم اتجه إلى القاهرة وطلب الإذن للدخول عند السلطان الذي قال كيف يكون له ذلك ونحن أمرنا باعتقاله في الإسكندرية فدخل على السلطان وهو في مجتمع مع كبار دولته من القضاة والأمراء والجند فجلس الشيخ وأصحابه وكان مقدم الشيخ بغرض الشفاعة لإحدى القبائل لجأت إليه فأجابه السلطان يقول له اشفع لنفسك مخبراً إياه لما كان من أمر ابن البراء فأجابه الشيخ بقوله: "أنا وأنت والقبائل وابن البراء في قبضة الله".⁴

¹ - ابن الصباغ، مصدر سابق، ص 6.

² - نفسه.

³ - نفس المصدر، ص 10.

⁴ - نفس المصدر، ص 11.

وغادر الشيخ المجلس وقد اقنع كل الحاضرين بأنه ولي من أولياء الله الصالحين فاعتذروا منه وأقاموا عنده في القلعة أياما ولما استقر الشيخ أخيرا بالإسكندرية منحه السلطان برجا من أبراجها وقفا عليه وعلى ذريته من بعده ويتكون البرج من عدة طوابق في الطابق السفلي منه توجد مرابط للبهائم والحيوانات وفي الطابق الأوسط منه توجد مساكن للفقراء وجامع كبير أما في أعلاه فمسكن الشيخ و عائلته¹. ن ستنج أن السلطان في البداية تشدد مع الشيخ لاعتقاده بأنه ممن يثيرون النزاع والنفاق والفتن بسبب وشاية ابن البراء ثم تغيرت معاملة السلطان له فقد احترمه واجله عندما عرف بأنه ولي من الأولياء.

وقد تمتع الشيخ الصوفي "الصدر البكري" أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك بن محمد التميمي النيسابوري الدمشقي (ت 656هـ/1258م)، بقدر جليل و مكانة مرموقة عند السلطان الملك المعظم عيسى حاكم دمشق الذي ولاه مشيخة الشيوخ بها، كما سلم له أمور الخطابة في بعض المساجد وبقي على تلك الرفعة من المكانة عند السلطان إلى أن توفي بمصر².

أما الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي الشامي(ت 658هـ/1260م) الذي بعث إليه الملك الكامل بمبلغ خمسة عشر ألف درهم، فلم يتقبلها منه، طالبا منه إنفاقها على الجند لأنهم أحق بها لما يقومون به من نود على الأمة³.

أما عن الشيخ العز بن عبد السلام (ت660هـ/ 1262م)، فقد اصطدم كثيرا بالحكام خلال فترة حياته لاشتغاله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى للملوك والسلطين، فقد تواجد الشيخ بدمشق خلال فترة حكم الملك الصالح إسماعيل الذي قام

¹ - ابن الصباغ، مصدر سابق، ص13.

² - الذهبي، (العير)، ج5، ص(279- 282)؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، دون محقق، ط18، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د. ت، ج4، ص1440.

³ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص(486- 487).

بالتحالف مع الصليبيين سنة (63هـ / 1240م)، حتى يساعده على خصمه السياسي نجم الدين أيوب حاكم مصر فتنازل للإفرنج مقابل هذا الاتفاق عن عدد من القلاع والحصون منها مدينة صيدا وقلعة الشقيف¹ كما سمح لهم بدخول دمشق وشراء الأسلحة منها، مما أغضب الشيخ غضبا شديدا وأفتى بتحريم بيع السلام للإفرنج كما عرض بالسلطان على المنابر وتخلي عن الدعاء له والخطبة باسمه فيها مما أثار غضب السلطان الذي أرسل كتابا بعزله واعتقاله رفقة الشيخ الفقيه ابن الحاجب² لإنكاره اتفاق السلطان مع الصليبيين³.

وقد أجبر الشيخ على لزوم بيته و منع من الاجتماع بالعامّة ومن الفتوى فقد أصبح الشيخ الصوفي العز خصما سياسيا خطيرا يهدد استقرار إمارة السلطان الصالح إسماعيل فبإمكان الشيخ أن يجعل العامّة يثورون على السلطان فيسقطون حكمه⁴، ليغادر الشيخ دمشق مرغما ولما استقر ببيت المقدس الشريف راسله السلطان الصالح إسماعيل قائلا

¹ - قلعة الشقيف : كانت تابعة لحكام دمشق الملك الصالح أبو الحشيش إسماعيل والذي قام بتسليمها للصليبيين الإفرنج سنة (638هـ - 1241م)، مما جعل إنكار الشيخ العز بن عبد السلام شديدا على السلطان. ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج13، ص115.

² - ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمر جمال الدين، اشتغل في صغره بحفظ القرآن الكريم بمختلف الروايات، وهو فقيه مناظر برز في عدة علوم، انتقل على مصر بعد إنكاره على الملك الصالح إسماعيل لتسليمه قلعة الشقيف للإفرنج رفقة الشيخ و كان في موقفه ذلك وافقا لنفس موقف الشيخ العز بن عبد السلام وقد سكن الإسكندرية توفي بها سنة (646هـ - 1248م). الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1404 هـ)، ج2، ص 648.

³ - تجاننت مراد: العز بن عبد السلام (577هـ - 660هـ)، (1181م - 1262م)، كلية العلوم الإنسانية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1409هـ - 1987م)، ص14.

⁴ - السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناجي، ط2، دار هجر للنشر، المهندسين، مصر، (1413هـ - 1992م)، ج8، ص243.

له: " بينك و بين أن تعود إلى مناصبك ما كنت عليه وزيادة أن تتكسر للسلطان و تقبل يده لا غير"¹.

فكان رد الشيخ جريئاً جداً ودليلاً على قوة شخصيته و ثقته الكبيرة في الله قائلاً: "والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً على أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به"² وجاء رد السلطان باعتقاله الشيخ في خيمة إلى جانب خيمته حيث لم يطلق سراحه إلى غاية قدوم الجيش المصري³.

وعندما تواجد الشيخ بالديار المصرية كانت له كذلك مواقف جريئة مع حكامها، فمن مواقفه مع الحكام بمصر إفتاؤه ببيع أمراء الدولة المملوكية الذي لم يتبين لديه حريتهم من الناحية الشرعية ففضى بكونهم تابعين مال المسلمين وكان من بينهم "تائب السلطنة"، وكان لزاماً أن ينادي عليهم حتى يتم عتقهم بطريقة شرعية، فلما علم السلطان بذلك لم يرقه الأمر وأنكر على الشيخ ما قام به و رغم ذلك بقي الشيخ متمسكاً برأيه و عزم على مغادرة القاهرة، فلحقه الكثير من أهلها و رغم تمسك الأهالي به و طلبهم منه البقاء إلا أنه أصر على الرحيل ولم يغير موقفه هذا حتى حضر إليه السلطان بنفسه مستسماً ممتثلاً لما أقره بشأن الأمراء الأتراك بأثمان باهضة ورد ثمنهم للفقراء⁴.

و كل هذا لتخوف السلطان من ثورة الرعية واضطراب أوضاع المملكة وتوجه الرجال إلى الشام فيصبحوا من المساندين لخصومه السياسيين خاصة الملك الصالح إسماعيل،

¹ - السبكي، مصدر سابق، ج 8، ص 243.

² - نفس المصدر، ج 8، ص 244.

³ - نفس المصدر، ج 8، ص 244.

⁴ - نفس المصدر، ج 8، ص 216.

وهذا دلالة على المكانة الجليلة للرجل و قيمته العالية وشدة تأثيره على العامة و مكانته في حسابات رجال السياسة¹.

وعنه قال الباحث المعاصر علي الطنطاوي: " شيخ كان يهابه الملوك و يطيعه الشعب و يذل امامه الجبارون"².

كما انه لم يكن يخشى السلاطين فقد حكي بأنه وفي احد أيام العيد خرج السلطان نجم الدين أيوب وسط عساكره وفي أبهة ملكه على عادة الملوك الأيوبيين، فجاء إليه الشيخ مخاطبا إياه باسمه: " يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيح الخمر؟ فرد عليه السلطان بقوله: وهل حدث هذا؟ فقال له العز: "نعم الحانة الفلانية تباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، فأمر السلطان من تلك الساعة بإزالتها، وقد اهتم الشيخ بأمر إزالتها اهتماما كبيرا³.

جمعت "الشيخ العز بن عبد السلام" علاقة مميزة بالسلطان المظفر قطر الدين الذي قدره وأجله إلا أن العز لم يكن من المنضوين تحت لواء السلاطين لاهتمامه الكبير بشؤون مجتمعه، لذلك لما عزم السلطان المظفر على أخذ الموال من التجار والعامة بمصر بهدف تجهيز الجيش و تسليحه من أجل التصدي للغزو المغولي استشار الشيخ في هذا الشأن، فأخبره الشيخ بأن عليه أن يحضر ما عنده ومع عند كل الأمراء من ذهب وحلي ويجعلها نقودا، وهذا قبل أن يفكر في أخذ الأموال من عند العامة فإن لم تكف أموالهم جاز لهم عند ذلك الأخذ من العامة أما قبل ذلك فلا يحل لهم أخذ الأموال

¹ - تجنانت مراد، مرجع سابق، ص24.

² - علي الطنطاوي: رجال من التاريخ، مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر، دون طبعة، د. ت ، ص223.

³ - السبكي، مصدر سابق، ج8، ص211.

من الناس مطلقاً¹، كما أن جليل قدره أن السلطان الظاهر بيبرس لم يبايع أحداً من الخلفاء العباسيين المستنصر² والحاكم إلا بعد مبايعة الشيخ لهما³.

لقد كان العز محبوباً عند العامة كما أنه تمتع بشخصية قوية، بحيث لم يكن في صالح الحكام معاداته رغم احتجاجه على مواقفهم في أحيان كثيرة حتى أن الظاهر بيبرس عندما مرت جنازة الشيخ أمام قلعته قال لأحد خدامه: "لم يستقر ملكي إلا الساعة لأنه لو أمر الناس بما أراد لبادروا إلي امتثال أمره⁴ .

كما أنه لما حضر بيعة السلطان الظاهر بيبرس قال له: يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقداري وما أعلم هل عتقك أم لا. و لم يبايعه أحد حتى جاء من شهد له بالخروج عن الرق من البندقداري حيث شهد بعنق الملك الصالح نجم الدين أيوب له⁵ ، ولما مرض الشيخ ممرض الموت زاره السلطان بيبرس وطلب منه أن يعين مكانه أحد أبنائه فرفض لأن ليس فيهم من هو أهل لمكانه⁶.

كما أنه حضر جنازة الشيخ و شيعه إلى مثواه الأخير⁷ يوم الأحد 10 جمادى الأولى الأولى سنة (660هـ/1262م) حيث دفن بالقرافة بالقاهرة وقد صلى عليه الملك الظاهر بيبرس كما أمر بالصلاة عليه صلاة الغائب في مختلف الأمصار كدمشق التي صلى

¹ -السبكي، مصدر سابق، ج8، ص215.

² - المستنصر بالله: أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد الذي بويج من خليفة على المسلمين من قبل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس حاكم مصر الذي طلب منه العودة إلى بغداد إلا أنه قتل في طريقه إليها (660هـ-1262م). السيوطي، مصدر سابق، دون محقق، ص ص(381-382).

³ - الداودي، طبقات المفسرين، مراجعة لجنة العلماء للنشر، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د. ت ، ج1، ص322.

⁴ - ابن العماد الحنبلي، (الشذرات)، ج3، ص350.

⁵ - الداودي، مصدر سابق، ص 322.

⁶ - نفسه.

⁷ - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص352.

عليه يوم 15 جمادى الثاني (660هـ/1262م) وفي جميع الديار المصرية والبلاد الشامية وبلاد الفرات والمدينة ومكة واليمن¹.

أما عن الشيخ الصوفي عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سيعين (. ت 668هـ/1270م) الصوفي الفيلسوف فقد تحدث عن مكانته عند الحكام فقال بأن الملك الظاهر بيبرس كان يريد أن يقربه منه، وهو نفس الشأن بالنسبة لحاكم اليمن إلا أن وزيره حشوي كان يكره ابن سيعين مما حال دون تقربه من السلطان، كما قيل بأن ابن سيعين قد قام بمداواة صاحب مكة من مرض كان يعاني منه فشفي ومن ذلك الحين صار له مكانة مميزة عنده².

كان الشيخ الصوفي محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحرامي الحوراني الدمشقي (ت 676هـ/1278م) الملقب بشيخ الإسلام وعلم الأولياء، كان ممن لا يهابون السلاطين والملوك خاصة الظالمون منهم، حيث كان يبعث إليهم ب رسائل ينكر فيها عليهم ما قاموا به من سوء أفعال داعيا إياهم إلى الطريق المستقيم، فقد بعث إلى الملك الظاهر أكثر من مرة برسائل يأمره فيها بالمعروف و ينهاه عن المنكر، حتى قيل بأن الملك الظاهر كان يفرح منه لذلك وقد ظل الشيخ على سيرته إلى غاية وفاته³.

وكان الشيخ أبو الحسن علي البكاء ((570هـ/670هـ) (1174م/1272م) علا علاقة طيبة مع السلطان المنصور قلاوون الذي كان يثني على الشيخ ويذكر بأنه اجتمع الشيخ وكاشفه بأمر⁴.

¹ - قطب الدين اليونيني، مصدر سابق، ج1، ص505.

² - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص(253-255).

³ - الذهبي، (تذكرة الحفاظ)، ط20، ج4، ص1473.

⁴ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص (461-462).

وكان الشيخ الصوفي خضر العدوي (ت 676هـ / 1278م) خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي، الملقب "بشيخ الملك الظهر ببيرس" على علاقة جد طيبة مع السلطان الظاهر ببيرس البندقداري، فقد عرف بشدة تأثيره على السلطان الذي كان يعتقد فيه جم الاعتقاد، إلا أن هذا الوضع لم يستمر بين السلطان و شيخه، فقد تغير السلطان في معاملته له فبعدما كان شديد الانقياد له والخضوع لإرادته حيث انه لم يكن يتوجه إلى فتح من الفتوحات إلا بإذن من الشيخ و لا يخطو أي خطوة إلا بعد استشارة شيخه الذي كان يخبر السلطان بالفتوحات التي ينتصر فيها مما جعله يقربه إليه و ينزل لزيارته عدة مرات في الشهر ويصطحبه معه في أسفاره¹.

وقد أقام السلطان لشيخه مجلسا لتهم فيه بانحلال الأخلاق مما جعل السلطان يقرر موته، إلا أن الشيخ أخبر السلطان بأن وفاته قريبة جدا من وفاة الشيخ نفسه وان بين موتها وقت قصير جدا، مما جعل السلطان يرتعب و يتراجع عن قتله مكتفيا بحبسه سنة (671هـ / 1273م) إلى أن توفي سنة (676هـ / 1278م) حيث دفن بزاوليته في الحسينية بمصر².

أما بشأن الشيخ البدوي (ت 678هـ / 1280م)، بالحكام في مصر فقد أورد الشعراني (ت 974هـ / 1573م) في كتابه الطبقات الكبرى حكاية مفادها أن الملك الظاهر ببيرس قد ذهب لاستقبال البدوي عند عودته من العراق إلى مصر برفقة حاشيته³ إلا أن هذه القصة عن استقبال ببيرس للبدوي ليست صحيحة باعتبار أن الملك الظاهر لم يكن قد تولى زمام الحكم في مصر بعد، إلا أن الظاهر كان معاصرا للشيخ البدوي حيث أنه تولى مقاليد الحكم سنة (658هـ / 1260م)، في حين أن البدوي قد عاش في الفترة ما بين (635هـ / 675هـ)، والأمر الجدير بالذكر هنا هو أن الملك الظاهر ببيرس كان من

¹ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص(431- 432)؛ اليافعي، مصدر سابق، ج2، ص212.

² - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 332؛ الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص(404- 406).

³ - الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص184.

المعتقدين في الأولياء و كرامتهم، ولأجل ذلك كان من المهتمين بزيارة الأحياء من الأولياء الصوفيين والوقوف على قبور الأموات منهم¹.

وقد وردت بعض الشكوك في شان ميول البدوي للتشيع من خلال وصف بعض الكتب له بكونه داعية للفاطميين الشيعة، وقدم إلى مصر مستترا بالتصوف في حين أن أغراضه الحقيقية ع لوية لم يكن يعلن عنها و لم يتمكن أحد من الكشف عنها².

والمؤرخ أحمد أمين يصف البدوي في كتابه الضحى بقوله أن البدوي كان ذكيا بالقدر الكافي الذي لا يتركه للتورط في مأزق خطير كهذا وهو الذي دخل مصر وافدا غريبا وهو يعلم تمام العلم بأن الأيوبيين حكاما للبلاد المصرية ستساور الشكوك والريبة نفوسهم في أي غريبة تظهر لهم، خاصة وأنهم حريصون كل الحرص على أن لا للدولة الفاطمية التي قضى عليها أسلافهم أية قائمة بالمنطقة، فماذا يكون موقفهم من هذا البدوي الذي يرتبط أصوله بالمغرب الموطن الأول للفاطميين، والذي قدم على مصر التي عمل فيها على جمع الأتباع حوله، كما أن الإسكندرية التي استوطن بها تعد من الثغور المهمة، لذلك كانت تحت الرقابة الدائمة للحكام خوفا من أية غارات صليبية محتملة، علاوة على ترصدهم لكل حركة غير عادية بها من دسائس ومؤامرات لقلب نظام الحكم البدوي، والشيخ أحمد البدوي كان يدرك هذا جيدا، لذلك كان يؤثر السلامة في دعوته بواسطة الهدى والإرشاد ترسيخا للعقيدة الصحيحة في نفوس الناس³.

وقد أكد الباحث المعاصر عبد الحليم محمود في كتابه سلسلة الفقهاء والمحدثين بأن الحقيقة هي أن السيد البدوي لم تكن لديه أهدافا سياسية في مصر، لأنه رجل سخر نفسه لخدمة المولى جل وع لا ، لذلك فهو قد التزم بمجاهدة نفسه والزهد في الدنيا وتقوى

¹ - عامر النجار، مرجع سابق، ص164.

² - نفس المصدر، ص 156.

³ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1355هـ - 1936م)، ج3، ص

الله وعبادته وهداية الناس على ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة ملتزما في ذلك بالكتاب والسنة وهو مبدأ سار عليه السيد البدوي طيلة فترة حياته¹.

أما عن الصوفي المشهور بلقب العفيف التلمساني (ت 690هـ / 1291م) بدمشق وهو أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العابدي الكرمي التلمساني فقد كان مسؤولا عن خزانة الأموال بدمشق وقيل بأنه في أحد الأيام حضر عنده السعد بن السديد الماعز و برفقته الملك المنصور قلاوون وطلب منه أوراقا لمصروف الخزانة، فلم يكثرث الشيخ بطلبه و لم يعد له لأوراق المطلوبة مما أثار الأسعد فأهان الشيخ الذي غضب بدوره وقام بسبه قائلا له: "يا كلب يا ابن الكلب يا خنزير" فأراد هذا الأخير أن يخبر السلطان عنه فحذره جمع من الناس من أين يخبر السلطان ل ما يتمتع به الشيخ من مكانة مرموقة لدى السلطان، حتى أنه بإمكان الشيخ إيذاء المشتكي بسهولة لعظم جاهه عند الحاكم، فما كان من الرجل إلا التراجع عن موقفه والانسحاب من المكان².

أما المؤرخ ابن الملقن صاحب كتاب الطبقات فقد أورد بأن الشيخ الصوفي أحمد بن سليمان البطائحي الرفاعي (ت 691هـ / 1292م)، كان لا يكثرث بالحكام والسلطين والأمراء من أرباب الدنيا، حتى قيل أن كبار أمراء الدولة المنصورية كانوا يزورونه فلا يعيرهم أي أهمية حيث لم يكن يقوم اليهم من أمثال الأمير حسام طرنطاي³ وبدر الدين بيدرا⁴ بل أنهم كانوا يمرون عليه ورجله ممدودة فلا يرفعها لكثرة عدم اكرثائه بهم

¹ - محمود عبد الحليم محمود: سلسلة الفقهاء والمحدثين، السيد أحمد البدوي، ط4، دار المعارف للنشر، بيروت، لبنان، (1993)، ص ص (24-25).

² - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص ص (72-73).

³ - حسام الدين طرنطاي: أحد الأمراء الكبار المعروفين في الدولة المملوكية، فقد كان أميرا في دولة الملك المنصور قلاوون المتوفى (689هـ - 1290م)، كما أنه شارك في وقعة حمص التي انتصر فيها المسلمون على التتار سنة (680هـ - 1281). ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 295.

⁴ - بدر الدين بيدرا: وهو نائب مصر والأقاليم التابعة لها في دولة المماليك الجراكسة نيابة عن السلطان الملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون، والذي كان متربعا على عرش السلطنة سنة (690هـ - 1291م) كما أنه

وبالتقرب للحكام والملوك مهما علا قدرهم و جل ومهما بلغت مكانتهم في الحكم والسياسة¹.

من خلال ما سبق نستنتج أن الحركة الصوفية تراوحت ما بين القوة والضعف وفقا لمناصرة الحكام لأتباعها أو ازدرأؤهم لها وسعيهم للتقليل من شأنها بإضعافها ومحاربتها، فالحكام في فترات تشجيعهم لها كانوا يتعهدون أتباعها بالرعاية والحماية بظل سلطانه من اما في فترات ازدرائها فكانوا يضيقون الخناق على أتباعها ويحصرن نشاطهم².

والحكام الأيوبيين كانوا منتمين للاتجاه السني لذلك لم يتخذوا موقف المعارضة ضد الحركة الصوفية وأتباعها، لأن معارضتهم في الأساس ارتكزت لصفة خاصة ضد التوجه الشيعي، ومن أجل ذلك فإن معظم الأمراء والسلطين الأيوبيين شجعوا الصوفية وتقربوا من زعمائها البارزين خلال تلك الفترة من الزمن³.

كما أن القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي شهد موجة واسعة من التصوف، ظهرت ملامحه جلية واضحة من خلال انتظام مجموعة كبيرة من طوائف الحركة الصوفية حتى أصبح التصوف عاكسا لصورة الإسلام حيث كسب إلى جانبه عددا كبيرا من الأتباع، وقد تميز هذا القرن بالتشجيع الكبير لحكام الدولة المملوكية للصوفية و دعم أتباعها خاصة وأنها استعملتها لإطباق سيطرتها على المنطقة⁴.

عمل كئائب لأبيه الملك المنصور قلاوون المتوفى سنة (689هـ-1290م). ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 319؛ القلقشندي: الصبح الأعشى في صناعة الانشاء، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الفكر للنشر، دمشق، سوريا، د. ت ، ج13، ص173.

¹ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص 417.

² - عاطف سميح الزين، مرجع سابق، ص 538.

³ - محمود عبد الرشيد: التنظيمات الصوفية وتنمية المجتمع، دراسة من منظور علم الاجتماع الدين، د. ط ، دار المعرفة للنشر، مصر، القاهرة، 2006م، ص 196.

⁴ - شاکر مصطفىمنرجع سابق، ج2، صص(1036-1037).

وقد لاحظنا تخوف بعض الحكام من بعض الشعوب الإسلامية وحياتها مما جعلها تتمتع بنفوذ سياسي واسع ومن ثم كان سعي السلطة الحاكمة للتقرب من أقطاب الحركة الصوفية و زعمائها من جهة، كما عملت السيطرة عليهم من جهة أخرى¹.

جدول علاقة شيوخ الصوفية بالحكام خلال القرن السادس الهجري

العلاقة مع السلطة	الشيخ الصوفي
المخالطة ثم العزلة	أبو حامد الغزالي
العزلة	أبو علي المغربي
المخالطة	محمد بن المضر بن علي بن مسلمة
المخالطة	إبن الطلاية
المخالطة	أبو حسن الغزنوي
المخالطة	إبن الحوراني
العزلة	حمزة ابن علي ابن طلحة
العزلة	احمد الرفاعي

جدول علاقة شيوخ الصوفية بالحكام خلال القرن السابع الهجري

العلاقة مع السلطة	الشيخ الصوفي
المخالطة	عبد الله اليونيني
خدمة السلطان	صدر الدين الجويني
العزلة	علي الحريري
خدمة السلطان	شهاب الدين السهروردي
العزلة	عمر بن الفارض
المخالطة	محي الدين بن عربي

¹ -برمنجهام سبنسر: الفرق الصوفية في الاسلام، ترجمة عبد القادر التبحراوي، ط1، بيروت، لبنان، (1997م)، ص (356-357).

الحسن بن عدي بن مسافر	العداء
وبرة البيونيني	العزلة
أبو الحسن الشاذلي	عداء ثم مخالطة
ال بكرى	مخالطة
أبو بكر بن القوام	العزلة
العز بن عبد السلام	عداء ومخالطة
أبو الحسن علي البكاء	مخالطة
خضر العدوي	مخالطة
أحمد البدوي	العزلة
العفيف التلمساني	مخالطة
أحمد بن سليمان البطائحي	العزلة

دور الحركة الصوفية في الجهاد:

لقد اختلفت المواقف الصوفية خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي في موضوع الجهاد ما بين مشجع للجهاد مشارك فيه وما بين مبتعد عنه.

دور الصوفية في الجهاد :

إن موضوع الجهاد موضوع كبير في حد ذاته ويمكن أن يكون لوحده موضوعا لبحث مستقل ، وهو يحتاج إلى كثير من التفصيل غير أننا سنوضحه فقط بالقدر الذي يخدم الموضوع الأساسي لبحثنا المتواضع الذي بين أيديكم، وقبل الحديث عن هذا الموضوع لابد من تعريف معنى الجهاد في الإسلام .

1 / تعريف الجهاد في سبيل الله :

الجهاد : هو بذل الوسع في حصول محبوب الله (الحق) ودفع ما يكرهه الحق ، وذلك لان الجهاد حقيقة الجهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان .

وهذا تعريف شامل لكل أنواع الجهاد التي يبذلها المسلم بطاعة ربه في نفسه بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه ، واجتهاده في دعوة غيره لتلك الطاعة ، واجتهاده في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله عز وجل¹

2 / حكم الجهاد في سبيل الله :

هو فرض من الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين لقوله تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " صدق الله العظيم².

وقد ورد موضوع الجهاد في آيات القرآن الكريم في أكثر من موضع ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر فقد قال الله تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا "³.

وقال أيضا : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "⁴.

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ "⁵.

- ابن تيمية : فتاوى ابن تيمية، تحقيق عامر الجزار، انور الباز، ط1، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، (1418هـ-
1997م)، ج27، ص(194-198).

² - سورة البقرة : الآية 612

³ - سورة العنكبوت : الآية 69

⁴ - سورة البقرة : الآية 218

⁵ - سورة آل عمران : الآية 142

" لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا "1.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "2.

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "3.

" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ "4.

" وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "5.

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "6.

" الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ "1.

1 - سورة النساء : الآية 95

2 - سورة المائدة : الآية 35

3 - سورة الانفال : الآية 72

4 - سورة الانفال : الآية 74

5 - سورة الانفال : الآية 75

6 - سورة التوبة : الآية 16

" قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ "2.

" إنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون "3.

" لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين "4.

" يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير "5.

" فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تتفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون "6.

" وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله إستأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين "7.

" لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون "8.

1 - سورة التوبة : الآية 20

2 - سورة التوبة : الآية 24

3 - سورة التوبة : الآية 41

4 - سورة التوبة : الآية 44

5 - سورة التوبة : الآية 73

6 - سورة التوبة : الآية 81

7 - سورة التوبة : الآية 86

8 - سورة التوبة : الآية 88

" ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم "1.

" وجاهدوا في الله حق جهاده هو إجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير "2.

" فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا "3.

" ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين "4.

" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين "5.

" ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم "6.

" إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون "7.

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله

1 - سورة النحل : الآية 110

2 - سورة الحج : الآية 78

3 - سورة الفرقان : الآية 52

4 - سورة العنكبوت : الآية 06

5 - سورة العنكبوت : الآية 69

6 - سورة محمد : الآية 31

7 - سورة الحجرات : الآية 15

منكم فقد ضل سواء السبيل "1.

" تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم خير لكم إن كنتم تعلمون
2.

" يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير "3.

آيات القتال:

" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى
بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء بإتباع بالمعروف وآداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من
ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم "4.

" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "5.

" واقتلواهم حيث ثقتهموهم و أخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين "6.

" وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين "7.

" كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون "8.

1 - سورة الممتحنة : الآية 01

2 - سورة الصف : الآية 11

3 - سورة التحريم : الآية 09

4 - سورة البقرة : الآية 178

5 - سورة البقرة : الآية 190

6 - سورة البقرة : الآية 191

7 - سورة البقرة : الآية 193

8 - سورة البقرة : الآية 216

" وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم " ¹.

" ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين " ².

" قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار " ³.

" ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون " ⁴.

ورد أيضا الحديث عن الجهاد في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومما ورد في كتاب الإمام النووي وهو ما كان في صحيح البخاري من الأحاديث النبوية حيث قال الإمام شرف الدين النووي : " وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أن تحصر ، فمن ذلك عن أبي هريرة "ض" قال : " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أي الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله " قيل ثم ماذا ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " قيل ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور " متفق عليه .

وعن أبي مسعود(ض) قال : " قلت : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال : " الصلاة على وقتها " قلت ثم أي ؟ قال : " بر الوالدين " قلت ثم أي ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " متفق عليه .

¹ - سورة البقرة : الآية 244

² - سورة البقرة : الآية 246

³ - سورة آل عمران : الآية 13

⁴ - سورة آل عمران : الآية 157

وعن أبي ذر (ض) أن رسول الله (ص) قال : " لعدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها " متفق عليه .

عن أبي سعيد الخدري (ض) قال : " أتى رجل رسول الله (ص) فقال : " أي الناس أفضل ؟ قال : " مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله " قال : ثم من ؟ قال : " مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره " متفق عليه .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها " متفق عليه .

وعن فضالة بن عبد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر " رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن¹ .

وقد تحدث السادة الفقهاء في موضوع الجهاد، وقد اختلف الفقهاء في حكمه هل هو فرض عين أم فرض كفاية حيث ذهب الأحناف والمالكية والمشهور من قول الإمام الشافعي رحمه الله والحنابلة إلى كون الجهاد فرض كفاية² مستدلين بقوله تعالى " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ

¹ - النووي أبي زكريا يحيى، رياض الصالحين تحقيق شعيب الأرنؤوا ، ط3 ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت ، لبنان 1419 هـ - 1998 م ، ص ص 370 ، 371

² - إدريس محمود إدريس : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ، ط1 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية (1998 ، ص 866 - 868)

وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا¹.

والحقيقة أن هذا الموضوع فيه تفصيل وضحه السادة الفقهاء في المذاهب ، فالجهاد لغة يعني جهد ، جهاد ، أي بلغ المشقة ، أما شرعا فالجهاد هو قتال المسلم للكافر غير ذي العهد إعلاء لكلمة الله ، ومن أسبابه إزالة منكر الكفر ، فإنه من أعظم المنكرات وامتنال أمر الإمام (الحاكم) لمن عينه للجهاد ، وإذا فاجأ العدو قوما تعين في حقهم الجهاد فإن عجزوا فعلى من يقربهم مساعدتهم فإن عجزوا فعلى من يقربهم مساعدتهم فإن عجزوا وجب على من علم بضعفهم مساعدتهم ، كما يجب استنقاذ الأسرى ووفق هذا المذهب المالكي قال الإمام سحنون بن سعيد (ت 240 هـ / 854م) ، أن الإمام مالك (ت 179 هـ / 795م) رحمه الله كان يأمر بالدعوة قبل القتال سواء غزى المسلمون الكفار أو العكس وإن دخلوا بلادنا لا نقاتلهم حتى ندعوهم ، والدعوة في هذا الموضع هي دعوة لله ورسوله أو تأدية الجزية².

ومن فقه الإمام مالك رحمه الله أن " الكفار إن جلست بأرضك " أتوك وإن سرت إليهم قاتلوك فإن هاؤلاء يقاتلون مباشرة دون دعوة (4) ومن أراد أن يتعمق أكثر في أحكام الجهاد في الفقه المالكي فعليه بالعودة للمدونة الكبرى لإمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله.

وفي الفقه دائما وفي نفس الموضوع " الجهاد " قال الإمام الشافعي (ت 204 هـ) رحمه الله في أصل فرض الجهاد ولما مضت لرسول الله مدة من هجرته أنعم الله تعالى فيها على جماعة من أتباعه حدثت لهم بها من عون الله قوة بالعدد لم تكن قبلها ، ففرض

¹ - سورة النساء : الآية 95

² - الإمام مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، تحقيق السيد علي بن السيد عبد الرحمان الهاشم (1422 هـ) ، ج 3 ،

ص 5 ، ص 7

الله تبارك وتعالى عليهم بعد أن كان إباحة لا فرضاً¹ فقال الله تعالى في كتابه العزيز الحكيم " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم "

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله أن الجهاد فرض على الرجال البالغين القادرين الأحرار.

وبالنسبة لموضوع الجهاد عند الصوفية نجد أن عدداً من الكتاب قد نظروا إليه نظرة سلبية ومنهم إدريس محمود إدريس في مؤلفه مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية حيث أشار إلى أن بعض كبار الحركة الصوفية حاولوا إبعاد الناس عن الجهاد في سبيل الله بمختلف الطرق وقال أنهم استعملوا التأويلات التي تتحدث عن موضوع الجهاد بمعاني غريبة بإعطائها تفسيرات خاطئة حيث جعلوا من الجهاد موضوعاً يقتصر على جهاد النفس دون الإشارة إلى ضرورة جهاد الأعداء لأنه حسب رأيه أنه في نظرهم تقل أهميته عن جهاد النفس.

أما بالنسبة لحديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر رواه البيهقي بسند ضعيف، قاله الحافظ العراقي في تحقيق أحاديث الأحياء ، نقله عنه العجلوني في كتابه كشف الخفاء ، وقال الحافظ بن حجر رحمه الله هو كلام إبراهيم بن أبي عبلة وليس بحديث نقله أيضاً العجلوني عن الحافظ في الكشف ، وفي رواية البيهقي قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد القلب ورواه الخطيب البغدادي بلفظ : "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال مجاهدة العبد هوأه ، وقد رويها جميعاً عن جابر ، كذا في كشف الحقائق وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله أن هذا الحديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم² .

¹ - الأمام الشافعي : كتاب الأم مع مختصر المزني ، دار الفكر للطباعة والنشر 1410 هـ - 1990 م

² - ابن باز : مجموع الفتاوى ، ج 26 ، ص 381

وبالنسبة لهذا الحديث حديث رجعنا من الجهاد الأصغر... فحتى وإن اختلف في شأنه شأن قوته من ضعفه فهذا أمر وارد لكن ما هو مهم هو أن يفهم هؤلاء القوم في موضوع الجهاد وفيما قصدوه من حديثهم ولا بد من التعمق في الفهم فالقوم أصحاب قلوب وأهل عمق ولا يمكن أن لا يتناولوا موضوع الجهاد على أهميته لكن لا بد أن نعطيهم بعض الحق فنبحث فيما قالوه حقيقة في الموضوع وهم من أهل الحقيقة وأصحاب الطريقة وأقصد بهذا الكلام الصادقين منهم مع الله المخلصين له حقا ولا أقصد المتشبهين بهم كفى الله الناس شرهم ونفع الله الأمة بالصادقين منهم لقول الشيخ عبد الرحمن السلمي رحمه الله : "فينبغي للعاقل في زماننا هذا أن يعرف شيئا من أصول الصوفية ، وطريقة أهل الصدق منهم ، حتى يميز بين المتشبهين بهم ، والمتلبسين لباسهم ، والمتسمين بسمااتهم ، ولا يكن كأحداهم.... فإن الصوفية أمان الله في أرضه ، شرائط التصوف ، ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد في الدنيا ، والانشغال بالذكر والعبادة والغنى عن الناس والقناعة و الرضى بالقليل¹.

لكن قبل الحديث عن رأيهم في الجهاد لا بد أن نعرف أنه من حقيقة التصوف أن الصوفية الصادقين المخلصين مع الملك يعتبرون القلب دائرة إخلاصهم وإصلاحه شرط أساسي في إصلاح الجوارح وتقويم النفس وعن القلب يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: (ومجاهدة الشيطان باطنه وهي بالقلب والجنان والإيمان ، فإذا جاهدته كان مددك الرحمن، ومعتمدك الملك الديان ، ورجاؤك رؤية وجه الجليل المنان ، وجهاد الكفار جهاد الظاهر بالسيف والرمح : ومددك فيه الملك والأعوان ، ورجاؤك الخلود في دار البقاء ، وإن قتلت في مجاهدة الشيطان ومخالفتك إياه بفناء أجلك ، واخترام منيتك كان جزاؤك رؤية وجه رب العالمين عند اللقاء ، فإذا قتلتك الكافر كنت شهيدا ، وإذا قتلك الشيطان بمتابعتك إياه والانقياد لأمره كنت من قرب الملك الجبار طريدا ، فجهاد الكفار له نهاية

¹ - أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف ، تحقيق يوسف زيدان ، ط1، دار الجبيل للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1419 هـ . 1999 م) ، ص72

وفناء، وجهاد الشيطان والنفس لا غاية له ولا منتهى¹ فالقلب هو محل اهتمام الصوفية، وقد تحدث جل المشايخ عنه حيث قال الإمام الغزالي رحمه الله : (فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة، أعني الأبواب الظاهرة ، والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة ، وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة ، فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها ، لأن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد ، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة ، فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة ، فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين البصيرة ، وطلوع شمس مشرقة ، والعين البصيرة هاهنا هي القلب المصفى بالتقوى ، والشمس المشرقة هي العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص)² وهذا يكفينا لأن حديث الصوفية يطول كثيرا في موضوع القلب لأن صلاحه أساس صلاح الإنسان ، فإذا صلح القلب كان أكثر إمتثالا لأوامر الله عز وجل ونواهيه والجهاد موضوع تكلم عنه الله في كتابه العزيز الحكيم ، فلا يمكن للعارفين بالله تجاوز مثل هذا الأمر وإلا لما كانوا في هذه المرتبة () .

ثم نجد أن الإمام الغزالي ذكر آيات الجهاد وذكر بأهميته ، فقد ذكر قول الله تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون "³ كما نجده يذكر قصة الصحابي الذي أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزلة فلم يأذن له رغم أنه صحابي ومجتهد في الطاعات والعبادات ، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشده إلى الجهاد ، ثم نجده يتساءل على إثر هذا الموقف لهذا الصحابي على جلالته قدره قائلا : فكيف يليق بنا ترى مع قلة طاعتنا ،

¹ - الشيخ عبد القادر ، الغنية لطالبي طريق الحق في الاخلاق والتصوف، فهرسة عبد الكريم العجم، ط1، دار صادر للنشر، لبنان، بيروت، (1416هـ - 1996م)، ص129.

² - أبو حامد الغزالي : مكاشفة القلوب المقرب غلى علام الغيوب ، تحقيق عبد المجيد طعمة حلب ، دار المعرفة للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1419 هـ 1998 م) ، ص 443

³ - سورة الحجرات : الآية 15

وكثرة سيئاتنا ، وتعاطينا ما جهل حله من الأقوات ، وفساد العزائم¹؟ وأكتفي بهذا القدر لأن لهم كلام كثير في هذا الموضوع.

وفي إطار تجريد الصوفية من دورهم في الجهاد في العالم الإسلامي نجد إدريس محمود إدريس يقول بأن الكثير من أقطاب الصوفية ، صرفوا الناس عن القتال في سبيل الله وجهاد أعداء الأمة الإسلامية ، ثم نجده يقول لو نظرنا إلى صوفية زماننا وجدناهم اليد اليمنى للغرب الصليبي الحاقد على العالم الإسلامي ، ثم يواصل حديثه قائلاً : ولو تبعنا المتصوفة تاريخياً سنجد مواقفهم سلبية من جهاد أعداء الأمة الإسلامية وأبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الصوفية هي الغزو التتري والحروب الصليبية، وكان موقف المتصوفة من هذه الحروب كلها هو السكوت فقط².

ولست متعصبة لطائفة وإنما باحثة بموضوعية فأقول أنه لم يتعمق في البحث عن دور مشايخ الصوفية الذين كان لهم دور كبير في حشد الناس للجهاد سواء مع الصليبيين أو مع التتار ، ولست أنا من يدافع عنهم إنما التاريخ هو من حفظ للمشايخ الصادقين دورهم الكبير في الجهاد .

وممن جرد الصوفية من دورها في الجهاد الباحث المعاصر عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي قائلاً بأن الانتشار الواسع للتصوف خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي قد زاد من تراجع الناس عن الجهاد ، خاصة مع استمرار الحروب الصليبية لفترة طويلة من الزمن ، حتى اعتبر أتباع التصوف الفلسفي المتطرف عامل هدم في الإسلام مثله مثل الحركات الهدامة الأخرى ، أو أكثر خطراً منها ، فأتباع هذا النوع من التصوف وقفوا موقفاً متخاذلاً في الدفاع عن الإسلام ومحارمه ، فلم تسجل لهم كلمة في تشجيع الجهاد ، وعلاوة على عدم اكتراثهم بما كان يحدث للأمة من أزمات فقد

¹ - الغزالي ، مصدر سابق ، ص ص (441 . 442)

² - إدريس محمود إدريس ، مرجع سابق ، ص ص (898 . 899)

زادوا الطين بلة بتناولهم للحشيش¹ وهذا يقتصر على طائفة منهم وليس كلهم لأن التعميم في هذا المقام فيه ظلم لهم .

ويقول الباحث إدريس محمود إدريس بأنه يمكن أن نتلمس عدم انشغال الصوفية بأوضاع البلاد الإسلامية وحمايتها من الغزو الخارجي من خلال عدم اهتمامهم بالتاريخ والتدوين للحروب التي دارت بين المسلمين وأعدائهم ، كالحروب الصليبية والغزو التتاري للمشرق الإسلامي ، وهي أحداث جسام عايشها كبار أتباع الحركة الصوفية في التأليف . ورغم ذلك لم ينظروا إليها في كتاباتهم على كثرتها ولو بمجرد التلميح لهذه الأحداث الرهيبة التي عانى منها المسلمون وعاصرها هؤلاء المتصوفة² ، ربما هذا لأن الصوفية الصادقين منهم خاصة يهتمون بالأفعال وليس بالأقوال ، وربما لأنهم تركوا التاريخ لأهل التاريخ والله أعلم .

وقال المؤلف عبد الرحمن الوكيل بأنهم تجاهلوا كل الأهوال العاصفة التي بدأت تضرب بالأمة الإسلامية من كل حذب وصوب ، وبعد أن تجلت هذه الحقائق في العصر الحديث حول الحركة الصوفية ، فلا غرابة بعد ذلك في إغداق الأموال والجاه عليها من قبل المستعمر ، وبهذا الشكل يقضي التصوف على كل محاولة للمقاومة ضد الأعداء³ فهذا الكلام لا يمكن أن نعممه على الكل وإنما هو للبعض منهم.

ورغم هذا التعميم الذي يظهر لنا أنه رسم صورة سوداوية للحركة الصوفية في موضوع الجهاد ، على أهميته حيث يظهر لنا من كلامهم أن الصوفية لم يكن لهم دور

¹ - وعننا قال الإمام ابن الجوزي : (وقد أبدوا إزالة العقل بالخمير بشيء سموه الحشيش والمعجون ، والغناء المحرم

سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة) ابن الجوزي : تلبيس

إبليس ، تحقيق السد الجميلي ، دار الكتاب العربي للنشر ، بيروت . لبنان ، (2005 م) ، ص 322

² - إدريس محمود إدريس ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 902

³ - عبد الرحمن الوكيل ، مرجع سابق ، ص 172

في الجهاد ، وهذا راجع إما لنمط تفكيرهم أو لعدم تعمقهم في البحث عن دور المشايخ الصادقين في قتال أعداء الأمة.

فقد ظهرت شخصيات بارزة صادقة في مجال التصوف ، وقد كان لهم اليد البيضاء والدور الفعال في الجهاد ضد أعداء الأمة ، حيث ظهرت طائفة من الصوفية الذين أعلوا كلمة الجهاد ودعوا إليه كلما اقتضت الضرورة في هذا المجال يقول الإمام النووي رحمه الله بأن جهاد الأعداء كله فضيلة وطاعة لله عز وجل ، وفيه ثواب كبير عند الله جل وعلا ، والجهاد في سبيل الله سبيل الجنة ، وقد أفرد الإمام شرحا وافيا عن ضرورة الجهاد وما يستحل فيه من غنائم وما يحكمه من ضوابط شرعية من نهي عن قتل الأطفال والنساء عمدا وغيره من الضوابط الأخرى التي أطال الشيخ في شرحها من خلال كتابه شرح صحيح مسلم¹ ، أما بالنسبة للشيخ العز بن عبد السلام فسيظهر دوره في الجهاد من خلال مشاركته الفعالة فيه .

يعتبر الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته وكبح جماح الكافرين والملحدين من الفرائض التي فرضها الله على الأمة الإسلامية وذلك حتى يكون الطريق ممهدا لنشر الدعوة الإسلامية وحتى يعطي الكفرة الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أمر الله بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة من كتابه² ومنها قوله تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير"³ .

¹ - النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتاب العربي للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1407 هـ . 1987 م) ، ج12 ، ص 46

² - أحمد بن الحسن البهقي ، الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ن تحقيق أحمد عصام الكاتب ، ط1، دار الآفاق الجديدة للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1401 هـ) ، ج1 ، ص 249 ، الكلاباذي : التعرف لمذهب اهل التصوف ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ن لبنان ، ج1 ص 56 ، ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج1 ، ص 698 ، إدريس محمود إدريس أبو عبد العزيز ، مرجع سابق ، ج2 ، ص (861 . 862) .

³ - سورة التحريم : الآية 09

وقوله أيضا : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين " ¹

وقوله أيضا : " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " ² .

فالآيات المتقدمة كلها تدل على مكانة الجهاد العظيمة في الإسلام وأنه من الأشياء التي أمر الله بها المؤمنين لأنه بالجهاد يتم فتح الطرق أمام الدعاة إلى الله لنشر دعوة الحق في هذه المعمورة لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والوثنية إلى نور الإسلام ولذا فقد كان الجهاد قائما منذ أن فرضه الله تعالى على هذه الأمة حيث كان الخلفاء يجيشون الجيوش ويبعثونها لفتح البلاد التي يسيطر عليها الطغاة وما إن وضعت الأمة سيف الجهاد حتى أصيبت بالذل والهوان فأصبح أعداؤها من الكفرة والملحدين والوثنيين يلعبون بها كيف شاءوا ، فأحوال الأمة الإسلامية اليوم من أسوأ الأحوال تعيش واقعا مريرا لا تحسد عليه لا من قريب ولا من بعيد فعزة هذه الأمة وقوتها في تمسكها بكتابها وسنة نبيها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فإذا عادت إلى سبيل ربها ورفعت راية الجهاد في سبيله كانت السيطرة في هذا الكون لها مصداقا لقوله تعالى : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا " ³ .

وشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله من العلماء الذين ذكروا أهمية الجهاد وفضله وقد دعى الناس إليه وحثهم عليه فقد قال حينما سئل عن أي الأمور أفضل السكن بالمدينة أو مكة أو الرباط في الجهاد فأجاب قائلا : " الحمد لله كل المقام في ثغور المسلمين من

¹ - سورة التوبة : الآية 41

² - سورة التوبة : الآية 29

³ - سورة النور : الآية 55

الثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم وقد نص على ذلك الأئمة لأن الرباط من جنس الجهاد¹.

وعن دور الصوفية في الجهاد قال الباحث المعاصر عمر فروخ: "ولا ريب في أن التصوف المتطرف كان أشد خطراً ولكن يجب أن لا نمزج بين أصحاب الطرق الشكلية في العبادة وبين المرابطين اللذين كانوا مرابطين على أطراف الدولة الإسلامية ليقوموا بأعمال الجهاد في سبيل الإسلام والأمة والوطن، ولئلك اللذين كانوا عباداً في الليل فرساناً في النهار"².

ورغم هذه الظلمة التي ارتسمت على الحركة الصوفية نتيجة لقول بعض الباحثين بتخاذل كثير من أفرادها البارزين في القيام بواجب الجهاد المقدس في الإسلام لحماية الأمة من أعدائها والذود عن محارمها بقتال المعتدين من الصليبيين والتتار الغزاة المحتلين، إلا أن هناك شخصيات هامة في الحركة الصوفية كان لها الدور البارز والكبير في الحروب ضد الصليبيين والتتار من أمثال ذلك الشيخ الصوفي المنتصر للسنة " نجم الدين الكبرى"³ (ت 618 هـ . 1221 م) ، والذي لما دخل الجيش التتاري إلى مدينة خوارزم⁴ سنة (618 هـ . 1221 م) ضاربين عليها حصاراً محكماً ، عمد الشيخ إلى

¹ - ابن تيمية، مصدر سابق، ج28، ص7

² - عمر فروخ، مرجع سابق، ج3، ص40

³ - الشيخ نجم الدين الكبرى: هو أحمد ابن عمر ابن محمد الكبرى الشيخ المحدث المفسر ، الملقب بأبي الجناح الصوفي شيخ خوارزم وإمامها الفقيه الزاهد الشافعي المذهب ، لبس الخرقة الصوفية من يد شيخه أبي الحسن إسماعيل القصري عن أبي النجيب الصهروردي قتل بسيوف التتار سنة (618 هـ-1219م) أحمد بن محمد الأندروي : طبقات المفسرين، تحقيق سليمان ابن صالح الجزبي، ط1، مكتبة العلوم والحكم للنشر ، المدينة المنورة،السعودية،(1997 م)، ج1، ص220، بن العماد ، (شذرات الذهب)، ج5، ص80

⁴ - مدينة خوارزمشاه : مدينة زارها الرحالة الجغرافي ياقوت الحموي سنة (616 هـ . 1219 م) ، وهي مدينة تقع بالقرب من مدينة بلقان وهي يقع شرقي نهر جيحون وكانت تسمى مدينة خوارزم في القديم باسم فيل ثم أطلق عليها اسم المنصورة وتقع شرقي النهر المذكور وتسمى أيضا بالجرجانية وهي مدينة كبيرة وكثيرة الخيرات ، دخلها التتار سنة (618 هـ . 1221 م) وخربوها عن كاملها .ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 141 ، ص 387 ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص 122 ، ص 398 .

جمع أصحابه وكانوا أكثر من ستين شخصا ، وكان السلطان محمد شاه قد فر من المدينة ، حيث أذن الشيخ بالرحيل لمن أراد الرحيل وطلب ممن بقي إلى جانبه محاربة هؤلاء المعتدين والجهاد في سبيل الله وبقي ثابتا في القتال إلى أن قتله التتار في تلك الواقعة ، فلما قتل دفن برياطه¹ .

كما كان للشيخ أبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـ / 1258 م) دور كبير في الحروب الصليبية التي شارك فيها، حيث حكى الشيخ عن نفسه قائلاً : كنت بالمنصورة وكنت قلقا مهموما على المسلمين وأهل الثغر بالإسكندرية خصوصا وكنت أدعو وأتضرع إلى الله في أمر السلطان والمسلمين² وهذا دليل تواجده بالمنصورة أثناء الحملة الصليبية عليها من قبل الإفرنج وتأكيده على قربه من مكان الأحداث ، وفي هذا الشأن قال الباحث المعاصر عبد المنعم قنديل في كتابه أبي الحسن الشاذلي بأن الشيخ في آخر حياته وقد كف بصره ورغم ذلك كان من أوائل الداهيين إلى المنصورة ، فقد كان مجرد تواجده مع جماعة العلماء في الشارع تذكيرا للمجاهد له بالنصر أو الشهادة ، فقد كان هذا الشيخ الصوفي رفقة جماعة من العلماء من تلامذته يتوجهون إلى معسكر المقاتلين حاثين إياهم على الجهاد وقد شهد النصر الجليل الذي أحرزه المسلمون بالمنصورة على جيوش الصليبيين الغزاة³ .

و عرف الشيخ العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (660 هـ - 1262م) ، بدوره الفعال في استنهاض الهمم وإيقاظ العزائم على جهاد العدو وحث العامة والخاصة على البذل والعطاء، حيث خرج الجيش المصري في شهر شعبان سنة (658 هـ - 1260م)

¹ - اليافعي ، مصدر سابق ن ج 2 ، ص 153 .

² - ابن الصباغ ، مصدر سابق ، ص 92

³ - عبد المنعم قنديل: أبو الحسن الشاذلي ، دون طبعة ، دار النهضة للنشر ، مصر ، القاهرة ، د ، ت ، ص ،)

متوجها إلى الشام لقتال التتار وكان سلطانهم يوم ذاك الملك المظفر قطز فوصلوا عين جالوت¹ حيث التقوا الجيش التتاري وكان على رأسهم المظفر قطز و الظاهر بيبرس البندقداري² فهزموا التتار شر هزيمة ، وقد برز دور الشيخ في حثه السلطان على القتال دون مماطلة أو تأخير فكان النصر العظيم للمسلمين كما كانت له مشاركة أيضا في إغارة الإفرنج على دمياط التي قصدوها بمراكبهم وكان الشيخ مرافقا للجيش المصري فكان يحثهم على الثبات في الجهاد على عادته ، حتى أنه قيل بأن الشيخ في هذه الواقعة نادى بأعلى صوته: " يا ريح خذيهم " عدة مرات فغرقت أكثر مراكب الإفرنج وانهزموا³، ومن خلال هذه القصة نستنتج أنها وإن صحت فهي إما أنها كرامة أو أنه دعاء موافق للقدر في حينه، والحقيقة أن الشيخ العز بن عبد السلام عرف بإثارته للحمية في النفوس⁴.

كما ظهر إسهام الشيخ أحمد البدوي⁵ (ت 678 هـ - 1279 م) ، في الجهاد من خلال تكوينه لرجال مجاهدين في سبيل الله، كان يرسل الرجال المنضوين تحت لوائه إلى

¹ - عين جالوت : منطقة تقع بالقرب من بيت المقدس في فلسطين وقد وقعت فيها المعركة الشهيرة المعروفة بمعركة عين جالوت (658 هـ . 1260 م) وقد شارك فيها كل من السلطان المملوكي المظفر قطز والسلطان الظاهر بيبرس ركن الدين .ابن كثير ، مصدر سابق، ج13 ، ص 222 .

² - السبكي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص (215 . 216) .

³ - السبكي، مصدر سابق، ج8 ، ص 216

⁴ - فاروق عبد المعطي ، العز بن عبد السلام يلبان العلماء ، ط 1 ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1413 هـ . 1993 م) ، ص 106

⁵ - الشيخ أحمد البدوي : هو أبو العباس الشريف تعدت شهرته جميع الأقطار ، ولد في مدينة فاس بالمغرب عندما انتقل إليها أجداده ، ولما بلغ من العمر سبع سنوات انتقلت عائلته إلى مكة المكرمة سنة (603 هـ . 1206 م) ، وقد عرف بكثرة تلثمه واشتهر بذلك حتى بأنه لقب بالبدوي لكثرة تلثمه ، حفظ القرآن الكريم في صغره وكان فارسا شجاعا حتى أنه لقب بالعطاب في مكة لمهارته القتالية ، وقد التزم الصمت والعزلة والتصوف بها ثم سافر إلى العراق وبعدها إلى طنطا المصرية التي استقر بها إلى أن توفي سنة (678 هـ . 1279 م) .الشعراني ، مصدر سابق ، ج1 ، ص (183 . 184)

مختلف الأقاليم والأقطار الإسلامية لحث الناس ودعوتهم إلى كل ما فيه صلاح أمرهم وسلامة أمتهم¹ .

وعن هذا الدور الكبير للشيخ أحمد البدوي في الجهاد قال الباحث المعاصر عبد الحليم محمود في كتابه " السيد أحمد البدوي"، بأنه قد عرف بإسهاماته الكبيرة في الجهاد ، حيث أنشأ رجالاً مجاهدين في سبيل الله وهم الملقبون " بالسطوحية " لأنهم لزموا سطح دار ابن شحيط بطنطا المصرية ، فلما دخل الإفرنج مصر هب أتباع البدوي لتلبية واجب الجهاد المقدس وهم الذين أخذوا العهد عن أحمد البدوي ، وإلى جانب مشاركتهم في القتال فإنهم كانوا يدعون الناس للقتال ويحثونهم عليه ، فكانت معركة شديدة على الفرنسيين² .

ورغم ما قاله بعض الباحثين عن ما كان من دور سلبي وسيئ لبعض أقطاب الحركة الصوفية خلال القرن (7 هـ - 13 م)، الذين لم يستجيبوا لتلبية ونداء واجب الجهاد ضد أعداء الأمة الإسلامية حتى يتجنب المسلمين الذل والانكسار والهوان على أيدي أعدائهم، فإن هناك شخصيات أخرى بارزة كان لها الأثر البالغ في الدفاع عن الأمة الإسلامية وحماية ترابها، بحيث لا يمكن لنا تجاهل ما قاموا به من جهود في الجهاد ضد الصليبيين والتتار، فقد كان لبعض الصوفية مشاركة فعالة في الحياة السياسية وتأثير واضح في بعض أحداثها ومجرياتها خلال القرن (6 هـ - 7 هـ)، (12 م - 13 م)، كما كان لبعضهم الآخر دور بارز في حركة الجهاد وهذا الحضور الكبير للصوفية جعل طائفة منهم تختص بأراء عقائدية خاصة ساهمت بشكل مباشر في تطوير مذهب التصوف في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي .

لقد اهتم مشايخ الصوفية اهتماما كبيرا بتربية المريدين و تسليكهم خلال القرنين (6 هـ و 7هـ)، (12م، 13م).

¹ - المناوي : الكواكب الذرية في تراجم السادة الصوفية ، الحامة ، الجزائر ، رقم 1739 ، ص 88 .

² - عبد الحليم محمود ، مرجع سابق ، ص ص (224 . 225) .

الفصل الرابع: نشاط الصوفية في الحياة الاجتماعية

(13م/12م) (7هـ/6هـ)

المبحث الأول: دور الصوفية في تربية المريدين

المبحث الثاني: دور الصوفية في نشر الوعي الديني

المبحث الثالث: دور الصوفية في الوعظ والإرشاد

المبحث الرابع: دور الصوفية خدمة للمجتمع (التكافل الاجتماعي)

المبحث الخامس: عقد السماعاء عند الصوفية ونقدها

دور العباد الصوفية في تربية المريدين خلال القرن (6هـ/12م):

لقد عرف الشيخ أبو الوفاء الشيرازي (ت 528هـ- 1133م) بتسليك المريدين¹ وممن اشتهر بتربية المريدين و تسليكهم الشيخ الصوفي الزاهد الشيخ المعروف حماد الدباس الرحبي، (شيخ الشيخ عبد القادر)، نشأ ببغداد وكان من الأولياء أولى الكرامات، صحبه خلق فأرشدهم إلى الله تعالى ، وظهرت بركته عليهم و قد كتبوا من كلامه الكثير² وممن اهتم بتربية المريدين الشيخ أبو بكر العامري الملقب بابن الخبازة (ت 530هـ- 1135 م).

كان واعظا يتكلم على طريقة الصوفية من غير تكلف الوعاظ، وكان نعم المؤدب يأمر بالإخلاص وحسن القصد، وقد اجتمع في رباطه جماعة من الزاهدين فكان يريهم على الأخلاق الطيبة وحسن الأدب مع الله جل وعلا وعلى الخلق، فلما حضرته الوفاة قال له أصحابه أوصنا فقال: أوصيكم بتقوى الله ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، و قد عشت واحد ستون سنة وما كأني رأيت الدنيا. ثم قال لبعض أصحابه: أنظر هل ترى جبينى يعرق؟ فقال نعم، قال الحمد لله هذه علامة المؤمن، ثم بسط يده وقال:

ها قد بسطت يدي إليك فردها بالفضل لا بشماتة الأعداء³

كما كان الشيخ الصوفي أبو يعقوب الهمذاني (ت 535هـ- 1140 م) من المهتمين بتربية المريدين، فهو الإمام الورع النقي، الناسك، النقي، العامل بعلمه، القائم بحقه، انتهت إليه تربية المريدين الصادقين ، وقد اجتمع في رباطه جماعة من المنقطعين إلى

¹-الذهبي، (العبر)، ج2، ص 432.

²-الذهبي، (تاريخ الإسلام)، ج11، ص (429- 430).

³- نفس المصدر، ج11، ص ص(510- 511).

الله، ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربط منهم، وكان الشيخ من صغره إلى كبره على طريقة مرضية، وقد أُرشد الأصحاب إلى الطريق المستقيم.¹

دور الصوفية في نشر الوعي الديني خلال القرن (6هـ/12م):

نشر الوعي الديني:

لقد عرف التصوف انتشارا واسعا جدا في المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ و7هـ)، (12م، 13م)، وترسخت أصوله² فقد وجد المناخ الملائم والجو المناسب للانتشار بين مختلف طبقات المجتمع وخاصة الأوساط الشعبية التي وجدت في التصوف أفضل تعبير عن الظروف الصعبة³ خاصة وأن المشرق الإسلامي قد عانى ويلات حروب مدمرة من غزو صليبي ومغولي للمنطقة كما تعرض المشرق الإسلامي أيضا إلى كوارث طبيعية مختلفة من جفاف وفيضانات وما تركته من آثار كالمجاعات التي توفي فيها عدد كبير من السكان.⁴

دور الصوفية في الوعظ:

لقد ظهر جليا الدور الكبير والمهم الذي قام به العباد، الزهاد من الصوفية من أجل إصلاح المجتمع عن طريق إصلاح الأفراد ونصحهم للعودة إلى طريق الجادة وإلى القيم الخلقية الطيبة و تثبيتها في النفوس حتى يعم الخير للجميع في وسط مجتمع متخلق وذلك عن طريق الوعظ وما يحمله من نصح وإرشاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وممن عرف في مجال الوعظ والإرشاد خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص644.

² - عامر النجار، مرجع سابق، ص1، ص496.

³ - بدران محمود عبد الرشيد. الصوفية وتنمية المجتمع، (دراسة من منظور علم الاجتماع)، د. ط، دار الطرحة

للنشر، بيروت، لبنان، (1418هـ - 1998م)، ص 197.

⁴ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق، ط3، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان،

(1418هـ - 1998م)، ص 454، ص471، ص474.

الشيخ الزاهد الصالح أبو بكر بن العلي (ت 503هـ-1109م)، أحمد بن علي بن أحمد، وهو مشهور بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فهو من الناطقين بالحق¹.

وممن عرف في مجال الوعظ والإرشاد خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي الشيخ الصالح، الزاهد أبو منصور الكرمانى (ت506هـ-1109 م) الواعظ المعروف بابن إدريس² كما عرف في هذا المجال أيضا الشيخ الصوفي الصالح محمد بن عبد الرزاق بن الحسين بن أبي زر محمد بن إبراهيم بن علي الصالحاني (ت 513هـ-1119م) الخطيب الواعظ³ كما ذاع صيت الشيخ احمد الغزالي (ت520هـ-1126م) في مجال الوعظ فقد قيل عنه بأنه كان صوفيا متزهدا، ثم وعظ فكان بليغا فظهر له القبول التام، وكان يحضر مجالسه خلائق حتى كتب من مجالسه مجلدين، غير أن الإمام ابن الجوزي قد حط عليه، وقال بأن الغالب على كلامه التخليط⁴، وقال عنه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، كان واعظا مفوها وله حظ كبير من الكلام وله نكت جيدة.⁵

كما عرف في مجال الوعظ والإرشاد خلال هذه الفترة أيضا الشيخ أبو الفتوح الاسفرايني (ت 522هـ-1128م) الواعظ فقد وعظ غير أنه أورد أحاديث منكرة جدا غير أنه تاب عنها، وكان قد طلب منه مغادرة بغداد بسببها ثم أعيد مرة أخرى ثم ترك منصبه، وقد جلس في مكانه

¹ - الذهبي، (تاريخ الإسلام)، ج11، ص 43.

² - نفس المصدر، ج11، ص 73.

³ - نفس المصدر، ص 211.

⁴ - نفس المصدر، ص 310

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 39.

في الوعظ الشيخ عبد القادر الجيلي¹ كما ذاع صيت الشيخ المعروف بابن الخبازة (ت 530هـ -1136م) أبو بكر العامري، فقد كان من الوعاظ المعروفين على طريقة الصوفية، وقد تأدب به ابن الجوزي وأثنى عليه² كما عرف أيضا الشيخ الصوفي الزاهد الملقب بالبز الحسين بن أحمد بن محمد، الواعظ أبو علي الأنصاري (ت 532هـ -1138م)³ وممن كانت لهم اليد البيضاء والدور الكبير في الوعظ الشيخ الصالح، الزاهد، العابد أبو يعقوب الهمداني (ت 535هـ/1140م)، المتعبد المقيم بالجبال الذي صحب الصالحين ، وعاد إلى بغداد التي وعظ بها، وقد لقي قبولا كثيرا⁴.

وممن اهتم بالوعظ أيضا الشيخ الصالح العباس بن محمد بن أبي منصور، أبو محمد الطابراني الطوسي العصاري (ت 549هـ-1154م)، الملقب بعباسة الذي سكن نيسابور، وقد وعظ بها في بعض الأحيان⁵.

ووعظ أيضا الشيخ الصوفي المعمر أبو الفتح الهروي (ت 550هـ-1155م)، الملقب بالشيرازي، كان صالحا، يعظ ويذكر بقرى هراة، والشيرازي هو نوع من اللبن⁶.

واهتم الشيخ الصوفي أبو الحسن الغزنوي (ت 551هـ-1156م)، بالوعظ، وقد لقي قبولا كثيرا من العامة، وقد حصل له جاه عريض، وكان حسن الإيراد، مليح الوعظ، وقد حضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصناف الناس، ومن جملة ما قاله في وعظه، حزمة حزن خير من أعدل أعمال⁷.

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص41.

² - نفس المصدر، ج7، ص (55- 62)

³ - الذهبي، (تاريخ الإسلام)، ج11، ص567.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص63.

⁵ - الذهبي، (تاريخ الإسلام)، ج11، ص 964.

⁶ - نفس المصدر، ج11، ص 973

⁷ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 82.

وممن اهتم بالوعظ والنصح والإرشاد من مشايخ الصوفية الشيخ الصوفي أبو البركات الأنباري، وقد وعظ الناس على طريقة الصالحين العباد، وكان يبكي من أول صعوده المنبر إلى آخر نزوله، كان أمارا بالمعروف، ناهيا عن المنكر (ت 552هـ-1157م)¹.

وممن اهتم بالوعظ والنصح والإرشاد الشيخ المعروف الشيخ الصالح، العابد، الزاهد الشيخ عبد القادر الجيلي (ت 561هـ-1165م)، وقد رحل إلى بغداد وكان يتكلم على الناس و يعظهم، وقد انتفع به خلق كثير، وكان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، وهو الشيخ المعروف بزهده وورعه و تقواه وعبادته، وهو معروف بأنه من كبار سادات المشايخ الكبار قدس الله روحه ونور ضريحه توفي عن عمر تسعين سنة² كما كان للشيخ المعروف أيضا الشيخ أبو النجيب السهروردي (ت 563هـ-1167م) ، دور كبير ومهم في الوعظ والنصح والإرشاد فقد كان يقوم بالوعظ على طريقة الصوفية³ ومن خلال هذا النشاط للصوفية يتضح دورهم الايجابي والكبير في الحفاظ على المجتمع عن طريق سعيهم لإصلاح الأفراد بنصحهم و إرشادهم ووعظهم وأمرهم بالمعروف و نهيمهم عن المنكر، لأن إصلاح الأفراد شرط أساسي للحفاظ على قيم المجتمع بحفظ الأخلاق الطيبة الكريمة حتى يتربى أجيال الأمة على الفضيلة فيستقر المجتمع في ظل الطمأنينة والسكينة فما تعانیه مجتمعاتنا اليوم في البيوت وفي المدارس وفي الشارع وفي الحياة العامة رهيب حقا لا بد لنا أن ندق ناقوس الخطر وان يتدخل كل المعنيين ومن لديهم حس أخلاقي واجتماعي سليم حتى يصلحوا ما يمكن إصلاحه .

الدور الاجتماعي للحركة الصوفية خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي:

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 85.

² - نفس المصدر، ج 7، ص 101

³ - نفس المصدر، ج 7، ص 104.

لقد عرف القرن (7هـ / 13م)، انتشارا واسعا للصوفية في المشرق الإسلامي فكثرت فيه الطرق الصوفية وتجدرت¹ ، خاصة وأنها وجدت مناخا ملائما وجوا مناسباً للنمو والانتشار بين مختلف الطبقات الاجتماعية لاسيما الأوساط الشعبية التي وجدت في التصوف أحسن طريقة للتعبير عن الظروف الصعبة التي تعيشها² ، فقد عانى المشرق الإسلامي من الحروب المدمرة المتمثلة في الغزو الصليبي والمغولي للمنطقة إضافة إلى ما تعرضت إليه من أخطار الكوارث الطبيعية من فيضانات وجفاف وما خلفته هذه الأخيرة من مجاعات قضت على عدد كبير من السكان³.

دور الصوفية في خدمة المجتمع (التكافل الاجتماعي):

لقد برز دور الصوفية في المجال الاجتماعي في فترة الكوارث، وقد تمثل دورهم في "المساعدات" التي كان يقدمها رجال الصوفية لأفراد المجتمع المشرقي ومثال ذلك أن الشيخ الصوفي الكبير العز بن عبد السلام (ت 660هـ / 1262م)، قد ساعد الفقراء في فترة غلت فيها الأسعار بدمشق التي كان لا يزال موجودا فيها قبل أن ينتقل إلى مصر حيث أعطته زوجته مجموعة من المجوهرات التي كانت تحتفظ بها و طلبت منه أن يبيعه لها و يشتري بثمنها بستانا لأن البساتين في هذه الفترة قد انخفض ثمنها، فأخذ الشيخ المجوهرات، وباعها وقبض ثمنها ووزعه على الفقراء و المحتاجين، وعندما سألته زوجته عما صنع بنقود المجوهرات أجابها بقوله: " جزاك الله خيرا عنها": وكان قد تصدق بجميعها⁴.

¹ - عامر النجار، مرجع سابق، ص1، ص 496.

² - بدران محمود عبد الرشيد: التنظيمات الصوفية وتنمية المجتمع دراسة من منظور الاجتماع، د. د الفرحة للنشر، مصر، القاهرة، د.ت ص 197.

³ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق، ط3، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1418هـ - 1998م)، ص 254 ، ص 471، ص 474.

⁴ - الداودي، مصدر سابق، ج1، ص 322 .

كما كان الشيخ الصوفي الخضر بن أبي بكر المهراني (ت676هـ /1278م)،
المصري يتصدق بالذهب والفضة على الفقراء والمساكين و المحتاجين، إضافة إلى ما
كان يعده لهم من أطعمة كان يأمر بتحضيرها في قدور كبيرة الحجم حتى قيل بأن تلك
القدور كان يتعاون على حملها جماعة من الحمالين لكبرها، حيث كانوا يقومون بتوزيع ما
فيها من طعام على الفقراء¹، كما كان الشيخ الصوفي قطب الدين القسطلاني محمد بن
أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن محمد بن ميمون...القسطلاني الزاهد
(ت 686هـ /1288م)، يطعم الفقراء الوافدين إلى القاهرة و يبرهم و يساعدهم² وهذا
يمثل صورة من صور التكافل الاجتماعي المتأصل في عمق المجتمع الشرقي
الإسلامي.

الصوفية ونشر الوعي الديني:

لقد برز دور الصوفية الديني في شرحهم لأمر الدين و تبيينها للعامة في الأماكن
المختلفة كالمؤسسات الصوفية والمساجد وغيرها من الأماكن الأخرى و يظهر ذلك جليا
من خلال إقامتهم للمجالس الوعظية في فترة القرن (7هـ/13م)، ومن أبرز الشخصيات
الصوفية في هذا المجال الشيخ المظفر بن ساسير البغدادي المولد و الديار (ت 607هـ/
1210م)، الذي عرف بحبه للإصلاح الاجتماعي عن طريق نشر الوعي الديني بإقامة
مجالسه الوعظية في المساجد التي كان يدعو فيها الناس إلى الاستقامة واتباع الدين
والالتزام بأوامره و نواهيه الشرعية، و لم تكن مجالسه تقتصر على بغداد وحدها فحسب
وإنما كان ينتقل إلى القرى المجاورة ليقوم فيها مجالس وعظية فقد قال: "عملت مرة

¹-الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص 322.

²-الصفدي: الوافي بالوفيات تحقيق محمد بن إبراهيم بن عمر، محمد بن الحسين بن محمد، د.د.ت، ج1، ص406.

مجلسا ببعقوبا وعملت مرة مجلسا بباصرى وكان عدد الحاضرين كبيرا:¹ وهذا الحضور الكبير لمجالسه الوعظية دليل واضح على حب الناس له و لمجالسه الوعظية.

وكان الشيخ الصوفي عبد الله اليونيني (ت617هـ / 1220م)، شيخ زاوية بعلبك يستغل فرصة زيارة الناس له كونه من كبار الصالحين بالمنطقة فيعظهم و يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر حتى قيل بأن شابا نصرانيا دخل الإسلام على يديه، كما انه لم يكن يعظ في بعلبك وحدها فقط وإنما كان ينتقل إلى دمشق ليقوم بمجالسه الوعظية فيها².

عرف الشيخ الصوفي إبراهيم بن حسن الفاوي (ت627هـ / 1230م)، المصري بالوعظ و الإرشاد بإقامته للمجالس الوعظية خاصة وأنه شغل منصب الإمامة بالجامع العتيق بمصر حيث كان يقيم الخطب الوعظية³ ، كما عرف الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن غانم بن كريم الأصبهاني (ت649هـ / 1251م)، الذي سكن بغداد واستقر و تعلم بها على يد الشيخ شهاب الدين السهروردي وقد أقام المجالس الوعظية ومما كان يقوله في خطبه الوعظية: "العالم كالذرة في فضاء عظمته والذرة كالعالم في كتاب حكمته، الأصول فروع إذا تجلى جمال أوليته، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفي الوسائط شمس اخريته أستار الليل مسدولة و شموع الكواكب مشعولة:"⁴

وعرف الشيخ العز بن عبد السلام (ت660هـ / 1262م) بنشاطه الوعظي والإرشاد من خلال توليه منصب الخطابة بالجامع الأموي بدمشق حيث أزال الكثير من البدع التي كان يقوم بها الخطباء في المساجد على المنابر كدق السيف كما أبطل صلاة النصف

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص ص (61- 62).

² - نفس المصدر، ج13، ص ص (93- 94).

³ - ابن الملقن، مصدر سابق، ج1، ص 414.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 183.

من شعبان وغيرها من البدع، كما وعظ وأرشد الناس بمصر عند توليه للخطابة بجامع عمرو بن العاص بالقاهرة حيث كان يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر والظلم.¹

وقد أبطل الخمر بإغلاقه لحانة كانت هناك²، وهو نفس ما قام من إنكار للخمر بدمشق في دولة السلطان الأشرف موسى بن العادل (ت635 هـ/1237م) الذي كان على خلاف مع أخيه الكامل حاكم مصر فكان يستعد لحربه إلا أنه مرض و بسبب مرضه ذاك بعث للشيخ العز بن عبد السلام برسالة يستدعي فيها الشيخ سائلا إياه عما يصلح حاله بعد الموت فنصحته الشيخ بعدم الدخول في حرب ضد أخيه وبأن يوجه مجهوده الحربي ضد الأعداء الصليبيين وهذا ما يرضي الله و رسوله في حين أن قطع صلة رحمه مع أخيه مما لا يحبه الله ورسوله.³

وقد عرف الشيخ أبو زكريا يحيى النووي (ت676هـ/1278م)، بأمره للناس بالمعروف ونهيه عن المنكر إرشادا وتوعية للعامة⁴ كما اشتهر الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبري (ت687هـ/1289م) البغدادي بمجالسه الوعظية وإرشاده حيث كان يتوب على يديه الكثير من الضالين والعصاة، إضافة إلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر⁵، كما عرف الشيخ عز الدين الفاروثي الواسطي (ت694هـ/1295م)، بوعظه وإرشاده للعامة من خلال توليه لمنصب الخطابة في بغداد، كما عرف بتشجيعه للجناز وزيارته للمرضى⁶، كما كان الشيخ الصوفي ابن عطاء الله السكندري (ت709هـ/1311م) تاج

¹ - السبكي، مصدر سابق، ج8، ص(211- 214)؛ الداودي، مصدر سابق، ج1، ص 316.

² - الداودي، مصدر سابق، ج1، ص 317.

³ - السبكي، مصدر سابق، ج8، ص ص (240- 241).

⁴ - الذهبي، (العير)، ج5، ص 334.

⁵ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص(402- 403).

⁶ - الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص 56.

أحمد بن محمد يقيم المجالس الوعظية التي يرشد فيها العامة وقد استقام على يديه الكثير من الناس¹.

تربية المريدين وتسليكهم:

لقد كان اهتمام الصوفية كبيرا جدا بتكوين المريدين الصوفيين (وهم الأتباع من الصوفية)، حتى يكونوا جيل صوفي يكون بمثابة خير خلف لخير سلف لذلك عمل كبار شيوخ الصوفية على جلب المريدين إليهم وتربيتهم تربية صوفية خالصة من خلال تسليكهم في طريق التصوف، ومن هؤلاء الشيخ الصوفي أبو الحسن بن الصباغ (ت613هـ/1216م)، والذي عرف بكثرة أتباعه و بحسن تربيته للمريدين الذي أخذوا عنه أصول التصوف².

كما عرف الشيخ الصوفي علي الفرنثي (ت621هـ/ 1224م)، شيخ الزاوية الموجودة بسفح جبل قاسيون (في دمشق)، بتربيته للمريدين تربية صادقة وخالصة خاصة وأنه عرف بصدقه و بكثرة عبادته³، كما عرف أيضا الشيخ الصوفي شهاب الدين شيخ العراق المشهور بدوره الكبير في تسليك الأتباع و تربية المريدين فقد كانت مشيخة العراق بيده⁴، كما كان الشيخ عدي بن مسافر (ت644هـ/ 1246م)، والملقب "بتاج العارفين" دور بارز في تربية المريدين، وقد كان أكثر أتباعه من الطائفة الكردية⁵ كما كان للشيخ الصوفي علي الخباز (ت656هـ/ 1258م)، شيخ الزاوية الموجودة في بغداد دور مهم في تربية المريدين بتعليمهم السير على نهج الطريق الصوفي وقد كان لديه أتباع كثير⁶.

¹ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص 421.

² - نفس المصدر، ص 452.

³ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 84.

⁴ - الذهبي، مصدر سابق، ج5، ص 129.

⁵ - الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص 334؛ السبكي، مصدر سابق، ج8، ص 340.

⁶ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 282.

و اشتهر الشيخ الصوفي أبو القاسم الحوراني الدمشقي (ت633هـ / 1237م)،
بتربية المريدين من الأتباع و تسليكهم في طريق التصوف وقد شمل نشاطه هذا سواد
العراق¹ وممن كان لهم دور مهم و بارز في مجال التسليك والتربية الشيخ الصوفي نجم
الدين بن الحكيم عبد الله بن أبي الخير الحموي الدمشقي (ت678هـ / 1280م)، شيخ
زاوية حماة الشامية الذي قصده الطلبة و المريدون من مختلف الجهات ليتعلموا منه
أصول طريق التصوف وقد كان عدد أتباعه كبيرا جدا².

وكذلك الشأن بالنسبة للشيخ الصوفي يوسف الفقاعي بن نجاح بن موهوب (ت
680هـ / 1282م)، المعروف بصلاحه، شيخ الزاوية الموجودة بسفح جبل قاسيون (في
دمشق)، الذي قصده الطلبة والمريدون الراغبون في التصوف فصاروا من أتباعه³ ، وفي
نفس الإطار عمل الشيخ الصوفي الملقب بالفاروثي (ت694هـ / 1295م)، عز الدين أبو
العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي الشافعي المذهب شيخ العراق على تربية
المريدين والأتباع الذين أخذوا عنه أصول سلوك طريق التصوف⁴.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن أفراد الحركة الصوفية قد اهتموا بخدمة المجتمع
خلال القرنين (6هـ/12م) و(7هـ/13م) وهذا يظهر لنا ولكم جليا من خلال سعيهم الحثيث
لإصلاح أفراد المجتمع عن طريق الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وتربية المريدين وهكذا أسهموا في الإصلاح الاجتماعي فقد أصبح لديهم وكما رأينا سابقا
دور كبير ومميز في الحد من التفسخ الأخلاقي والانحرافات بتدخلهم العملي الايجابي في
الحياة الاجتماعية وهذا الدور القيم قام به مشايخ الصوفية الصادقين المخلصين لله ومع
الله حقا فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء وأكرمه وأطيبه أمين يارب العالمين.

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ص 309.

² - نفس المصدر، ص ص(338-339)

³ - نفس المصدر، ص 341

⁴ - نفس المصدر، ص 381 ؛ الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص55.

عقد الصوفية للسماعات وحلقات الذكر:

لقد ظهر اهتمام الصوفية بالسماعات في وقت مبكر من تاريخهم باعتباره نشاطاً أساسياً لديهم، وهي تعتمد على الكلمات الرمزية والحركات الإيقاعية والقصائد الشعرية المثيرة للوجدان وللنشوة الروحية¹ وهي تعتبر حلقات ذكر لطائفة من الصوفية والتي عادة ما تكون متبوعة بالرقص².

وعن السماع الصوفي يقول الباحث المعاصر رفيق العجم بأن أتباع الصوفية يقومون به قصد الراحة من التعب وهو مفضل على غيره لميل الطباع إليه³ وممن عرف بسماعاته الشيخ الصوفي روزبهان بن جيحون الذي رحل إلى حلب ثم سكن في خانقاه القصر النورية ثم رحل إلى مصر التي كان موجوداً بها سنة (603هـ / 1207م)، وهو روزبهان بن أبي بكر بن محمد بن أبي القاسم الفارسي الكازروني الديلمي الصالح الذي سكن الموصل ثم سافر منها إلى حلب فدمشق ثم سافر منها إلى مصر التي استقر بها إلى غاية وفاته وقد كانت طريقته قائمة على الصياح (الصراخ)، فقد كان يدعي بأنه من المشتاقين، لذلك كان يصرخ بصوت مرتفع جداً والأكثر من ذلك أنه كان يصرخ في صلاته وقد رافقه الشيخ يحيى بن عبد الله شيخ الرباط الذي دفن فيه الملك الصالح إسماعيل بن السلطان نور الدين محمود، وقد أخذ طريقة الشيخ روزبهان الفارسي في الصياح⁴.

¹ -برمنجهام، مرجع سابق، ص 57.

² - نفس المرجع، ص 57.

³ - رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ط 1، مكتبة لبنان ناشرون للنشر، بيروت، لبنان، (1999م)، ص 478.

⁴ - كمال الدين بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1988م)، ج 8، ص ص (3719 - 3720).

وحيثما انتقل الشيخ إلى مصر وحضر خطبة الجمعة بجامعة عمرو بن العاص بالقاهرة صاح صياحا عاليا جدا على عاداته حتى انزعج منه المصلون حتى قيل بأن أحد المصلين قد هم بضربه وقد كان يرافق الشيخ القوالون¹ والشبابات² في الساعات التي كان يقيمها الشيخ و أتباعه وقد كان الشيخ يصفق و يرقص مع أتباعه³ وممن اشتهر بحبه للسمع الشيخ الصوفي أبو الحسن بن الصباغ المصري (ت613هـ/ 1217م)، وهو علي بن حميد بن إسماعيل بن يوسف بن الصباغ الذي حكى عنه أحد أصحابه من الفقهاء الصوفية بأنه طلب القوال والدف والشبابة فأقام له و لأصحابه سماعا قال فيه القوال شعرا:

أغضبت إذا زعم الخيال بأنه	إذ زار، صادف جفن عيني مغمضا
لا تغضبي إذ زار طيفك في الكرى	ما كان إلا مثل شخصك معرضا
وافى -كلمح البرق- صادف نوره	غسق الدجى، ثم للحال انقضى
وكأنه ما جاء إلا زائرا	للقلب، يذكر من وصالك ما مضى
وحياة حبك لم انم عن سلوة	بل كان ذلك للخيال تعرضا
يا ضرة القمرين من كنف الحمى	و يا ربيبة العالمين من وادي الغضا

¹ - القوال: هو المغني. ابن الجوزي، (تلبيس إبليس)، ص304.

² - هي آلة من الآلات الموسيقية كان يستعملها بعض الصوفية في سماعتهم الى جانب مجموعة أخرى من الآلات الموسيقية كالدف والجلجل وهي تخرج سامعها عن حيز الاعتدال وتثير حب الهوى في قلبه. نفس المصدر، ص 279.

³ - ابن أبي جرادة، مصدر سابق، ج8، ص ص(3720 - 3721).

فلما وصل القوال إلى البيت الثالث "وافى كلمح البرق" قام الشيخ يرقص في السماع و قام معه أتباعه فلما اشتد الوجد¹ بالشيخ خلع على القوال رداء كان عليه فتبعه أصحابه الذين خلعوا بدورهم أثوابهم وألقوها على المغني².

وفي مجال تنظيم الصوفية لنشاط السماع قيل بأن الشيخ الصوفي محمد بن إبراهيم الفارسي (ت622هـ / 1225م)، بن أحمد الفخر حضر مرة مجلسا صوفيا كان فيه القوال فترك المجلس وغادر بينما بقية الحاضرين من الصوفية بقوا يستمعون القوال الذي أنشدهم قائلا:

كررت في المذهب في العشق زمان حتى ظهرت أدلة الحق وبان
مازلت أوجد الذي أعشقه حتى ارتحل الشرك عن الحق وبان

¹ - الوجد: قال صاحب الحلية أبو نعيم الأصفهاني، (ت430هـ - 1042م) بأن التصوف هو الهيمنان في الوجد، وقد شرح على الجرجاني (ت816هـ - 1439م) الوجد بأنه ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف و لا تصنع، وقيل هو برق يلمع في القلب ثم يخمد سريعا، أما صاحب كتاب أبجد العلوم صديق بن حسن الفتوحى (ت1307م)، قد أطلق على الصوفية لقب أصحاب الوجد، وقد روي عن الشيخ الصوفي أبو بكر الشبلي (ت334هـ - 946م) أبو بكر دلف بن جحدر و قيل جعفر بن يونس أنه كان في جامع المدينة (بغداد) و قد كثر الناس عليه في الرواق وهو يقول: رحم الله عبدا و رحم والديه ودعا لرجل كانت له بضاعة وقد فقدها وهو يسأل الله أن يردها والناس صامتين فدخل الحلقة غلام وقال له: من هو صاحب البضاعة؟ قال أنا، قال: فأى شيء ضيعت؟ قال: كانت بضاعتي الصبر وقد فقدته فبكى الناس بكاء عظيمًا وتواجدوا، وعن الشبلي ذكر قوله واصفا حاله مع الوجد: ذكرك لا أني نسيك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني وكنت بلا وجد أموت من الهوى وهام على قلب بالخفقان فلما أراني الوجد أنك حاضرا شهدتك موجودا بكل مكان فخاطبت موجودا بخير تكلم ولاحظت معلوما بغير عيان.الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1415هـ)، ج2، ص250. علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1405هـ)، ج1، ص323، ص ص 718، القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار، د.ط دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1972م)، ج1، ص 08 محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان نشر، بيروت، لبنان، (1415هـ)، ج1، ص11، البغدادي: تاريخ بغداد، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د. ت ، ج14، ص 390، عبد الكريم القزويني: التدوين في أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص25، ج4، ص103.

² - ابن الملقن، مصدر سابق، ص454.

وقيل بأن بعض شيوخ الوقت الحاضرين في هذا المجلس من الصوفية قد استمتعوا كثيرا بوقتهم في ذلك اليوم¹ كما عرف الشيخ أبو الحجاج الأقسري (ت624هـ/1227م)، وهو يوسف بن عبد الرحيم بن عزي المغربي الأصل الذي استوطن مصر و لقب بالاقصري بحبه الشديد للسمع، وقد كان يصيح في سماعاته بصوت مرتفع بقوله "يا حبيب"، وقد ادعى أتباعه بأنه قد عرج به إلى السماء في منتصف شعبان، فأصبحوا منذ ذلك الحين يحيون ذلك اليوم بالسمع².

كان الأمير حسام الدين بن لاجين (ت627هـ/1230م)، وهو أحد كبار أمراء دمشق يحب الفقراء الصوفية و يؤثرهم بمكانة خاصة لديه فقد كان يجمعهم ويقيم لهم السماعات على نفقاته الخاصة و يحضر لهم المأدبات الفاخرة و يخدمهم فيها بنفسه³ وقد كان للصوفية مكانة كبيرة وحظ وافر عند الملك المظفر أبو سعيد كوكبري (ت629هـ/1232م)، وهو ابن زين الدين علي بن تبتكين، أحد كبار دمشق، المشهور بحبه للصوفية وبإقامته لسماعاتهم وحضوره لها، وقد كان يقيم لهم الموالد و يدعو فيها أعيان الصوفية فيقدم لهم الهدايا (الهبات)، و يقيم لهم السماعات التي كانت تدوم ساعات طويلة من الظهيرة إلى غاية الفجر وهو يرقص معهم⁴ كما ذكر المؤرخ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أنه في سنة (630هـ/1232م) وبينما كان الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي (ت632هـ/1235م) في إحدى مجالسه الوعظية قال بيتا شعريا وكرره:

ما في الصحاب أخو وجد تطارحه إلا محب له في الركب محبوب

¹ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص (466 - 467).

² - نفس المصدر، ص 480.

³ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص360.

⁴ - الذهبي، (السير)، ج22، ص235؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص137.

فقام من المجلس شاب رد على الشيخ فأنشده قائلاً:

كأنما يوسف في كل راحلة والركب في كل بيت منه يعقوب

فصاح الشيخ ونزل من مكانه من على المنبر متوجهاً إلى الشاب ليعتذر منه إلا أنه لم يجده لأنه كان قد غادر المكان و قيل بأنه وجد في مكانه حفرة فيها دم لكثرة ما كان الفتى يفحص (يضرب) برجليه الأرض عند إنشاد الشيخ لهذا البيت الشعري تأثراً به¹

في حين ذكر المؤرخ ابن الملقن (ت804هـ/1401م)، في كتابه الطبقات بأن الشيخ شهاب الدين قد قال في أحد مجالسه الوعظية شعراً جاء فيه:

لا تسقيني وحدي فما عودتني أني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم، و لا يليق تكرماً أن يعتر الندماء دور الكأس

فتواجد الناس لذلك، لدرجة أن قطعت شعور كثيرة ومات عدد من الحاضرين من شدة تأثرهم ومن شدة الوجد².

كما حكى المؤرخ الياضي (ت768هـ/1280م)، بأن الشيخ عمر بن الفارض التقى يوماً بالشيخ شهاب الدين السهروردي وكان قلقاً لأنه لم يذكر في الحضرة منذ مدة فقال له ابن الفارض شعراً:³

ما بين معترك الأحداق و المهج أنا القتيل بلا ذنب ولا حرج

واستمر الشيخ في الإنشاد إلى أن وصل إلى البيت الذي قال فيه(1):

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص ص(117- 118)

² - ابن الملقن، مصدر سابق، ص 161، ابن دقماق، مصدر سابق، ص60.

³ - الياضي، مصدر سابق، ج4، ص77.

قول المبشر بعد اليأس بالفرج
ذكرت على ما فيك من عوج

أهلا بما لم أكن أهلا لمرقعة
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد

فلما سمع الشيخ شهاب الدين السهروردي هذين البيتين الشعريين قام فتواجد هو
وجميع من كان حاضرا عنده من شيوخ الوقت الصوفيين في ذلك المجلس الصوفي¹.

وممن ذاع صيته في السماع الصوفية المبالغ فيها الشيخ علي الحريري
(ت645هـ/1247م)، شيخ الطائفة الحريرية التي أقامت السماع وبالغت فيها إلى حد
كبير ومما قاله الشيخ معبرا فيه عن حبه الكبير للسمع شعرا قوله:

دع عنك هذي الحندقة
بالشمع و المردان

قالوا أنت تدعى صالح
قلت السماع يصلح لي

ولما توفي الشيخ الحريري بدأ أتباعه يحيون ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان
بإقامة السماع في ليلة القدر، وقد استعملوا في سماعتهم تلك الشبابت والدفوف، وقد
كانوا يقيمون السماع إلى وقت متأخر جدا من الليل حتى قال عن سماعتهم أحد
الشعراء:²

إذا سمعت مقامات الحريري

ومن ذا في السماع له مقام

وهذا النوع من السماع فيه تعارض مع الشريعة الإسلامية فهو كما لاحظناه سماع بعيد
عن الاعتدال.

كما وصف المؤرخ قطب الدين اليونيني (ت654هـ/1256م)، في كتابه ذيل مرآة
الزمان ليلة سماع على طريقة بعض الصوفية حيث نقل نبأ وصول الشيخ الصوفي سراج

¹-اليفاعي، مصدر سابق، ج4، ص77.

²- الكتبي، مصدر سابق، ج3، ص(6-9).

الدين أحمد الأزرانكاني إلى دمشق وكان قد بلغ هذا الأخير إلى درجة عالية جدا في الموسيقى التي أجادها وبرع فيها، وكان الشيخ يصنف موسيقاه على الطريقة الفارسية الخراسانية في القول والغزل، وقد كان حضوره إلى دمشق في فترة حكم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، والذي عندما سمع بحضور الشيخ إلى المدينة طلب منه الحضور إليه، فقدم الشيخ إلى مجلس السلطان مرتديا لباس الفقراء الصوفية كما كان يضع قبعًا طويلًا على رأسه، فرحب به الملك و دعاه إلى الشراب معهم فاعتذر الشيخ عن ذلك مما جعل السلطان لا يصر عليه،

و بعدها بدأ الشيخ في إنشاد ما صنفه من أشعار ومما أنشده الشيخ من أشعار في المجلس¹

سلام على أهل ناديكم	ومن حل يوما بواديكم
سلام من خزائن لطف ربي	على من ساكني روعي وقلبي
جننا بليلي وهي جنت بغيرنا	وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقال أيضا:

يا من بدائع حسن صورته ثنى إليه أعنة الحدق

فقدم له السلطان الأشرف موسى مجموعة من الهدايا وطلب منه أن يغير القبع بالعمامة فوافق الشيخ على طلب السلطان ومكث مدة في دمشق زاره خلالها الراغبون في تعلم الطرب وعند وفاة الملك الأشرف سنة (635هـ / 1238م)، غادر الشيخ دمشق متوجها إلى مدينة حمص التي أقام بمدرستها سنة (650هـ / 1252م) كما انتقل الشيخ

¹ - قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية للنشر، حيد آباد الدكن، (1374هـ) ج1، ص (411-412).

إلى مدينة حماة الشامية والتي علم بها الراغبون في التعلم عليه وقد استقر في هذه المدينة إلى غاية وفاته سنة (658هـ/1260م)، وقد لقب "بالبديع الطنبوري"، ومما قاله في الوداع:¹

ولما اجتمعنا للوداع وقبلها وقلبي بين الصباية و الوجدا
بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعي عقيق فصار الكل في نحرها عقدا

و كان الشيخ الصوفي عز الدين بن عبد السلام (ت 660هـ/1262م)، من المولعين بحضور السماعات الصوفية والرقص فيها، فقد كان يستمع إلى الأشعار و يتواجد عند سماعها² كما اشتهر الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي الرومي (ت 684هـ/1286م)، بحبه للسماع، وهو شيخ الزاوية الموجودة في سفح جبل قاسيون (في دمشق)³، في حين كان الشيخ الصوفي أبو الرحال بن مرعي بن بحتري المنيني الشامي (ت 694هـ/1295م).

شيخ زاوية منين الدمشقية من أشد الكارهين للسماعات الشيطانية⁴. وهذا الكلام إن دل على شيء إنما يدل على أن هناك نوعين من السماعات سماعات رحمانية وأخرى شيطانية وان لكل منهما خصائص تميزها عن الأخرى وهذا موضوع آخر للبحث ليس هنا مقام الحديث عنه فهذا مقام توضيحي فقط على سبيل الاجتهاد .

نقد السماعات الصوفية:

لقد لقي النوع الاباحي في بعض السماعات الصوفية اعتراضا كبيرا من قبل الكثير من العلماء ومشايخ الصوفية أنفسهم لما وقع فيها من تجاوزات للشرع وقد قال المؤرخ

¹ - قطب الدين اليونيني، مصدر سابق، ص ص(411- 412).

² - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص352.

³ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص357.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص340.

الصوفي أبو طالب المكي (ت 386هـ/995م) في كتابه قوت القلوب، بأن في المواجيد ضلال وغرور علاوة على ادعائهم للمحبة وإنكارهم لما جاءت به السنة النبوية الشريفة في هذا الشأن¹ كما قال الإمام ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م)، منتقدا مسلكهم هذا في السماع من خلال كتابه تلبيس إبليس لكونهم يتواجدون في سماعاتهم و يصيحون و يصفقون و يمزقون ملابسهم بحجة أنهم لا يشعرون بما يقومون به من أفعال، إلا أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله نجده يؤكد على أنهم آثمون في فعلهم ذلك لعلمهم المسبق بما سيكون عليه حالهم عند حضورهم السماع لذلك كان من الأحرى بهم تركه كلياً لأن تجنب مواضع الريب واجب شرعا في الإسلام، خاصة وان الغناء الذي جعله بعض الصوفية "سماعاً" منهي عنه بإجماع المذاهب الأربعة المعروفة عندنا باعتبار أن المفاصد المنجزة عنها كثيرة².

و الطائفة الإباحية القائلة بانتمائها للصوفية قد استمالوا إليهم الصبيان الذين جعلوهم مرافقين لهم في حلقات "الذكر والسماع"، إضافة إلى اختلاطهم بالنساء الأجنيات عنهم بحجة إلباسهن خرقة الصوفية وأخذهم للعهد عليهن حتى أن كثيرا من أولئك النسوة (النساء)، قد انقلبن على أزواجهن، كما أن هذا النوع من الصوفية تلاعبوا بالمصطلحات فسموا "الطرب" وجدا و "الدعوة" وقتاً، كما جعلوا "تقبيل الأمد" من الذكور "رحمة و"الخلوة" بالأجنبية "ابنة" لإلباسها اللباس الصوفي³ كما أن من أتباع الصوفية من يشتد به الوجد أثناء السماع فيقطع ثيابه قطعا صغيرة أو أنه يحتفظ بها سليمة و يرمي بها على المغني، وكل ذلك بحجة أنهم في حالة غيبة (عدم وعي)، والتي لا تصح أن تؤخذ كذريعة

¹ - أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق سعيد نسيب مكارم، ط1، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1995م)، ص335.

² - ابن الجوزي، (التلبيس)، ص218، ص222، ص227.

³ - نفس المصدر، ص322.

للقوع في النواهي الشرعية¹ ، وقد ثبت عن الفضيل بن عياض (ت187هـ/799م) التميمي المكنى بأبي علي الخراساني، وهو من أوائل الزهاد إنكاره التأثر من شدة الوجد من انه قال وقد سقط ابنه من الوجد: "يا بني

إن كنت صادقا فقد فضحت نفسك، وإن كنت كاذبا فقد أهلكت نفسك"²، وقد قال ابن الجوزي رحمه الله مستكرا ما يحدث في بعض السماعات الصوفية بأن منهم من ينشد بتطريب الأشعار كأشعار مجنون ليلى فيصعق البعض و يمزق البعض الآخر ثوبه معتقدين أن ذلك قرابة الله عز وجل وهذا يشبه الألحان الموسيقية وهي توجد طربا و نشوة في النفوس ما يعرض سامعها للفساد، كما أنه من الوعاظ من يتكلم عن المعرفة والمحبة الإلهية فترى حتى من لا يعرفون الفرائض يمزقون أثوابهم ادعاءا لمحبة الله تعالى خاصة وأن منهم من يتخيل بوهمه الخالق شخصا و ليس من يتخيلونه هو الخالق لأنه جل وعلا لا يقع في مجال الخيال أبدا وهذا انحراف واضح لبعض الصوفية³.وقلنا هذا يقع لبعض منهم وحاشى للصادقين منهم أن يقعوا في مثل هذا وهم الذين يعرفون حق مقام الله جل وعلا.

وممن كان له رأي واضح في السماع عند بعض الصوفية الشيخ الصوفي الكبير شهاب الدين السهروردي (632هـ/1235م)، الذي قال في كتابه عوارف المعارف بأن السماع الحق هو ما جعل العين تفيض دمعاً، لما يتركه هذا السماع في النفس من حزن و شوق حار وندم شديد تارة أخرى إلا أن هذا السماع يمكن أن يتعدى إلى مظاهر أخرى كالصياح المرافق للاضطراب و هذا ما يقع لبعض الصوفية ثم انه بين وجهات النظر

¹ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 227.

² - حمزي يوسف أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1400هـ-1980م)، ج1، ص44، ؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ص222.

³ - ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمان عوض، دون طبعة. دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1425هـ-2004م)، ص79.

المختلفة لدى الصوفية أنفسهم في شأنه ما بين متعلق به و مولع بحضوره وما بين منكر له باعتباره فجورا وفسقا وهذا الاختلاف كان حول السماع بالألحان وقد أورد الشيخ رأي أحد الصوفية في السماع قال فيه بأنه: "جائز و المحرم منه اللهو و اللعب الذي قد يقع فيه:"¹

وقد وضح الشيخ موقفه من السماع قائلاً: "سنفصل الأمر فيه موضحين الحرام والحلال فيه:"² ، فقرر في شأن الآلات الموسيقية المستعملة فيه كالدف والشبابة فالأولى تركهما احتياطاً وأما بالنسبة للقوائد الشعرية التي تدور مواضعها حول الجنة والنار والترغيب في العبادات كالجهاد والحج وغيرها من العبادات الأخرى فلا مجال فيه للإنكار ، وأما بالنسبة للتغزل بالقد الجميل وما يرافقه من وصف للنساء فلا يليق بأهل الدين الاجتماع لذلك، وأما بالنسبة للشعر الذي يدور حول المعاني التي يمكن حملها على المولى جل و علا، فتلك حالة يرتبط فيها الحكم الشرعي بنفسية ونية الصوفي المستمع فإن أعانه ذلك على تحمل مشاق الطريق الصوفي كالجوع و غيره فلا بأس أن استمع لمثل قول القائل:

أتوب إليك يا رحمن أني
أسأت و قد تضاعفت الذنوب
فأما من هوى ليلي وحيي
زيارتها فإني لا أتوب

فإن لم يكن المستمع ممن يتقوى بسماعه على تحمل المشاق وكان ممن يزيده السماع وجدا وتأثراً لم يجز له السماع في تلك الحالة³.

¹ - السهروردي، مصدر السابق، ص ص (173 - 174).

² - نفس المصدر، ص 175.

³ - ابن تيمية، مصدر سابق، تحقيق عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، المكتب التعليمي السعودي للنشر، ج11، ص 587، ص 593.

وفي شأن السماع قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/1328م) رحمه الله بأن السماع المسموح به شرعا هو الاستماع إلى القرآن الكريم لأنه من جنس استماع الأنبياء والمرسلين، كما أن سماع الصوفية لم يكن معروفا في القرنين الأول والثاني للهجرة بل انه ظهر منذ القرن (3هـ/9م)، إضافة إلى أن الأشعار التي ينشدها الصوفية في سماعاتهم تحتوي على عبارات الحب والوصل والهجر و الشوق... الخ وغير ذلك من العبارات الأخرى التي يحب سماعها كل من محبي الرحمان ومحبي الأوثان و الأحوال والأوطان و النسوان و المردان لذلك فالمفاسد و المضار التي تتجر عنه أكثر من منفعه كما هو الأمر بالنسبة للخمر المحرمة شرعا¹.

و الشريعة الإسلامية مصلحة خالصة و السماع مسكر للروح يتغيب به العقل وفي هذا صد عن ذكر الله وعن الطاعات والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا فيه مصلحة لنا إلا وذكره، ولو كان في السماع أي مصلحة لذكره والآيات والأحاديث لم تأتي على ذكره لذلك فهو يعتبر من البدع المذمومة شرعا لأن العبادة الحقيقية لله جل وعلا تكون بالركوع والسجود ولا تكون بالرقص و سماع الدف وهذا وان حدث فهو محرم على الجميع، ومن ادعى انه لا يحرم عليه فهو ضال مبتدع باتفاق الأئمة المسلمين².

وهو نفس ما ذهب إليه الإمام ابن القيم الجوزية (ت751هـ/1350م) رحمه الله والذي فصل كثيرا في موضوع السماعات الصوفية في كتابه إغاثة اللهفان فقد شدد على أن سماع الغناء من الأمرد (الصبي الجميل الوجه)، أو المرأة الأجنبية من أكبر المحرمات الشرعية، لما فيه من إفساد للدين³، وقد أنكر الإمام سماع طائفة من الصوفية لما فيه من خروج عن طابع الاتزان قائلا: "فلو رأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعت منهم

¹ - ابن تيمية، مصدر سابق، ص(595 - 603).

² - ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، ط5، دار كتاب الغرب للنشر، بيروت، لبنان، (1422هـ-2002م)، ج1، ص 342.

³ - نفس المصدر، ص342.

الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه وانصبت انصبابة واحدة إليه فتمايلوا له ولا كتمايل النسوان وتكسروا في حركاتهم ورقصهم أرايت تكسر المخانيث والنسوان، و يحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكؤوس (الخمير)، فلغير الله بل للشيطان، قلوب

تمزق، و أثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل فيهم السكر (الروحي) عمله، قضوا حياتهم لذة وطربا واتخذوا دينهم لهوا و لعبا:¹

فالصوفية عندما يجتمعون للسمع يزداد وجدهم فتتحرك أقدامهم و يرقصون و يصفقون طربا فيشتد شوقهم و يتأجج حتى قيل في سماعهم شعرا:

حتى إذا قام السماع لديهم	خشعت له الأصوات بالإجلال
وامتدت الأعناق تسمع وحي ذا	ك الشيخ من مترنم قوال
وتحركت تلك تلك الرؤوس وهزها	طرب، وأشواق لنيل وصال
فهناك الأشواق والأشجان والأ	حوال، لا أهلا بذوي الأحوال
تا الله لو كانوا صحاة أبصروا	ماذا دهاهم من قبيح فعال
لكنما سكر السماع أشد من	سكر المدام، وذا بلا إشكال ²

وقال الإمام الفقيه الشاطبي (ت790هـ/1390م) رحمه الله في شأن السماعيات بأن هذه الطائفة من الصوفية يدورون و يرقصون في سماعهم بينما السماع الشرعي ما فيه حكمة وموعظة للقلب كسماع القرآن و السنة و كلام الفضلاء و الحكماء، كما أنه ليس بعبادة كما جعله بعض الصوفية لأنه خارج على الشريعة الإسلامية.

¹-ابن قيم الجوزية،مصدر سابق،ج1،ص342.

²- نفس المصدر، ص350.

و يرى أيضا أن سماع هذه الطائفة من الصوفية خال من أي حكمة لاستواء النثر و الشعر لديهم، فهم متعرضون للفتنة في سماعتهم تلك فأكثرهم يستمعون لذة و طربا، كما أنهم يصنعون الأغاني المطربة حتى أخذهم الهوى، فاخترعوا لها ألحانا تعشقها النفوس و طال بهم الوضع على هذا النحو حتى اعتقد الجهال منهم انه قربة إلى الله و أصبح من الطقوس الهامة في انتهاج طريق التصوف، وهو في الحقيقة من البدع المنكرة شرعا¹ خاصة وأن الشريعة الإسلامية جاءت لتتهدى الإنسان عن الوقوع في المعاصي والآثام، و بغرض إبعاد المكلفين شرعا عن دائرة الأهواء². وليس كل الصوفية على هذه الشاكلة من السماعات فقد رأينا منهم من أنكره و النوع المستحسن من السماعات ما كان فيه ذكر لله عزوجل و ما ملا القلوب خشوعا و خشية للرحمن و كل ماخالف الشريعة الإسلامية فهو مرفوض و مردود

و عن السماع الصوفي قال المستشرق نيكلسون في كتابه في التصوف الإسلامي و تاريخه بأن السماع من مبتدعات الحركة الصوفية و غرضها في ذلك إثارة وجدان أتباعها و تحريك مشاعرهم فليس هناك ما هو أقوى تأثيرا من الاستماع إلى الموسيقى و الغناء لتحقيق ذلك³ في حين ذهب الباحث المعاصر السيد الجميلي محقق كتاب التلبيس للإمام ابن الجوزي رحمه الله إلى تفسير صياح الصوفية و صراخهم خلال السماع ما هي إلا صرخات سببها نفسي خالص⁴.

¹ - الشاطبي: الاعتصام، تحقيق محمود طعمة، ط2، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، (1420هـ - 2000م)، ص 230.

² - نفس المصدر، ص231؛ الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، إبراهيم رمضان، ط1، دار المعرفة للنشر، لبنان، بيروت، (1415هـ - 1994م)، ج2، ص ص (473-474).

³ - نيكلسون: في التصوف الإسلامي و تاريخه، ترجمة أبو العلا عفيفي، دون طبعة، لجنة التأليف و الترجمة للنشر، ص90.

⁴ - ابن الجوزي، (التلبيس)، ص 227.

وبذلك يتضح لنا جليا أن بعض أتباع الحركة الصوفية قد ابتدعوا السماع على طريقتهم التي كانت في أغلب الأحيان بعيدة عن الشرع الإسلامي، فأورثوا المجتمع الإسلامي عادات لا تمت بأية صلة للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي أنزلها الله تعالى ورسوله الأمين صلى الله عليه و سلم فأى ايجابية تبقى لهذا النوع من السماعات لطائفة من الحركة الصوفية بعد هذا .وكما قلت سابقا هذا لا يشمل جميع أفراد الحركة الصوفية وإنما طائفة منهم فقط

مظاهر الانحلال الخلقي عند بعض الصوفية:

لقد انتشرت عند بعض أتباع الحركة الصوفية مظاهر الانحلال الخلقي خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي لأن كثيرا منهم قد توهموا بأنه قد أبيح لهم ما لم يبيح لغيرهم من عامة الناس خاصة و أنهم يعتقدون بأنهم الكمل من الخلق، و بذلك سقطوا في براثن المحظورات الشرعية فارتكبوا المعاصي بحجة سقوط التكاليف الشرعية عنهم لكونهم يمثلون الصفوة من الأمة الإسلامية¹.

وهكذا انغمس بعض أتباع الحركة الصوفية في الانحلال الأخلاقي بمختلف أشكاله و معانيه كما هو الحال بالنسبة للطائفة الیونسية بدمشق والتي تنتمي إلى الشيخ یونس بن یوسف بن مساعد الشیباني القيني من نواحي ماردين (ت619هـ / 1222م)، المشهور بالشطح وقلّة العقل، وهو شیخ هذه الطائفة المنحرفة أخلاقيا فالطائفة الیونسية متحللون من الشرائع، لذلك كانوا یمارسون الفواحش و یستغلون العامة و يأخذون منهم أموالهم بغير حق، فهم من اشر الطوائف الصوفية لاستهزائهم بالدين الإسلامي و بأوامره و نواهيه الشرعية إلى أقصى حدود فهم منحلون قولاً و فعلاً حتى أن المؤرخ عبد القادر النعيمي

¹-الشاطبي،(الموافقات)، ص 540.

الدمشقي (ت927هـ/1508م) قد قال عنهم في كتابه الدارس في تاريخ المدارس: "ولهم أعمال تدل على مجونهم استحي من الله ومن الناس التقوه بها:"¹

وممن خرج عن مبادئ الشريعة الإسلامية من الطوائف الصوفية طائفة القلندرية المنتسبة إلى الشيخ محمد بن يونس جمال الدين الساوجي الزاهد بدمشق الذي حلق وجهه ورأسه فاشتهر وذاع صيته في حدود سنة (620هـ/ 1223م)، وقد كان أتباعه يخلقون مثله، وعاشوا حياة انحلال وفسوق فطردوا من دمشق التي توجهوا منها إلى مصر فاستقروا بها حيث أنكر الناس عليهم في البداية ثم اعتقدوهم في نهاية المطاف.²

وفيهم قال الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله في كتابه العوارف: "أما القلندرية فهم أقوام ملكهم شر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات و تركوا التقيد بآداب المجالسات والمخالطات، وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم، فقلت أعمالهم من الصوم و الصلاة ولم يبالوا في تناولهم من لذات الدنيا... فالقلندري لا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف فهو يقتصر على طيبة القلوب التي هي رأس ماله:"³ في حين أن الصوفي الكامل هو الذي يحسن التصرف في جميع الأوقات و في جميع المناسبات كما أنه يعرف جيدا ما بينه و بين ربه عز وجل وما بينه و بين الخلق وهو الذي يتصرف بحضور عقل و صحة توحيد و كمال معرفة و بصدق وإخلاص.⁴

وكذلك ما ذكر عن مجون الصوفي الكبير ابن الفارض (ت632هـ/1235م) فقد كان له قدم فيه، وهو الملقب بسلطان العاشقين عند الصوفية، فقد حكى عنه أحد أصحابه بأنه أعطى له نقودا وطلب منه شراء الأكل فاشتراه وسار معه إلى الساحل حيث وجد هناك مركبا صغيرا متوقفا على الشاطئ فصعد الشيخ و مرافقه إليه و على ظهر ذلك

¹ -النعيمي، مصدر سابق، ج2، صص(166 - 167).

² - نفس المصدر، ص 163.

³ - السهروردي، مصدر سابق، ص77.

⁴ - نفس المصدر، ص78.

المركب كان هناك عددا من النساء يحملن الدفوف والشبابات بأيديهن، وبدؤوا في الغناء فرقص الشيخ إلى أن تعب ونزل من المركب وسافر إلى مصر، ورفيقه في صحبته، وهو يتساءل عما بدر من الشيخ وبينما هو كذلك إذ جاء إليه (إلى الشيخ) نفس الرجل الذي كان على ظهر المركب يخبره بوفاة واحدة من أولئك النسوة اللواتي كن على ظهر المركب يغنين، فطلب منه الشيخ ابن الفارض أن يبحث له عن الدلال ليشتري له جارية مغنية بدلا من تلك التي ماتت، و قد أمسك بأذن صاحبه قائلا له: "لا تتكر على الفقراء حالهم:"¹.

وعن هذا التصرف السيئ الذي قام به الصوفي الشهير ابن الفارض قال الباحث المعاصر عبد الرحمن الوكيل في كتابه هذه هي الصوفية مستكرا بشدة ووضوح تصرف شيخ الصوفية ابن الفارض قائلا هذا هو ابن الفارض شيخ الحركة الصوفية ووليها الأكبر خلال القرن (7هـ / 13م)، يرقص مع النسوة و يضرين له الدفوف، ومع ذلك نجده يحرم على مرافقه الإنكار عليه أو حتى مجرد انتقاده.²

كما انتشر الفساد الأخلاقي عند أتباع الزاوية الحريرية بدمشق المنتمية للشيخ علي الحريري أبي محمد بن أبي الحسن علي بن مسعود الدمشقي المتصوف الذي ترعرع في دمشق وانتهج فيها طريق التصوف حيث أتبعه عدد كبير من الناس، فأصبحوا من أتباعه، أقبلوا على الراحة و السماعات (سماع الموسيقى) حتى تجاوزوا في ذلك حدود المعقول خاصة بعدما ازداد عدد أتباع الشيخ، فالحريرية مخالفون للشرع الإسلامي حسب ما قاله المؤرخ النعيمي الدمشقي عنهم في كتابه الدارس لأنهم غرقوا في المعاصي واستهزؤوا بأوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها الشرعية فاشتهروا بالفسق و الفجور لما وجد في مجالسهم من من رقص وغناء واختلاط وقد كان للشيخ الحريري اثر بالغ على كثير

¹ - ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق عادل أحمد موجود، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1996م)، ج4، ص364.

² - عبد الرحمان الوكيل، مرجع سابق، ص31.

من أهل زمنه ممن أتبعه، وقد اتبعه جماعة من أولاد الأكابر في دمشق الذين فسدوا بسببه، حيث أنهم ارتدوا ملابس أتباعه وأعجبهم ما وجدوا عنده من لهو فتركوا الصلاة ودخلوا دائرة الانحلال الأخلاقي وعاشوا أجواء الفساد، فأسقطوا بذلك مبدأ أساسيا في الشريعة الإسلامية ألا وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹.

فسقطوا في الرذائل بجميع أنواعها، حتى أفتى جماعة من العلماء في دمشق بإباحة دمه ومنهم الشيخ الصوفي الكبير (العز بن عبد السلام) إلا أنه توفي قبل أن ينفذوا حكمهم فيه و قد جلس في مكانه في المشيخة ابنه محمد الذي عمل جاهدا على إصلاح أتباع أبيه حيث بدأ ينكر عليهم أفعالهم المخالفة للشرع داعيا إياهم إلى الالتزام بأوامر الدين الإسلامي ونواهييه لأنه كان إنسانا صالحا بصدق وإخلاص متدينا إلا أن أتباع أبيه لم يصغوا إليه واستمروا في عبثهم ولهوهم مما جعله يبتعد وينعزل بنفسه إلى أن وافته المنية سنة (651هـ / 1253م)².

وفي شأن إباحة المحرمات الشرعية عند طائفة من الصوفية ما يقوله الشيخ الصوفي محي الدين بن عربي (ت 638هـ / 1241م): "ومن شرط المرید أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه و بينة ولا يزن أحواله بميزانه، فقد يصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن والحقيقة أنه يجب التسليم وكم من رجل كاس خمر بيده ورفعها إلى فيه، وقلبها الله في فيه (فمه) عسلا والناظر يراه شرب خمر، وهو ما شرب إلا عسلا ومثل هذا كثير"³.

ولأن بعض أتباع الصوفية سقطوا في دائرة الانحلال الأخلاقي خلال القرن (7هـ/13م)، ورد تحذير شيخ الصوفية ووليهم الكبير في أواخر القرن السابع الهجري

¹- النعيمي، مصدر سابق، ج2، ص154.

²- نفس المصدر، ج2، ص154.

³-عزيز الدباغ: الإبريز، الحامة، الجزائر، الرقم 2973، ج2، ص203.

إبراهيم الدسوقي (ت676هـ/1278م)، قائلاً: "إياكم ومؤاخاة النساء وإطلاق البصر في رؤيتهن والمشى مع الأحداث (الصبيان) في الطرقات فإن هذا كله نفوس وشهوات:"¹

وفي اعتقادي أنه ما جاء حديث الشيخ على هذا النحو إلا لتفشي هذه الظاهرة في أوساط بعض الصوفية من الإباحية منهم مما جعله يحذر من انتشار هذه الآفة الاجتماعية وهذا ما رأيناه سابقاً.

وفي هذا الشأن يقول الباحث المعاصر إدريس محمود إدريس في كتابه الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة بأن بعض أتباع الحركة الصوفية قد ارتكبوا ما نهت عنه الشريعة الإسلامية فتركوا الفرائض التي أقرها الإسلام من صلاة وزكاة وغيرها، وقاموا بارتكاب المعاصي و الفواحش مع النساء و الذكور و أكلوا الحشيش² المخدر وشربوا الخمر ولم يتركوا باباً من أبواب الفساد إلا ودخلوه³. وهذا ينطبق على فئة ضلت الطريق القويم للعبادة الصحيحة التي فيها صدق مع الله وإخلاص له وهذا يظهر من خلال الالتزام بأوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها دون تحليل ما حرم الله جل وعلا أو تحريم ما احل الله عزوجل.

وقال الباحث المعاصر توفيق الطويل في كتابه التصوف في مصر بأن هذه الحياة الإباحية قد عرفت الطائفة الإباحية من الصوفية في كل من الشام ومصر على حد سواء فقد تحدث الباحث توفيق الطويل عن حياة هذه الطائفة من الصوفية مطولاً في نهاية عصري الأيوبيين والمماليك وبداية العصر العثماني حيث قال عنهم بأنهم خرجوا عن أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها كلية بتركهم للصلاة التي تعتبر الركن الثاني من أركان

¹ -، الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص167.

² - وعن الحشيش قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأن الحشيش المسكر حرام وحكم أكله الجلد فيكون الجزاء بمثل جزاء شارب الخمر لما فيه من الفساد للدين والعقل و بعد وصد عن ذكر الله عز وجل و عن الصلاة و العبادات. ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج28، ص187.

³ - إدريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج3، ص ص (1099-1100).

هذا الدين القويم مدعين بأنهم يؤدونها في الأماكن المقدسة، وهم ممن تقدسهم العامة في مصر وتمجدهم¹.

وهذا دليل قاطع على انحراف هذه الطائفة الإباحية من الصوفية عن الشريعة الإسلامية بميلهم إلى الفساد الأخلاقي والتحلل من الأوامر والنواهي الإلهية فتركوا الصلاة وغرقوا في الشهوات، ورغم ذلك فإن العامة يقبونهم بأولياء الله، وهم أبعد الخلق عنه، وكان جديرا بهم أن يدعوهم " بأعداء الله" وان تطبق عليهم الحدود الشرعية حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر إلا أن هؤلاء قد وجدوا في انحطاط الأمة و تخلفها وضعفها وانتشار الجهل و الأمية بها فرصة مناسبة لأحكام سيطرتهم على العامة والحكام فقد تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة ومميزة جدا في العالم الإسلامي². وقلت سابقا أن هذا ينطبق على طائفة منهم ممن ضلوا عن طريق الحق وليس الكل ومن باب الأمانة نقول للمحسن احسنت وللمسئ اسات، فالمخلصون في عبادتهم لله العظيم الصادقون معه نجدهم يراقبون حركاتهم وسكناتهم، يحاسبون انفسهم على دقائق الامور، مهتمين بصلاتهم مع الله جل وعلا في كل احوالهم، وفي حلهم وترحالهم.

ويضيف الباحث المعاصر توفيق الطويل قائلا: أنه قد اشتهر الفقراء الصوفية الأحمدية (أتباع الشيخ أحمد البدوي) و الدسوقية البرهامية (أتباع الشيخ إبراهيم الدسوقي)، بارتكابهم للمنكرات و الفواحش مع النساء اللواتي انضممن إليهم بدخولهن طريق التصوف مع هؤلاء الأتباع الصوفيين كما كان وجود المردان (والأمرد هو الذي لا شعر في وجهه صبيان) من الأمور الضرورية في حلقات الذكر والسماع لأن ذلك يعتبر هاما عند بعض أفراد الحركة الصوفية³.

¹ - توفيق الطويل، مرجع سابق، ص 48.

² - إدريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج 3، ص 1095.

³ - توفيق الطويل، مرجع سابق، ص 112، ص 180.

الأولياء مقدسون من قبل العامة (الناس)، والخاصة (الحكام)، ومن أجل ذلك كثرت حكاياتهم وحوادثهم مع المردان والنساء، وذلك دليل على تمردهم على الدين والعرف و الناس يقبلون منهم استهتارهم برحابة صدر ودونما أي اعتراض أو تذمر لأن أكثرهم يعتقد بأن الأولياء تسقط عنهم التكاليف الشرعية باعتبارهم غير ملزمين بها، وبذلك جاز لهم التخلي عن الصلاة والتحلل من الأوامر والنواهي الشرعية ومارسوا المحظورات الدينية كالزنا وأكل الحشيش المخدر، فأحلوا الرذائل واستباحوا الحرمات علنا، فلم يجدوا من ينكر عليهم سوء أفعالهم أو من يهديهم إلى سواء السبيل¹. والحقيقة أن هذه الطائفة منهم لا بد لها أن تعود إلى رشدها قبل فوات الأوان وقبل أن يخسروا الدنيا والآخرة.

وهكذا فقد شهد تاريخ الصوفية على انحراف البعض من أتباعها عن المسار الشرعي السليم للدين الإسلامي مما جعل الأهواء تتقاذفهم إلى مهالك الفساد والانحلال الأخلاقي، وهذا ما جعل الباحث المعاصر عبد الرحمان الوكيل يصف الصوفية بأنهم يجعلون من الرذيلة فضيلة بالتمويه والتضليل والتلاعب بالمصطلحات إلباسا منهم للباطل بالحق وإلا فكيف يجروون إجازة شرب الخمر لأوليائهم وهي محرمة أصلا في الشريعة الإسلامية وانحراف عن العقيدة السليمة². أنا أظن أن هذا المؤلف من سوء حظه انه تعرف على غير الصادقين المخلصين من الصوفية فالصادقون منهم رؤيتهم ومعرفتهم فيها من البركة والخير الكثير فنفع الله الإسلام والمسلمين بالصادقين منهم والمخلصين وكفانا الله شر هذه الطائفة المنحرفة عن جادة العقل والصواب الذي لا يكون إلا بالتمسك بالشريعة الإسلامية قلبا وقالبا روحا وجوارحا.

¹ - توفيق الطويل، مرجع سابق، ص 116.

² - عبد الرحمان الوكيل، مرجع سابق، ص 109.

وفي الأخير نستنتج بأنه كانت للصوفية أدوارا ايجابية في الحياة الاجتماعية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، و تجسدت فيما كان لهم من تكافل اجتماعي في أوقات الأزمات، وكذا إسهامهم في نشر الوعي الديني وتربية الأتباع، فقد كان للصوفية الصادقين اليد البيضاء والباع الطويل في التكافل الاجتماعي حقيقة كما رأينا ، في حين كانت هناك طائفة منهم انحرفت عن طريق الحق فسقطت في بوتقة الأهواء بإتباعها لخطوات الشيطان حيث اعتقدوا بفهمهم الخاطيء أن لهم الحق الكامل في التهرب من أحكام الشريعة الإسلامية أمرا و نهيا و اتصل منها فتخلوا عن الفرائض الدينية، وانغمسوا في المحظورات الشرعية بمختلف أنواعها متجاوزين كل الحدود الدينية والأخلاقية والاجتماعية، لاغين بذلك كل الاعتبارات و القيم، فاتحين بذلك أبواب الأزمات الأخلاقية على مصارعها في أوساط المجتمع المشرقي المسلم وهو ما عايشه أتباع هذه الطائفة من الصوفية الإباحية أثناء إقامتهم لسماعاتهم الصوفية، ومفاسد هذه الطائفة من الصوفية الإباحية لا تزال ظاهرة إلى وقتنا الحالي من خلال اختلاط الرجال و النساء في المناسبات الصوفية عبر مختلف مناطق العالم الإسلامي¹ فكفانا الله شر هؤلاء أينما كانوا وحيثما وجدوا والحقيقة التي يجب ان نذكرها في هذا المقام ان هذا لاينطبق على الجميع وانما ينطبق على طائفة اضلت الطريق الصحيح للعبادة فضلت واتبع اهلها خطوات الشيطان والعياذ بالله اما من ثبت على الدين الصحيح القويم فهؤلاء امان الله في ارضه كثر الله من امثالهم ونفع المسلمين بهم وبدعائهم اينما حلوا وحيثما ارتحلوا.

¹ -إدريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج3، ص1095.

الفصل الخامس: نشاط الصوفية في الحياة العلمية

خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م/13م)

المبحث الأول: اهتمام الصوفية بعلوم الشريعة (علم الفقه)

المبحث الثاني: عناية الصوفية بالشعر

المبحث الثالث: دور الصوفية في التعليم

المبحث الرابع: اهتمام الصوفية بعلم القراءات

المبحث الخامس: اهتمام الصوفية بعلم الحديث الشريف

المبحث السادس: مذهب وحدة الوجود عند الصوفية القرن (7هـ/13م) ونقدها

اهتمام الصوفية بعلوم الشريعة:

علم الفقه :

لقد كان اهتمام الصوفية بالعباد بالفقه¹ كبيرا جدا خلال فترة القرنين (6هـ و 7هـ)، (12م و 13م)، والفقه هو مجموع الأحكام الشرعية التي تنظم حياة المسلمين وفق ما نص عليه الكتاب والسنة في جميع جوانب الحياة عن طريق توضيح الفرائض الدينية² وممن عرف في مجال الفقه من العباد الصالحين الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي نجد الشيخ أبو بكر بن العبير (ت 503 هـ / 1109 م) الحنبلي المذهب المعروف بصلاحه وزهده وورعه، فقد كان له إهتمام كبير بالفقه فقد كان يدرسه، ولصلاحه وعبادته فقد عرف بإستجابة دعواته³ .

عرف أيضا الشيخ الصوفي إبراهيم بن محمد، أبو إسحاق الجرجاني(ت505 هـ/1111م)، الإسفرايني، الولي العابد ، المنشغل بمراعاة الأنفاس مع الله عز وجل، المعرض عن الدنيا، قد عرف بإهتمامه بالفقه فقد كان فقيه أسفراني⁴ ن كذلك عرف الشيخ الزاهد المتعبد محمد بن علي بن محمد أبو الفتح الحلواني الحنبلي بإهتمامه بالفقه فقد كان مفتيا (ت 505 هـ / 1111م)⁵ وكذلك الشيخ الصوفي الشافعي حجة الغسلام الشيخ أبو حامد الغزالي الطوسي، الذي درس الفقه وإهتم به وتفقه وإجتهد في طلب العلم حتى فاق الأقران، وقد أصبح فقيها⁶، وقد ذاع صيته في بغداد حتى فاق صيت الأمراء

¹ - الفقه : هو أحكام الله جل وعلا في أفعال خلقه المكلفين شرعا بإقرار أقسام التكليف الشرعي كالواجب والمباح والمنبوذ والمكروه والحرام، وهذه الأحكام مستخرجة من الكتاب والسنة ويدخل في إطاره ما رصده المشرع من الأدلة وهي التي تسمى الفقه. ابن خلدون (المقدمة)، ص ص (493 . 494) .

² - القنوجي (أبجد العلوم)، ج2، ص 400 .

³ - الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج10، ص 43 .

⁴ - نفس المصدر، ج10، ص 57 .

⁵ - نفس المصدر، ج10، ص 62 .

⁶ - نفس المصدر، ج10، ص ص (62 . 63) .

والأكابر، ثم تزهد وحج وزار بيت المقدس ، وصنف كتابه " إحياء علوم الدين " وكتاب القسطاس ومحك النظر، وأخذ في مجاهدة النفس فترك الريادية وطلب الدنيا إلى سكون النفس وكرم الأخلاق، ولبس لباس الصالحين ثم عاد غلى موطنه ولازم بيته، وكان قبلا معجبا بنفسه، مغرورا بما رزق به من بسطة النطق، وحلاوة العبارة، وقد كان طريقه طويلا، شاقا من قيام بعبادات وإمعان في النوافل وإستدامة

الأذكار والإجتهاد و الجد طلبا للنجاة ومن كتبه في الفقه مجموعة من التصانيف منها: "البسيط" و "الوجيز" و"الخلاصة" اضافة الى كتاب "إحياء علوم الدين"، والذي اختلفت حوله الآراء وتضاربت ما بين مؤيد ومعارض وما بين مشكك ومتعمق.

عرف أ أيضا الشيخ الصوفي يوسف بن أيوب الهمداني الواعظ الذي دخل بغداد و تعلم بها الفقه حتى برع فيه وتعبد ودخل بغداد سنة(506هـ/1112)، وكان له قبول كثير، فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء، فأذاه في مسألة (لم تذكر) فقال له احبس فإنني أجد من كلامك رائحة الكفر وبعلك تموت على غير دين الاسلام، فاتفق بعد مدة أن ابن السقا هذا قد خرج الى بلاد الروم وتنصر¹ كما عرف الشيخ المبارك بن علي بن الحسن أبو سعد المحرمي بالفتوى والفقه، فقد كان فقيها (ت513هـ/1119م)² .

وممن عرف باهتمامه بالفقه الشيخ أبو بكر الطرطوشي (ت520هـ/1126م)، محمد بن الوليد الفهري، الندلسي المالكي، نزيل الاسكندرية وأحد الأئمة الكبار، أخذ السنن عن أبي علي التستري و تفقه، وكان ورعا دينامت واضعا متقشفا³ .

وكان الشيخ أحمد الغزالي أخو الشيخ أبو حامد الغزالي فقيها وكان ذا حظ من الكلام والزهد، وله نكت جيدة، غير أن هناك اختلاف في شأنه حيث قال ابن الجوزي: وقد

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ص ص(63 - 69).

² - ابن الجوزي، (المنتظم)، ج17، ص28.

³ - الذهبي، (العبر)، ج2، ص414.

كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط ورواية الأحاديث الموضوعة المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكورة من كلامه فأنه أعلم، في حين قال ابن خلكان، كان واعظاً مليح الوعظ، حسن المنظر، صاحب كرامات وإشارات وكان من الفقهاء ا "إحياء علوم الدين" في مجلد سماه "لباب الأحياء" وله " الذخيرة في علم البصيرة"، وطاف البلاد و خدم الصوفية بنفسه، وكان مائلاً الى الانقطاع والعزلة.¹

كما اهتم الشيخ الصوفي الزاهد عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد أبو طاهر الحسن بادي الأصبهاني(ت522هـ/1128 م)، وهو الشيخ المعروف بمكشوف الرأس، وقد كان أوحده في طريقته، صلوا في السنة، معروفاً بخصاله الجميلة: وأخلاقه المرضية والذي اشتهر بمعرفته بالفقه² كما قال الشيخ الهمداني أبو المعالي عبد الله بن محمد الميانجي(ت525هـ/1131 م)، من العارفين بالفقه، وقد كان يضرب به المثل في حدة الذكاء³ وقد ظهر أيضاً دور الشيخ الصالح، الزاهد اسماعيل بن عبد الملك بن علي، (ت529هـ/1135 م)⁴ أبو القاسم الحاكمي الذي تفقه وكان صديقاً للشيخ الغزالي، وأكثر سناً، فكان الغزالي يحترمه و يكرمه، وقد عرف الشيخ ببراعته في الفقه، وهذه الى جانب عبادته وورعه⁵ وممن كان له من العباد الصالحين الصوفية اهتمام بالفقه الشيخ الصوفي، المعروف بابن الخيازة(ت530هـ/1136 م)، أبو بكر العامري، والذي كانت له معرفة بالفقه الشرعي⁶ وممن عرف بالفقه الشيخ أبو حفص

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص39.

² -الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص380.

³ -الذهبي، (العبر)، ج2، ص426.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص ص(53-54).

⁵ - نفس المصدر، ج7، ص55.

⁶ -الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص576.

عمر السهروردي (ت533هـ / م1139)، الذي نزل بغداد وتفقه بها، وكان حسن الطريقة، جميل الأمر¹.

وممن عرف أيضا من الشيوخ العباد الصوفية المهتمين بالفقه الشيخ الصالح، الورع عبد الملك الطبري، المتوفي ما بين (520هـ/1126م) و (530هـ/1136م) وهو الذي أقام في مكة مدة 40 سنة على الاجتهاد والجد في العبادة، وكان مهتما كثيرا بالفقه فقد كان يتفقه في المدرسة² وممن برع أيضا من المشايخ في الفقه الشيخ الرائع، العابد، الصالح، أبو يعقوب الهمداني (ت535هـ/1141م)، وقد تفقه، وبرع في الفقه، وقد تعبد، وأقام بالجبال، وصحب المشايخ الصالحين، وعاد الى بغداد، وهو يعد من بقية مشايخ الطريق العاملين، تفقه على المذهب الشافعي و برع فيه³ وقد عرف بورعه، وهو التقي، الناسك، العامل بعلمه، القائم بحق العلم، وكان على سداد واستقامة هو ومن كان معه⁴.

وعرف الشيخ الصوفي الصالح ابراهيم بن محمد بن ينهان بن محرز، أبو اسحاق الغنوي الرقي بفقهه، وقد كان فقيها شافعيًا، تفقه على يد الشيخ أبي حامد الغزالي، وقد كتب الكثير من صفات الغزالي و قرأها عليه مدة، وصحبه مدة، وقد أقر له الشيخ الفقيه الحنبلي المؤرخ أبو الفرج ابن الجوزي بأن له صمت، وعليه وقار وخشوع، وروى عنه وممن عرف باسهامه الكبير في الفقه من مشايخ الصوفية الشيخ الورع، الزاهد، العابد، الامام الجنيد بن محمد أبو القاسم (ت547هـ/1152م)، نزيل هداة، الفقيه الفاضل، اشتغل بالفقه وأعطاه اهتماما كبيرا⁵ وممن عرف باسهامه في الفقه الشيخ الصوفي الصالح أبو الفتح الكسميهني المروزي (ت548هـ/1153م)، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن

¹ - الذهبي، (سير اعلام النبلاء)، ج22 (374-376).

² - الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ-1995م)، ج36، ص193.

³³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص63.

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج2، ص448؛ الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، صص (643-644).

⁵ - نفس المصدر، ج11، صص (904-905).

أبي توبة، الذي تفقه، وكان عالماً حسن السيرة لم ير في الشيوخ العباد الصوفية مثله، وهو جميل الأمر¹ كما عرف أيضاً الشيخ الصالح العلامة أبو سعد النيسابوري (ت548هـ/1153م) محمد بن يحيى بن أبي منصور الفقيه، الشافعي الورع، الزاهد، محي الدين تلميذ الشيخ الغزالي، تفقه على يدي شيخه و برع في الفقه، وصنف في المذهب، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء في نيسابور، وأخ ذ الفقهاء عنه من النواحي، وذاع صيته، وصف كتاب "المحيط في شرح الوسيط" في الفقه وغيره، وهو زاهد عالم²

وممن عرف من المشايخ الصوفيين العباد، الزهاد في الفقه الشيخ الصوفي ، القدوة أبو البيان (ت551هـ/1156م)، نبا بن محمد، المشهور "بابن الحوراني" وقد كان له الباع الطويل في الانتاج العلمي والاهتمام بالفقه، وهو الفقيه الفاضل الخاشع، قرأ كتاب التنبية على مذهب الشافعي، وكان على طريقة صالحه توفي بدمشق³

عرف أيضاً الشيخ العابد، الزاهد، الورع، الشيخ أبو البركات الأنباري الذي تفقه، وقد عرف بشدة خشوعه، وخوفه من العلي القدير، فقد كان كثير البكاء(ت552هـ/1157م)⁴ وممن كان لهم اليد الطولي في الفقه الشيخ عبد القادر الجيلي(ت561هـ/1166م) وهو الشيخ الغني عن التعريف، والذي دخل بغداد و تفقه بها، وهو الشيخ الزاهد، العابد، صنف كتاباً، والشيخ معروف بأنه من كبار سادات المشايخ الكبار، قدس الله روحه ونور ضريحه، توفي من عمر تسعين سنة ببغداد⁵.

برز دور الشيخ الصوفي العابد ، الزاهد، الشيخ أبو النجيب السهروردي، (ت563هـ/1168م) عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عمويه الذي كان له اهتماماً

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص940.

² - نفس المصدر، ج11، ص946.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص83.

⁴ - نفس المصدر، ج7، ص85.

⁵ - نفس المصدر، ج7، ص101، ص104.

بالغا بالفقه، فقد أجد في طلب الفقه¹ وممن عرف أيضا في مجال الفقه من شيوخ الصوفية الشيخ كمال الدين أبو البركات (ت577هـ/1181م)، عبد الرحمان بن محمد بن أبي اسعادات عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأنباري، الشيخ، الورع، العابد الزاهد، الفقيه، وقد كان خشن العيش، ولم يكن يقبل من أحد شيئا ولا حتى من الخليفة، وكان يحضر مع الصوفية في دار الخلافة ولا يأخذ شيئا من جوائز الخليفة، وقد عرف بصبره.²

وممن كان له خط وافر في الفقه خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، الشيخ الصالح، الزاهد، أبو العباس الرفاعي (ت578هـ/1182م) بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المشهور بابن الرفاعي، وهو شيخ الطائفة الرفاعية، ويقال لهم "البطائحية" نسبة الى سكناه في أم عبيدة من قرى البطائح، وهي تقع بين البصرة وواسط وقد كان كثير الأتباع، وذكر عنه أنه قد حفظ كتابا في الفقه، وهو مذكور في كتاب مقال الشافعية، ولم يكن للشيخ عقب، فتوارث المشيخة أبناء أخيه.³

كان الشيخ المصري نجم الدين الخبوشاني (ت587هـ/1191م) محمد بن الموفق الصوفي الزاهد، دور با رز في مجال الفقه، وهو فقيه شافعي، ألف كتاب "تحقيق المحيط" في ستة عشر جزءا (مجلدا)، سكن مصر، وأفتى، وقد احترمه صلاح الدين وأحله، وهو من أمر بالدعاء لبني العباس⁴ كذلك كان الشيخ الصوفي، الزاهد، العابد، أبو علي الفارسي (ت594هـ/1198م)، الحسين بن مسلم شيخ الزهاد في نتمته، بلده العراق، وهذا اشتغل بالفقه واهتم به، وكان متبتلا.

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، صص (164-165).

² - نفسه.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، صص (166-167).

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج3، صص (90-95).

في العبادة، كثير البكاء، حتى قيل بأنه من الأبدال، توفي عن عمر تسعين سنة¹ وهكذا فقد كان دور الصالحين الصوفيين في علم الفقه كبيرا جدا خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وقد ظل هذا الدور الايجابي بارزا خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فقد ظل جهودهم في مجال الفقه متواصلا.

الشعر:

وممن قال شعرا من صوفية القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، الشيخ الصالح، الزاهد، العالم أبو عبد الله الحويني السابق الذكر (ت533هـ/1138م) وقال شعرا عند دخوله أحد البلدان (لم يذكر اسمها) فلما ودعهم أنشدتهم قائلا.

لئن كان لي من بعد عود اليكم
وإن تكن الأخرى وفي الغيب عبرة
قضيت لبنان الفؤاد لديكم
وحال قضاء فالسلام عليكم²

ومن قال من الصوفية العبادة شعرا خلال القرن (6هـ - 12م)، الشيخ أبو بكر العامري السابق الذكر، قال:

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي
وكيف أساوي وفي حبي له ش غل
وحتى عند احتضاره قال شعرا فيه:
ها قد بسطت يدي اليك فردها
والشوق أملك لي من عدل عدالي
يحول بين مهماتي وأشغالي
بالفضل لا بشماتة الأعداء³

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص55.

² - نفس المصدر، ج7، ص55.

³ . نفس المصدر، ج7، ص ص (55-56)

-ومن أشعار أبو الحسن الغزنوي (ت551هـ/1156م)

كم حسرة لي في الحشا
أملت فيه رشده
وقال أيضا:
من ويد إذا نشأ
فما نشأ كما أشأ

يחסدني قومي على صنعتي
سهرت في ليلي واستغشوا
لأنني في صنعتي فارس
هل يستوي الساهر والناعس¹

كما كان للشيخ ابن الحوراني (ت551هـ/1156م) أبو البيان أشعار مطبوعة فهو من شعراء الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي² غير أنني لم أقف على أشعاره

- ومن أشعار الشيخ أحمد الرفاعي البطائحي العراقي (ت578هـ/1182م) -

إذا جن ليلي هلم قلبي بذكركم
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى
سلو أم عمرو كيف بات أسيرها
فلا هو مقتول ففي القتل راحة
أنوح كما ناح الحمام المطوق
وتحتي بحار بالأسى تتدفق
تفك الأسارى دونه وهو موثق
ولا هو ممنون عليه فيطلق

ومن شعره أيضا:

أغار عليها من أبيها وأمها
واحذر للمرأة أيضا بكفها
ومن كل من يدنو إليها و ينظر
إذا نظرت منك الذي أنا انظر³

¹. ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 82.

²- الذهبي، (العبر)، ج3، ص 15.

³. ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص ص (166-167).

وممن قال شعرا من مشايخ الصوفية، الشيخ الصوفي محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الحافظ أبو الفضل المقدسي (ت507هـ/1113م) و قاله شعرا:

ساروا بها كالبدر في هودج	يميس محفوقا بأترابه
فاستعبرت تبكي ، فعانتبتها	خوفا من الواشي وأصحابه
فقلت لا تبكي على هالك	بعدك ما يبقى على ما به
للموت أبواب، وكل الورى	لا بد أن تدخل من بابه
وأحسن الموت بأهل الهوى	من مات من فرقة أحبابه
خلعت العذار بلا منة	على من خلعت عليه العذارا
وأصبحت حيران لا أرتجي	جنانا، ولا اتقي فيه نارا ¹

وممن كتب شعرا خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي على طريقة الصوفية الواعظ، الأديب، الشاعر، عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي، أبو محمد السهروردي (ت 521هـ/1127م)، الملقب بالمرتضى، والد القاضي كمال الدين، وله قصيدة طويلة طنانة على طريقة الصوفية وهي:

لمعت نارهم وقد عسعس اللي	ل ومن الحادي وحر الدليل
فتأملتها وفكري من البيـ	ن عليل و لحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى	وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي	هذه النار نار ليلي فميلوا

وفيهما حوالي أربعين بيتا شعريا² وهذا دليل على أن الشعر الصوفي قد أصبح معروفا في هذه الفترة أي خلال فترة لقرن (7م هـ / 12م) وأصبح هناك من الأدباء والشعراء من يكتب على منواله مقلدا له.

¹. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج11، ص 99.
²- نفس المصدر، ج11، ص ص(367- 368).

وممن قال شعرا من صوفية القرن (6هـ / 12م) الشيخ أحمد الغزالي أخو الشيخ أبو حامد الغزالي (ت520هـ/1126م) و اختلف في شأنه ومما قاله:

أنا صت مستهام	وهموم لي عظام
طال ليلي دون صبحي	سهرت عيني وناموا
لي غليل وعليل	وغريم وغرام
ففؤادي لحبيبي	ودمي ليس حرام
ثم عرضي لعذولي	أمة العشق كرام ¹

وممن قال شعرا من شيوخ الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، أبو الوفاء الشيرازي الفيروز أبادي (ت528هـ/1134م)، ومما قاله شعرا:

وحط نم في حافات وجه	له في كل يوم ألف عاشق
كان الريح قد مرت بمسك	ودرت ما حوته على الشقائق ²

وممن قال شعرا من مشايخ الصوفية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن حمزة المقدسي (ت 548هـ/1153م) ومما قاله شعرا:

ما لنفسي ومالها	قد هوت في مطالبها
كلما قلت قد دنا	وتجلى ضلالها
رجعت تطلب الحرام	وتأبى حلالها
عاتبوها لعلها	ترعوي عن فعالها
واعلموها بأن لي	ولها من يسألها ³

¹- الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص312.

²- نفس المصدر، ج11، ص956.

دور الصوفية في التعليم:

لقد اهتم مشايخ الصوفية خلال القرن (6هـ/12م)، بالتعليم الذي أعطوه مكانة كبيرة وممن اشتغل بالتدريس لشيخ الصوفي الزاهد أبو الفتح الحلواني (ت505هـ/1106م)، محمد بن علي بن محمد شيخ الحنابلة والذي كان مدرسا، وقد عرف بنزاهته¹ كما اهتم بالتدريس أيضا الشيخ أبو حامد الغزالي، الذي درس الطلبة، وقد ولاه الوزير المعروف نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية التي كانت قائمة في بغداد، فقد طلب منه التوجه إليها والتدريس بها² وممن اهتم بالنشاط التعليمي "التدريس" الشيخ الصوفي أبو سعد المغربي (ت513هـ/1119م) ابن علي بن الحسين، وقد كان من المدرسين المعروفين، وهو صالح السيرة جميل الطريقة"، درس بمدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي، وهي المدرسة التي بنيت في باب الأزج ببغداد.³

كان للشيخ الصوفي أحمد الغزالي (520هـ/1126م) أ الشيخ أبو حامد الغزالي دور في التدريس فقد درس في النظامية فقد ناب على أخيه في تلك.⁴

اهتمت النساء العابدات الزاهدات بالنشاط العلمي والتدريس فقد سمح الشيخ ابن الجوزي من الشيخة صالحة، الزاهدة العابدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية (ت522هـ/1128م)⁵ كما اهتم الشيخ العابد ابن الأبيرودي (ت531هـ/1137م) محمد بن أحمد بن علي أبو الحسن الزاهد، الذي اهتم بالتعليم لدرجة أنه تبرع بداره التي بالبدرية لفائدة العلم والطلبة، فقد جعل داره السابقة الذكر الى مدرسة للحنابلة في بغداد⁶ كما كان

¹-الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص ص(61- 62)

²-نفس المصدر، ص ص (62- 63)

³- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص25

⁴- الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص 310

⁵- ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص41

⁶-الذهبي، مصدر سابق، ج11، 553

اهتمام الشيخ الصالح، الزاهد، العابد الصوفي أبو يعقوب الهمداني (ت535هـ/1140م)، يوسف أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة كبيراً بالتدريس، فقد أقام مجالساً علمية في المدرسة ببغداد وهو الذي لقي قبولا تاماً، وهو حسن السيرة، ورع، تقي، ناسك عامل بعلمه، قائم بحق العلم.¹

وممن اهتم بالنشاط العلمي وترقيته الشيخ الصالح أبو الفتح الحاجب (ت557هـ/1162م)، حمزة بن علي بن طلحة، والذي كان من المقربين من الخليفة العباسي المسترشد، والخليفة المقتفي، وقد قام ببناء مدرسة إلى جانب داره، وقد قصد الحج فرجع منه متزهداً، وقد لزم بيته حوالي 20 سنة حتى أن أحد الشعراء قد مدحه قائلاً:

يا عَضِدَ الإسلامِ يا من سميت إلى العِلاهِمته الفاخرة
كانت لك الدنيا فلم ترضها ملكاً فاخذت إلى الآخرة²

وممن كان له دور جبين في التدريس الشيخ الصالح الشيخ عبد القادر الجيلي (ت561هـ/1166م) دخل بغداد وقد عرف بزهده ومبائده، وهو من كبار سادات المشايخ الكبار كانت له مدرسة ببغداد، وعندما توفي دفن بمدرسته³.

كان للشيخ الصالح، العابد، الفضل الشيخ أبو النجيب السهروردي (ت563هـ/1168م)، عبد القاهر بن محمد بن عمويه، دور كبير في التعليم والنشاط العلمي، فقد درس في المدرسة النظامية ببغداد، كما بنى لنفسه مدرسة، وعندما توفي دفن بمدرسته تلك⁴ كما كان للشيخ المصري الصوفي نجم الدين الخبوشاني (ت587هـ/1191م) د في

¹-الذهبي، مصدر سابق، ص ص(644-645).

²- ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص93.

³- نفس المصدر، ج7، ص101

⁴- نفس المصدر، ج7، ص104

في النشاط العلمي في التعليم ، فقد لأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي ببناء مدرسة للشافعية على قبر الامام الشافعي، وقد عين الشيخ نجم الدين مدرسا فيها وناظرا لها.¹

علم القراءات:

ومن العلوم الأساسية في علوم القرآن الكريم علم القراءات² وقد برز في هذا العلم جماعة من مشايخ الصوفية بالمشرق الاسلامي من خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي مثل الشيخ اسماعيل بن نصر الطوسي الصوفي(ت519هـ/1125م)، الذي اهتم بعلم القراءات، فقد كان مقرئا وهو دمشقي لقن بجامع دمشق³ كما عرف أيضا في علم القراءات الشيخ الصوفي الصالح اسماعيل بن أبي القاسم (ت531هـ/ 1137م)، الشيخ المعمر ذو الهمة والسعي، فقد كان مقرئا⁴ كما عرف أيضا الشيخ الصوفي بن الحسين بن سعادة (ت534هـ/1140م) أبو يعلى السبتي ثم البغدادي المقرئ الصوفي، نزيل نيسابور.⁵

عرف أيضا في علم القراءات الشيخ الصوفي عثمان بن علي بن محمد أبو القاسم الجرموعي(ت539هـ/1144م)، الدوقاني الزاهد الشيخ ، الكثير العبادة، المقرئ⁶ كما برز في علم القراءات الشيخ الصوفي، الصالح، العابد عمر بن أحمد بن حسين، أبو حفص الهمداني الوراق(ت542هـ/1147م) س بغداد وتوفي بهمدان في جمادى الثانية⁷

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ص148.

² - علم القراءات، وهو علم يعتمد على مجموعة من القراءات التي تسهل النطق الصحيح حتى لا يختل معنى القرآن أو يتغير، وهو يبحث في القرءات ورواياتها. القنوجي، مصدر سابق، ج2، ص349 . ابن خلدون، (المقدمة)، ص 484.

³ - الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص300

⁴ - نفس المصدر، ص ص(439 - 440).

⁵ - نفس المصدر، ص ص 619.

⁶ - نفس المصدر، ص711،

⁷ - الذهبي، مصدر سابق، ص ص(809 - 810).

و كان الشيخ علي بن أبي بكر الحسين بن أبي معشرا (ت544هـ/1149م)، أبو الحسن البغوي، الصوفي، مقرئاً¹ كما برز أيضا في هذا العلم الشيخ الصوفي أحمد بن عبد الله بن الحسين (ت547هـ/1152م) أبو محمد بن الأعلقي الواسطي، الشيخ المتمسك بالسنة، الزاهد، مقرئاً² كما كان الشيخ احمد بن أبي غالب بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس (ت548هـ/1153م)، المعروف بابن الطلاية البغدادي، الزاهد، العابد، كان من مشايخ الصوفية المهتمين بعلم القراءات.³

وممن كان له الباع الطويل في الحياة العلمية، وفي علم القراءات الشيخ الصوفي، الصالح، العابد، الزاهد، القدوة أبو البيان نبا بن محمد المشهور بابن الحوراني (ت551هـ/1156م)، والذي قرأ القرآن الكريم، وكان عارفا بأصول القراءة، وكان حسن المعرفة⁴ كما عرف أيضا الشيخ أبو البركان الأنباري (ت552هـ/1157م)، والذي اهتم بعلم القراءات، وقد رزق أولادا صالحين حفظهم القرآن الكريم وحفظ خلقا كثيرا.⁵

علم الحديث:

لقد اهتم مشايخ الصوفية العباد بعلم الحديث⁶ خلال القرن (6هـ/12م)، فهو يعد ثاني مصادر التشريع في الاسلام بعد القرآن الكريم، وقد ظهر جليا الجهد الكبير الذي قام

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ص 902.

² - نفس المصدر، ص ص(902-903)ز

³ - نفس المصدر، ص 921.

⁴ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص83.

⁵ - نفس المصدر، ج7، ص85.

⁶ - علم الحديث: وهو علم يبحث في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وأحواله، وفيه أقسام منها العلم برواية الحديث ومدى صلته بالنبي (ص) من حيث وضع روايته وحالهم وعدالتهم، ومن حيث وضعية السند ايصالا وانقطاعا، وهو ما يعرف بعلم أصول الحديث، وكذلك العلم بدراية الحديث من حيث المعنى بالرجوع الى قواعد التقويم والضوابط الشرعية ومدى مطابقتها لأحوال النبي (ص). (القنوجي، مصدر سابق، ج2، ص219؛ ابن خلدون، (المقدمة)، ص ص(488-489)، الكنانى محمد بن جعفر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور السنة المصنفة تحقيق محمد المنتصر، ط4، دار البشائر للنشر، بيروت، لبنان، (1406هـ-1986م)، ج1، ص ص(2-3).

به مجموعة من مشايخ الصوفية المجتهدين في هذا العلم، مما ساهم في الحفاظ على الحديث الشريف¹ وانتشاره بين الطلبة الدارسين الذين كانوا يأخذون الحديث عن شيوخهم كالمسند الصحيح في الحديث النبوي كالجامع الصحيح للإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256هـ/870 م) وممن عرف من الصوفية العباد في هذا الباب خلال هذه الفترة نجد الشيخ الصوفي بو عبد الله النسوي (ت 500هـ/1106م)، وهو أسعد بن أحمد بن محمد بن حيان، وهو من خواص الشيخ الصوفي أبو القاسم القشيري، سمع من جماعة وروى² كما كان للشيخ الصالح العابد الدوني (ت 501هـ/1107م) أبو محمد عبد الرحمان بن محمد، دور جليل في نقل الحديث الشريف، فقد روى السنن عن أبي نصر الكسار، وقد عرف بزهده وهو سفياني المذهب توفي بقرية تبعد عن همدان مسيرة يوم واحد³ كما كان الشيخ الصوفي النيسابوري أحمد بن علي بن أحمد بن سعيد أبو حاتم من الرواة المحدثين، وقد حدث ببغداد وروى عنه السلفي حدث سنة (502هـ/1108م) ووفاته غ ير معلومة والمهم في الأمر أنه كان له دور كبير في الجانب العلمي من خلال اجتهاده في السماع والرواية.⁴

كان للشيخ الصالح الزاهد العابد أحمد بن علي بن القاسم البصري دور في الرواية⁵ وعرف الشيخ أحمد بن علي بن أحمد، أبو بكر بن العبي (ت 503هـ/1109م)، ت 503هـ/1109م)، للحديث الشريف، وقد جدت عن جماعة، كان في صباه صنائعيًا وقد ورث عن أبيه عقارا فكان يبيع منه ليقنات، سافر الى الحج وتوفي عشية عرفات،

¹-القنوجي، مصدر سابق، ج2، ص219.

² الذهبي: تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (2003م' -1424م)، ج10، ص824.

³- الذهبي: العبر في خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسبوني زغلول، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص382.

⁴- الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص31.

⁵- نفس المصدر، ج11، ص31.

وكان محرماً وقد دفن عند قبر الشيخ الصوفي الصالح الفضيل بن عياض، وقد حكى عن الشيخ أنه كان كلما جاء مكة وإلى قبر الفضيل يخط بعصاه ويقول: يارب ها هنا يا رب ها هنا فدفن كما كان يتمنى رحمهما الله¹ وممن ساهم في رواية الحديث أيضاً من الصوفية الصالحين العابدين الشيخ الفضل بن محمد بن عبيد القشيري النيسابوري (ت506هـ/1112م)، وقد روى الكثير وعاش خمسا وثمانين سنة² كذلك اهتم الشيخ أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) بال حديث الشريف حيث أقبل على دراسة الحديث ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين.³

وممن ساهم في رواية الحديث أيضاً الشيخ الصالح الصوفي، احمد بن محمد بن عمر بن ابراهيم، أبو منصور الكرمانى الأصبهاني الواعظ، الزاهد المعروف بابن ادريس فقد روى عنه (ت506هـ/1112م)⁴ كما كان الشيخ الصوفي محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الحافظ أبو الفضل المقدسي، الملقب بابن القيسراني الشيباني (ت507هـ/1113م)، الذي دخل بغداد سنة (467هـ/1074م)، وقد حج وجارو بمكة، وتصوف او اهتم بالحديث والسنة، ورحل الى مصر بإشارة من شيخه فسمع بها بحلب واصبهان، وقد روى عنه جماعة، وهو من أحفظ الحفاظ، وقد كتب "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و"أبي داود" سبع مرات بالورقة وكتب "سنن ابن ماجة" عشر مرات ماعدا ما كتب وهو، وكان كثير المشي في طلبه للحديث⁵ وقد قال عنه شيروية في تاريخ همذان أن محمد بن بن طاهر سكن همذان وبنى بها دار، وكان ثقة، صدوقاً، حافظاً، عالماً بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كثير التصانيف، جيد الخط، ملازماً للأثر، بعيداً عن الفضول، خفيف الروح، قوي السير في السفر، كثير الحج والعمرة، كتب عن

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص43.

² - الذهبي، (العبر)، ج2، ص388.

³ - الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص63.

⁴ - الذهبي، نفس المصدر، ج11، ص73.

⁵ - نفس المصدر، ج11، ص(92-93).

عامّة مشايخ الوقت، في حين انتقده آخرون¹ كما ساهمت الشّيخة العابدة الزاهدة المتصوفة ملكة بن داود بن محمد في الرواية، وهي التي سمعت بمصر (452هـ/1060م) بمكة أيضاً، وقد أقامت فترة في دويرة السميّساطي بدمشق وقد روي عنها توفيت رحمها الله سنة (507هـ/1113م)، عن عمر مائة وخمس سنوات² وهكذا فقد كان للنساء نصيب في العبادة والزهد والتصوف.

وساهم أيضاً الشّيخ الصالح الزاهد الحنفي نصر بن أحمد بن إبراهيم أبو الفتح الهروي، (ت507هـ/1113م) المعروف بصحة عبادته بسماعه من جده لأمه وجماعة، وهو مسند الوقت، وقد كتبت له ثلاث مجلدات³ وكان الشّيخ أحمد القزويني (ت511هـ/1117م) من كبار المحدثين في بغداد.⁴

وممن كان لهم دور في الرواية الشّيخ الصوفي العابد، الزاهد (ت512هـ/1118م) أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الهيثم أبو عبد الله الأسواري الأصبهاني، روي وروي عنه عاش سبعين سنة⁵ وكذلك الشّيخ الصالح الصوفي أبو عبد الله الشجري نزيل هداة (ت512هـ/1118م) عيسى بن شعيب بن إبراهيم، الزاهد المعمر، الحافظ بهداة وعدته، وقد سمع من والده "الصحيح" في الحديث، وهو يحمل على كتفه، وقد كان حريصاً على السماع⁶ كما كان للشّيخ أبو القاسم الأنصاري العلامة سلمان بن ناصر النيسابوري، الشافعي (ت512هـ/1118م)، المتكلم، البارع، إمام الحرمين، وصاحب المؤلفات والتصانيف، روي الحديث الشريف، وهو من أصحاب أبي القاسم

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص99

² - نفس المصدر، ج11، ص104

³ - نفس المصدر، ج11، ص146

⁴ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص156

⁵ - الذهبي، مصدر سابق، ص186

⁶ - نفس المصدر، ص (155-156).

القشيري، وقد كان شيخا زاهدا، عابدا¹ ومما كان له اسهام في هذا المجال الشيخ أحمد بن محمد أبو العباس الهاشمي يعرف بابن الزوال العدل، ولد يوم عرفة، سمع وروى، وكان زاهدا متقشفا توفي سنة (512هـ/1118م)²، كما عرف في علم الحديث الشيخ الصوفي المبارك بن علي بن الحسين، أبو سعد المخرمي، وقد ناب في قضاء بغداد، وعرف بصلاح سيرته، وجميل طريقته توفي سنة (513هـ/1119م)³، وممن عرف باسهامه الكبير في مجال علم الحديث الشيخ العابد، الزاهد الصالح النوبندجاني الصوفي(ت513هـ/1119م)، ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن يوسف أبو غالب، وقد كان محدثا، صالحا⁴.

وكان الشيخ أبو الفتوح الاسفرائني دور كبير فقد كان يورد الأحاديث بالأسانيد(ت516هـ/1122م)⁵ كما روى الشيخ الصوفي أبو منصور الحلقي النيسابوري النيسابوري (ت516هـ/1122م)، و جامع بن عبد الصمد روى عن جماعة⁶ كذلك ظهر دور الشيخ الصالح عمر بن الأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن الخراساني دورا جليا بارزا في علم الحديث، وهو الشيخ الملقب بالحامدي الزاهد الأستاذ أبو عبد الرحمان سمع صحيح مسلم و سمع من جماعة وحدث⁷ وكان الشيخ الصوفي الصالح، الزاهد، أحمد بن بن بمحمد بن أبي الفتح بن منصور، (ت517هـ/1123م)، أبو القاسم الأصبهاني القصاب الطويل، روى عن جماعة وسمع وروى عنه⁸ وممن كان له دور في الرواية الشيخ الصوفي حمزة بن العباس بن علي بن الحسن بن علي الشريف، أبو محمد العلوي

¹ - الذهبي، (العبر)، ج2، ص399.

² - ابن الجوزي، (المنتظم) ج17، ص164.

³ - ابن الكثير، مصدر سابق، ج7، ص25.

⁴ - ابن الجوزي، مصدر سابق، ج17، ص174.

⁵ - نفس المصدر، ج17، 210.

⁶ - الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، 249.

⁷ - مصدر سابق، ج11، ص258.

⁸ - نفس المصدر، ج11، ص272.

الحسيني الأصبهاني الصوفي، سمع وروى، وقد كان شيخ الصوفية ومقدمهم، حسن السيرة، جميل الأمر، ورع، عفيف (ت517هـ/1123م)¹ كما كان الشيخ الصوفي العارف النبيل عيسى بن اسماعيل بن عيسى بن اسماعيل بن محمد، أبو زيد العلوي الحسيني، الأبهري، فقد كان له حال عجيب في السماع وكان كيساً، ظريفاً، وروى عنه جماعة (ت517هـ/1123م)².

كان للشيخ اسماعيل بن نصر الطوسي الصوفي (ت519هـ/1125م)، الذي سمع من جماعة وحدث وأجاز لابن عساكر دور واضح في الحديث³ كما كان للشيخ الصالح الصوفي أحمد بن عبد السلام بن محمد بن حميد أبو عبد الله بن أبي الطلائع الطوسي النيسابوري دور في الحديث⁴ فقد سمع وحدث ببغداد، وهو الملقب بالشيخ أبو عبد الله (ت520هـ/1126م).

وكذلك كان للشيخ الصوفي أبو العباس الرازي (ت520هـ/1126م)، أحمد بن محمد بن علي الخياط دور كبير فقد روى وروى عنه⁵ كما كان للشيخ الصوفي عبيد الله بن عبد عبد الكريم بن هوران أبو الفتح بن القشيري النسابوري، الشيخ الفاضل، العابد الزاهد، له مؤلفات في علم القوم، قطن بأسفرايين، وحدث عن أبيه، وقد حدث ببغداد، توفي سنة (ت521هـ/1127م)⁶ وكان للشيخ الصوفي الزاهد عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد أبو طاهر الحسن بادي الأصبهاني (ت522هـ/1128م) دور كبير في الرواية، فقد سمع من جماعة وروى عنه جماعة من الأصباهنين، وكان من

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص273.

² - نفس المصدر، ص279.

³ - نفس المصدر، ص300.

⁴ - نفس المصدر، ص309.

⁵ - نفس المصدر، ص310.

⁶ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص370.

المجيزين، وقد كان اوحدا في طريقته، صاحب كرامات، صلبا في السنة، روى عنه جماعة، وهو من المعروفين بالخصال الجميلة والأخلاق المرضية.¹

كان للشيخ الصوفي أبو البركات، محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن أبي الخير الميهني أخو أحمد وأبي القاسم(ت523هـ/1129 م) ، الحسن الخلق، المتواضع، صاحب طريقة حميدة، حدث وروى عنه جماعة² كما كان للشيخ الصوفي علي بن الحسين بن محمد بن مهدي الأستاذ أبو الحسن البصري الصوفي العارف رجل في البلاد مصر والشام والجزيرة واذربيجان ولقي العباد، سكن بغداد فسمع و روي عنه جماعة منهم أبو القاسم بن عساكر المؤرخ، توفي (526هـ/1132م)³ و ظهر الدور البارز للشيخ الصالح الزاهد، القدوة، الصوفي، العابد، محمد بن حمويه ، أبو عبد الله الحويني الصوفي، شيخ ناحيته له قدم راسخ في طريق القوم، الزاهد، العارف، الكبير، قدم بغداد مرتين وحدث بها، وحدث عنه ابن عساكر وابن سكيئة، وهو جد الشيوخ بني حمويه في الشام ، توفي سنة (530هـ/1136م)⁴ .

كان الشيخ علي بن القدوة الكبير أبي علي الفضل بن محمد أبو الحسن الغارمدي من المحدثين (ت530هـ/1136م)، وركنا في الطريقة⁵ وهو من الملتزمين بطريقة المشايخ.

كان الشيخ أبو بكر العامري (ت530هـ/ 1136م)، الملقب بابنالخنازة، والذي رحل و سمع بمناطق عدة وروى عنه ابن الجوزي وغيره كانت له معرفة بالحديث

¹ - الذهبي،مصدر سابق، ص380.

² - نفس المصدر، ص389.

³ - نفس المصدر، ص541.

⁴ - نفس المصدر، صص(509 - 510).

⁵ - الذهبي،(تاريخ الاسلام)، ج11، ص 522.

الشريف¹ كما روى الشيخ الصوفي الصالح الزاهد المهتم بعلم الحديث الشريف الشيخ اسماعيل ابن أبي القاسم القارئ أبو محمد النيسابوري، كان صالحا روى "صحيح مسلم" كاملا (ت 531هـ/1137م)² كما ظهر أيضا دور الشيخ بدر بن ثابت بن روح أبو الرجاء الأصبهاني الصوفي، الصالح في الحديث فقد سمع وحدث عاش سبعون سنة توفي (532هـ)³ كما كان الشيخ الزاهد، حمد بن منصور، أبو نصر الدوغي الهمداني الصوفي، نزيل بغداد، سمع وحدث، توفي (533هـ/1139م) وقارب التسعين سنة.⁴

وساهم الشيخ الصوفي عطاء بن أبي سعد بن عطاء، أبو محمد الثعلبي الهروي الصوفي، الفقاعي في الحديث فقد سمع بنيسابور وبغداد، وقد روى عنه أولاده، وقد كان شديد الالتزام بالسنة، وقد حكى عنه قصة طريفة يتوضح فيها شدة التزامه بالسنة النبوية، فقد حكى عنه أنه كان في طريق الروم يعد ومع موكب النظام فوقع بغتة، فما لتقت إليها، ورمى الأخرى، وواصل عدوه، فأمسك النظام الدابة وقال: أين نعلك؟ قلت وقع أحدهما، قال: هب أنه وقع أحدهما؟ فلم خلعت الأخرى ورميتها؟ قلت لأن شيخي عبد الله النصاري أخبرني أن النبي (ص) نهى أن يمشي الإنسان في نعل واحدة، فما أردت أن أخالف السنة فأعجب النظام ما فعل وقال: اكتب إن شاء الله حتى يرجع شيخك إلى هداة.⁵

وكان للشيخ الصوفي عبيد الله بن أبي عاصم عبد الله بن أبي الفضل بن أبي سعد، أبو نصر الهروي، الدهان، الصوفي، الشيخ الصالح، سمع وحدث ببغداد لما حج فروي عنه، وممن روى عنه أبو الفرج ابن الجوزي وهو المتوفى سنة (539هـ/1144)⁶ وممن كان لهم دور في الحديث الشريف الشيخ بختيار بن عبد الله الهندي، أبو الحسن

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج 11، ص 511.

² - الذهبي، (العبر)، ج 2، ص 439.

³ - الذهبي، (تاريخ الإسلام)، ج 11، ص 566.

⁴ - نفس المصدر، ص 591.

⁵ - الذهبي، مصدر سابق، ج 11، ص ص (630 - 631).

⁶ - نفس المصدر، ج 11، ص 710.

الصوفي (ت541هـ/1146م)، عتيق القاضي أبو منصور محمد بن اسماعيل البوشنجي، رحل الى بغداد وروى عن ابن عساكر، ورحل الى بغداد والحجاز والبصرة ، وأصبهان، وهو شيخ صالح، متعبد، لا يغتر بالدنيا، روى عنه ثلاث أجزاء وقرئ عليه كتاب "السنة" للكائي، وكان شيخا متيقظا¹.

وكان للشيخ الصوفي الصالح، حنبل علي بن الحسين بن الحسن، أبو جعفر البخاري ثم الشجستاني الصوفي، قدم هداة وأدرك بها شيخ أبا اسماعيل، وصحبه وسمع منه، ومن جماعة، وروى عنه جماعة ، وكان كيسا، ظريفا، حدث بمرور هداة توفي سنة (541هـ/1146م)² وكذلك الشيخ نصر بن أسعد بن سعيد بن فضل الله بن أحمد الميهني الصوفي (ت541هـ/1146م)، و روى عنه³

وممن كان لهم دور بارز في الرواية الشيخ الصوفي يحيى بن زيد بن خليفة بن داعي بن مهدي بن اسماعيل أبو الرضا (ت542هـ/1147م)، العلوي الحسني الشاوي، شيخ الصوفية بساوة، المتدين الصالح، الخير، المتودد، المتواضع، النبيل سمع بأصبهان روى عنه جماعة، عاش سبعين سنة⁴ كما كان الشيخ الصالح، الصوفي عبد الله بن محمد بن سهل أبو المعالي العدوي (ت542هـ/1147م)، سمع بنيسابور وأخذ عنه⁵ وكذلك الشيخ عبد الرحمان بن طاهر بن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير، أبو القاسم الميهني، كان له سكون، ووقار سمع بنيسابور، وروى عنه جماعة.⁶

¹-الذهبي،مصدرسابق، ج11، ص778.

²- نفس المصدر، ج11، ص779.

³- نفس المصدر ج11، صص(795-796).

⁴-الذهبي،(تاريخ الاسلام)، ج11، ص798.

⁵- نفس المصدر، ج11، ص807.

⁶- نفس المصدر،ج11، ص808

كذلك الشيخ الصوفي محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو بكر الصوفي الخراساني (ت542هـ/1147م)، الخراساني النجار، الخوجاني، نزيل بغداد، سمع بمكة شيئاً ، روى كان شيخاً صالحاً، فيما بكتاب الله، الدائم البكاء، كثير الحزن، جاور بمكة¹

وكان للشيخ الصوفي ابن أبي الفرج بن علي الميهني الصوفي (ت543هـ/1148م)، سمع وروى عنه جماعة² وكذلك الشيخ عبد القادر بن جندب بن سمرة، أبو محمد الهروي، الصالح، العابد، سمع وروى³ وكذلك الشيخ الصوفي علي بن الحسين بن محمد، أبو عبد الله الطبراني، النقاش، سمع بطوس وبالري و بهمدان وروى عنه⁴ كما كما كان للشيخ الصوفي الصالح محمد بن الحسين بن أبي القاسم، أبو بكر الطبري، الشالوسي، وشالوس من قرى طبرستان، كان خيراً، حريصاً على طلب الحديث، وقد سمع وروى (ت543هـ).⁵

وكان الشيخ الصوفي محمد بن علي بن محمد بن حسام المروزي الملحمي الخير المتدين، سمع وروى عنه⁶ كما كان للشيخة الصالحة امنة بنت شيخ الشيوخ أبي البركات البركات اسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري، أمر عبد الرحمان، صاحبة أبي منصور علي بن علي بن سكيمة الصالحة، العابدة، القانتة، الخيرة، الكثيرة النوافل، حج ت عدة مرات، روت بالاجازة وأخذ عنها سمع منها (ت544هـ/1149م)⁷ كما كان للشيخ الجنيد بن محمد أبو القاسم العائني نزيل هداة، الامام، الورع المتعبد، شيخ الشيوخ بمهداة، كان

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص 811.

² - نفس المصدر، ج11، ص 825.

³ - نفس المصدر، ج11 ص 830

⁴ - نفس المصدر، ج11 ص 831.

⁵ - نفس المصدر، ج11 ، 834.

⁶ - الذهبي، مصدر سابق، ج11 ، ص 838

⁷ - نفس المصدر ، ص 851.

فاضلا، محدثا، صدوقا، معرفا بالزهد و العبادة، سمع الكثير (ت547هـ/1152م)¹ كذلك كان للشيخ الصوفي عبد الرحمان بن الحسن بن أحمد بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس، أبو القاسم الحرمانى، الشعري، الصوفي، النيسابوري، وقد كان صالحا مكثرا في الحديث، حريصا كل الحرص على طلب الحديث وروايته.²

وكان الشيخ أحمد بن أبي غالب بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس ابن الطلبة البغدادي الوراق، الزاهد، الصوفي روى شيئا من الحديث، وقد أفتى عمره في العبادة (ت547هـ/1152م)³ كما كان الشيخ الصالح الفاضل عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل بن القاسم بن أبي منصور بن ماح، أبو الفتح الكروخي الهروي، الشيخ المتدين (548هـ)، الحسن السيرة، الصدوق وهو من الثقة كتب نسخة عن جامع الترمذي، في السنن بخطه ووقفها لو لم يكن يقبل أن يأخذ أجرا على الحديث جاور بمكة حتى توفي، وكان صوفيا محدثا بالجامع، وقد روى عنه المشاركة والمغاربة منهم ابن الجوزي وابن عساكر.⁴

كذلك كان الشيخ أبو الفتح الكسمهني (548هـ/1153م)، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن أبي توبه، الخطيب المروزي، شيخ الصوفية بمرو، وآخر من روى سمع "صحيح البخاري" و سمع منه جماعة، وهو شيخ مرو في وقته، لقد كان عالما، حسن السيرة، لم ير في شيوخ الصوفية مثله⁵ كما كان للشيخ الصوفي الصالح ، أبو الفضل (548هـ/1153م)، أحمد بن طاهر بن سعيد بن الشيخ أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني، حدث ببغداد وروى وكان من المجيزين، وهو شيخ ظريف، حسن

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص904.

² - نفس المصدر، ص907.

³ - نفس المصدر، ص921.

⁴ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص932.

⁵ - نفس المصدر، ص940.

الشمال، متواضع، روى عنه جماعة وروى عنه بالاجازة¹ كما كان الشيخ الصوفي ،
النيسابوري(ت549هـ/1154م)، أبو سعيد محمد بن جامع، خياط الصوف، الشيخ
الصالح، الورع، الزاهد، سمع وحدث² كذلك كان دور الشيخ أبو الفتح الهروي
(ت549هـ/1154م)، محمد بن عبد الله بن أبي سعد الصوفي الملقب بالشيرازي سمع
الكثير³.

وقد عرف الشيخ الصالح الصوفي الحسن بن أحمد بن أبي الفضل النيسابوري
المعروف بجانا، الظريف، العقيق، الكثير العبادة وقد روي عنه(ت550هـ/1155م)⁴
وممن عرف باهتمامه بعلم الحديث الشيخ أبو البركات الأنباري (ت552هـ/1157)،
الذي اهتم بسماع الحديث، وقد عرف بورعه وتدينه وزهده⁵ كما كان الشيخ الصالح
الزاهد عبد الأول بن شعيب بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي الماليني الصوفي
(ت553هـ/1158م)، كان له اهتمام كبير بالحديث فقد سمع "الصحيح" وقد سمع عن
طائفة، وكان خيرا، صالحا، صحيح الديانة، متواضعا، متوددا عاش خمس وتسعون سنة⁶
سنة⁶ فقد كان له دور كبير في الحديث الشريف وقد روى "صحيح البخاري" و"مسند
الدارمي" وكتاب المشخب من مسند عبد بن حميد "قدم بغداد وروى على الناس كتب
الأحاديث، وكان من أصبر القراء في قراءة الحديث وكان من خيار المشايخ وكان آخر
ما تكلم به قبل وفاته قال⁷ "بليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي و جعلني من
المكرمين"⁸.

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص 957.

² - الذهبي، (العبر)، ج3، ص 10.

³ - نفس المصدر، ج3، ص10.

⁴ - الذهبي، (تاريخ الاسلام)، ج11، ص 983.

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 85.

⁶ - الذهبي، (العبر)، ج3، ص 20.

⁷ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص 86.

⁸ - سورة يس، الآية 26.

وكان لشيخ عبد القادر الجيلي (ت561هـ / 1166م)، دور بارز في الحديث الشريف، وهو عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي، دخل بغداد وحدث، وقد انتفع به خلق كثير، وقد عرف الشيخ بزهده و عبادته، والشيخ معروف بأنه من كبار سادات المشايخ الكبار، وقد كتب كتابه "الغ نية" و"فتوح الغيب" قيل ان فيها بعض الأحاديث الضعيفة عاش تسعين سنة قدس الله روحه ، ونور ضريحه¹ وقد اهتم بسماع الحديث الشريف ودوره فيه بارز² كما عرف الشيخ أبو الحسن تاج الفراء علي بن عبد الرحمان الطوسي البغدادي بسماعه وروايته، وقد كان شيخا صوفيا جليل القدر (ت564هـ/1169م)³.

ساهم شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن علي بن الزاهد محمد بن علي بن حمويه العويني(ت577هـ/1181م)، الصوفي في الرواية، فقد روى عن جده وعن جماعة، وقد تولى مشيخة الشيوخ بالشام، وكان وافر الحرمة.⁴

عرف الشيخ الصوفي الرحال بمعرفة الحديث الشريف(ت584هـ/1188م)، وهو الشيخ التاج المسعودي محمد بن عبد الرحمان البندلبي الخراساني.⁵

اما الشيخ الصوفي، الصالح، يحيى بن محمود بن سعد الثقفي، أبو الفرج الأصبهاني، سمع الكثير وروى الكثير أيضا في مناطق عديدة منها أصبهان والموصل وحلب و دمشق، توفي بهمدان سنة (584هـ/1188م)، وله من العمر سبعون سنة⁶ كما

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص101.

² . نفس المصدر ، ص104.

³ - الذهبي، (العبر)، ج3، ص(40-44).

⁴ - الذهبي،(العبر)،ج3، ص 74.

⁵ - نفس المصدر، ص88.

⁶ -نفس المصدر، ص89.

كان الشيخ الصوفي، الصالح، الزاهد، أبو العباس الترك أحمد بن محمد بن ينال الأصبهاني مسند اصبهان و شيخها الأكبر سمع ببغداد توفي (585هـ/1189م)¹.

كذلك الشيخ الصوفي منصور بن أبي الحسن الطبري، أبو الفضل الواعظ، سمع من جماعة غير أن روايته لصحيح مسلم ضعيفة توفي سنة (595هـ/1199م)².

كما كان الشيخ الصوفي الصالح، الزاهد عبد اللطيف بن أبي البركات اسماعيل بن أبي سعد النسابوري البغدادي (ت596هـ/1200م)، شيخ الشيوخ، وكان صوفيا عاميا، روى وحج وقدم دمشق وتوفي بها³ كما ظهر أيضا وجليا الدور الكبير للشيخ الصوفي الزاهد، الصالح، أبو علي أشنانه الحسن بن ابراهيم بن منصور الفرغاني ثم البغدادي (ت1203/599م)، الذي روى عن جماعة⁴ وهكذا فقد ظهر فضل مشايخ الصوفية من العباد الصالحين الزهاد في حفظ الحديث الشريف ونشره في أوساط الطلبة والمريدين و سيبقى دورهم هذا وقصدهم في حفظ الحديث النبوي وحفظه متواصلا خلال القرن الموالي القرن السابع الهجري، الثاني عشر الميلادي.

لم تقتصر الانحرافات المذهبية و سلبياتها على المذاهب الفقهية فحسب بل أنها طالت طائفة الصوفية مما جعلها منقسمة ممارسة وسلوكا في حين أن الأصل في التصوف هو الالتزام بأوامر الشريعة الاسلامية ونواهيها⁵ من خلال التصوف السني الذي ظهر عند المسلمين خلال القرن الأول والثاني للهجرة والذي تميز بالالتزام بالأوامر

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج3، ص90.

² - نفس المصدر، ص 112.

³ - نفس المصدر، ص116.

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج3، ص 125.

⁵ - ماجد عرسان الكيلاني: هكذا ظهر جبل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، ط3، دار القلم للنشر، الامارات العربية العربية المتحدة، (1423هـ-2002م)، ص57.

الالهية والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وعبادته وزهده في الدنيا بالتوبة الخالصة والابتعاد عن المعاصي و تصفية النفس و تخليصها من الشرور والآثام¹.

مذهب وحدة الوجود عند صوفية القرن (7/هـ/13م):

لقد بقي التصوف السني مستمرا خلال القرن (7/هـ/13م)، الذي برزت فيه الفلسفة بالمشرق الاسلامي فظهر فلاسفة صوفيون ادخلوا على التصوف عقائد وتصورات فكرية جديدة ترسخت مع اعتناق رجال الصوفية الفلسفة² مما ساهم في انتشار التصوف الفلسفي الذي غاص رجاله فيما وراء الحس وشطحوا³ متكلمين في كشف حجاب الحس لمعرفة الله عز وجل وتلقي علومه، والإطلاع على أسرار بالوقوف على حقائق الموجودات⁴ حتى ذهب الكثير منهم للقول بالوحدة والاتحاد⁵ وقد تميز التصوف الفلسفي بمصطلحات لغوية جد خاصة بحيث لا يمكن اعتباره فلسفة لأنه قائم على الذوق⁶ كما لا لا يمكن اعتباره تصوفا خالصا بسبب اللغة الفلسفية المعبر بها عنها⁷.

وهذا ساعد الاتحاديين في صياغة أفكارهم و مبادئهم، وعن هؤلاء قال الامام ابن الجوزي (ت557هـ/1200م) بأن الحلوليين من الصوفية يعتقدون أن الله عز وجل قد

¹ ابن خلدون: شفاء السائل في تهذيب المسائل ، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر للنشر، سوريا، دمشق، (1417هـ-1996م) (75-77).

² عبد الحميد عرفان، مرجع سابق، ص271.

³ الشطح: وهو تلك الدعاوي العظيمة التي يقول بها بعض الصوفية، والتي يظهر فيها استخفاف بما في عالم الغيب كالنار وغيرها، وهذه الدعاوي قلة الخوف والرهبنة من الله سبحانه وتعالى، ابن الجوزي، (التلبيس)، ص(295-300).

⁴ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دون محقق، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص(521-525).

⁵ -الاتحاد: وهو حال تصوير فيه الذاتين ذاتا واحدة، وهو حال الصوفي الواصل...وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد (الحق) معدومة في نفسها فكل شيء موجود بسببه معدوم بذاته، ممدوح الزوني: معجم الصوفية أعلام ، طرق، مصطلحات، تاريخ، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، (1425هـ-2004م)، ص45.

⁶ -الذوق: هو أول المواجيد الصوفية، وفي الذوق تكون التجليات نازلة من مقام الروح والقلب الى مقام النفس وهو يشبه الحس الى حد كبير حيث يكون وكأنه هو، والذوق يظهر على الوجه، أبو نعيم الأصفهاني، المصدر السابق، ج10، ص383؛ الجرجاني: التعريفات، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1405هـ)، ج1، ص58.

⁷ -أبو النقتازاني، مرجع سابق، ص187.

اصطفى أجساما يحل فيها بمعاني الربوبية¹ وقد علق الامام فخر الدين الرازي (ت606هـ/1210م)، في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين عن الفرقة الحلولية بكونها من أشر الطوائف واصفا أحوالها بقوله: ".....بيرون في أنفسهم أحوالا عجيبة يوهمون انه حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة وأول من أظهر هذهالمقولة في الاسلام الروافض (الشيعية) فأنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم:² وعن هذا قال الباحث المصري المعاصر أحمد محمد الجزار بأنه على الرغم من كون أن الرازي لم يحدد أسماء الصوفيين المندرجين ضمن الفرقة الحلولية الاتحادية³، إلا أن كلامه هذا يحمل في طياته رسالة ضمنية بوقوع بعض الصوفية في دعاوى الحلول والاتحاد⁴.

المنتمون لهذا التيار الفكري يعتبرون فلاسفة وصوفية في آن واحد لاعتمادهم على العلوم العقلية و المجاهدة الروحية الهادفة لتصفية النفس حتى تتمكن من تلقي العلوم الالهية⁵ حسب زعمهم، وقد عرف "التصوف الفلسفي" هذا اوج اكتماله خلال القرن (7هـ/13م)⁶ وبظهوره تهيأ الجو المناسب لنمو وترعرع النزعات الحلولية والاتحادية و القول بو حدة الوجود الفلسفية⁷.

¹-ابن الجوزي، (التلبيس)، ص318.

²- فخرالدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمد زينهم ومحمد عرب، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، بيروت، لبنان، (1417هـ - 1997م)، ص (81-83).

³-الحلوليون والوحدويون:بيرون بزوال الطابع البشري عن الأجسام التي حل فيها الله بمعاني الربوبية واتحد معها وهذا خطأ كبير لأن الحقيقة المنطقية تقر بأن الحلول والاتحاد يكون في شيء مماثل والله سبحانه و تعالى مختلف عن خلقه والشيء الذي يظهر في مخلوقاته هو آثار صنعته ودليل قدرته لأن جمال المخلوق يدل على عظمة الخالق وروعته والحلوليون من الصوفية ينقسمون الى مجموعة من الفرق فمنه من يقول بالحلول الدائم ومنه من جعل عاما ومنهم من فيده بوقت معين، الطوسي: اللع في التصوف، تحقيق ونسخ رنولدالننكيلسون، مطبعة بريل للنشر، لندن، بريطانيا، (1914م)، ص 426.

⁴-أحمد محمود الجزار: فخر الدين الرازي والتصوف، منشأة المعارف الاسكندرية للنشر، مصر، القاهرة (2000م) ص27-28.

⁵- هويدي يحي، مرجع سابق، ص 318.

⁶- عائشة يوسف المناعي: مرجع سابق، صص(24-25).

⁷- عرفان عبد المجيد فتاح، مرجع سابق، ص 271.

والاتحاد لغة جعلت الشينيين واحد غير متجزأ ولا منقصل¹ أما اصطلاحاً فيعني اتحاد مع الله جل وعلا² كما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقد شغلت هذه الفكرة (وحدة الوجود) الكثير من أقطاب الصوفية البارزين وعلى رأسهم الصوفي محي الدين بن عربي (ت 638هـ / 1240م)، الرائد في هذا المجال والذي قال عنه المؤرخ الذهبي (ت 774هـ / 1372م) في كتابه العبر بأنه متصوف أهل الوحدة³ وما يدل على عقيدته وحدة الوجود "من كتابه المشهور" الفتوحات المكية قوله: "فمنزل العبد الكامل يكون بين هاتين النسبتين يقابل كل نسبة منهما بذاته فإنه لا ينقسم في ذاته... كذلك الانسان من حيث حقيقته ولطيفته يقابل الحق (الله)،... فالكل عين واحدة فمن قال في رؤيته ما رأى الله إلا الله فهو العبد الكامل وهكذا في كل نسبة وهذه أسمى درجات المعارف⁴.

تظهر أفكاره في "وحدة الوجود" من خلال تفسيره لما ذهب إليه صوفي القرن الرابع الهجري، الحسين بن منصور الحلاج⁵ (ت 309هـ / 921م)، في مقولته الشهيرة: "ما في الجبة إلا الله:" وقد فسره ابن عربي بقوله: "ما في الوجود إلا الله، كما لو قلت ما في المرآة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرآة شيء أصلاً ولا في الناظر من

¹ - محمد عبد الرؤوف المناوي: التوفيق على مهمات التعريف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، (1410هـ)، ج1، ص301

² - الجرجاني: التعريفات، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص22.

³ - (الذهبي، (العبر)، ج5، ص265.

⁴ - ابن عربي، (الفتوحات المكية)، ج2، ص ص (4-5).

⁵ - هو الحسين بن منصور الحلاج الملقب بأبي مغيث، واسمه عبد الله، وكان جده حجوسياً، وهو من أهل بيضاء بفارس، نشأ بواسطة وقيل بشتتر، قدم بغداد وخالط الصوفية، جاور في مكة ثم تصوف، وكان يتكلم على اسرار الناس وما في قلوبهم حتى لقب بحلاج الأسرار، وقد اختلف في شأنه فقد رده أكثر المشايخ ونفوا أن يكون له قدم في التصوف، قتل بباب الطاق ببغداد سنة (309هـ-921م)، وحكى أن الشيخ أبو الحسن بن ماشدة الأصفهاني الفقيه العالم أحد أعلام الصوفية الكبار في وقته صحب الحسين بن منصور الحلاج، وكان هذا العالم ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان من الم نكرين على مشبهة الصوفية وغيرهم من الجهال منهم فساد مقالاتهم في الحلول والاباحة فابتعدوا عنه حتى لا ينصحهم. البغدادي: تاريخ بغداد، دون محقق، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج8، ص113، ص115؛ عبد الرحمان السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، ط3، مكتبة الخانجي للنشر، مصر، القاهرة، (1997)، ج1، ص269؛ علي بن عساكر الدمشقي: تبیین كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبو الحسن الأشعري، دون محقق، ط3، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1404هـ)، ج1، ص ص (239-240).

المرآة شيء مع ادراك التنوع و التأثر في عين الصورة من المرآة وكون الناظر على ما هو عليه لم يتأثر، فإذا عقلت ما ننهاك عليه فقد علمت من أين اتصف العبد بالوجود ومن هو الموجود ومن أين اتصف بالعدم ومن هو المعدوم، ومن خاطب ومن سمع ومن عمل وكلف فهو، لا يشبه شيء ولا يشبهه شيء "وليس في الوجود إلا هو، ولا يستفاد الوجود الا منه، ولا يظهر لموجود عين إلا بتجليه، فالمرآة حضرة الامكان والحق (الله) الناظر فيها، والتجلي الالهي يكسب الممكنات الوجود... والامكان هو لا يخرج عن حقيقة وحدة الوجود¹.

قال مؤكدا اعتقاده "بوحدة الوجود" في كتابه الشهير "الفصوص" في فص حكمة قدسية في كلمة ادريسية: "وما ثم الا هو؟... وهو من حيث الوجود عين الموجودات المسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو فهو العلي لأن الاعيان على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الاسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليست الا العين الذي هو الذات فهو العلي، هو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه وهو المسمى...بغير ذلك من أسماء المستحدثات:"² وعن هذا يقول الباحث المعاصر كامل مصطفى الشيبلي بأن "وحدة الوجود" الموجودة عند ابن عربي تعني أن الله أو الحق كما يسميه هو يمثل الوجود الوحيد في الكون، وهي فكرة ينعدم معها الفرق بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه وبمعنى أدق لا فرق بين الله و الوجود في الوهم العقلي حسب "ابن عربي" لأن الموجودات عنده وعلى كثرتها وتنوعها ماهي الا مظاهر لله وهي تختلف في درجة كمالها بقدر ما يتجلى (يظهر) فيها من الصفات الالهية من جمادات وحيوان و نبات وانسان، والكمالات الالهية في معتقد ابن

¹-ابن عربي، تفسير الفاظ الصوفية، تحقيق موافق فوزي الخير، ط1، دار سعد للنشر، دمشق، سوريا، (1997)، ص (67-68).

²-ابن عربي: فصوص الحكم، دون محقق، د.ت، ص (76-77).

عربي هذا بصورة أوضح في الانسان الممثل للعالم الأصغر المماثل الأكبر الذي يمثله سبحانه و تعالى¹.

وعلى نفس المنوال فسر الباحث المعاصر عبد المنعم خفاجي عقيدة "وحدة الوجود قائلاً بأنها فكرة جعلت من الخالق والمخلوق شيئاً واحداً غير مختلف، فالله فيها أصبح شاملاً لكل الوجود بظهوره في مختلف الصور الموجودة فيه و التي وعلى كثرتها ما هي الا وهم خادع للعقل العاجز عن ادراك الحقيقة الوجودية القائمة على الوحدة بين الله والكون² حسب أتباع "وحدة الوجود" التي يلتقي فيها التصوف بالفلسفة³ ، وعن ابن عربي قال شيخ الاسلام ابن تيمية بأن باطنية الصوفية كابن عربي وأتباعه قد أخذوا مذاهب الفلاسفة وأدخلوها في التصوف⁴ ، كما قال عنه الباحث المعاصر أبو العلا عفيفي بأنه فيلسوف صوفي يعتمد على الإشارة والرمز وله مذهب في الوجود كباقي الفلاسفة غير أنه عبر عن مذهبه بلغة صوفية وهذا المذهب الصوفي الفلسفي قد أصبح أكثر وضوحاً من خلال كتابه المعروف "بالفصوص" و الذي جعل فيه الكون وحدة واحدة لا فرق فيها⁵.

¹ - كامل مصطفى الشبيبي: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الاسلامي، ط1، دار للمناهل للنشر، ب بيروت، لبنان، (1418هـ - 1997م)، ص ص (167- 168).

² - عبد المنعم خفاجي: الادب في التراث الصوفي، د.ط، مكتبة غريب للنشر، مصر، القاهرة، د.ت، ص97 ؛ محمد الجليند: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، د.ط، دار العلوم للنشر، (1410هـ - 1990م)، ص240.

³ - الديورانت: قصة الحضارة، عصر الايمان، مرجع سابق، ج13، ص215.

⁴ - ابن تيمية، النبوات، دون طبعة، المطبعة السلفية للنشر، القاهرة، مصر، (1386هـ)، ص160.

⁵ - ابن عربي، (الفصوص)، ص09، ص30؛ سميح عاطف الزين؛ ابن عربي، دون طبعة، الشركة العالمية للكتاب للنشر، بيروت، لبنان (1408هـ - 1988م)، ص84.

الاختلاف حول شخصية محي الدين بن عربي وأفكاره:

لقد وقع جدل وخلاف كبير بين العلماء حول شخصية وأفكار هذا الفيلسوف الصوفي "محي الدين بن عربي" والملقب عند الصوفية "بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر"¹ مما جعلهم ينقسمون الى محسنين للظن فيه في عصره (قرنه) رغم ما كان في كلامه من تأويلات حيث مدحه الحافظ بن النجار (ت643هـ/1245م)² قائلاً عنه بأنه لأصحاب الصوفية وأرباب القلوب... و هو من أحسن المشايخ:³

كان الشيخ المحدث والقاضي محي الدين بن الزكي أبو الفضل يحيى بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيى... بن الزكي (ت667هـ/1269م) الذي شغل منصب القضاء في دمشق من المتبعين لابن عربي⁴ وكذا الشيخ أبو يعقوب المغربي (ت698هـ/1299م) المقيم بالقدس الشريف والذي تزهد وانقطع بالمسجد الأقصى بغرض العبادة كان ممن يحسن الظن بابن عربي من المعتقدين فيه.⁵

في حين كان الشيخ العز بن عبد السلام (ت660هـ/1262م) الفقيه المحدث المجتهد من كبار المعارضين له خلال القرن (7هـ/13م)، فقد قال عنه بأنه: "شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم...و إنه سئل عن كذبه فقال: كان ينكر زواج الانس بالجن و يقول

¹ - الشعراني: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر المحلى الهامش لكتاب الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، المصدر السابق، ج2، ص7.

² - محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير للحديث ولد سنة (573هـ - 1175م)، تعلم على يد ثلاثة آلاف شيخ من مؤلفاته العمر الكبير في المشد الكبير وغيره توفي سنة (643هـ - 1245م)، ابن كثير، مصدر سابق، دون محقق، ج13، ص169.

³ - نفس المصدر، ج13، ص257.

⁴ - نفس المصدر، ج14، ص5.

⁵ - المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1411هـ - 1991م)، ج6، ص(348 - 354).

الجن روح لطيف والانس جسم كثيف لا يجتمعان ثم زعم انه تزوج امرأة من الجن وأقامت معه مدة ثم ضربته بعظم جمل فشجته وارانا شجة في وجهه وقد برئت¹:

ولم ينته هذا الخلاف حوله عند حدود القرن (7هـ/ 13م)، بل استمر الخلاف خلال القرون اللاحقة حيث انقسم العلماء والمؤرخون في شأنه ما بين مؤيد لابن عربي ومعارض له ولأفكاره الاعتقادية ومن أحسن الظن به الشيخ مجد الدين الفيروز ابادي (ت816هـ/1413م) صاحب كتاب القاموس المحيط الذي كان شديد الاعتقاد فيه حاملا لكلامه على محمل حسن فقال حينما سئل عنه بأنه: "كان شيخ الطريقة حالا و علما و امام الحقيقة جدا ورسما ومحي رسوم المعارف فعلا واسما إذ يتعقد فكر المرء في طرق من بحره غرقت فيه خواطره...وهو يقينا فوق ما وصفته وغالب ظني أني ما أنصفته:"²

في حين قال عنه المؤرخ ابن كثير (ت774هـ/1372م) في كتابه البدايات والنهاية بأن : ابن عربي مؤلف النصوص وغيره منكر عليه ألف بمكة كتابه الفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدا فيها ما يعقل وما لا يعقل وما ينكر وما لا ينكر وما يعرف وما لا يعرف ولخ كتابه المسمى بنصوص الحكم في انشاء ظاهرها كفر صريح:³

و كان المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1513م)، من المؤيدين له الظانين به ظنا حسنا فقد قال عنه:" والقول الفيصل في ابن عربي اعتقاد ولايته و تحريم النظر في كتابه فقد نقل هو أنه قال نحن قوم يحرم النظر في كتبنا:" وقال مضيفا: "وذلك لأن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلاحوا عليها وارادوا بها معان غير المعاني المتعارف عليها فمن جمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر وجدها كفر:"⁴

في حين انتقد المؤرخ ابن حجر⁵ (ت852هـ/1449م) ابن عربي في كتابه لسان الميزان قائلا: "وهم ممن يحط عليه و يساء الاعتقاد فيه:" وقد وافقه في رأيه هذا تلميذه

¹ - المقرئزي، المصدر السابق، ص(348-354).

² - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص194.

³ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص156.

⁴ - المقرئزي، مصدر سابق، ج6، ص(348-354).

⁵ - ابن حجر، المصدر السابق، ج4، ص364.

برهان الدين البقاعي (ت885هـ/1481م) الذي قال عنه في كتابه مصرع التصوف: "بأن ابن عربي الحادي وأنه جعل من الله والعالم شيئاً واحداً غير متجزأ و بذلك تبين سعيه في ابطال الدين من أصله بخلطه للمعتقدات الثابتة لهذا الدين حيث أنه جعل من النعيم والجحيم شيئاً واحداً يقول أن العذاب المتوقع به إنما هو نعيم و عذوبة ونحو ذلك كما يرى بأنه حصول الآلام في الآخرة لا ينافي أبداً السعادة والرضى وهذا تفكير خطير يجعلنا نشك أن صاحبه يعتقد أنه لا وجود لاله أصلاً وابن عربي يتبع أسلوب التستر والتلبيس على منتقديه وهو متمكن في هذا المجال فهو يعتبر من المتسترين المتظاهرين بالتدين وإقامة الصلاة والصيام و تمويه الالحاد بملابس الزهاد المتقشفين ومداراة الزندقة بتسميتها علم التصوف.¹

وقد بقي الخلاف مستمرا حوله خلال القرن (9هـ/16م) بين مؤيديه ومعارضيه وكان من المؤيدين له الشيخ جلال الدين نصر الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن اسماعيل المعروف بالشيخ نصر الله العجمي البخاري (ت833هـ/1430م) والذي كان يتكلم في التصوف بنفس طريقة ابن عربي² في حين كان الشيخ الحنفي المذهب زين الدين أبو المحاسن تغري برمش بن يوسف بن عبد الله التركماني الفقيه الذي سكن القاهرة وتفقها بها على الرغم من ميله الكبير للصوفية إلا أنه كان شديد الكره لمحي الدين بن عربي كثير الذم لأتباعه من الصوفية الفلسفية وقد دل على شديد كرهه له احراقه لكل ما كان يقع تحت يديه من كتب ابن عربي والأكثر من ذلك أنه قام بربط كتاب فصوص الحكم في ذنب كلب حتى ثار عليه مناصرو ومحيي محي الدين ابن عربي.³

في حين اتخذ المؤرخ ابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1674م) موقفاً ظهر فيه بعض التأييد لابن عربي وقد قال عنه في شذراته بأن: "مؤلفاته كثيرة تدل على سعة تبحره في علوم الظاهر والباطن غير أنه وقع له بعض تضاعيف تلك الكتب كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها وكانت سبباً لإعراض كثيرين لم يحسنوا الظن به ولم يقولوا كما قال

¹ - الدين البقاعي: مصرع التصوف، تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي، تحقيق عبد الرحمان الوكيل، عباس أحمد

الباز للنشر، مكة المكرمة، '1400هـ- 1980م)، ج1، ص ص(19-20).

² - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص206.

³ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص159.

غيرهم من الجهابذة المحققين والعلماء العاملين والأئمة الوارثين أن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد:¹.

و مدحه الشاعر محمد بن سعد الكلشني (ت 1037 هـ / 1628 م) قائلاً :

إنما الحاتمي في الكون فرد وهو غوث وسيد وإمام

كم علوم أتى بها من غيوب من بحار التوحيد يامستهام

إن سألتكم متى توفي حميدا قلت أرخت مات قطب همام²

وقد وجدت مؤلفاته مؤلفات ابن عربي اهتماما كبيرا عند من احسن الظن به من أمثال ملاعيد الحكيم السيلكوي البنجابي نسبة إلى منطقة بنجاب بالهند الواقعة غربي دلهي (ت 1097 هـ / 1686 م) الذي عمل على نشر مؤلفاته³.

وقد إستمر الخلاف في شأنه في عصرنا الحالي ، ومع التطور الفكري الذي اتخذ مجراه في الفكر الفلسفي الصوفي بالمشرق الإسلامي برزت أكثر عقيدة " وحدة الوجود " الفلسفية⁴ عند " ابن الفارض " (ت 632 / 1234 م) ، شاعر الصوفية الأكبر الذي عرف بنزعتة الفلسفية⁵ ناظم القصيدة التائية الكبرى على طريقة صوفية أهل الوحدة⁶ الذي قال عنه المؤرخ الذهبي في كتابه العبر بأنه " حجة أهل الوحدة " ⁷ وقال عنه ابن الملقن (ت

¹- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص 191

² - المقري، مصدر سابق، ج2، ص 634

³ - صديق بن حسن القنوجي :أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، د.ط، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1978 م)، ج3، ص 231.

⁴- أبو ريان محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (1970 م)، ص 407 .

⁵ - زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، دون طبعات المكتبة العصرية للنشر، بيروت، صيدا، لبنان، د.ت، ج1، ص 152 .

⁶- ابن كثير، مصدر سابق، د.ط، ج13، ص 143 .

⁷ - الذهبي ، (العبر)، ج5 ، ص 213 ؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص 149 .

ت 804 هـ / 1402 م) في طبقاته بأنه مؤلف الديوان الشعري المعروف والمنسوب إلى
الإتحاد

ومما قاله ابن الفارض معبرا عن وحدة الوجود شعر:

وما بين شوق واشتياق فنيت في تول بحظر أو تجل بحضرة

فلو لفنائى من فنائك رد لي فؤادي لم يرغب إلى دار عزية¹

وقال أيضا في نفس القصيدة التائية الكبرى:

وما هو إلا أن ظهرت لناظري بأكمل أوصاف، على الحسن أريت²

ومما قاله شعرا عن وحدة الوجود أيضا قوله :

وكل جهات البيت نحوي مشيرة بما تم نسك وحج وعمرة

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

إلى كم أواخي الستر ها قد هتكته وحل أواخي الحجب في عقد بيعتي

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي وأنهى إنتهائي فيتواضع رفعتي

فإن لم يجز رؤية اثنين واحدا حباك ولم يثبت لبعث تثبت

في موقفي لا بل إلى توجهي ولكن صلاتي لي ومني كعبتي

فلا تك مفتونا بحسبك معجبا بنفسك موقوفا على لبس غرة

¹. ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، طبعة 1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1410 هـ، 1990م)، ص51.

². نفسه. (من القصيدة التائية).

وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج هدى فرقة بالإتحاد تحت¹

وصرح بإطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة

فكل مليح حسنه من جمالها معار له أو حسن كل مليحة

بها قيس لبني هام بل عاشق كمجنون ليلي أو كثير عزة

وما ذاك إلا ان بدت بمظاهر فظموا سواها وهي فيهم تجلت

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

وليس معي في الملك شيء سواي وا معية لم تخطر على المعيتي

وها "رحبة" وافى الأمين نبينا تصورته في بدء حي النبوة

أجبريل قل لي كان إذ بدا لمهدي الهدى في صورة بشرية

وقد أنشد له أكثر من واحد قوله عند الموت هذين البيتين جميعا حينما إنكشفت له

الحقيقة

إن كان منزلي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي

أمنية وثقت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وقال عنه المؤرخ الذهبي: وديوان شعره مشهور، وهو في غاية الحسن واللطافة

والبراعة والبلاغة لولا ما شأنه بالتصريح بالإتحاد الملعون في أذ عبارة وأرق

إستعارة....سمه سم الافاعي²:

1. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث وفيات (631 هـ - 640 هـ)، تحقيق عمر عبد

السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1418 هـ - 1998 م)، ص 116

²- ابن الفارض، مصدر سابق، ص ص (110 - 111).

وقال المؤرخ ابن حجر العسقلاني (852 هـ / 1449) في كتابه لسان الميزان بلأن ابن الفارض يقول بالإتحاد الصريح والعلني في أشعاره وهذا إثم كبير وفلسفة وحدوية رغم مكانته العالية عند العامة لما رأوا فيه من زهد عن الدنيا ورغم ذلك فهو يعتبر سيد شعراء عصره وشيخ وحدة الوجود فيهم بحق فأغلب أشعاره تحمل معاني " وحدة الوجود " ¹ فابن الفارض وهذا يكفي من غير شك ليكون من الخارجين عن تعاليم الشريعة الإسلامية (الكتاب والسنة) فهو من القائلين " بوحدة الوجود " ومن النصوص الدالة على ذلك قوله:

تجلت في تجاليها الوجود لناظري

ففي كل مرئ أراها برؤية

وأشهد غيبي إذ بدت فوجدتني

هنالك إياها بخلوة خلوتي

وطاح وجودي في شهودي ونبت عن

وجود شهودي ما حيا غير مثبت

وعانقت ما شهدت في محو شاهده

بمشهده للصحو بعد سكري ²

وفي هذه الابيات يصرح " ابن الفارض " بوحدة الوجود التي يقول فيها بأنه يرى الله في كل شيء معبرا بذلك عن معتقد اهل الوحدة ³

ويعلق الباحث المعاصر مصطفى حلمي في كتابه " ابن الفارض والحب الإلهي " قائلا: " لترى ان الشاعر . ابن الفارض . هنا ذهب إلى ما يشم منه رائحة " وحدة الوجود " فهو يقول بأن المحبوبة في حال تجليها (ظهورها) قد أظهرت لعينيه " الوجود " بحيث

¹ - ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج4، ص ص (362 - 363)

² - مصطفى حلمي : ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، مصرن القاهرة، د.ط، (1940 م)، ص 130

³ - إدريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج3، ص 255

أصبح يراها في كل موجود وانه حين كشف عن باطنه الحجاب¹ شهد أن ذاته في عين ذات المحبوبة وأن وجوده قد انمحي في شهوده²... وهذا ينتهي بابن الفارض إلى أن يصبح فناؤه من فناء³ الملاحدة القائلين بوحدة الوجود اي أن وجود الرب هو عين وجود العالم⁴ ويضيف الباحث مصطفى حلمي معلقا على أشعار ابن الفارض قائلا بأن ديوانه الشعري مليء بعبارات الحب الألهي والجمال كما فيه ذكر للخمر ولأسماء المعشوقات وما يتصل بهذا من كله ألفاظ، فالديوان تصوير لعاطفة واحدة هي عاطفة الحب التي إختلجت نفس الشاعر وقد إلتمس الألفاظ والعبارات التي يترجم بها عن نفسه، وكما إنتهى إليه من حبه من وصال محبوبته، وأنسه بها، وإلغاء التفرقة بينه وبينها فلم يجد خيرا من معجم وحدة الوجود لسعته بالألفاظ والعبارات التي صور فيها حاله، وكانت سببا في أن أنكر

¹ - الحجاب: كل ما يستر مطلوبك وهو عند أهل الحق (الصوفية) إنطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق فيها .الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 11، المناوي : التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1410 هـ)، ج1، ص 368

² - الشهود: عرفه بعض مشايخ الصوفية بان يشهد الصوفي ما شهد مستصغرا له معدوم الصفة لما غلب عليه من شاهد للحق،

كما قيل ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل ، وبالشهود يحصل الجمع الذي معناه التقرب الى الله بالاعمال ووحدة الشهود عند الصوفية الفلسفية تعني وجود الله وحده وهو رؤية الحق بالحق.الكلاباذي: التعرف لمذهب اهل التصوف، دار الكتب العلمية للنشر. بيروت، لبنان، (1400 هـ)، ج1، ص 118، علي بن سلطان الهروي: الرد على القائلين بوحدة الوجود، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط1، دار المأمون للتراث للنشر، دمشق سوريا، د.ت، ج1، ص 96 ، الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 170 .

³ - الفناء: إفناء هوى النفوس وشهواتها وعواطفها وكل ما تحب فيما يحبه الله ويريده ويأمر به، فالفناء فناء عن حظوظ النفس فلا يكون له في ذلك شيء ويسقط عنه التمييز فالفناء فناء عن الاشياء كلها إنشغالا بما فني به، فالفناء عند الصوفية فناء في الله، والفناء عما سوى الله وهو المرتبة الأحدية عند الصوفية والحرق أوسط التجليات الجاذبة إليه ويكون في الذات، كما أن الفناء بالفتح سقوط الأوصاف المذمومة، والفناء نوعان أحدهما يكون بكثرة الرياضة والثاني بعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت بالإستغراق في عظمة البارئ ومشاهدة الحق ، والفناء رؤية العبد بفعله بقيام الله على ذلك .الهروي، مصدر سابق، ج1، ص 123 ، الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 105، ص 119، ص 217، المناوي، مصدر سابق، ج1، ص 140 .

⁴ - مصطفى حلمي ، مرجع سابق، ص 130.

عليه المنكرون¹، ودافع عنه الشعراني بوصفه له في كتابه الطبقات بقوله: " سيدي عمر ابن الفارض " ².

ويظهر أن " ابن الفارض " كان يعيش حالات من الوجد والفناء في الله كما عايشها كبار الصوفية قبله من أمثال الحسين بن منصور الحلاج، كما أنه كان مكثرا لوصف الحضرة الإلهية³ بطريقة شعرية⁴ لذلك فالصفة الغالبة على شعره صفة الحب الإلهي التي يتخللها الذوق⁵ والشوق⁶ والمشاهدة⁷ والإتحاد وهو شعر يحوي توجهات ومناحي فلسفية على طريقة الصوفية⁸ خاصة وأن الادب الصوفي تميز خلال القرن (7 هـ/13م)، (13م/هـ)، بإحتواء أشعاره على أفكار فلسفية دقيقة جعلته ثريا جدا بالمصطلحات الفلسفية

¹ -مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص 105.

² -الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص88.

³ -الحضرة الإلهية : الملائ الأعلى، ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 111.

⁴ -محمد ناصر الدين مهدي : ديوان ابن الفارض، ط 1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1410 هـ - 1990 م)، ص ص (11.10) .

⁵ -الذوق : هو أول المواجيد الصوفية ، والصوفية يعرفون بأهل الذوق وهم الذين تكون تجلياتهم نازلة من مقام الروح والقلب إلى مقام النفس و كأنهم يجدون ذلك حسا ويدركونه ذوقا ويظهر ذلك ويلوح على وجوههم، والذوق في معرفة الله عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك في كتاب أو غيره، وقال عنه ابن عربي بأنه أول التجليات الإلهية. أبو نعيم الأصفهاني، مصدر سابق، ج10، ص 383 ؛ الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 58، ص 104، ص 174، ص 352.

⁶ - الشوق : عند أهل التصوف المكابدة (مكابدة الشوق)، وهو نتائج عن الوجد، وهو عبارة عن لهيب ينشأ في الباطن فتضطرب له الجوارح طربا أو حزنا عند ذلك الوارد، وهو نزاع القلب إلى لقاء المحبوب، وهو عبارة عن إهتياج القلب إلى مشاهدة المحبوب وهو نزاع النفس إلى الشيء، الأصفهاني، مصدر سابق، ج10، ص 208؛ الكلاباذي، مصدر سابق، ج1، ص 113؛ الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 170؛ المناوي، مصدر سابق، ج1، ص 442.

⁷ -المشاهدة : مشاهدة الله بالقلوب مما يجعلها تنبض بالحب وتقتات بالذكر، والمشاهدة محلها القلب، ومقام المشاهدة يكون في مقام الروح وهي عبارة عن الرؤيا بالبصر سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة والمشاهدة عند الصوفية هي عين اليقين وهي عبارة عن رؤية الحق (الله) في الأشياء لظاهريته في كل شيء وهي الإطلاع على الشيء عيانا، وهي أيضا رؤية الحق في الأشياء. الكلاباذي، مصدر سابق، ج1، ص 6، ص 105.

⁸ -يوسف فرحات : موسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، الشركة الشرقية للنشر وشركة تراكسيم السويسرية للنشر، جنيف، سويسرا، (1986 م)، ص 5؛ الجرجاني، مصدر سابق، ج1، ص 27، ص 151، ص 206، ص 274؛ المناوي، مصدر سابق، ج1، ص 440، ص 656.

ذات الدلالات والمعاني الباطنية العميقة وبخاصة في مجال الفلسفة الإلهية التي إحتوت على زخم من الأذواق والمواجيد والأحوال التي يعتقدها بعض الصوفية.

وقد ظهر التوافق الفكري العقائدي بين " محي الدين بن عربي " وبين " عمر بن الفارض " فيما يخص عقيدة " وحدة الوجود " الفلسفية من خلال تلك المراسلة التي جرت بينهما والتي طلب فيها محي الدين بن عربي شرحا للتائية الكبرى في السلوك من ابن الفارض فأجابه قائلا : " إن كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها: ¹ وبهذا المبدأ الفكري إعتبر " ابن عربي " أول المؤسسين لمذهب " وحدة الوجود " على صورته النهائية التي أصبحت منطلقا فكريا ارتكز عليه كل من جاء بعده ² .

ومن المكفرين لابن الفارض في زمنه علماء عصره الإمام الصوفي الكبير قطب الدين القسطلاني ³ أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن الإفريقي المصري المعروف " بالقسطلاني " وهو من كبار العلماء المالكيين في مصر على عهده، المشهور بالفقه والحديث وعلم القراءات المتوفي بمكة سنة (ت 636 هـ / 1238 م) عن عمر يناهز 85 سنة ⁴ كما كفره الشيخ الصوفي الجليل القدر الإمام والفيق والمحدث والمجتهد الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت 660 هـ / 1262 م) رحمه الله ⁵ ومن رد رد على ابن الفارض الصوفي خلال القرن (8 هـ / 15 م) الفقيه التلمساني المعروف بإبن أبي حجلة (ت 776 هـ / 1278 م)، وهو أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الله الذي سافر إلى دمشق ثم إلى القاهرة وقد توجه إلى المشرق بغرض الحج إلا أنه لم يعد

¹ - أحمد أمين، مرجع سابق، ج4، ص 143.

² - المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص 168.

³ - برهان الدين البقاعي ، مصدر سابق، ج1، ص 214.

⁴ - محمد بن محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت، ص

. 169

⁵ - برهان الدين البقاعي ، مصدر سابق، ج1، ص 214 .

الى بلده وهو فقيه حنفي المذهب حنبلي المعتقد وكان ممن ينكرون على أتباع وحدة الوجود حتى أنه صنف كتابا رد فيه على قوائد بن الفارض¹.

ومن الصوفيين المؤرخين المؤيدين لابن الفارض الشعراني عبد الوهاب (974هـ /1579م) الذي نعت ابن الفارض وكل مشايخ الصوفية بلفظ " سيدي " ² . وهي موجودة في معظم مؤلفاته إن لم تكن كلها .

لقد أثرت الفلسفة الإتحادية في حياة بعض الصوفية ومنهم ابن سبعين (668هـ /1270 م)، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المرسي الأندلسي الصوفي السائر على نهج أهل الوحدة المتوفي بمكة³ والقائل " بالوحدة المطلقة " وهي فكرة غريبة يدعي فيها أتباعها بأن القوة الإلهية قد حلت في جميع الموجودات في هذا الكون بحيث يصبح الوجود والذات الإلهية شيئاً واحداً ممثلاً للحقيقة الوجودية الوحيدة التي يكون فيها الله عين الوجود⁴ وابن سبعين من العارفين بالفلسفة وهو من المعتقدين بالوحدة⁵ .

والفكرة المحورية (الأساسية) " للوحدة المطلقة " عند ابن سبعين في تصوفه القائم على النظر العقلي تعني بأن الله يمثل الوجود لأنه هو أصل هذا الوجود ولا شيء موجود بالكون سواه⁶.

هذه الفكرة الدائرة عند ابن سبعين حول الوحدة المطلقة كاعتقاد له تظهر بوضوح من خلال رسائله السبعينية في قوله : " من وجد الحقيقة بوجه أكمل وجد الله ومن وجد الله

¹ - ابن حجر العسقلاني، (إنباء الغمر) ، ج1، ص 27 .

² - الشعراني ، مصدر سابق ، ص 88، ص 131.

³ -المقرئزي،(المقفي الكبير)، ج6، ص 352؛ ابن الملقن، مصدر سابق، ج1، ص 442؛ الذهبي،(العبر)، ج5، ص 320 .

⁴ - ابن خلدون ، (المقدمة)، ص 521 .

⁵ - القنوجي الحسني البخاري : التاريخ المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر ، ط1، مكتبة السلام للنشر، السعودية، الرياض، (1416 هـ - 1995 م)، ص ص (156. 155) .

⁶ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مرجع سابق، ص 209.

بوجه أكمل أو بما يجد ذلك كان الله ولاسيء معه، ووجد الاشياء في ماهيته (حقيقته) غير منفكة (منفصلة):¹ ويعلق الباحث عبد الرحمان بدوي محقق الرسائل قائلاً بأن " ابن سبعين" قد سار على نفس الدرب الذي سلكه " محي الدين بن عربي " قبله إلا أنه كان أدق قولاً منه وأوضح، لأن ما ذهب إليه من "وحدة مطلقة" لامجال معها للتراجع بتأكيده أنه لا يوجد شيء في العالم غير الله، فهو يعتقد بأن الوجود وحدة واحدة لايتجزأ أبدا فتصوفه قائم أساسا على عدم الفصل والتفريق بين الله والكون² مما جعل الإمام ابن تيمية الحراني (ت 728 هـ / 1328م) الملقب بشيخ الإسلام يشتهد في الرد على أتباع وحدة الوجود من أمثال ابن عربي وابن سبعين فقد رتب في كثير على أتباع ابن عربي وعلى السبعينية الإتحادية³ وعن ابن سبعين قال الباحث المعاصر سميح عاطف الزين في كتابه " ابن سبعين" بأن طريقته تبدو طريقة فلسفية أكثر من كونها طريقة صوفية لإعتمادها على المذاهب الفلسفية الدخيلة على الإسلام وهذا الإهتمام بها كان أكثر من الإهتمام بتربية المريدين فيها لذلك لم يكتب لها البقاء طويلا في مصر فهي لم تدم أكثر من تسعة وخمسون سنة تقريبا بعد وفاة مؤسسها حيث تم التخلص من مذهبه الفاسد على يد شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني⁴.

¹ - ابن سبعين: رسائل ابن سبعين (رسالة الإحاطة)، تحقيق عبد الرحمان بدوي، د.ط، الدار المصرية للترجمة، بزن، سويسرا، (1956)، ص 127.

² - نفس المصدر، ص 9؛ إدريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج1، ص 267؛ سميح عاطف الزين، ابن سبعين، د.ط، الشركة العالمية للكتاب والنشر، دار الكتاب اللبنانية، لبنان، بيروت، ص (2622).

³ - ابن قدامة المقدسي: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، دار الكاتب العربي للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص 51، ص 72، ص 213.

⁴ - سميح عاطف الزين، مرجع سابق، ص 47.

وممن قال " بوحدة الوجود" تلميذة أبو الحسن الششتري¹ (ت 668 هـ/ 1270 م)، الذي كان من صوفية وحدة الوجود وقد قال عنه المؤرخ التادلي في كتابه المطرب: لقد كان الششتري متأثراً جداً بوحدة الوجود الفلسفية فقد تحدث عنها وأشار إليها في كتاباته، كما ظهرت في كلامه بشكل واضح كما هو الشأن بأسبب للشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي مما جعل فقهاء عصره يثورون عليه واصفين إياه " بالإتحاد " و " الزندقة" ومن أبرز خصومه الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية (ت 728 هـ/ 1328 م) الذي أشار إليه كثيراً في مؤلفاته ناعياً إياه بالمبتعد عن الشرع كما هو الحال بالنسبة " لإبن عربي" وغيرهم حيث جعلهم أكثر خطراً على الدين الإسلامي من اليهود والمسيحيين²

ومن المتأثرين " بعقيدة وحدة الوجود " الفلسفية من الصوفية الشيخ الصوفي سعد الدين بن حمويه الجويني (ت 650 هـ/ 1252 م) محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي الذي قال "بوحدة الوجود " واشتهر بالأحوال والرياضة إلى أن توفي بخراسان³، وكذلك الشيخ محمد القونوي (ت 673 هـ/ 1275 م) ، محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي الملقب " بصدر الدين " وهو يعتبر من كبار المتبعين لأستاذه وزوج أمه " محي الدين بن عربي"⁴.

و تأثر بهذه العقيدة الشيخ إبراهيم الدسوقي (ت 676 هـ/ 1278 م) الذي قال

شعرا:

¹ - أبو الحسن الششتري، أبو الحسن علي النميري الششتري (ت 668 هـ - 1270 م) له معرفة بالفلسفة وطريق التصوف وله نظم وشعر على الطريقة الصوفية، الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، ببجاية، تحقيق رباح لونا، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د.ت، ص 210.

² - عبد الله التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، د.ط، دار الأمان للنشر، المغرب، الرباط، (1420 هـ) ، ص (124.125) .

³ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 265.

⁴ - الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص ؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ط10، دار الملايين للنشر، بيروت، لبنان، (1992 م)، ج6، ص 30 .

تجلى لي المحبوب في كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري فقال أتدري من أنا قلت منيتي
فأنت مناي بل أنا أنت دائما إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
وانظر في مرآة ذاتي شاهدا بذاتي لذاتي وهي غاية بغيتي¹

وفي هذه الابيات الشعرية يظهر القول " بوحدة الوجود " الفلسفية فالدسوقي يصرح
في شعره هذا بان الله سبحانه وتعالى قد ظهر له في كل الجهات والأشياء على كثرتها
وتنوعها².

وما قاله أيضا:

سقاني لمحبوبي بكأس المحبة فتهدت عن العشاق سكرًا بخلوتي
ونادمني سرا بسر و حكمة فما كان أهني خلوتي ثم خلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أحنا لصم الجبال الراسيات لدكت
وكننت أنا الساقى لمن كان حاضرا طوف عليهم كرة بعد كرة
وكان دايلي يوم حضرة قدسية على المرتضى الكرار يوم الكريهة³

وجل أشعار الدسوقي يظهر فيها الشطح⁴

والشاعر الصوفي النجم بن إسرائيل (ت 677 هـ / 1279 م)، محمد بن سوار بن
إسرائيل بن الخضر بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن نجم الدين أبو المعالي

¹-الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص 182

²- إدريس محمود ادريس، مرجع سابق، ج1، ص 259.

³- عامر النجار، مرجع سابق، ص 239

⁴- نفس المرجع، ص 239.

الشيواني الدمشقي من القائلين " بوحدة الوجود " حيث أنه كان ينظم الشعر على نفس طريقة " ابن عربي " و " ابن الفارض " ومما قاله مبرزاً وحدة الوجود شعراً :

لقد عادني من لاجع الشوق عائد فهل عهد ذات الخال بالسفح عائد

وهل نارها بالأجرع الفرد تعتلي لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد

نديمي من سعد أديراً حديثها فذكري هواها والمدامة واحدا

منعمة الأطراف رفت محاسنها حلّى لي في حبها ما أكابد¹

وكذلك العفيف التلمساني (ت 690 هـ / 1291 م)، أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن العابدي الكرمي التلمساني، كان من أتباع وحدة الوجود الملقب " بالملحد " لآرائه الفلسفية وقد استقر بدمشق التي توفي بها² كما تأثر بهذه العقيدة أيضاً الصوفي ابن هود (ت 699 هـ / 1300 م)، بدر الدين حسن بن علي بن هود المرسي الأندلسي الذي سافر على المشرق واستقر به حيث اتخذ من " وحدة الوجود " الفلسفية إعتقاداً له حتى أنه لقب " بالاتحادي الضال " ³.

وممن تأثر " بوحدة الوجود " الفلسفية الشيخ الصوفي سعيد الكساني الفرغاني (ت 699 هـ / 1300 م) شيخ خانقاه الطاحون، وتلميذ صدر الدين القونوي تلميذ محي الدين بن عربي والذي قام بشرح التائية الكبرى المسماة نظم السلوك للشيخ الصوفي عمر بن الفارض في مجلدين ⁴.

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص ص (284 283) .

² - أحمد بن إبراهيم بن عيسى : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، ط3، الكتاب الإسلامي للنشر، بيروت ، لبنان، (1406 هـ)، ج2، ص 207.

³ -الذهبي، (العبر)، ج5، ص 398؛ ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص (468 467) .

⁴ - نفس المصدر، ج5، ص 399.

نقد أتباع وحدة الوجود :

لقد كان رد علماء المسلمين قويا جدا على أهل الوحدة، حيث رد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ / 1328 م) رحمه الله على أهل أتباع وحدة الوجود ردا شديدا جدا خاصة وأنه ترصد معتقداتهم وأفكارهم ما جعله يفرق جيدا بين التصوف السني الملتزم (السليم) والتصوف الفلسفي المبتدع حيث مدح أتباع التيار الأول، وشن حملة شعواء على أتباع التيار الثاني¹ لذلك ترصد فلاسفة الصوفية وخطأ معتقدتهم قائلا بأن : " معتقد أتباع وحدة الوجود " أكثر خطرا من معتقد الكفار لما هم فيه من إفتراء على الشريعة، لذلك كان الإنكار عليهم أولى من الإنكار على اليهود والمسيحيين لما في عقيدتهم من تضليل للمسلمين ومن خطر على العقيدة الإسلامية الصحيحة، كما أن المعتقد بهذه الفكرة منافق يجب الإنكار عليه لقوله تعالى : " جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم " ² لأن المنافق أكثر إفسادا من الكفار أنفسهم لذلك يكون في الدرك الاسفل من النار وأتباع " وحدة الوجود " اتضحت أغراضهم وظهرت بتصنيفهم للكتب وتأليفهم للأشعار وتغييرهم للكلام بشأن " وحدة الوجود" التي وجب إيضاح حقيقتها حتى لا يغتر بها المغترون، والخطر الأكبر لهذه العقيدة يكون في خسارة الخلق في الآخرة بما فيها من كفر وإلحاد وتمويه للناس تبشرهم بإتباع الأنبياء وإقتفاء آثار الرسل والتظاهر بكونهم من حماة الإسلام وهم من أكبر أعدائه بتمريرهم للكلام المليء بالكفر في قالب ألفاظ الأولياء المحققين فيظن السائر في طريقهم أنه على صواب ومن أنه أصبح وليا لله سبحانه وتعالى إلا أنه وفي الحقيقة أصبح من المنافقين أعداء الله عز وجل³.

¹ - مرعي بن يوسف الكرعي الحنبلي : الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق نجم عبد الرحمان خلف، ط 1، دار الفرقان ومؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1404 هـ)، ج1، ص 73 ، ص 92، ص 95، ص 97 ؛ طه جابر العلواني : ابن تيمية وإسلامية المعرفة، ط1، (1415 هـ - 1994 م)، ص 43.

² - سورة التوبة : الآية (73) .

³ - ابن تيمية، مصدر سابق، ج11، ص 130 .

قال في شأن ابن عربي وعقيدته وحدة الوجود بأنه أكفر من فرعون الذي لم يكن مقرا بالله لتجاوزهم إلى القول بأن الله هو نفسه الوجود لا فرق بينهما فهم أجهل من فرعون وأظل منه في حين أن فرعون أكثر كفرا منهم الإستكباره وفي هذا يقول الله تعالى :
"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا"¹ .

و قال شيخ الإسلام بعد تحدثه عن الفلاسفة واصول الفلسفة بأن ملاحدة الصوفية من أمثال ابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني وغيرهم موافقين للفلاسفة في آرائهم إلا أنهم يعبرون عن معتقداتهم الفلسفية بعبارات بألفاظ دينية إسلامية، وهم لا يعترفون بالفروق الموجودة بتجويزهم لليهودية والنصرانية بل وحتى الشرك رغم ترجيحهم للشريعة الإسلامية على غيرها² .

ثم نجده يضيف مؤكدا خروج هؤلاء من جماعة المسلمين بل أنهم ليسوا نصارى لأنهم أكثر شرا من الكفار المشركين، بفلسفتهم الصوفية وقد أعانهم ظهور أهل البدع أصحاب الإعتقادات الفاسدة، فأتباع "وحدة الوجود" إشتروا مع الفلاسفة في قضاياهم العقلية المخالفة للشرع وللعقل جاعلين منها قضايا صادقة بالقوة³ .

والأدلة القرآنية الدالة على وحدانية الله جل وعلا وإختلافه على خلقه كثيرة فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله : " ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا " ⁴ ، كما قال الله تعالى مؤكدا وحدانيته : " يا أيها الناس اعبدوا ربي الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " ⁵ ، وهذا الخطاب موجه لكل

¹ -سورة النمل : الآية (14) .

² - ابن تيمية : الرد على المنطقيين، د، ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص ص (281 . 282) .

³ - ابن تيمية، الفتاوى، ج11، ص (523.521) .

⁴ - سورة آل عمران، الآية (80) .

⁵ - سورة البقرة : الآية (22.21) .

الناس بعبادة الله الواحد الأحد الخالق لكل شيء في هذا الوجود فلا يوجد له أندادا، فهو الوحيد المستحق للعبادة دون غيره فلا رب سواه فهو الخالق للأولين والآخرين وهو الخالق هذه الأرض التي يعيش عليها البشر ويتمتعون بما فيها من خيرات ونعم فهو الذي يرسل لهم الأمطار تسري بين يدي رحمته وجعل لهم فيها ثمارا مختلفة فكيف يكون له بعد ذلك أندادا يساونه¹ .

ويقول شيخ الاسلام مستغربا مرقف ابن عربي القائل " بوحدة الوجود " التي جعلت من الخالق والمخلوق في كفة واحدة بحيث لا يختلف أحدهما عن الآخر مستكرا عقيدته فقال : " وأنا يكون لابن عربي كل هذه الجراء الزائدة على اللزوم ليجعل من الحق والخلق شيئا واحدا غير متمايز : " ² .

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي (ت 792 هـ / 1390 م) في كتابه شرح العقيدة الطحاوية بأن الله عز وجل مختلف عن خلقه تماما بل ان لا أحد من مخلوقاته يشبهه ولا بأي شكل من الأشكال إلا أن أتباع وحدة الوجود قد شذوا عن هذه القاعدة فخالفهم بقولهم بالإتحاد الصريح، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد أدحض هذه الفكرة بقوله في كتابه العزيز : " والارض وضعها للأنام " ³ تأكيدا على الاختلاف الموجود بين الخالق ومخلوقاته ⁴ ووحدة الوجود فكرة (عقيدية) مبتدعة لم ترد لا في كتاب منزل ولا في سنة مؤكدة والأولى والواجب إتباع سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يلتزم بالسنة

¹ - ادريس محمود إدريس، مرجع سابق، ج1، ص 197 .

² - ابن تيمية : بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والفرامطة والباطنية، تحقيق موسى سليمان الدرويش، ط1، دار العلوم والحكم، ص 395 .

³ -سورة الرحمن : الآية (10) .

⁴ - ابن ابي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية، ط4، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1391 هـ)، ج1، ص 117.

والشرع وإتبع الهوى سقط في البدع والضلال¹ ، والله سبحانه وتعالى يقول : " قل إنما يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون " ² .

ورد ابن أبي العز صاحب شرح العقيدة الطحاوية مؤكدا ان انتظام شؤون الكون وترتيب أموره بدقة متناهية من الأدلة القطعية على أن مسيره واحد وهو رب العالمين جميعا وهو إله الخلق فوجود العالم لا يكون بهذا الإنتظام البديع بتعدد الصانعين وهذا معلوم بالضرورة للعقل لإستقراره بالفطرة³ .

ويقول الإمام ابن الوزير محمد الحسيني (ت 840 هـ/1436م)، عن أتباع وحدة الوجود بأنهم أصحاب بدع يقولون بأفحش الأقوال في الإتحاد متشبهين في ذلك بتأويلات واهية من النصوص الشرعية ولو كان في هذه الافكار أية إفادة للناس لبينها الرسول صلى الله عليه وسلم ولكانت ثبتت في النصوص الشرعية، والمعتقدون بوحدة الوجود الفلسفية وقعوا في الضلال لتغييرهم للعبارات حيث إختلط عليهم الأمر في فهمها حتى أنهم يعتقدون بأن كل العبارات متماثلة وهي ليست كذلك في الحقيقة مما جعلهم يقعون في الخطأ الفاحش⁴ .

ويقول الإمام برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ/1481م) في كتابه مصرع التصوف بأن قول ابن عربي عن الحق (الله) " عين ما ظهر وما بطن " كلام فيه الكثير من السموم الفكرية بالنسبة للعقيدة الإسلامية بجعله لكل المخلوقات مماثلة لله جل وعلا وهو قول يدفع بهم إلى الكفر، والقول عنهم بأنهم يريدون خلاف ما يظهر من كلامهم لايعتبر مبررا كافيا لأنهم في نهاية المطاف ليسوا بمعصومين عن الخطأ، لذلك وجبت مؤاخذتهم

¹ - ابن أبي العز، مصدر سابق، ج1، ص 492 .

² - سورة الانبياء : الآية (108) .

³ - ابن أبي العز، مصدر سابق، ج1، ص 25 .

⁴ - ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي المرتضي بن المفضل الحسيني القاسمي : إيثار الحق على الخلق في اصول التوحيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1987)، ج1، ص 193 و ص 298 .

على أخطائهم، كما أنه لا يقبل منهم أي تأويل مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية وهذا هو الحق الجلي¹.

وقال أيضا عن ابن عربي وابن الفارض بأن تكفيرهما متواتر لشيوعه عند علماء المسلمين الصادقين والله عز وجل حكم بكفر كل من يدعي الألوهية للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فلما لا يكفر المسلمون قطبي مذهب وحدة الوجود والحلول وما يمنعهم من ذلك وهما يقرران في كلامهما واعتقادهما بأن الله هو الوجود².

قال الإمام أبو الفضل محمود الألوسي (1270 هـ / 1854 م) في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم بأن القوة بالإتحاد أو " وحدة الوجود " قول مماثل لقول النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام وهذا ضلال كبير³.

و قال الامام محمد صديق القنوجي(ت1307هـ/1890م)، في كتابه قطف التمر في بيان عقيدة أهل الأثر بأن قول الاتحادية بالوحدة بين الخلق والخالق وبأن الله موجود في كل مكان حسب مفهومهم الوجودي يدخل في اطار التعطيل والجحود لله سبحانه وتعالى وان اعتقد هؤلاء بأن هذا يقربهم من الله فهم من الجاهلين لأن مثل هذا الافتراء يبعدهم عن الله عز وجل ولا يقربهم منه⁴.

والى جانب الانكار على كبار الصوفيين القائلين بوحدة الوجود من أمثال ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين و القنوي كان الانكار شديدا أيضا على صوفي أهل الوحدة ابن هود (ت699هـ/1300م) الذي يعتبر من أكبر القائلين بوحدة الوجود ما جعله يحتل مكانة "زعيم الاتحادية" في وقته رغم ما كان يظهره من زهد خاصة وأنه كان من

¹ - برهان الدين البقاعي، مصدر سابق، ج1، ص (66. 62).

² - نفس المصدر، ج1، ص 217 .

³ - أبو الفضل محمود الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، لبنان، ج6، ص 25 .

⁴ - محمد صديق حسن خان القلوجي: قطف التمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تحقيق عاصم بن عبد الله عاصم القريولي، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، (1984م) ج1، ص44.

أكبر المقدرين لابن سبعين ١ لأندلسي (ت668هـ/1270م) والذي كان يفضل على ابن عربي، وكل هؤلاء ينتمون الى أصحاب المعتقدات الفاسدة.¹

كما أن قول محي الدين بن عربي في فتوحاته "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها" معتقد مخالف لكل المذاهب الاسلامية وهي عقيدة تجعل من صاحبها مشركا حقيقيا لتخليه عن الوجدانية" الخالصة للخالق سبحانه، كما ان الله سبحانه متصف بالكمال منزه من كل العيوب والنقائص، في حين أن عقيدة وحدة الوجود هذه تجعل من الانسان والله متساويان وبهذا أسقط أتباع هذا المذهب التنزيه عن العيوب لله سبحانه و تعالى و هذا بهتان و ضلال.²

ان هذه الطائفة من أهل البدع عادة ما تتظاهر بالايمان الخالص و بجمعهم بين الشريعة والحقيقة وهم في الأصل يخفون مذاهبهم الباطل من اتحاد و حلول وادعاء كاذب في كون الوجود هو نفسه الله سبحانه و تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.³

والقول بالاتحاد والحلول أشنع من كفر النصارى المسيحيين لأن هؤلاء جعلوا الاتحاد خاصا بنبيهم وهو شخص واحد أما أتباع وحدة الوجود فقد جعلوا الاتحاد عاما لكل وحوادث في هذا الكون⁴ وصفا الله جل وعلا مختلفة تماما عن صفات مخلوقاته لذلك لا يجوز وصفه سبحانه إلا بالصفات الشرعية التي وردت عند علماء أهل السنة والجماعة وعند السادة الصوفية السنية والابتعاد كليا عما ورد من صفات عند أتباع "وحدة جود" لما يحمله كلامهم من خلط و مخالفة للعقيدة الاسلامية الصحيحة⁵ حتى وإن قيل محي الدين

¹ - محمد شمس الحق العظيم أبادي أبو الطيب، عون المعبود، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص314.

² - علي بن سلطان محمد الهروي المكي: الرد على القائلين بوحدة الوجود، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي بن رضا، ط1، دار المأمون للنشر، دمشق، سوريا، (1995م) ج1، ص(21-22).

³ - نفس المصدر، ج1، ص27.

⁴ - نفس المصدر، ج1، ص31.

⁵ - نفس المصدر، ج1، ص44، ص127

تحدث بذلك في حالة سكر فأقول بأن الكتابة لا تكون في حالة سكر أبداً إنما تكون في حالة صحو كامل فلا مبرر لديه في ذلك.¹

وأتباع وحدة الوجود يقولون لمريديهم بأن كل الأشياء في باطنها متحدة مع الخالق سبحانه وإن كانت في ظاهرها مختلفة عنه، وهذا القول يحمل في طياته وثنيه ميل إلى وحدة الوجود المناقضة للتوحيد الشرعي القائم على أساس تجريد الذات الإلهية عن كل الصفات التي يمكن أن ترد في الأذهان، لأن الله جل وعلا لا يشبه مخلوقاته في أي شيء لا من حيث الذات ولا من حيث الصفات لأنه مختلف كلياً عن ذوات وصفات مخلوقاته هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يملك الخلق لأنفسهم لا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة لأن الله سبحانه وتعالى هو المتحكم في كل ذلك وهذا دليل آخر قاطع على مخالفة التوحيد الشرعي لأهل وحدة الوجود.²

ووحدة الوجود شرك لا بتعادها عن الوحدانية الخالصة للخالق جل وعلا ولمحوها للفرق الموجود بين الله سبحانه ومخلوقاته وهذا مذهب "أهل البدع" الذين يتظاهرون بالتدين و الجمع بين الشريعة والحقيقة، وهم يفعلون ذلك في الحقيقة فقط من أجل إخفاء مذاهبهم الباطلة من اتحاد وحلول وادعاء كاذب بالوحدة بين الله ومخلوقاته وهو قول افضع من قول النصارى في حق نبيهم عيسى عليه السلام وهذا شخص فما بالك بأتباع...الوجود" الذين جعلوا من كل ما هو موجود في الكون متحداً مع الله وهذا ضلال...³

وكيف يمكن أن تكون عقيدة وحدة الوجود عقيدة مقبولة وكل الأدلة والشواهد المعقولة والمنقولة تبين خطأها وانحراف أتباعها عقدياً وفكرياً ومما يؤكد خطأها هو أن كبار مشايخ الصوفية المحققين العارفين متفقين على أن المعارف التي تخالف الكتاب والسنة

¹-الهروي، مصدر سابق، ج1، ص13، ص 18

²- نفس المصدر، ج1، ص 18، ص 21، ص 66 .

³- نفس المصدر، ج1، ص (21-22)، ص 27، ص 31، ص 127.

أو تلك التي تخالف صريح العقل باطلة وكل ما كان خارجا عن طاعة الله و رسوله فهو باطل.¹

المفهوم الشرعي للتوحيد: "نفي للقول بوحدة الوجود الفلسفية":

نجد أن المفهوم الشرعي للتوحيد في الاسلام لا يبقى أي مجال "بوحدة الوجود الفلسفية" كما رأينا وفي هذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله موضحا بأن التوحيد هو أساس هذا الدين والقرآن الكريم مليء بالآيات الدالة عليه باعتباره أساس النجاة في الآخرة والناس مختلفون فيه باختلاف درجاتهم فيه، وهو يرتكز على الاخلاص الكلي لله سبحانه باثبات الألوهية له في القلب و نفيها عن غيره وهو معنى الشهادة في الاسلام "لا اله إلا الله" الدالة على عبادة الله و محبته وخشيته و طاعته والتوكل عليه وحده دون سواه.²

وعن الوجدانية قال تعالى: "والهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"³

وقال أيضا الله سبحانه في محكم تنزيله: "أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون . امن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا اله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أ من يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف سوء ويجعلكم خلفاء الأرض اله مع الله قليلا ما تذكرون. أ من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اله مع الله تعالى عما يشركون".⁴

¹ - ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمان بن قاسم، ط1، مطبعة الحكومة للنشر، مكة، السعودية، (1392هـ)، ج1، صص(266-267).

² - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، مؤسسة قرطبة للنشر، (1406هـ)، ج5، ص374

³ - سورة البقرة: الآية (21-22).

⁴ -سورة البقرة: الآية (163-164).

ومن الأحاديث التي تثبت وحدانية الله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بعزتك الذي لا اله إلا أنت الذي لا يموت و الجن والانس يموتون"¹ ، وفي هذا الحديث للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اقرار من العبد بربوبية الله جلا وعلا لكل شيء فهو المعبود الأوحد.²

وفي هذا قال الشيخ الصوفي الكبير أبو طالب المكي (ت386هـ/997م) في كتابه الشهير "قوت القلوب" الذي قال بأنه من الأشياء المذمومة الكلام في التوحيد بما فيه مخالفة للشريعة الاسلامية لأن الحقيقة لا تخالف العلم وهي أحد طرق الشريعة، وعليه الشرع منبثق عنها فلا يمكن له أن ينافيها ومن يخالف ذلك يعتبر ملحدا مفرقا بين الكتاب والسنة.

وعن التوحيد الشرعي قال الامام ابن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م) رحمه الله في كتابه مدارج السالكين بأن التوحيد الذي عليه أهل السنة يرتكز على العلم به والاعتقاد به، وهو مبني أساسا على إثبات جميع صفات الكمال لله عز وجل بتتزيهه من كل ما يشبهه وكذا تنزيهه من العيوب والنقائص³ كما قال الامام ابن أبي العز (ت792هـ/1390م) شارح العقيدة الطحاوية بأن التوحيد الشرعي هو أول ما جاء به الرسل لأنه أساس الدين وهو العاكس الحقيقي لشهادة الاسلام فالله سبحانه وتعالى هو المعبود الوحيد بجميع أنواع العبادات والرسل أرسلت والكتب بعثت لتثبيت هذا المبدأ الاسلامي الذي يرتكز عليه الدين كله.⁴

¹ - الامام البخاري، مصدر سابق، ج6، ص 2688.

² - ادريس محمود ادريس، مرجع سابق، ج1، ص198.

³ - ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق عبد الله بدر، ط1، الدار السلفية للنشر، الكويت، (1406هـ)، ج1، ص52، ص(115-117)؛ محمد بن علي الشوكاني: التحف في مذاهب السلف، تحقيق طارق السعود، ط2، دار الهجرة للنشر، بيروت، لبنان، (1408هـ-1998م)، ج1، ص75، ص78؛ عبد الباقي بن ابراهيم: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، تحقيق عصام رواس قلنجي، ط1، دار مأمون للتراث، دمشق، سوريا، (1987م)، ج1، ص30؛ آل معمر عماد بن ناصر بن عثمان: التحفة المدنية في العقيدة السلفية، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، ط1، دار العاصمة للنشر، الرياض، السعودية، (1992)، ج1، ص24.

⁴ - ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص14.

وفي هذا الله تعالى: ' لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره'¹ ، وقال سيدنا هود عليه السلام: " اعبدوا الله ما لكم من اله غيره"² ، فالتوحيد الشرعي هو أساس الاسلام وهو المسجد لشهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله³ وخير دليل على وحدانية الله عز وجل من القرآن قوله: " قل هو الله أحد. ا لله الصمد. لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد"⁴.

صفات الله تنفي القول بوحدة الوجود:

كما أن مجموع الصفات التي اتصف بها المولى عز وجل تنفي تماما عقيدة "وحدة الوجود" ومن الصفات الواردة في القرآن الكريم صفة "الاستواء" لقوله تعالى: "إن ريكم الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا و الشمس والقمر مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر فتبارك الله أحسن الخالقين"⁵ ، والآيات الدالة على الاستواء كثيرة، وهي دالة على أن الله سبحانه و تعالى مستو على عرشه في السماء لقوله تعالى: " تعرج الملائكة والروح اليه"⁶ والسماءمختلفة عن الارض وهذا ما يدل على انفراد الخالق جل وعلا بالوحدانية والنتزه عن الحلول والاتحاد⁷ وما يدل على هذه الصفة قوله تعالى: "إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى"⁸ وهي آية دالة على الاستواء والعلو.

وبهذا وجب على الانسان أن يعلم علما يقينا بأن الله عز وجل فوق السماء مستو على عرشه بلا كيف ولا حصر، كما أن صفاته ثابتة لا تتغير لذلك وجب على المسلم

¹ - سورة الأعراف: الآية (59).

² - سورة الاعراف: الآية (85).

³ - محمد بن عبد الوهاب: عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ط3، المكتب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1397هـ) ، ج1، ص10.

⁴ - سورة الصمد: الآية (1-4).

⁵ - سورة الأعراف: الآية (54).

⁶ - سورة المعارج: الآية (4).

⁷ - أبو الحسن الأشعري: الابانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، ط1، دار الأنصار للنشر، القاهرة، مصر (1397هـ) ، ج1، ص109.

⁸ - سورة النجم: الآية (4-7).

تنزيه خالقه من جميع صفات مخلوقاته ومن الحصر والحلول¹ كما أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: " يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفرله"²، فأغفرله"²، كما قال الرسول صلى الله عليه و سلم: " بأن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي"³ وعلى هذا الأساس استدل علماء اهل السنة بأن الله مستو فوق عرشه مختلف عن خلقه.

كما أن من صفات المولى جل وعلا صفة "العلو" ودليل ذلك من السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

خضعانا لقوله كأته سلسلة على صفوان"⁴ كما ثبتت هذه الصفة عند علماء أهل السنة قال الامام مالك بن أنس (ت 179هـ/795م) رحمه الله: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء:" وقال الامام أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م) رحمه الله: "الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات والأرض:"⁵ ، وفي هذا السياق قال الله تعالى مثبتا هذه الصفات: "الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون. يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون. عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم"⁶.

ومن الصفات المبطله لعقيدة وحدة الوجود والتي اتصف بها الله عز وجل بها هي "عدم رؤيته" في هذه الحياة الدنيا ورؤيته هذه لا تكون لأي أحد مهما كانت ولو كان

¹ - ابن ابراهيم الواسطي: في صفات الرب جل وعلا، تحقيق زهير شاوش، ط2، المكتب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1394هـ) ج1، ص28.

² - البخاري، مصدر سابق، ج6، ص2723.

³ - نفس المصدر، ج6، ص2686.

⁴ - الامام البخاري، مصدر سابق، ج6، ص2720.

⁵ - ابن قدامة المقدسي: اثبات صفة العلو، تحقيق بدر عبد الله بدر، ط1، الدار السلفية للنشر، الكويت، (1406هـ)، (1406هـ)، ج1، ص52، ص69، ص(115-117).

⁶ - سورة السجدة: الآية (4-5-6).

نبيا مرسلا فما بالك بغير الأنبياء لأن رؤيته جل وعلا تكون في الآخرة وليست في هذه الدنيا وهذا متفق عليه¹ وقد قال الله سبحانه مخبرا عن الرؤية يوم القيامة " كلا بل تحبون العاجلة. و تذرون الآخرة. وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة².

وهكذا نستنتج بأن عقيدة وحدة الوجود عقيدة فاسدة ولا أساس لها من الصحة شرعا عقيدة فلسفية مخالفة للعقيدة الدينية الاسلامية الثابتة المبنية على مبدأ التوحيد الخالص بني عليه الدين الاسلامي، وبالتالي فهي عقيدة باطلة شرعا لما فيها من مخالفة صريحة للشريعة الاسلامية وهي مرفوضة جملة وتفصيلا ، كما أن للايمان بالله عز وجل وتوحيده الخالص لكونه الواحد الأحد آثار ايجابية كثيرة في حياة الانسان من أهمها الاصلاح والتوفيق في الحياة الدنيا قبل الآخرة لأن الانسان وانطلاقا من ايمانه المطلق بالخالق جل وعلا يصلح حياته ويضفي عليها جانب الخير الكامن فيه خاصة وأن الانسان الخير وعده الله سبحانه بتوليته و رعايته فقد قال الله تعالى: " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا" هذا في الدنيا كما سينال الخير الكثير في الآخرة بإذن الله الواحد الأحد.³

دور الصوفية في التعليم:

لقد اهتم مشايخ الصوفية بالتعليم لفائدته الكبيرة في خدمة المجتمع بالمشرق الاسلامي خلال القرن (7هـ/13م)، وقد اعتبر التعليم من أولى اهتماماتهم حيث أنهم عقدوا الحلقات العلمية التي انتهل الطلبة من معارفها بتلقيهم للعلم عن الشيوخ وممن اهتم بالتعليم الشيخ الصوفي عبد الله بن سكينه البغدادي (ت607هـ/1210م) الذي قصده الطلبة فتعلموا منه وأخذوا عنه.⁴

¹ -مرعي الكرعي، رفع الشبهة والغرر عن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، تحقيق أسعد محمد المغربي، ط1، دار حراء للنشر، مكة المكرمة، السعودية (1410هـ)، ج1، ص18.

² - سورة القيامة: الآية (20 - 21 - 22 - 23).

³ - عبد الحميد عمر النجار: الايمان بالله وأثره في الحياة، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1997م) ص165.

⁴ - الذهبي، (السير)، ج21، ص504.

لقد اهتم بهذا ا لنشاط الشيخ الصوفي عبد الله بن البنا أبو النجيب نور الدين بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب بن جامع البغدادي(ت612هـ/1216م)، الذي لقن العلم. لطلبته في العراق والحجاز ومصر والشام¹ ، وكذلك الشيخ بن حمويه المفتي الفقيه الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح عمر بن علي بن العارف محمد بن حمويه الجويني الشافعي (ت617هـ/1220م)، الذي درس بمشهد الحسين في القاهرة بمصر انتقل اليه الطلبة وأخذوا عنه العلم.²

وكان للشيخ الصوفي مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم (622هـ/1225م)، نشاط في هذا المجال، والذي أخذ عنه الطلبة في العراق والشام والحجاز ومصر والجزيرة³ ، وكذا الشيخ أبو حفص عمر السهروردي (632هـ/1235م) والذي استفاد منه طلبة كثر اخذوا عنه⁴، وأيضا الشيخ الصوفي روزية أبو الحسن بن علي بن أبي بكر بن روزية البغدادي القلانسي العطار (633هـ/1236م) الذي عقد حلقات علمية لطلبة بغداد وحران وحلب⁵، وكذلك الشيخ الصوفي أبو طالب بن صابر الدمشقي محمد بن أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمان بنأحمد بن علي بن صابرالسلمي (ت637هـ/1240م)، الذي اهتم بالتعليم من خلال شغله لمنصب شيخ الحديث بالمدرسة الأعزبية في دمشق الشامية.⁶

وقد برز دور الشيخ الصوفي الاسفرايني مجد الدين محمد بن عمر بن أبي بكر الاسفرايني بن الصفار نزيل دمشق (ت646هـ/1248م)، في مجال التعليم خلال هذه الفترة فقد شغل منصب مقرئ دار الحديث في دمشق حيث قصده الطلبة وأخذوا عنه⁷

¹ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص53.

² - الذهبي،(السير)، ج23، ص258؛ النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص35.

³ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص102.

⁴ - نفس المصدر، ج3، ص53.

⁵ - نفس المصدر، ج3، ص158.

⁶ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص186.

⁷ - الذهبي، مصدر سابق، ج23، ص258.

وكان الشيخ عبد الرحيم بن نصر بن يوسف بن المبارك صدر الدين أبو محمد البعلبكي الصوفي (ت656هـ/1258م)، يقوم بالتدريس في مدرسة بعلبك الشامية¹، وتولى الشيخ الصوفي الكبير عز الدين بن عبد السلام (ت660هـ/1262م)، التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة المصرية المعزية.²

وتولى الشيخ الصوفي أحمد بن محمد بن الخلاطي(671هـ/1273م) شؤون مدرسة الكلاسة القريبة من الجامع الأموي في دمشق والتي كان دور كبير في التعليم خلال القرن (7هـ/13م) حيث قصدها الطلبة من دروسها وحلقاتها العلمية³ كما كان للشيخ الصوفي عز الدين أبو العباس الواسطي الفاروثي العراقي (ت694هـ/1295م) دور كبير في التعليم حيث تولى مشيخة دار الحديث الظاهرية والتدريس في المدرسة النجيبية في دمشق حيث التف حوله عد كبير من الطلبة الذين أخذوا عنه.⁴

وكان الشيخ محمد بن علي بن المبارك موفق الدين أبو عبد الله الأنصاري (ت695هـ/1296م)، الذي سكن بعلبك الشامية وكان يقيم فيها حلقات لتدريس الحديث للعامّة حتى أنه قال شعرا معبرا عن مدى حبه لعلم الحديث و تعليمه:

قرأت القرآن وأقرأته و ما زلت مغرى به مغرما

وطفت البلاد على جمعه فصرت به في الورى مكرما

وألفيت الفي لطلابه فيا نعم مازادني أنعما⁵

واهتم الشيخ عبد الله بن عبد العظيم نجم الدين الواسطي العراقي الذي رحل الى الشام سنة (697هـ/1298م) بتدريس اللغة العربية في مدارس الشام.⁶

¹ - السبكي، مصدر سابق، ج8، ص194.

² - نفس المصدر، ج8، ص244.

³ - النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص340.

⁴ - نفس المصدر ج1، ص268.

⁵ - الداودي، مصدر سابق، ج2، صص(710 - 711).

⁶ - نفس المصدر، ج2، ص754.

وهكذا نستنتج أن اهتمام الصوفية كان كبيراً جداً بالنشاط التعليمي خلال القرن (7/13م)، لما فيه من خدمة جليلة لأفراد مجتمعهم المشرقي فقد ساهموا بقدر كبير في تنشيط الحياة العلمية التي كانت مزدهرة في تلك الفترة من الزمن.

دور الصوفية في المناظرة:

لقد ظهر بعض الصوفية في مجال المناظرة التي اشتهر فيها البعض من شيوخ وفيه خلال القرن (7/13م) من أمثال الشيخ نجم الدين الكبرى (ت618هـ/1221م) والذي جرت بينه وبين الامام فخر الدين الرازي (ت606هـ/1209م) مناظرة شهيرة حيث عاصر الشيخ نجم الدين الكبرى الفقيه الرازي ذو المكانة العالية والذي توجه في احدى المرات الى هراة¹ حيث أتاه من كان بها من العلماء والصلحاء والأمراء سلاطين وسأل الرازي هل بقي أحد قد تخلف عن زيارته فأجابه من كان حاضراً هناك رجل قد تخلف عن زيارته وهو رجل صالح منقطع في زاوية فقال الرازي متحدثاً عن نفسه قائلاً بأنه رجل واجب التعظيم وهو إمام المسلمين فكيف يمتنع عن زيارته هذا العابد فبلغ هذا الكلام مسامع الشيخ نجم الدين الكبرى فلم يحرك ساكناً ولا نطق بكلمة ووقع خلاف كبير بينهما² ، فأراد أهل المدينة يصلحوا بينهما وأن يفضوا الخلاف والخصومة التي جرت بينهما فأقام أهل المدينة دعوة طعام حضرها كل من العالم والعابد بطلب من أهل المدينة فحدث أن التقى الرجلان في الحديقة فاستفسر فخر الدين الرازي عن سبب تخلف الشيخ عن زيارته فأجابه الشيخ قائلاً: "أنا رجل فقير لا شرف في زيارتي، ولا نقص في تخلفي عنها قال الامام: هذا جواب أهل الأدب (يقصد الصوفية)، فقل لي حقيقة الحال فقال نجم الدين الكبرى: لأي شيء وجبت زيارتك؟ قال الرازي: انا إمام المسلمين وواجب التعظيم فقال نجم الدين الكبرى: إذن افتخارك بالعلم، ورأس العلوم كلها معرفة الله عز وجل ، ثم سأله كيف عرفت الله عز وجل، فأجاب الرازي: بمائة مون البراهين... فقال العابد نجم الدين الكبرى: البرهان لازالة الشك، والله تعالى جعل في قلبي نورا لا يدخل معه الشك، فضلا

¹ هراة: مدينة تابعة لمنطقة خراسان الفارسية الى جانب مرور سمرقند، الطبري، مصدر سابق، ج1، ص339.

² طاش كبرى زاده: مفاتيح العلوم ومصباح السعادة، دون محقق، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص107.

عن الحاجة الى البرهان، فأثر هذا الكلام كثيرا في قلب الامام الرازي فتاب في ذلك المجلس على يد الشيخ نجم الدين الكبرى.¹

واشتهر الشيخ الصوفي التبريزي (ت646هـ/1248م)، بشير بن حامد بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن عبد الله نجم الدين أبو النعمان الهاشمي...التبريزي ببراعته في فن المناظرة حتى أنه عد من كبار المناظرين الصوفيين خلال فترة القرن (7هـ/13م)²، وهذا ما عثرت عليه في المصادر التي اطلعت عليها من خلال هذه الدراسة وربما كانت هذه الفئة للمناظرة لدى الصوفية لعدم اهتمامهم بها ويبقى هذا مجرد رأي يحتمل الصواب أو الخطأ.

اهتمام الصوفية بعلوم الشريعة:

احتلت دراسة القرآن الكريم مكانة كبيرة في نشاط الصوفية خلال القرن (7هـ/13م) باعتباره الدستور الأول للمسلمين فيه تنظيم حياتهم الدنيوية كما أن اتباعهم له طريق الى السعادة في الحياة ا لأخروية فهو الخطاب الالاهي الموجه للبشر وهو يحتوي على جموعة من التشريعات ضبط سلوكيات المسلمين حياتهم الدنيوية والدنيوية.

(أ) علم القراءات :

ومن علوم القرآن الأساسية علم القراءات³، وقد ظهر في هذا العلم مجموعة من مشايخ الصوفية بالمشرق الاسلامي مثل الشيخ الصوفي ابن سكينه البغدادي (607هـ/1210م) مسند العراق الذي برع في علم القراءات قرأها برواياتها المختلفة وأتقن اللغة العربية و برع فيها⁴.

¹-طاش كبرى زادة،مصدر سابق، ص ص(107-108).

²- الداودي ، مصدر سابق، ج1، ص39، ابن رجب الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص 273.

³- علم القراءات: يعتمد على مجموعة من القراءات التي تسهل النطق الصحيح حتى لا يخل معنى القرآن أو يتغير وهو علم يبحث في ماهية القراءات و رواياتها، القنوجي ،مصدر سابق، ج2، ص348؛ ابن خلدون، المقدمة، 484.

⁴- الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد، شعيب الأرنؤوط صالح مهدي عباس، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1404هـ) ، ج2، ص 582.

عرف أيضا الشيخ أبو مسعود بن مندويه الأصفهاني (ت610هـ/1213م) الذي فاق أقرانه في علم القراءات حتى أنه لقب "بشيخ القراء بقية السلف"¹ وكذلك الصوفي محي الدين ابن عربي (ت638هـ/1241م) الذي كان من القراء المعروفين عند الصوفية الفلسفية خلال هذا القرن، والذي قرأ القراءات بالأندلس على يد مجموعة من شيوخها آنذاك²، كما اشتهر أيضا الشيخ ابن أبي العز ابن رشيد منتخب الدين أبو يوسف الهمداني (ت643هـ/1254م) البارع في القراءات واللغة العربية فقد قرأ القراءات ب رواياتها المختلفة عن قراء عصره³، إضافة الى الشيخ الحسن بن أبي عبد الله الهمداني بن صدقة بن أبي الفتوح الامام الزاهد أبو علي الأزدهي الصقلي الذي عرف أنه للقراءات برواياتها (ت669هـ/1271م) بدمشق⁴.

ولم يكتف الصوفية باجادة القراءات ورواياتها المختلفة فحسب بل كانت لهم فيها مؤلفات مهمة في علم القراءات، فالشيخ الصوفي علي بن عثمان بن عبد القادر بن محمود يوسف الوجوهي البغدادي وإضافة الى معرفته الكبيرة في علم القراءات التي برع فيها وقراها برواياتها فقد ألف في هذا العلم كتابه المسمى "بلغة المستفيد في القراءات العشر" توفي ببغداد سنة (672هـ/1274م)⁵ وكذا الشيخ محمد بن نصير بن صالح أبو عبد المصري المولد الذي رحل الى دمشق واستقر بها في فترة شبابه وقرأ فيها القراءات آياتها وأصبح من العارفين في علما وقد لقنها لطلبته الدارسين حتى وفاته سنة (680هـ/1281م)⁶.

¹-الذهبي: (العبر)، ج5، ص35؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص42

²- شمس الدين الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، نشر وتحقيق ج براجسير، ط3، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1402هـ - 1933م)، ج1، ص (85-87).

³-الذهبي (معرفة القراء)، ج2، ص637.

⁴-الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص675.

⁵- برهان الدين ابراهيم... ابن المفلح : المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الامام أحمد، تحقيق عيد الرحمان بن سليمان العثيمين ط1، الرشد للنشر، السعودية، الرياض، (1990) ج2، ص239.

⁶-الذهبي، مصدر سابق، ج2، ص724.

وعرف الشيخ عز الدين الفاروثي الواسطي (ت694هـ/1295م) براعته في القراءات التي تعلمها عن طائفة من علماء عصره¹ وهو من العارفين بأنواع القراءات المختلفة فقد كان عالما بالقراءات التي قرأها بحروفها المختلفة وقد أخذ عنه طلبة كثير².

واشتهر في هذا المجال الشيخ محمد بن علي بن المبارك موفق الدين الشافعي (ت695هـ/1296م) الذي أتقن القراءات وسكن بعلبك وكان شيخ الاقراء بجامعة وقد قرأ القراءات بمصر كما أنه كان متمكنا في النحو واللغة العربية وعرف بفصاحته وقد لقن علم القراءات لجماعة من اهل بعلبك وعن القرآن وعلومه قال شعرا:

قرأت القرآن وأقرأته
وما زلت مغرى به مغرما
فيا نعم مازادني أنعما
فصرت به في الورى مكرما
وألقيت ألفى لطلابه
فيا نعم ما زادني أنعما³

اشتهر أيضا في علم القراءات الشيخ الضياء السبتي (ت696هـ/1297م) الذي زار بغداد ولبس بها الخرقه الصوفية السهروردية (لباس الصوفية السهروردية) في التصوف وسمع بها القراءات المختلفة الى أن توجه الى القاهرة التي توفي بها⁴، وكذلك الصوفي التلعفري محمد بن جوهر الذي عرف باتقانه للقراءات المختلفة حيث تمكن تجويدا وأصوله وقد توفي في دمشق سنة (696هـ/1297م).⁵

وذاع صيت الشيخ الصوفي المقرئ الامام عبد الله بن محمد بن عبد العظيم (ت697هـ/1298م) بالشام وهو نجم الدين الواسطي الشافعي المذهب الذي قرأ القراءات واتفقها على يد شيوخ عصره وقد اشتغل بتدريس اللغة العربية التي أجادها وتمكن فيها.⁶

¹- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص425؛ النعيمي، مصدر سابق، ج1، ص269.

²- الذهبي، (العبر)، ج5، ص381.

³- الذهبي، (معرفة القراء)، ج2، صص(710 - 711).

⁴- الذهبي، (العبر)، ج1، ص26.

⁵- الذهبي، مصدر سابق، ج1، ص27.

⁶- نفسه.

وهكذا ظهر المجهود الكبير لبعض الصوفية في مجال علم القراءات خلال القرن (7هـ/13م) والذين لم يكتفوا فيه بالتحصيل فقط وإنما تجاوزوه الى تلقين الطلبة لهذا العلم برعوا فيه.

ب) علم التفسير:

اهتم صوفية القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي بعلم التفسير¹، ولأنه علم أساسي في فهم القرآن الكريم واسباحها منها الأحكام الموجودة فيها والحكمة المنطوية عليها بالاعتماد على اللغة العربية والنحو وغيره²، وقد برز في هذا العلم مجموعة من الصوفية من أمثال الشيخ الصوفي نجم الدين الكبرى (ت618هـ/1221م) شيخ خوارزم الذي كانت له فائقة بالتفسير حيث ألف فيه عشرة مجلدات.³

اشتهر الشيخ شهاب الدين السهروردي (ت632هـ/1235م)، في مجال التفسير فقد ألف فيه كتابه "بغية البيان في تفسير القرآن والمناسك"⁴ وكذا الشيخ الصوفي بشر بن حامد التبريزي (ت646هـ/1248م)، الذي برع في علم التفسير وعرف بتقدمه فيه وكان ألف عدة مجلدات وكانت وفاته بمكة⁵ ظهرت مجهودات الشيخ الصوفي العز بن عبد

¹- علم التفسير: ينقسم الى قسمين تفسير نقلي عن الصحابة رضي الله عنهم، وهو تفسير يقوم على معرفة الناسخ و المنسوخ وأسباب النزول و المقاصد الشرعية و تفاسيره عديدة منها و المقبول والمردود .. و أبرز رواه الامام الطبري (ت310هـ - 922م)، كما يوجد نوع آخر من التفسير الذي يعتمد على الاجتهاد و غتقان اللغة العربية والبلاغة والبيان والاعراب حتى يكون المعنى موافقا للمقاصد الشرعية، ومن المؤلفات المشهورة في هذا النوع كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم عمر الزمخشري (ت538هـ-1144م). ابن خلدون، المقدمة، ص486.

²- محمد بن بهادر عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفصل ابراهيم، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، (1391م)، ج1، ص13.

³-الذهبي، (العبر)، ج5، ص73؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، صص(79-80)

⁴ - الداودي: طبقات المفسرين، مراجعة لجنة العلماء، د.ط، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ج2، صص(12-13).

⁵- نفس المصدر، ج1، ص39.

السلام المتوفي(ت 660هـ/1262م)، في مجال التفسير حيث ألف كتاب تفسير القرآن الكريم في صورة مختصرة.¹

كان لشيخ الصوفية ابن أبي الأندلسي (ت672هـ/1274م)، وهو أبو عبد الله محمد بن سليمان نزيل الاسكندرية والذي كان له اسهام كبير في هذا العلم فقد ألف فيه كتابه "اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز"² كما عرف أيضا الشيخ الصوفي عز الدين الفاروثي (ت694هـ/1295م) بكونه من كبار علماء التفسير في عصره، وكذا الشيخ الصوفي المصري عبد العزيز بن أحمد الدريني (ت694هـ/1296م)، الذي عرف ببراعته وتمكنه في مجال علم التفسير والذي ألف فيهمجموعة من الكتب منها(تفسير المنظوم في مجلدين)³ وقد سمي كتابه هذا في التفسير بالمصباح المنير في علم التفسير اضافة الى أرجوزة في التفسير سماها التيسير في التفسير تزيد على ثلاثة آلاف ومئتي بيت.⁴

ج)الفقه:

لقد ظهر اهتمام الصوفية بالفقه⁵ خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي باعتباره مجموعة الأحكام الشرعية المنظمة لحياة الفرد المسلم وفق ما نصه الكتاب و السنة في جميع جوانب حياته بتقرير الفرائض الشرعية والمهمات الدينية⁶ ومن الصوفية الفقهاء في هذه الفترة الشيخ ابن سكينة البغدادي(ت607هـ/1210م)الفقيه الكبير القدوة الملقب بشيخ الاسلام وهو لقب يمنح للمتكئين في المجال الديني وقد بلغ الشيخ درجة

¹ - نفس المصدر، ج1، ص320.

² - المقري، مصدر سابق، ج2، صص(140- 1471).

³ -الذهبي،(معرفة القراء)، ج2، صص(691- 692).

⁴ -الاندروني: طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الحزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم للنشر، المدينة المنورة،

السعودية، (1997م)، ج1، ص256؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص450.

⁵ - الفقه: وهو يمثل أحكام الله عز وجل في أفعال خل المكلفين شرعا باقرار اقسام التكليف كالواجب والمباح والمندوب والمندوب والمكروه والحرام وهي مستخرجة من المصدرين ا لأساسيين للاسلام أولاها الكتاب المنزل والسنة النبوية ويدخل في اطاره ما رصده المشرع من الأدلة وهي التي تسمى الفقه. ابن خلدون، مصدر سابق، صص(493- 494).

⁶ - القنوجي، مصدر سابق، ج2، ص400.

كبيرة من التمكن في المذهب الشافعي فكان علما من أعلام الدين وقد عرف بكثرة تكراره لكتاب التنبيه في الفقه¹ اضافة الى الشيخ زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الصوفي الفقيه الذي بلغ الى منصب الفتوى فكان من البارعين في الفقه وعلومه وتوفي في سنة (609هـ/1212م)².

اشتهر أيضا في الفقه الشيخ ابن حمويه صدر الدين أبو الحسن...الجويني الشافعي المذهبي الذي تعلم الفقه وبرز فيه وبلغ فيه درجة الفتوى والمتوفي سنة (617هـ/1220م)³ وكذا الشيخ مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم (ت622هـ/1264م) والذي كان من البارزين في مجال الفقه⁴ اضافة الى الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ شيخ وقته في بغداد والذي درس الفقه و برع فيه وأصبح من الفقهاء المشهورين في زمنه حتى أنه أصبح يلقب بشيخ العراق⁵ ، كما عرف أيضا محي الدين بن عربي (ت638هـ/1241م) في هذا المجال والذي عرف بالفقيه الظاهري المذهب الباطني العبادات السالك لطريق الصوفية ومن مؤلفاته الفقهية (تلقين المهدي، الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى...الخ)⁶.

برز في هذا المجال الشيخ الكمال أبو العباس أحمد بن صدر الدين أبي الحسن الذي تعلم الفقه الشافعي وبرع فيه حتى أصبح يعرف بالفقيه والمتوفي سنة (ت640هـ/1242م)⁷، وكذا الشيخ الصوفي الفقيه أحمد بن كشاسب بن علي الدزماري المتوفي (ت643هـ/1245م) المتمكن في مجال الفقه وعلومه والذي قطن دمشق وتوفي بها⁸ ، وعرف أيضا الشيخ تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن أحمد بن عبد الله الله بن عيسى...البلبكي الحنبلي المذهب، الذي درس الفقه وتميز فيه الى أن توفي

¹ - الذهبي، (السير)، ج21، صص(502 - 505)؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص50.

² - نفس المصدر، ج22، ص17.

³ - نفس المصدر، ج22، ص79.

⁴ - الداودي، مصدر سابق، ج1، ص39.

⁵ -الذهبي ، مصدر سابق، ج22، ص374؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، صص(153 - 154).

⁶ -المقري، مصدر سابق، ج2، ص236.

⁷ - الذهبي، (السير)، ج23، ص99.

⁸ - قاضي شبهة، مصدر سابق، ج2، ص100.

سنة (658هـ/1260م)¹، كما اشتهر أيضا الشيخ المجتهد العز بن عبد السلام (ت 660هـ/1262م) الذي تعلم الفقه واجتهد فيه حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى وقد عرف ببراعته في المذاهب الفقهية وهوشافعي المذهب، وله مؤلفات فقهية كثيرة منها كتاب مقاصد الصلاة، كتاب مقاصد الصوم، كتاب مقاصد الحج، كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، الفتاوى الموصلية... الخ)²، كما عرف أيضا في المجال الفقه الشيخ الصوفي شمس الدين أبو الحسن علي بن عثمان... الوجوهي البغدادي الحنبلي المذهب المتمكن في الفقه وأحد أكابر بغداد في هذا العلم والمتوفى سنة (ت 672هـ/1274م)³.

ومن المجتهدين في الفقه الشيخ الصوفي الكبير محي الدين النووي أبو زكريا يحيى الملقب بشيخ الاسلام المتوفى (ت 676هـ/1278م) والذي اتصف بسعة معرفته في الفقه وبراعته فيه وتمكنه حتى بلغ فيه درجة الاجتهاد ومقام الفتوى⁴، من مؤلفاته الفقهية كتاب كتاب طبقات الفقهاء وكتاب الربا الذي أجاد فيه حسب المؤرخ ابن كثير رحمه الله⁵، ومن مؤلفاته أيضا كتاب التقريب مختصر وكتاب المبهمات والتنبيه والايضاح في المناسك في مجلد واحد وكتاب الفتاوى في مجلد واحد.⁶

برز في الفقه أيضا الشيخ الصوفي عبد الله كتيلة بن أبي بكر الحراني الحنبلي المذهب أحد كبار شيوخ بغداد والعراق الذي تفقه في المذهب وبرع فيه حتى أصبح فقيها متمكنا وقد توفي سنة (ت 681هـ/1282م).⁷

ظهر أيضا في هذا العلم الشيخ تاج الدين أبو محمد عبد الرحمان بن ابراهيم ابن سيباع الشافعي المذهب الذي أخذ الفقه عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وهو

¹ - الذهبي، (تذكرة الحفاظ)، ط 18، ج 4، ص 1440.

² - الكتبي، مصدر سابق، ج 2، ص 350.

³ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 3، ص 337.

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج 5، ص 334.

⁵ - ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 279.

⁶ - الذهبي، مصدر سابق، ط 20، ج 4، ص 1472.

⁷ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 3، ص 373.

يعد من المتبحرين في الفقه وأصوله توفي سنة(ت690هـ/1291م)¹ ، وكذا الشيخ عز الدين الفاروئي (ت694هـ/1295م) الذي برز في مجال الفقه حتى أصبح فقيها مفتيا في زمنه.²

اشتهر كذلك قطب الدين القسطلاني أبو بكر محمد بن احمد بن علي المصري المكي الذي درس الفقه و بلغ فيه درجة الفتوى والمتوفي سنة (ت697هـ/1298م) بدمشق³ ، وكذا الشيخ عبد العزيز الدريني المتوفي (ت699هـ/1300م)، أبو محمد عبد عبد العزيز بن احمد بن سعيد بن عبد الله الدميريالدريني، المصري الديار والنشأة الشافعي المذهب الذي اعتبر من كبار الفقهاء في عصره.⁴

وهكذا نستنتج أن بعض الصوفية كان لهم دور كبير وفي غاية الأهمية في مجال الفقه الذي كانت لهم فيه مجموعة هامة من المؤلفات كما سجلت بعض الاجتهادات لخدمة العلم و الفقه.

(د) علم الحديث:

عرف المشرق الاسلامي تطورا كبيرا في مجال العلم الحديث⁵ خلال القرن (7هـ/13م)، باعتباره المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن الكريم، وقد تدعم التطور الذي شهده هذا العلم بظهور مجموعة من المجتهدين الصوفيين فيه مما جعل أمهات

¹ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 373.

² -الذهبي، (معرفة القراء)، ج2، ص 191.

³ -الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، مطبعة حكومة الكويت للنشر،

الكويت(1948م)، ج1، ص06.

⁴ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص373.

⁵ -علم الحديث: يبحث في أقوال النبي صلى الله عليه و سلم وأفعاله وأحواله، وهو ينقسم الى أنواع منه العلم برواية الحديث و مدى اتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم من حيث احوال رواته ضبطا وعدالة ومن حيث وضعية السند اتصالا وانقطاعا وهو علم أصول الحديث، وكذلك هو العلم بدراية الحديث من حيث المعنى بالرجوع الى القواعد اللغوية والضوابط الشرعية ومدى المطابقة لأحوال النبي عليه و الصلاة والسلام، القلوجي، مصدرلسابق، ج2، ص219؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص(488 - 489)؛ محمد بن جعفر الكتابي: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور السنة المصنافية، تحقيق محمد المنتصر، ط4، دار البشائر للنشر، بيروت، لبنان، (1406هـ - 1986م)، ج1، ص ص(2-3).

الكتب في الحديث تنتشر بين طلاب هذا العلم وقد كانوا يأخذونها عن الشيخ من أسانئدهم كالمسند الصحيح في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام والجامع الصحيح للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت256هـ/869م)، وممن ذاع صيته في هذا المجال الشيخ أبو العز عبد الباقي بن عثمان الهمداني الصالح المتوفى (ت602هـ/1205م) الذي عرف بروايته للحديث الشريف¹ ، الى جانب الشيخ ابن سكينه البغدادي (ت607هـ/1210م) شهد له بأنه شيخ العراق في الحديث بلا منازع² ، وكذا الشيخ عبد الجليل بن أبي بن غالب بن مندويه الأصفهاني (ت610هـ/1213م) نزيل دمشق الذي روى صحيح البخاري للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري³ .

وكان الشيخ أبو عبد الله بن البناء نور الدين محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب بن جامع المتوفى (ت612هـ/1215م) البغدادي الأصل من المشايخ المهتمين بسماع الحديث ورواياته، فقد حدثبه في اماكن كثيرة منها العراق والحجاز ومصدر والشام التي استقر بها حيث سكن الخانقاها السميانية، وقد عاش من العمر اثنان و سبعون سنة قضى جزءا كبيرا منها في تبليغ علمه ونشره في مختلف المناطق المشرقية⁴ ، كما عرف أيضا الشيخ أبو الفتوح البكري فخر الدين محمد بن محمد بن عمرو القرشي التيمي النيسابوري (ت615هـ/1208م)، والذي تعلم الحديث بالاسكندرية في مصر على كبر سنه وقد اهتم برواية الحديث في مناطق عدة⁵ ، واشتهر الشيخ نجم الدين الكبرى (ت618هـ/1221م) بتفوقه في علم الحديث الذي سمعه في مناطق عدة منها الاسكندرية حيث كان لقاؤه فيها مع كبار المحدثين بها، وقد لعب بالطامة الكبرى لسرعة فهمه حتى في أعقد المسائل ثم نزعوا عنه لقب "الطامة" واحتفظوا له بلقب الكبرى فقط،

¹ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص08.

² - الذهبي، (العبر)، ج5، ص23؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص25.

³ - نفس المصدر، ج5، ص35؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص42.

⁴ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص43؛ ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص53.

⁵ - نفس المصدر، ج5، ص57.

وقد اعترف له الشيخ فخر الدين الرازي بالتقدم في علم الحديث قائلاً: "سمع الحديث واستوطن خوارزم وصار شيخ تلك الناحية وكان صاحب حديث:"¹

وبرع الشيخ عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل بن أحمد بن روح الهروي البزاز (ت618هـ/1221م)، في علم الحديث فقد اشتغل فترة طويلة من حياته في السماع عن جماعة من علماء عصره من المحدثين الرواة، فكتب جزءاً من الحديث الشريف ودونه، وهو يعتبر آخر من جمعه بالرسول صلى الله وسلم سبعة رجال من المحدثين التقاة في سنده الذي حدث به وقد تم قتله بسيوف التتار²، كما عرف الشيخ الصوفي محمد بن هبة الله بن مكرم أبو جعفر البغدادي (ت621هـ/1224م)، بروايته للحديث الشريف الذي سمعه عن جماعة من علماء الحديث في وقته³.

اشتهر الشيخ مجد الدين القزويني (ت622هـ/1225م) مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم في علم الحديث بروايته لكتاب شرح السنة ومعالم التنزيل للبغوي (ت516هـ/1122م) في الحديث وقد حدث به في العراق والشام والحجاز ومصر⁴، وكذا الفخر الفارسي (ت622هـ/1225م)، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشافعي المذهب الذي روى العديد من الأحاديث النبوية⁵، وكذا الشيخ أبو منصور بن البراح أحمد بن يحيى البغدادي المتوفي في نفس السنة والذي روى كتاب سنن النسائي أبي عبد الرحمان (ت303هـ/915م).⁶

وكان من الصوفية من اهتم بسماع الحديث دون الاهتمام بروايته كالشيخ عبد السلام بن عبد الرحمان بن الأمين علي بن سكينه علاء الدين البغدادي المولد و الديار (ت627هـ/1230م)⁷، أما الشيخ العلبي (ت631هـ/1234م) زكريا بن علي بنحسان

¹ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص ص(79-80).

² - نفس المصدر ج3، ص81.

³ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص85؛ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3، ص96.

⁴ - نفس المصدر، ج5، ص92.

⁵ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص95؛ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3، ص101.

⁶ - الذهبي، نفس المصدر، ج5، ص103؛ ابن العماد الحنبلي، نفس المصدر، ج3، ص116.

⁷ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص127.

بن علي اعتبر من الصوفيين الذين اهتموا بسماع الحديث و رواياته¹ ، وكذا الشيخ شهاب الدين السهروردي (ت632هـ/1235م) اشتهر في علم الحديث ولقب بشيخ العارفين ومثل أهل التوحيد فقد عرف بكثرة سماعه للحديث والتحديث به فقد روى جزءا كبيرا منه، وقد أخذ عنه محدثون كبار من أمثال ابن النجار (ت643هـ/1246م) وهو محمد بن محمود بن الحسن بن عبد الله بن محاسن النجار أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير²، كما أخذ عنه أيضا المحدث الكبير والمشهور البرازلي المتوفي (ت610هـ/1213م)، وهو محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرازلي الأشبيلي الملقب بعبد الله و الذي عرف بحسن روايته وسعة درايته في الحديث وحسن خطه ودقة ضبطه للاسناد وكثرة حفظه وافادته لطلبة الحديث³، وهو نفس المجهود الذي قام به الشيخ جامع بن اسماعيل بن غانم بن صاين الدين الاصبهاني(ت632هـ/1235م)، الذي روى الحديث النبوية الشريفة فقد حدث بجزء كامل منها⁴ ، كما قال الشيخ الاربلي المشهور فخر الدين المتوفي (ت633هـ/1236م)، وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم بن سليمان بمجهود كبير في رواية الحديث حتى أصبحت روايته شائعة منتشرة خاصة وأنه يعتبر من التقات مجال الحديث.⁵

كان الشيخ ابن روزية المتوفي (ت633هـ/1236م) أبو الحسن علي بن أبي بكر البغدادي النشأة والديار والمشهور بلقب العطار يعتبر من الرواة والمحدثين الكبار خلال القرن(7هـ/13م)، فقد روى صحيح البخاري في مناطق كثيرة منها بغداد وحلب وحران الدمشقية⁶ ، كما كان الشيخ أبو طالب بن صابر الدمشقي(ت637هـ/1240م)، محمد بن بن أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمان بن احمد بن علي بن صابر السلمي من رواة

¹ - ابن العماد الحنبلي،مصدر سابق، ج3، ص144.

² - نفس المصدر، ج3، ص 153 ؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص169.

³ - ابن الابار: التكملة لكتاب الصلوة، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط5، مكتب نشر الثقافة الاسلامية للنشر،

(1375هـ - 1956م)، ج2، ص ص(642-643).

⁴ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص 158.

⁵ - الذهبي،(العبر)، ج5، ص135.

⁶ - ابن العماد الحنبلي ، مصدر سابق، ج 3 ، ص160.

الحديث المعروفين في المشرق حتى أنه كان مدرسا بدار الحديث الأعزية بدمشق¹ وممن برع في علم الحديث الشيخ الصوفي أبو علي أحمد بن محمد بن محمود بن المعز الحراني(ت638هـ/1241م) الذي سكن بغداد وروى الكثير من الأحاديث بها²

وكذا الشيخ المارستاني المتوفي (639هـ/1242م)، أبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله الذي شغل منصب قيم على جامع المنصور ببغداد وقد كانت له مجهودات قيمة في رواية الأحاديث النبوية.³

عرف أيضا الشيخ تاج الدين بن حمويه (ت642هـ/1244م)، شيخ الشيخ أبو عبد الله محمد والمسمى بعبد السلام بن عمر بن علي بن محمد الحويني، شيخ الخانقاهاالسميساطية بالشام الذي كانت له عناية كبيرة بسماع الأحاديث وروايتها حتى أنه دون المجاميع في الحديث⁴ ، إضافة الى الشيخ المجد الاسفرايني(ت 646هـ/1248م)، أبو عبد الله محمد الذي روى الحديث بالمشرق والمتوفي بالخانقاهاالسميساطية بالشام⁵.

كذا الشيخ الساوي(ت 647هـ/1249م)، يوسف بن محمود بن يعقوب المصري الديار الذي روى الحديث عن المحدث المشهور أبو الطاهر السلفي.⁶

اشتهر أيضا الشيخ صدر الدين البكري (ت656هـ/1258م)، أبو علي الحسن بن محمد... النيسابوري الذي قطن دمشق وعرف بكثرة حفظه و سماعه للحديث في مكة ودمشق وخرسان وقد ظهرت عنايته الفائقة بالحديث من خلال تدوينه لجزء كبير منه وقد وافته المنية بمصر⁷، كما اشتهر في الحديث الشريف الشيخ العز بن عبد السلام (ت660هـ/1262م).⁸

¹ - ابن العماد الحنبلي، ج3، ص186.

² - نفس المصدر، ج3، ص189.

³ - نفس المصدر، ج3، ص203.

⁴ - نفس المصدر، ج3، ص214.

⁵ - نفس المصدر، ج3، ص243.

⁶ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص (233 - 234).

⁷ - نفس المصدر، ج3، ص274.

⁸ - نفس المصدر، ج3، ص295.

وبرز في رواية الحديث الشيخ الصوفي ضياء القزويني (ت658هـ/1260م)، أبو عبد الله بن القسم محمد الحلبي¹، وكذا الشيخ الصائغ النعال (ت659هـ/1261م)، محمد بن الأنجب بن أبي عبد الله البغدادي النشأة والمستقر الذي كان له اهتمام كبير وعناية فائقة بسماع الحديث وروايته²، كما عرف أيضا الشيخ الأبيوردي الخراساني (ت667هـ/1269م)، المشهور بقدرته الكبيرة على الحفظ رغم سماعه للحديث على كبر سنه ورغم قلة روايته إلا أنه فتح الباب واسعاً أمام الاجتهاد فيه بشروعه في تأليف المعجم في الحديث وقد توفي بالقاهرة في خانقاه سعيد السعداء بمصر³، ويظهر من خلال ما قبل ما قبل عنه بأنه لم يكمل مؤلفه ذلك.

وفي إطار الاجتهاد ألف الشيخ الصوفي أبو الحسن الششتري (ت668هـ/1270م)، كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعلمه و يعتقده⁴، ليفتح باب الاجتهاد واسعاً وعلى مصرعيه على يد الشيخ الصوفي الزاهد أبو زكريا النووي (ت670هـ/1272م)، يحيى بن شرف بن مري الحزمي الحوراني الشافعي المذهب الذي سكن دمشق وتعلم بها حتى أصبح من كبار المجتهدين في عصره حيث لقب "بشيخ الاسرم و علم الأولياء"، وقد اشتهر بكثرة سماعه وحفظه قد ألف كتاب "شرح مسلم" وهو شرح لكتاب صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م) كما ألف أيضاً كتاب الروضة وشرح المذهب والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والارشاد والتهديب وكلها مؤلفات في الحديث، وعلاوة على ما قام به من مجهودات في التأليف فإنه تولى أيضاً مشيخة دار الحديث الأشرفية في دمشق التي توفي بها⁵، فقد استوفى الشيخ محي الدين النووي شرح كتابي صحيح البخاري وصحيح

¹ - الذهبي، (العبر)، ج5، ص 255.

² - نفس المصدر ج5، ص286.

³ - الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، ط1، دار الفرقان للنشر، عمان، الأردن (1404هـ)، ج1، ص212؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، دون محقق، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان (1403هـ)، ج1، ص514.

⁴ - المقري، مصدر سابق، ج2، ص186.

⁵ - الكتبي، مصدر سابق، ج4، ص (264 - 266).

مسلم وقد أضاف لهما شروحا وافية¹ حسب ما أقره المؤرخ ابن خلدون في كتابه الشهير المقدمة.

وكان اهتمام الشيخ شمس الدين الوجوهي البغدادي (ت672هـ/1274م)، أبو الحسن علي بن عثمان بن عبد القادر، جليا بعلم الحديث²، وأن لم تذكر له رواية في الحديث في حين اشتهر الشيخ الصوفي عمر بن عثمان تقي الدين الاربلي (ت673هـ/1275م)، بالرواية فهو المحدث الذي روى بالاجازة عن مجموعة من علماء عصره³، كما روى شيخ الشيوخ شرف الدين أبو بكر عبد الله (ت278هـ/1279م)، بن شيخ الشيوخ عبد الله بن عمر بن حمويه الجويني الحديث دمشق التي قطن بها و توفي فيها⁴، ذاع أيضا صيت الشيخ ابن الخيمي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم (ت685هـ/1287م)، بن محمد الأنصاري اليمني المولد المصري الديار والنشأة والذي سمع جامع الترمذي أبي عيسى محمد (ت279هـ/898م) في الحديث وقد حدث وروى بالاجازة عن الشيخ الصوفي عبد الوهاب بن سكينه البغدادي⁵، وكذلك الشيخ الصوفي الدينوري (ت685هـ/1287م)، جمال الدين أبي البركات محمد بن عمر بن عبد الملك الشافعي المذهب المحدث الشهير الذي سكن دمشق وسمع الحديث بها وحدث به ودون به اجزاء⁶، وكذا الشيخ عز الدين الفاروثي (ت694هـ/1295م)، أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عمر الواسطي البغدادي الذي روى الكثير من الأحاديث⁷، والشيخ الضياء السبتي أبو الهدى (ت696هـ/1297م)، عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي المذهب الذي أجد في طلب الحديث وروايته الى أن توفي بمصر.⁸

¹- ابن خلدون، مصدر سابق، ص ص(491 - 492).

²- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص33.

³- الذهبي، (العبر)، ج5، ص320.

⁴- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص393.

⁵- نفس المصدر، ج3، ص393.

⁶- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص393.

⁷- نفس المصدر، ج3، ص393.

⁸- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص436.

وهكذا نستنتج أن نشاط بعض الصوفية في مجال الحديث النبوي الشريف لم يتوقف عند حد رواية الكتب المشهورة فيه للعلماء المسلمين الأوائل بل كانت هناك عدة اجتهادات من قبل هؤلاء الصوفية الذين تعدوا مرحلة الرواية الى مرحلة أكثر نضجا و تطورا في مجال الحديث حيث كانت لهم مجموعة هامة من المؤلفات التي ظهر فيها اجتهادهم.

تأويل الأحاديث:

و التأويل لغة هو نسخ الشيء بغيره¹ والتأويل والتفسير واحد وهو كشف الم راد عن المشكل، والتأويل رد أحمد المحتملين الى ما يطابق الظاهر.²

أما اصطلاحا فيعرفه شيخ الاسلام ابن تيمية بكونه صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به وهذا هو التأويل المعمول به في أصول الفقه ومسائل الخلاف وفيه احتمالان، احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان الدليل الموجب للصرف اليه عن المعنى الظاهر وهذا قد يقع فيه تعارض واختلاف، أما تأويل السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه وهنا يكون التأويل التفسير متقاربان عند هؤلاء والتأويل الصحيح ما وافق الحقائق الثابتة في الخارج بما هي عليه من صافتها وشؤونها وأحوالها، وهذا ما ثبت من تعريف للتأويل في عرف الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والصوفية، أما تأويل فلاسفة فهو تأويل في كل شيء(أخبار الرسل، الايمان بالله...الخ).³

وهو نفس ما أكده الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين حيث قال بأن المتأولين أصناف عديدة وذلك حسب الباعث لهم على التأويل وبحسب ما تصوره لهم افهامهم واكثرهم توغلا في التأويل الباطل من فسد قصدهم وفهمهم فكلما ساء القصد وقصر الفهم كان التأويل اشد انحرافا عن الحق ومن نتائجه السلبية افتراق الأمة وانقسامها الى فرق ودخول الفرق الضالة من أعداء الاسلام اليه من باب

¹-ابن المنظور: لسان العرب، ط1، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص166.

²-الفيروز أبادي: القاموس المحيط، د.ط ج1، ص587.

³-ابن تيمية، (الفتاوى)، ج13، ص(287-289).

التأويل كما هو الشأن بالنسبة لطائفة اللاحاد من أهل الحلول والاتحاد وهم المتأولون من الصوفية.¹

ورغم المجهودات الكبيرة التي قام بها بعض الصوفية خلال القرن (7هـ/13م)، في مجال سماع الحديث وروايته والتأليف فيه إلا أن هناك فئة منهم قد لجأت الى التأويل الباطني للأحاديث، وهذا ليس غريبا على فرقة صوفية فلسفية مسؤولة تستند الى تأويلات باطنية ذات لغة فلسفية مثقلة بالاشارات والدلالات الغامضة ذات اللغة الفلسفية المعقدة والتي يسعى أتباعها من خلالها منح تفسيرات باطنية للنصوص الشرعية من احاديث نبوية وآيات قرآنية، وهذا الصنف من الصوفية يسمون التأويل الباطني للنصوص الشرعية بتفسير الاشارة ومعاني الحروف التي يفهمها المتبحر في التصوف فقط لا غير²، وهذا حسب زعمهم طبعاً.

وممن ضعف من الصوفيين المحدثين المشاركة بالأندلس الشيخ الصوفي عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي البغدادي الأصل الملقب بأبي محمد، الذي سافر الى الأندلس وادعى أنه روى عن الامام أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (ت557هـ/1200م) رحمه الله، وقد ضعفه الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز المناظر العالم في مجال الدين وقد استقر هذا الصوفي باشبيليا وتوفي بها بعد سنة (645هـ/1247م)³، وممن عرف ضمن هذا الصنف من الصوفية محي الدين بن عربي (ت638هـ/1241م)، الذي سمع الحديث بالأندلس حيث سمع "صحيح مسلم" سنة (601هـ/1203م)، والذي غلبت عليه طرق أهل التصوف والكلام على لسانهم فكان من مؤلفاته كتاب (القين المهتدي، والأحكام الكبرى والصغرى والوسطى وكتاب التهجد كتاب العاقبة نظمه ونثره).⁴

¹-ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل للنشر، بيروت، لبنان، (1973م)، ج4، صص(250-251).

²-أبو العزائم جاد الله كريم: صور من التصوف، د ون طبعة، (1429هـ-2008م)، ص 04.

³-ابن الابار، مصدر سابق، ج2، ص833؛ المقري، مصدر سابق، ج2، ص646

⁴-المقري، مصدر سابق، ج2، صص(235-236)

وعن هذا قال الشيخ الصوفي الجنيد البغدادي (ت297هـ/910م)¹ : "مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة: "كما أضاف قائلاً: "علمنا منوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به:" وفي هذا الشأن قال الامام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه التلبيس بأن بعض الصوفية لم يتوفروا على سند صحيح يستندون اليه فلجئوا الى علم الباطن في حين أن المحققين من الصوفية كان اعتمادهم دائماً وأبداً على الكتاب والسنة النبوية الشريفة²، وقد تأكد هذا الوجه لابن عربي من خلال ما قاله الصوفي الكبير خلال القرن العاشر عبد الوهاب الشعراني (973هـ/1567م) في كتابه الأنوار القدسية عن محي الدين بن عربي بان ليس لديه أي اطلاع على سند الحديث بواسطة النقل الظاهر لذلك فإنه أسند أحاديثه الى الخضر عليه السلام عندما اجتمع به في الباطن مما جعله يعتمد عليه اعتماداً كلياً³، وهذا زعم باطل من أباطيل بعض المنتسبين للصوفية .

وهذا يرجع لاعتناق ابن عربي للفلسفة التي جمعها بالشرعية على طريقته الخاصة حيث قال المؤرخ القنوجي (ت1030هـ/1980م) في كتابه أبجد العلوم بان محي الدين ابن عربي قد جمع بين الشريعة والفلسفة وقد نقل عنه قوله: "اعتقد الخلائق في الاله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه:"⁴ كما دخل ضمن هذا الاطار الصوفي صدر الدين القونوي (ت672هـ/1274م) تلميذ محي الدين بن عربي الذي قال عنه المؤرخ القنوجي في نفس كتابه أبجد العلوم بأنه شرح بعض الأحاديث بالاعتماد على التأويل الظاهر النصوص تأويلاً باطنياً صوفياً وقد خالف في شرح بعض الأحاديث ورد في ظاهر الشريعة معتمداً في ذلك على الكشف الصريح مدعياً بأن شرحه ذاك موافق تمام للشرع

-الجنيد: وهو الجنيد بن محمد البغدادي الخزار أبو القاسم ، الصوفي من علماء الدين ولد و نشأ في بغداد، وكان فصيحا محدثا، توفي (297هـ - 910-)؛ الشرازي ابراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحاق: طبقات الفقهاء، تحقيق خليل المنسي، دون طبعة، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، د. ت ج1، ص 194 ؛ أبو ابراهيم الأصفهاني، مصدر سابق، ج10، ص281.

²-الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية: تحقيق عبد الباقي السرور، السيد محمد عبد الشافعي د. ط مكتبة المعارف للنشر، بيروت، لبنان، (1408هـ - 1988م) ، ج1، ص 30.

³-ابن الجوزي، مصدر سابق، ص147، ص149.

⁴-القنوجي، مصدر سابق، ج1، ص397.

وقد أول من الأحاديث ستة وعشرون حديثا جمعهم في مؤلف سماه "كشف أسرار جواهر الحكم" ويظهر في شروحاته تلك شديد التأثير بشيخه وأستاذه في المذهب محي الدين ابن عربي وكلامهم ظاهر يعرفه كل من لا تخفى عليهم أغراض هذا الصنف من الصوفية¹

وفي هذا السياق تحدث المؤرخ الذهبي (ت774هـ/1372م)، عن الأحاديث المكذوبة المنسوبة الى علم الباطن²، لبعض الصوفية كما هو ال شأن بالنسبة للكاشغري تاج الدين محمد بن أحمد بن محمد الخراساني الذي حدث بالمدينة المنورة سنة (707 هـ/1305م)، عن الصوفي أبو الفتحي موسى بن مجلة سنة (673 هـ/1275م)، والذي قال بأنه سمع صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، في القرن السابع الهجري بالخانقاه السابقة بمنطقة سلمان بالهند و اسمه أبو الرضا بن صفر الذي قال بأنه سمع النبي عليه السلام يقول: "ذرة من أعمال الباطن خير من أعمال الظاهر كالجبال الرواسي وقال أيضا: "الفقير على فقره أغير من أحدكم على أهل بيته"، وقد أضاف قائلاً بأن .هذا الاخير قد حضر زفاف فاطمة رضي الله عنها وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وكان هناك من يغني فطابت قلوب الحاضرين لذلك السماع حتى أنه رقصوا في ليلتهم تلك فلما كان الغد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلتهم تلك فدعا لهم ولم ينكر عليهم وقد روى هذا الأخير الكثير من الأحاديث المكذوبة عن النبي عليه السلام وفي هذا قال المؤرخ الذهبي بأنه لو صح كلام هذا المدعي وظهره بعد ستمائة هجرية فهو إما يكون شيطانا وظهر في صورة بشر مدعيا صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وطول العمر المبالغ فيه قد افترى كل هذه الأكاذيب أو أنه شيخ سوء افترى على خير الخلق وجعل لنفسه مكانا في جهنم لأن هذه الأحاديث لو نسبت لبعض السلف الصالح لما قبلت ناهيك على كونها منسوبة لأشرف الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وبهذا يتوضح جليا بأن جهال الصوفية والمفترون منهم يرون الأكاذيب الواهية ويصنعون لها سندا كهذا الكاشغري وما نقله عن الرتن السلسلة المكذوبة وهو نفس ما تعامل به

¹-القنوجي، مصدر سابق، ج2، ص148.

²-علم الباطن: وهو الكشف من الله لما يطلع على القلوب من أنوار معارف، والتأويل يأتي انطلاقا مما يسميه الصوفية علم الباطن، الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، دون طبعة، مؤسسة التاريخ العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1414هـ-1994م)، ج1، ص231.

علاوة الصوفية من القائلين حدثني قلبي عن ربي القائلين بأنهم عين الاله وهذا يعتبر تمويها للعامة وتضليلا لهم أما عن الكاشغري والرتن فأين كانا مختبئين كل هذه القرون حتى يكون ظهورهما في القرن السابع الهجري مع العلم أن لا أحد ذكر عن رتن هذا شيء¹، كما أورد الامام محمد ناصر الدين الألباني مجموعة من الأحاديث الضعيفة والواهية التي أوردتها بعض الصوفية وهذا دليل على تلاعب بعض الأتباع في مجال علم الحديث.²

وهكذا نستنتج أن صوفية القرن (7هـ/13م)، كان لهم دور ايجابي وفعال من خلال الجهد الكبير الذي بذلته طائفة من الصوفية في نشر الأحاديث النبوية لاهتمامها الكبير بعلم الحديث وفي نفس الوقت كانت هناك طائفة من الصوفية خرجت بعلم الحديث عن اطاره الشرعي من خلال ما حملته له من تأويلات باطلة ولا أساس لها من الصحة شرعا.

تأويل القرآن:

ورغم المجهود الكبير الذي قام به بعض الصوفية في مجال التفسير فإنه هناك فئة قد انحرفت فيه كما هو الشأن بالنسبة لمحي الدين بن عربي(ت632هـ/1241م)، ومن مؤلفاته في التفسير"الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل"³ ومنها أيضا " اعجاز البيان في الترجمة عن القرآن" إلا انه ينحى في تفسيره هذا تفسيرا باطنيا صوفيا فقد قال في تفسيره في قول الله تعالى في سورة الكهف: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلو ما عليها صعيدا جززا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا"⁴، وقد فسرها ابن عربي تفسيرا باطنيا قائلا أن المقصود (إنا جعلنا ما على الأرض) ارض البدن من النفس لذاتها و شهواتها وصفاتها اما الزينة

¹-الذهبي: تاريخ الاسلام(631هـ-640م) تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط1، ص99.

²-محمد ناصر الدين الألباني: السلسلة الضعيفة، دون طبعة، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، السعودية، د.ت، ج1، ص206.

³-الداودي، مصدر سابق، ج2، ص206.

⁴-سورة الكهف: الآية (7-9).

عنده فالمقصود بها عنده اظهر قهر النفس وهواها والقدرة على مخالفتها¹ وهو بهذا يعطي معنى باطنيا صوفيا للقرآن الكريم^{2,3}. كما كان لصدر الدين القونوي(ت 672هـ/1274م)، تلميذ الشيخ محي الدين بن العربي مشاركة في علم التفسير فكان من مؤلفاته "تفسير الفانحة" في مجلد كامل⁴ وهو يعتبر من السائرين في فلك الشيخ الأكبر محي الدين العربي فهو تلميذه لذلك فالأرجح عندنا أن تفسيره هذا يحمل تفسيراً باطنياً صوفياً هو الآخر وعن اعتماد اتباع الصوفية الفلسفية على التأويل الباطني للنصوص الشرعية قال محي الدين العربي في كتابه الفتوحات المكية معبراً على كون الوقوف على ظاهر نصوص الشرع حجاب يمنع من الوصول الى حقائق الأمور وان العلم الظاهر يدخله الظن لقوله "علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي وهو من علم الأحوال وهو علم الذوق... علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها⁵، ما المستشرق الأوربي نكيلسون فقال بأن الصوفية استطاعوا أن يجدوا تأويلات تخدم أغراضهم بواسطة التأويل لنصوص الكتاب والسنة⁶.

الرد على التأويل الباطني للقرآن الكريم:

وقد عرف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله التأويل الباطني بأنه تأويل لكل ما أخبر به الرسل من أمر الايمان واليوم الآخر وهو نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من القول بأن الشيء قد سار الى كذا (معنى خاص)⁷ وعن التأويل يقول الشيخ ابن القيم الجوزية بأن المتأولين أصناف عديدة بحسب دافعهم في التأويل وذلك حسب تصور أفهامهم، وأكثرهم توغلا في

¹- ابن عربي: تفسير القرآن الكريم للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محي الدين بن عربي، ط1، دار اليقظة العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387هـ-1968م)، ج1، ص743.

²- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ط1، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1996)، ج2، صص(62-63).

³- ابن الملقن، مصدر سابق، ص468.

⁴- ابن عربي، (الفتوحات المكية)، ج1، ص31.

⁵- نفسه.

⁶- نيكلسون، في التصوف وتاريخه، مرجع سابق، ص77.

⁷- ابن تيمية، الفتاوى، مصدر سابق، ج17، ص368.

التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، وكلما ساء قصد المتأول قصر فهمه وكان تأويله أشد انحرافاً من غيره.¹

وقد رد المسلمون على التأويل مبينين أطره و ضوابطه الشرعية فقال الامام أبو بكر بن العربي المعافري الفقيه (ت543هـ/1142م)، عن الوجه الباطن للقرآن في كتابه "قانون التأويل" بأن علم الباطن قد ظل فيه الكثيرون وخرجوا به الى حد الكفر حيث ادعت كل طائفة خرجت عن الجماعة الاسلامية تأكيد صحة تأويلها لمعاني القرآن إلا أن الصحيح منه ما كان خالياً من التلفيق والادعاء، وقد كان بعض الصوفية يتأولون تأويلات غريبة جداً لا تتفق مع التأويل والتفسير الشرعي للنصوص القرآن الكريم.²

وقال الامام أحمد العاصمي الغرناطي (ت708هـ/1308م)، في كتابه "ملاك التأويل" بان التأويل السليم للنصوص الشرعية ما كان فيه قطع السبيل على الضالين من أهل البدع المتشبهين بالمتشابه من الآيات وغرضهم في ذلك الطعن في هذا الدين القويم لذلك نجدهم يلجئون الى التأويل الباطني متبعين في ذلك سبيل الملحد³ وفي هذا الشأن قال أبو العباس أحمد المراكشي (ت721هـ/1321م)، في كتابه "عنوان الدليل" بأن للقرآن الكريم معنيين أحدهما ظاهر وآخر باطن وهذا يعتبر أصلاً من أصول الشريعة الاسلامية إلا أن التأويل يشترط فيه أن يكون موافقاً لمنهج متعارف عليه في التفسير وفقاً للضوابط الشرعية⁴ ، ويقول الامام الشاطبي المتوفي (ت790هـ/1398م)، بأن التأويل الباطني للنصوص الشرعية والذي لا يعتمد على سند أو أصل فهو يعتبر نوع من التاويل

¹-ابن القيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين، مصدر سابق، ج4، ص ص(250-251).

²-القاضي أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، تحقيق محمد السليمانى، ط2، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1990)، ص196.

³ -أحمد بن ابراهيم العاصمي الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الاحاد و التعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاك، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1403هـ-1983م)، ج1، ص 138، ص242.

⁴-أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي: علوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق هند شلبي، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1990م)، ص ص(33-34).

الذي يعتمد عليه المتأولون المشابهون لباطنية الشيعة الذين أرادوا صرف الناس عن الشريعة الإسلامية وأمرها ونهيا إلى التفسير الباطني افسادا لعقيدة العامة.¹

وهكذا نستنتج أن جهود بعض الصوفية كان كبيرا جدا في مجال تفسير القرآن الكريم الذي كان لهم فيه العديد من المؤلفات التي دلت على دورهم الكبير والهام والايجابي في خدمة العلوم المختلفة وخاصة العلوم الشرعية منها خلال القرن السابع هجري (الثالث عشر الميلادي)، كما نلاحظ أيضا الدور الخطير والسلبى لبعض الصوفية الذين لجؤوا إلى تأويل النصوص الشرعية خدمة لمعتقداتهم الفاسدة مما يظهر بوضوح الخطر الجسيم لصرف التفسير الباطني للقرآن الكريم عن مقاصده الشرعية التي أرادها المشرع وهذا الأمر وعلى الرغم من خطورته فإنه لا يصبح غريبا إذا ما تعلق الأمر بالصوفية الفلسفية.

الانتاج العلمي عند الصوفية:

المؤلفات الصوفية:

لقد ظهرت عدة مؤلفات صوفية في المشرق الإسلامي خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)، وذلك راجع للعدد الكبير للصوفيين الذين كانوا موجودين بالمنطقة في تلك الفترة والمؤلفات الصوفية تمثل التراث العلمي الصوفي وقد تميزت هذه المؤلفات بتنوع مواضيعها وتناولها لعلوم مختلفة فكان من مؤلفات الشيخ نصر البقلي أبو محمد رزيهان بقلي (ت 606هـ) كتاب "الأنوار في كشف الأسرار" وكتاب "تفسير العرائس في التأويل وشرح الشطحيات"²، أما شيخ نجم الدين الكبرى (ت 618هـ/1221م) فمن مؤلفاته "تفسير القرآن الكريم" في اثنا عشر مجلدا³ أما الشيخ عمر بن الفارض (ت 332هـ/1235م)، فكان من مؤلفاته الديوان الشعري⁴ ، وأما الشيخ محي الدين بن

¹-الشاطبي: الاعتصام، تحقيق محمود طعمة حلبى، ط2، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص205.

²-السيوطي:طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مصر، القاهرة، (1396)، ج1، ص215.

³-نفس المصدر، ج1، ص220.

⁴-ابن الملقن، مصدر سابق، ص ص(464-465).

عربي (632هـ/1241م) فكانت مؤلفاته كثيرة منها "تفسير القرآن الكريم"¹ ، فتوحات مكية في عشرين مجلدا، التدبيرات الالهية والتنزيلات الوصلية، فصوص الحكم، الأسرار الى المقام الأسرى، شرح خلع النعلين، كتاب العظمة، كتاب مفاتيح الغيب، كتاب التجليات، كتاب الحق، كتاب مراتب علوم الوهب، كتاب الاعلام باشارات أهل الالهام، كتاب العبادة والخلوة، كتاب المدخل الى معرفة الأسماء، النقباء، حلية الأبدان، الشروط في ما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط، كتاب أسرار الخلوة، كتاب القطب والامامين، كتاب الحجب، كتاب الأنفاس العلوية، كتاب ترجمان الأشواق، والذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، مواقع النجوم وطالع أهلة الأسرار، كتاب المبشرات، متاب خطبة ترتيب العالم، كتاب مشكاة الأنوار فيما روي عن الله عز وجل من الأخبار، كتاب شرح ألفاظ الصوفية، كتاب محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار في خمس مجلدات² وكتاب تلقين المهدي وكتاب الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد، وكتاب العاقبة نظمه ونثره³ ، وكتاب الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل، وكتاب الجذوة المقتبسة والخطرة المختلصة، وكشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنی، المعارف الالهية عنقاء مغرب في صفة خاتم الأولياء شمس المغرب، مطالع الأنوار الالهية.⁴

ومن مؤلفات الشيخ تاج الدين بن حمويه شيخ الشيخ أبو محمد عبد الله عبد السلام... (ت 642هـ/ 1244م)، مجاميع في الحديث" وكتاب "التاريخ"⁵ ومن مؤلفات الشيخ عدي بن مسافر (ت 644هـ/1246م) كتاب "محك الايمان" وكتاب الجلوة لأرباب الخلوة في التصوف "وكذا ديوان شعري"⁶ ومن مؤلفات الشيخ الصوفي بشير بن سليمان... التبريزي(ت 646هـ/1248م) كتاب التفسير في عدة مجلدات.⁷

¹-السيوطي،(طبقات المفسرين)، ج1، ص230.

²- الكتبي، مصدر سابق، ج3، ص(436- 438).

³- المقري، مصدر سابق، ج2، ص 236.

⁴- نفس المصدر، ج2، ص464.

⁵- ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص214.

⁶- الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص335.

⁷- السيوطي،(طبقات الحفاظ)، ج1، ص(235- 236).

ومن المؤلفات الكثيرة للشيخ العز بن عبد السلام (ت660هـ/1262م) كتاب التفسير الكبير والقواعد الكبرى والصغرى ومجاز القرآن وشجرة المعارف وشرح الأسماء الحسنى ومختصر النهاية¹ وله أيضا كتاب امالي في تفسير القرآن، كشف الاشكالات عن بعض الآيات، قواعد تفسير القرآن، فوائد العز بن عبد السلام وكلها عناوين لكتاب واحد²، كما له أيضا كتاب ملحمة الاعتقاد والفرق بين الاسلام والايمان، والامام في بيان أدلة الأحكام المتعلقة بالملائكة المرسلين وسائر العالمين، وكتاب الأنواع في علم التوحيد، وفي الفقه له كتاب مقاصد الصلاة، مقاصد الحج، كشف! لأزهار في حك الطيور والأزهار، الغاية في اختصار النهاية، الجمع بين الحاوي والنهاية، الفتاوى الموصلية، الفتاوى المصرية، أحكام الجهاد وفضله³ ومن مؤلفات الشيخ زين الدين الابيوردي (ت767هـ/1269م)، المعجم في عدة أجزاء⁴، ومن مؤلفات ابن سبعين (ت668هـ/1270م)، كتاب كتاب بد العارف وهو نفسه لا بد لعارف منه وكذا كتاب الاحاطة في مجلد صغير ومجموعة رسائل⁵.

ومن مؤلفات أبو الحسن الشثري الصوفي (ت668هـ/1270م)، كتاب "العروة الوثقى في بيان السنن"، و "احصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمل و يعتقده الى وفاته"، وكتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية" وكتاب الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"، والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية⁶، ومن مؤلفات صدر الدين القنوي (ت672هـ/1274م)، "تفسير الفاتحة في مجلد"⁷ وكت التعرف في التصوف"، وكتاب مختصر المعالم في الأصول"⁸.

¹ - نفس المصدر، ج1، ص242.

² - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص352.

³ - السبكي، مصدر سابق، ج، ص

⁴ - الذهبي، طبقات المحدثين، ج1، ص514؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ، ط20، ج4، ص1475؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص513.

⁵ - الكتبي، مصدر سابق، ج2، ص657.

⁶ - المقري، مصدر سابق، ج2، ص657.

⁷ - ابن الملقن، مصدر سابق، ص468.

⁸ - السبكي، مصدر سابق،، ج10، ص132، ص134.

ومن مؤلفات الشيخ ابن ابي الربيع أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي نزيل الاسكندرية (ت672هـ/1274م)، كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب، كتاب اللعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن الكريم، كتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القرآت المباحث السنوية في شرح الحصرية "، الحرفة في لباس الخرقه "المنهج المفيد في ما يلزم الشيخ و المرید"، النبذة الجلية في الفاظ اصطلاح عليها الصوفية "زهر العريش في تحريم الحشيش"، "الزهد المضي في مناقب الشاطبي"، "الأربعين المضيئة للأحاديث النبوية".¹

ومن مؤلفات الشيخ عبد الله بن سعد بن احمد بن أبي حمزة الندلسي المصري (ت675هـ/1277م)، كتاب اختصر فيه جزءا من صحيح البخاري² ومن مؤلفات الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرالدين النووي (ت676هـ/1278م)، كتاب شرح سلم، كتاب الروضة، شرح المذهب، كتاب المنهاج، كتاب التحقيق والأذكار، رياض الصالحين، الارشاد و التقريب في علوم الحديث³ ، ومن مؤلفات الشيخ الصوفي عبد العزيز الدريني المصري (ت694هـ/1295م) كتاب المصباح المنير في علم التفسير في مجلدين، نظم الأرجوزة في التفسير سماها التيسير في علم التفسير تزيد عن ثلاثة آلاف ومئتي بيت، كتاب طهارة القلوب في ذكرى علام الغيوب في التصوف وهو كتاب حسن كتاب انوار المعارف وأسرار العوارف في التصوف أيضا، كتاب تفسير أسماء الله الحسنى، كتاب الوسائل والرسائل في التوحيد، كتاب نظم السيرة النبوية، نظم الوجيز فيما يزيد عن خمسة آلاف بيت، وكتاب نظم التنبيه،⁴ ومن مؤلفات الشيخ ابن الطاهر جمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد الله الحلبي الشامي (ت696هـ/1298م)، "كتاب شيوخ

¹ - المقري، مصدر سابق، ج2، ص ص(140 - 141).

² - ابن الملقن، مصدر سابق، ص440.

³ - السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1، ص513.

⁴ - قاضي شهبة، مصدر سابق، ج2، ص ص(181 - 182).

الشام والجزيرة ومصر، وهو كتاب في التاريخ¹، أما من مؤلفات الصوفي الكاساني الفرغاني (ت699هـ/1300م)، كتاب شرح تائية ابن الفارض في مجلده².

نستنتج من خلال ما سبق من معلومات ان الانتاج العلمي كان كبيرا عند صوفية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ويظهر لنا ذلك في الاهتمام الكبير للصوفية بالتأليف في مجال التصوف الذي كان فيه عدد الكتب كبيرا جدا، اضافة الى الفقه فقد كان محط اهتمام علماء الصوفية من الفقهاء منهم وقد ألفوا فيه مؤلفات عدة، وبعده يتجلى اهتمامهم بعلم التفسير الذي الذي كتبوا فيه كتبا كما لم ينسوا علم الحديث، وقد ركزوا اهتمامهم فيه على حفظ امهات الكتب في الحديث ولقنوها لطلبتهم (مريديهم) امهات الكتب في الحديث وتلقينها للطلبة ولم يكن نشاطهم موجها فيه لتأليف الكتب ثم كان اهتمامهم كبيرا بالأدب حيث كان لهم عدد من الدواوين الشعرية مع متفرقات شعرية كثيرة جدا بينما كان اهتمامهم ضئيلا جدا بعلم التاريخ .

وبذلك نستنتج أن الصوفية كان لهم دور كبير في الحياة العلمية في منطقة المشرق الاسلامي من خلال مشاركتهم الواسعة والفعالة في مختلف العلوم كعلم الحديث والفقه والتفسير وعلم القراءات والشعر والدليل الملموس على ذلك كثرو ما تركوه من نماذج معبرة عن تراثهم العلمي والثقافي خلال القرن السابع الهجري(الثالث عشر ميلادي) وقد تجسد دورهم الهام الفعال في تنشيط الحركة العلمية بالمشرق في ذلك العدد الضخم والكم الهائل من المؤلفات لرجال الصوفية خلال تلك الفترة والذيم لم يقفوا عند حدود النقل لمؤلفات العلماء السابقين لهم بل كانت لهم اجتهاداتهم الخاصة بهم من خلال الكتب التي ألّفوها بأنفسهم لما وصلوا اليه من درجة كبيرة في الاجتهاد في مجال العلم وهذا يمثل ايجابيا لأفراد الحركة الصوفية في الحياة العلمية وهو جانب مضيئا في تاريخ الحركة الصوفية على غرار بعض الجوانب المضيئة الأخرى لهذه الحركة خلال هذا القرن المخصوص بالدراسة وهذا رغم بعض التدخلات السلبية لبعض الأفراد المنتمون للصوفية.

¹- الذهبي، (العبر)، ج5، ص386.

²- نفس المصدر، ج5، ص399.

ب) الشعر الصوفي:

لقد تميز الشعر الصوفي بالرفعة والجودة ضمن الانتاج العلمي للصوفية خاصة وان الصوفية كان لهم الباع الطويل في الأدب وأغراضه ومنزلة عالية في التجديد في معانيه وأساليبه والأدب الصوفي غني في شعره، غني في فلسفته وفلسفته تعتبر من أعمق أنواع الفلسفات الالهية¹ وقد كان هناك عدد كبير من الشعراء الصوفيين خلال القرن (7هـ/13م) والذين برزوا في هذا المجال حتى أصبح منهم أعلام مهمون في الشعر الصوفي من امثال رشيد الدين بن خليفة (ت616هـ/1219م) أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن خليفة الخزرجي² وقال عنه الباحث المعاصر يوسف زيدان في كتابه شعراء الصوفية المجهولون بأنه لم يرد ذكره في المصادر والمراجع المتعلقة بالتصوف لأنه اشتهر أكثر في مجال طب العيون، وهذه الشهرة قد فاقت كونه أحد شعراء الصوفية.³

وقد اشتهر هذا الصوفي في الطب وعاش في فترة الدولة الأيوبية في مصر والشام وقد درس الفلسفة وعلوم اللغة والموسيقى حتى أصبح من العلماء المتفوقين ثم سلك طريق الصوفية ولبس لباسهم على يد شيخه "صدر الدين بن حمويه الجويني" سنة (615هـ/1218م)⁴، وهذا جعل الباحث المعاصر يوسف زيدان يقول عنه بأنه عاش بعقل طبيب وقلب متصوف⁵، وقد ترك رشيد الدين بن خليفة مجموعة من الأبيات الشعرية منها في شكوى من الوجد قوله:⁶

ياصاحبي سلا الهوى وذراني
ما تريد من مشوق عاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه
إن الفراق هو الممات الثاني

¹ - محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، دون طبعة، غريب للنشر، مصر، القاهرة، د، ت، ص63، 73.

² - ابن ابي اصبيعه: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق امر القيس بن الطحان، ط1، المطبعة الوهيبية للنشر، (1299هـ-1882م)، ج1، ص250.

³ - يوسف زيدان، شعراء الصوفية المجهولون، ط2، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، (1416هـ - 1996م)، ص46،

⁴ - ابن ابي اصبيعه، مصدر سابق، ج1، ص250.

⁵ - يوسف زيدان، مرجع سابق، ص46..

⁶ - ابن ابي اصبيعه، مصدر سابق، ج1، ص (255 - 256).

ففجعت في قلبي و في خلاني
فأضاء ممن صار في الأظغان
حتى فعلت وعزني سلواني
أني وقد صار اللقاء أمانى؟

نادى الحداة أدنا الرحيل فودعوا
وسرت ركائبهم و قد غسق الدجى
ما كنت اعلم أن بعدك قاتلي
وبكيت وجدا بعد ذلك فلم أجد

ثم نجده ينتقل لوصف مجلس صوفي في مدينة بعلبك الشامية قائلاً:¹

فيه وكأس الشمول تجمعنا
ونحن في لذة ونيل منى
به دخل الجنيد فتبنا
وكأس راح وراحة وغنا
علم و فضل ورفعة وسنا
لطيبة العين تحسد الأذنا
أولو عفاف لا يضمرون خنا (فسق)

سقيا ليوم ثم السرور بنا
والدهر ولت عنا حوادثه
بمجلس كامل المحاسن لو
فكاهة بيننا وفاكهة
بين ندامى مثل الشموس لهم
حديثهم لا يمل سامعه
اخوان صدق صفت ضمائرهم
وقال عن ألم الهجر بعد الوصل:

فمتى يكون مع الورى كتمان
له الأسد تذلة الغزلان
عشقا ولكن الهوى سلطان
يا من جميع أفعاله احسان
طلق المحيا قلبه ولهان

سر المحب بدمعه اعلان
أرأيتما يا صاحبي فتى تذل
ما كنت ممن يسترق فؤاده
هل ترحم الصب الكئيب بزورة
تلقى فتى رحب الفنا ذا عفة

ومن هؤلاء الشعراء الصوفيين خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي
الشاعر الصوفي فريد الدين العطار النيسابوري(ت627هـ/1230م) الفارسي الأصل
والملقب بأبي طالب وأصله من "كدكن" وهي احدى قرى نيسابور، وقد قتل هذا الشاعر

¹ - ابن ابي اصبيعة، مصدر سابق، ج1، ص ص (255 - 256).

الصوفي على يد التتار وقد نظم الكثير من الأشعار غير أنها أشعار فلسفية صوفية وقد دلت أشعار كثيرة له على تشييعه.¹

ومن هؤلاء الشعراء الشيخ شهاب الدين السهروردي (ت632هـ/1235م) وممل قاله شعرا مستخدما فيه عبارات تستعمل لوصف الخمرة:²

لا تسقني وحدي فما عودتني اني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرما أن يعتر الندماء دور الكأس

فتواجد الناس لذلك ومات عدد منهم من شدة التأثر، ومن شعره في الحب الالهي قوله:

تضرمت وحشة الليالي وأقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسودا من كان في هجركم دنا لي
وحقكم أبعد إذ حصلتم بكل ما فات لا أبالي
علي ما للورى حرام وحبكم في الحشى حلالي
ومن اشتهر من الشعراء الصوفيين خلال القرن الشيخ الصوفي ابن الفارض المصري (ت632هـ/1235م) ومما قاله في الحب الالهي:³

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف
لم أفض حق هواك إذا كنت الذي لم أفض فيه أسي ومثلي من يفي
مالي سوى روحي وباذل نفسه في حب يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أستتي ياخبية المسعى إذا لم تسعف
يا ما نعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام به ووجدي المتلف

¹ - اغا بزرك الطهراني: طبقات أعلام الشيعة، النوار الساطعة في المائة السابعة، تحقيق علي نقى منزوي، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1972م)، ج1، ص 147.

² - ابن دقماق، مصدر لسابق، ص61، ابن الملتن، مصدر سابق، صص(161 - 162)، ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص154.

³ - ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، دون طبعة مكتبة القاهرة للنشر، مصر، القاهرة (1370هـ-1951م)، دبت، ص81.

من جسمي المضنى وقلبي المدنف

عظفا على رمقي وما أبقيت لي
وقال أيضا في نفس الموضوع:¹

فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل
واني بريء من فتى سامع العدل
ومن لم يفقهه الهوى فهو في جهل
بحب الذي يهوى فبشره بالذل
يجودون بالأرواح منهم بلا دخل
قبورا لأسرار تنزه عن نقل

نسخت بحبي آية العشق في قلبي
وكل فتى يهوى فإني أمامه
ولي في الهوى علم تجل صفاته
ومن لم يكن في عزة النفس تائها
ذا جاد أقوام بمال ربهم
وأن نزعوا سرا رأيت صدورهم

ويقول الباحث المعاصر اميل ناصيف في كتابه أروع ما قيل في الزهد والتصوف بأن أشعار ابن الفارض تحتوي على فلسفة قائمة على فكرة اعتقادية أساسية ألا وهي وحدة الوجود² وقال ابن الفارض معبرا عن الحب الالهي المتصل بوحدة الوجود الفلسفية.³

و تحكم فالحسن قد أعطاك

ته دلالا فأنت أهل لذاكا

الجمال قد ولاكا
فاختباري ما كان فيه رضاكا
بي أولى، إذا لم أكن لولاكا
وخضوع ولست من أكفاكا
بين قومي أعد من قتلاكا

ولك المر فاقض ما أنت قاض
بما شئت في هواك اختبرني
فعلى كل حال أنت مني
وكفاني عزا بحبك ذلي
فاتهامي بالحب حسبي وأني
وقال أيضا:⁴

فما اختاره مضنى به وله عقل

هو الحب فأسلم بالحشا مالهى سهل

¹ - ابن الفارض، مصدر سابق، ص ص (101 - 102).

² - ناصيف: أروع ما قيل في الزهد و التصوف، دون طبعة، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، دبت، ص 109.

³ - ابن الفارض، مصدر سابق، ص ص (91 - 95).

⁴ - ابن الفارض، مصدر سابق، ص ص (78 - 79).

خاليا فالحب راحته عنا
ولكن لدي الموت فيه صباية
نصحتك علما بالهوى والذي أرى
فان شئت أن تحيا سعيدا فمت به
فمن لم يمت في حبه لم يعش به
تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا
وقل لقتيل الحب وفيت حقه
تعرض قوم للغرام وأعرضوا
رضوا با لأماني وابتلوا بحظوظهم

وأوله سقم و آخره قتل
حياة لمن أهوى علي بها الفضل
مخالفتي، فاختر لنفسك ما يخلو
شهيدا وإلا فالغرام له أهل
ودون اجتناء النحل ما جنت النحل
وخل سبيل الناسكين وان جلوا
وللمدعي هيهات مالكل الكحل
بجانبيهم عن صحتي فيه واعتلوا
وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

أيضا في قصيدته التائية الكبرى عن تجلي المحبوب الحقيقي:¹

سقتني حميا الحب راحة مقلتي
فكل مليح حسنه من جمالها
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر
بدت باحتجاب، واختفت بمظاهر
وما برحت تبدو وتخفي، لعله
تظهر للعشاق في كل مظهر
ولسن سواها، لا ولا كن غيرها

وكاسي محيا من عن الحسن جلت
معار له، بل حسن كل مليحة
فظنوا سواها وهي فيها تجلتي
على صبغ التلوين في كل برزة
على حسب الأوقات، في كل حقبة
من اللبس في أشكال حسن بديعة
وما ان لها في حسنها من شريكة

والحمية هنا تعني الخمر، والراحة هنا بمعنى الكف، ويكثر في هذه القصيدة عبارات السكر الروحي، واوصاف الخمرة،² وغيرها من العبارات التي استعملها الصوفية في أشعارهم.

¹ - نفس المصدر، ص(23-38).

² - سبط ابن الفارض: المدد الفائض عن شرح ديوان ابن الفارض، 1، المكتبة البارونية للنشر، (1307هـ)، ص19.

كما ذاع أيضا صيت الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (ت638هـ/1241م) في الشعر الصوفي الذي قال فيه معبرا عن الحنين:¹

يا مبسما أحببت منه الحببا	ويا رضابا ذقت منه الضربا
يا قمرا في شفق، من خفر	في خده لاح لنا منتقبا
لو انه يسفر عن برقعته	كان عذابا فلهذا احتجبا
شمس ضحى في فلك طالعة	غصن نقي في روضة قد نصبا
ان طلعت كانت لعيني عجبا	أو غربت كانت لحيني سببا
مذ عقد الحسن على مفرقها	تاجا من التبر عشقت الذهبا

وفي هذا الشعر يعبر ابن عربي عن مشاعره وأفكاره الباطنية ، واراؤه و توجهاته الصوفية بتعابير وأحاسيس صادقة مصورا أبعاد معاناته النفسية في أحسن تصوير من خلال القوالب الشعرية العربية الأصيلة وهذا بغض النظر عن الأفكار الفلسفية التي تحملها أشعاره.²

وقال ابن عربي في وصفه للجمال:³

طلعت بين أذرعات و بصرى	بنت عشر وأربع لي بدرا
قد تعالت على الزمان جلالا	وتسامت عليه كبيرا وفخرا
كل بدر إذا تناهى كمالا	جاءه نقصه ليكمل شهرا
غير هذي ، فما لها حركات	في بروج، فما تشفع وترا
حقه اودعت عبيرا ونشرا	روضة أنبتت ربيعا وزهرا
انتهى الحسن فيك أقصى مداه	ما لوسع الامكان مثلك أخرى

¹ - ابن عربي: ديوان ترجمان الأشواق وذخائر الأعلاق، دون طبعة، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1386هـ - 1966م)، ص(105 - 107).

² - زكي مبارك، مرجع سابق، ج1، ص148.

³ - ابن عربي، (الديوان)، ص ص(154-155).

وقد ورد في مقدمة ديوانه ترجمان الأشواق بأنه (محي الدين بن عربي)، قد توغل في ال طريقة الصوفية توغلا لم يقدم عليه احد قبله حتى أنه أصبح المثل الأعلى لكل من اتبع طريق التصوف من بعده فقد اعتبر من أكبر الشعراء الصوفيين في قرنه،¹ وقد وصفه الباحث المعاصر اميل ناصف في كتابه "أروع ما قيل في الزهد والتصوف" بأنه يعتبر بحق قدوة القائلين بوحدة الوجود الفلسفية² أما الباحث المعاصر مبارك زكي صاحب كتاب "التصوف الاسلامي في الأدب وا لأخلاق" فقال عن شعر محي الدين بن عربي بأنه شعره فن قائم بذاته وبأنه خلف الكثير منه فهو صاحب "الديوان الشعري الضخم" المعروف بذخائر الأعلاق وترجمان الأشواق والذي بفضل استطلاع أن ينافس أكبر الشعراء الصوفيين في عصره³ ومعظم اشارات الشيخ الكبر الشعريه تكاد تلخص الوجدان الصوفي في موضوع المرأة.⁴

عرف أيضا في مجال الشعر الصوفي الشيخ عدي بن مسافر (ت644هـ/1246م)، صاحب الديوان الشعري والذي فيه اشارة الى القول بالاتحاد ومما قاله في ذلك شعرا:⁵

وقد عصيت اللواحي في محبتها
في عشق غانية في طرفها حور
فنبت عني بها يا صاح إذ برزت
وصرت فردا بلا ثا ن أقوم به
وكل مغناي معناها وصورتها
وقال معبرا عن اعتقاده بالاتحاد:

الحكمة أن تشرب من الحانات
من كف مهفهف متى ما تليت
خمرا قرنت بسائر اللذات
آيات صفاته بدت من ذاتي

¹ - نفس المصدر، ص05.

² - اميل ناصيف، مرجع سابق، ص130.

³ - زكي مبارك، مرجع سابق، ج1، ص148.

⁴ - سامي مكارم: عاشقات الله، الجامعة الأمريكية في بيروت، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، لبنان،(1414هـ -

1994م)، ص12.

⁵ - الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص335.

كما قال الشيخ الصوفي بشر بن حامد بن سليمان(646هـ/1248م)، بن يوسف بن عبد الله شعرا جاء فيه:¹

أعد يائي التي سقطت من اسمي فيائي في الحساب تعد عشرا

ظهر أيضا الشاعر الصوفي يحيى بن يوسف (ت656هـ/1258م) بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام أبو زكريا جمال الدين الصرصري، الشيخ الصالحي الحنبلي أحد الزهاد العباد وهو يعد من أكثر المشايخ شعرا وجودة في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم وقد ورد مدحه له في عدة مجلدات قارب عددها العشرين مجلدا، وقد قتل الشيخ على يد التتار سنة(656هـ/1258م)، ومما قاله شعرا في ذلك:²

زار وهنا ونحن بالزوراء في مقام خلى من الرقباء
من حبيب القلوب طيف خيال فجلا نوره دجى الظلماء
يالها زورة على غير وعد بت منها في ليلة سراء
يا طراز الجمال يا حلة المجد وتاج الكامل للعلياء
يا هلال السرور يا قمر الأنس ونجم الهدى وشمس البهائم
يا ربيع القلوب يا قرّة العين وباب الاحسان والنعماء
بالباب المعنى ونور المعاني يا شفاء الصدور من كل داء
إن يوما أراك فيه ليوم ارج النشر ساطع الآلاء
كم الى كم اخفي الاشارة فيمن فضله ظاهر بغير خفاء

سيد حبه فخار وتشريف وعز باق لأهل الصفاء
أحمد المصطفى السراح المدير الفاتح الخير خاتم الأنبياء
ولعمري لولا تقدمه الأشرف يروي به سادة العلماء
انه واجب على الكامل الايمان تقديم حبه والولاء
يعلى الأنفس العزيزة والمال جميعا والأهل والأبناء

¹ - الداودي، مصدر سابق، ج1، ص40.

² - اليونيني، مصدر سابق، ج1، ص ص(257 - 258)، وللاطلاع أكثر عد الى الكتاب ص(259 - 336).

حبيب الرحمان في السماء
وجلالا وسيد البطحاء
رو القرب ليلة الاسراء

أرعدت دونه الفرائض اجلالا
أكرم العالمين أصلا وفضلا
خص بالخاتم وشرح الصد

وقال الشاعر الصوفي الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن بن الخراز (668هـ/1270م)،
البغدادي الأصل الكريم الأخلاق الحسن المعاشرة صاحب الديوان الشعري الحسن وقد
زاره بعض أصحابه في أحد الأيام فلم ينهض اليهم وأنشدهم شعرا يطيب خاطرهم فيه
قائلا:¹

نهبض القلب حين أقبلت اجلالا
ونهبوض القلوب بالود أولى
لما فيه من صحيح الوداد
من نهبوض الأجساد للأجساد

ومن الشعراء الصوفيين خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر ميلادي الشاعر
الصوفي أبو الحسن علي النميري الششتري(668هـ/1270م)، الشيخ الأديب الذي
له....واسعة بالفلسفة ودراية تامة بطريق الصوفية ولهى الكثير من النظم والنثر طريقة
الصوفية وما قاله شعرا في التاوه والحرقة:²

لا تلتفت بالله يا ناظري
يا قلب واصرف عنك وهم النقا
مالسرب ما البان وما لعلع
جمال من سميته دائر
وإنما مطلبه في الذي
فالشعب والعبر لمثل
أفاد للشمس سنى كالذي
أصبحت فيه مغرما حائرا
لا هي فكا الغصن الناظر
وخل عن سرب حمى حاجر
ما الخيف ما ضبي بني عامر
ما حاجة العقل بالدائر
هام الورى في حسنه الباهر
إلا أني من اجل الأول الاخر
أعاره للقمر الزاهر
لله در المغرم الحائر

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج13، ص 258.

² - الغبريني: عنوان الدراية فيمن عوف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر
وا لتوزيع الجزائر، دون طبعة، د. ت ، ص ص(210 - 211).

وقال يوما وهو بالأندلس عند قراءته لقوله تعالى: (إني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني)، فقال في عجالة وقد فهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم على حد قول المؤرخ الغبريني(704هـ/1304م)، صاحب كتاب "عنوان الدراية" انشد الش تري قائلا:¹

أنظر للفظ أنا يا مغرما فيه من حيث نظرتنا لعل تدريه
خلي ادخارك لا تفخر بعريه لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة إن شئت تعرفه جرد معانيه

وقد قال عنه الباحث المعاصر مؤلف كتاب "شعراء الصوفية المجهولون" بأن الشتري قد خلف ديوانا شعريا ضخما به عدد كبير من القصائد وقال بان هذا الديوان قد استحسنته كبار المؤرخين الصوفيين من أمثال الغبريني² ، مؤلف كتاب "عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية، الذي قال: "وشعره في غاية الانطباع والملاحظة...ونظمه...في غاية الحسن"³ ، وقال الباحث المعاصر يوسف زيدان في نفس كتابه الشعراء الصوفية المجهولون بأنه قد تم جمع الديوان الشتري في الاسكندرية بمصر إلا أنه لم يكتب له الانتشار والذيع وظل الشتري ضمن قائمة شعراء الصوفية المجهولين.⁴

ومما قاله الشيخ الصوفي ابراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي نعاء (ت676هـ/1278م)، في الحب الالهي وهو يستعمل عبارات لوصف الخمرة:⁵

سقاني محبوبي بكاس المحبة فتهت عن العشاق سكرًا بخلوة
ولاح لنا نور الجلالة لو أضا لصم الجبال الراسيات لدكت
وكننت أنا الساقى من كان حاظرا أطوف عليهم كرة بعد كرة

¹ - الغبريني، مصدر سابق، ص212.

² - يوسف زيدان، مرجع سابق، ص ص(64-65).

³ - الغبريني، مصدر سابق، ص212.

⁴ - يوسف زيدان، مرجع ساق، ص ص(64-65).

⁵ - الشعراني، مصدر سابق، ج1، ص181.

وإن رسول الله شيخي وقدوتي
وعشت وثيقا صادقا بمحبة

ونادمني سرا بسر وحكمة
وعاهدني عهدا حفظت لعهد

وقد اشتهر في نفس هذه الفترة الشاعر الصوفي النجم بن اسرائيل (676هـ/1278م)، محمد بن سوار بن اسرائيل بن الخضر بن اسرائيل بن حسن بن علي بن محمد بن الحسن نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي الذي لبس لباس الصوفية السهروردية على يد الشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو أديب في صناعة الشعر ونظمه إلا أن شعره فيه نوع من الحلول والوحدة على طريقة ابن الفارض وابن عربي قبله ومما قاله شعرا في الحب الالهي:¹

فهل عهد ذات الخال بالسفح عائد
لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد
فذكري هواها والمدامة واحد
حلى لي في حبها ما أكابد
وللشمس ما جالت عليه القلائد

وقد عادني من لاجع الشوق عائد
وهل نارها بالا جرع الفرد تعتلي
نديمي من سعدي أديرا حديثها
منعمة الأطراف رفت محاسنها
فللبدر مالت عليه خمارها

وقال أيضا في ضرورة التحلي بالصبر²

يا أهلا بسيح في بحر الفكر
واصطبر فالصبر عقباه الظفر
إنما الأيام تأتي بالعبر
وصفى يحدث في وقت الكدر
سر أهله ومهما ساء سر
إنما أنت أسير القدر

أيها المغتاض بالنوم السهرا
سلم الأمر الى مالكة
لا تكونن أياس من فرج
كدرا يحدث في وقت الصفا
وإذا ما ساء دهر مرة
فارض عن ربك بأقداره

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص283.

² - نفس المصدر، ج13، ص284.

كما له قصيدة طويلة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم وهي قصيدة حسنة دالية
قال فيها:¹

وإغى لي من أهواه جهرا لموعدي
وزار على شط المزار مطولا
فيا حسن ما أهدى بعين جماله
ويا صدق أحلامي ببشرى وصاله
تجلى وجودي إذ تجلى لباطني
لقد حق لي عشق الوجود وأهله
وقد أطال كلامه في الغزل الى ان وصل
الى قوله:

فلما تجلى لي على كل شاهد
تجنب تقليد الجمال ترفعا
وصار سماعي مطلقا منه بدؤه
وفي كل مشهود لقلبي شاهد
ثم قال عن الوصل والجمال:
أراه بأوصاف الجمال جميعها
ففي كل هيفاء المعاطف عادة
وفي كل بدر لاح في ليل شعره
وفي الدر والياقوت والطيب حلا

سامرني بالرمز في كل مشهد
وطالت أسرار الجمال المبدد
وحاشى لمثلي من سماع مقيد
وفي كل مسموع له لحن معبد

بغير اعتقاد للحلو المبعد
وفي كل مصقول السوالف أعيد
على كل غصن مائس العطف أمدد
على كل ساج الطرف لدن مقلد

¹ - ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص284.

والقصيدة طويلة جدا.

ظهر ايضا الشاعر الصوفي ابن الخيمي (ت685هـ/1287م)، شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصاري اليمني المصري الذي قال في الحب الالهي:

كلفا ببدر في ما بادي الدجى	فعاد لنا ضوء الصباح كما بدا
وحجب عنا حسنه نور حسنه	من ذلك الحسن الضلالة والهدى
فيا حبذا نار تصطلي	ويا دمع عيني حبذا أنت موردا
ويا سقمي في الحب أهلا ومرحبا	و يا صحة السلوان شأنك والعدا
فلست أرى عن ملة الحب مائلا	وكيف ونور العامرية قد بدا

وعنه يقول البا حث المعاصر يوسف زيدان بان صفة الحب الالهي هي الصفة الغالبة على شعره وإن عبر عن مواقف أخرى.¹

كما برز أيضا الشاعر الصوفي عبد العزيز الدريني(ت694هـ/1295م)، الأديب المشهور ومما قاله شعرا الصداقة:²

وعن صحبة الاخوان والكيمياء	خذ يمينا فما من كيمياء ولا خل
ولم أرى خلا قد تفرد ساعة مع الله	خالي البال والسر من شغل
وقال أيضا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم: ³	

الله ربي وحسبي	الله ارجوا واحمد
و شافعي يوم حشري	خير الخلائق احمد
صلي عليه الهي	أوفى صلاة و احمد
ومالك والحنيفي	والشافعي واحمد
وسيدي ابن الرفاعي	فطب الحقيقة احمد
هذا مقال الدميري	عبد العزيز بن أحمد

¹ - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج3، ص393.

² - نفس المصدر، ج3، ص450.

³ - السبكي، مصدر سابق، ج8، ص9.

كما قال الشيخ الصوفي عبد العزيز البايصري البغدادي الحملي (ت697هـ/1298م)، عبد العزيز بن أبي اسلم القاسم بن عثمان عز الدين بن محمد ساكن الخانقاه السميساطية بدمشق البارع في الأدب والذي قال عندما ضعف بصره شعرا:¹

قعدت في منزلي حزينا
عاندني الدهر فيه حتى
وبان عصر الشباب عني
كما قال أيضا لشدة حبه لعلم الحديث:

سماع الحديث عن المصطفى
فعنه أخذت الهدى والتقى
ونقل الحديث بلفظ الرواة
وقارتنا قارئ مطرب
فلا ترغيبين إلى غيرهم
وهي في نحو عشرين بيتا.

به قد رجوت حصول الشفا
ومنه عرفت الرضا والوفا
كؤوس تدار لشرب الصفا
وبالدر اسماعنا سقا
وإن موه القول أو زخرف

ومما قاله الشاعر الصوفي الاتحادي الضال ابن هود (ت699هـ/1300م)، معبرا عن فكرة وحدة الوجود شعرا:²

أنا رب انا عبد
أنا دنيا، أنا أخرى
أنا معشوق لذاتي
أنا بعض أنا كل
أنا هجر أنا وصل
لست عني الدهر اسلوا

وفي نهاية المطاف يظهر أن بعض شعراء الصوفية قد ركزوا على موضوع الحب الالهي الذي وإن تعددت طرائقهم في التعبير عنه إلا أنه يبقى واحدا لأن الحبيب فيه واحد

¹ - الذهبي، تاريخ الاسلام، تحقيق عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر، (1424هـ - 2003م)، ج15، صص(859 - 860).

² - الذهبي، (السير)، ج15، ص905.

وهو الله عز وجل¹ ، وهكذا يعتبر الشعر الصوفي وسيلة من وسائل التعبير عند الصوفية يصفون من خلاله ما يختلج في نفوسهم من أحاسيس مختلفة² ، وقد تمتع الصوفية بمكانة أدبية عالية، فقد كان وجودهم قويا في الساحة الأدبية، وذلك يتجلى من خلال ثروتهم اللغوية ذات الوزن الكبير في الدراسات الأدبية وما اوضح تمكن شعراء الصوفية هو تعدد أغراضهم الشعرية خلال القرن (7هـ/ 13م)³.

يظهر لنا الدور الكبير للصوفية خلال القرن (7هـ/ 13م) في الحياة العلمية فقد برز في مجال علم الحديث عدد كبير من المحدثين الصوفيين كما كانت لهم مشارك في علم التفسير الذي برز فيه عدد من المفسرين الصوفيين ، وكان لهم اثر في علم القراءات ، وكذا علم الفقه الذي برز فيه عدد من الفقهاء الصوفيين ثمانية، وعرف منهم شعراء ايضا.

وفي الأخير نستنتج أن القرن السابع الهجري ، (الثالث عشر الميلادي) قد حفل بعدد كبير من الاعلام الذين جمعوا بين الشعر و التصوف حيث اشتهرت طائفة منهم في مجال الشعر الذي كان لهم فيه الباع الطويل، وهكذا كانت مشاركة الصوفية مشاركة كبيرة في الحياة العلمية والمذهبية في المشرق الاسلامي من خلال خدمتهم للعلوم المختلفة كعلم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث والشعر... الخ، بالرغم من بعض الانزلاقات لفئة من الأتباع المنتمين اليهم والذين ادخلوا عقائد فلسفية فاسدة كوحدة الوجود والوحدة المطلقة في مذهب التصوف أ دخلهم في نطاق الضلال والكفر وحادوا به عن العقيدة الصحيحة بحسب علماء كبار في العالم الاسلامي ومن خلال دراستنا يظهر لنا جليا ان هناك جانبان للحركة الصوفية خلال القرن (7هـ/ 13م)، أحدهما ايجابي والآخر سلبي إذ يبرز الجانب الول في اسهاماتهم في نشر العلوم المختلفة في شتى ميادين الحياة في حين يظهر الجانب الثاني في ما وقع فيه بعض الصوفية في الانحراف عن العقيدة الصحيحة والاعتقاد بأفكار لا تمت الى الفطرة والعقيدة بصلة مطلقا.

¹ - سامي مكارم، مرجع سابق، ص24.

² - أبو الوفا التفتازاني، مرجع سابق، ص212.

³ - زكي مبارك، مرجع سابق، ص158.

و ختاماً لهذا الفصل نستنتج أن بعض الصوفية كان لهم دور كبير جداً في الحياة العلمية في منطقة المشرق الإسلامي من خلال مشاركتهم الواسعة في مختلف العلوم كعلم الحديث والفقه والتفسير وعلم القراءات والشعر والدليل الملموس على ذلك كثرة ما خلفوه من نماذج معبرة عن تراثهم العلمي والثقافي خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) وقد تجسد دورهم الفعال في تنشيط الحركة العلمية بالمشرق في ذلك العدد الصخم والكم الهائل من المؤلفات لرجال الصوفية خلال تلك الفترة والذين لم يقفوا عند حدود النقل للمؤلفات السابقة للعلماء المسلمين بل كانت لهم اجتهادات خاصة بهم في مجال العلم رواية وتاليفاً، وهذا يمثل تدخلاً إيجابياً لأفراد الحركة الصوفية في الحياة العلمية.

الختامة

الخلاصة:

هذه الدراسة يتضح منها ان المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م / 13م)، كان يعيش فترة من الضعف السياسي الكبير نتيجة انفصال الدويلات الإسلامية عن الخلافة العباسية لضعفها في فترة النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إضافة إلى طغيان النزاع بين الحكام المسلمين حول الحكم (أمراء وسلطين الدولة الأيوبية)، وكذلك انتشار الصراع الطائفي بين أفراد المجتمع المشرقي وكثرة الحملات الصليبية على المناطق الإسلامية، وفي خضم كل تلك الأوضاع المتدهورة للمشرق الإسلامي شهد التصوف قمة نضجه ونشاطه في هذه الفترة بظهور العديد من الشخصيات البارزة على اختلاف أتباعه ما بين الاستقامة والانحراف، كما عرفت الحياة العلمية تطورا كبيرا رغم ما كان يعانيه المشرق من ضعف سياسي وعسكري، ومن تدهور اقتصادي واضطراب اجتماعي إلا أن العلماء قد أثبتوا دورهم الفعال في الحياة العلمية.

كما لاحظنا الانتشار الموسع للمؤسسات الصوفية باختلاف أنواعها في مناطق المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م / 13م)، خاصة وأنها حظيت بدعم كبير من قبل الأمراء والسلطين وكبار الأثرياء، والجدير بالذكر هنا هو أن توزيعها كان متباينا من منطقة إلى أخرى، ومن نوع إلى آخر عبر المدن وأقاليم المشرق الإسلامي، وهذا حسب الظروف العامة التي ميزت المنطقة، وكذا حسب وضعية التصوف ومكانة شيوخه في كل منها، فقد عرفت دمشق وجود خوانق وأربطة وزوايا كما شهدت القاهرة وجود الخوانق والأربطة والزوايا، كما وجدت في بغداد الأربطة والزوايا، أما القدس فقد عرفت فيها الزوايا أكثر.

ومن ناحية أخرى هاته الفترة غلبت عليها الصراعات الداخلية بين الحكام المسلمين، مما زاد من الاضطراب السياسي في المنطقة التي تعرضت للأخطار الخارجية من غزو صليبي وآخر مغولي، إضافة إلى الضعف الاقتصادي وتدهور الحياة الاجتماعية نتيجة الأمراض والأوبئة والصراعات الطائفية، وبالنسبة للحركة الصوفية في هذا الفترة فقد تراوحت ما بين القوة والضعف، وفقا لمناصرة الحكام لأتباعها أو تخليهم عنها وعن شيوخها أو حتى محاربتها في بعض الأحيان، فقد كانت علاقة الحكام بالصوفية تتراوح ما

بين التقرب من شيوخها تارة ومن محاولة السيطرة عليهم تارة أخرى أو التخلص منهم نهائياً، حيث ظهر في نفس هذه الفترة تخوف بعض الحكام من بعض شيوخ الصوفية لما لهم من تأثير قوي على العامة كما هو الحال بالنسبة لحكام الموصل بدر الدين لؤلؤ، الذي قتل الشيخ عدي الكردي لتخوفه من أن يؤلب هذا الأخير الأكراد ضده فيبعده عن الحكم، وعموما وعلى ما يبدو فكما شجعت الصوفية من قبل الأيوبيين فقد شجعت أيضا من قبل المماليك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

و كان للصوفية دوران بارزان في الحياة الاجتماعية أولهما كان إيجابيا، برز من خلال الدور الكبير للصوفية في خدمة مجتمعهم المشرقي في فترة الأزمات والشدائد حيث عملوا على تجسيد مبدأ التكافل الاجتماعي، إضافة إلى نشر الوعي الديني بين مختلف أفراد المجتمع وهذا فضلا على دورهم في تربية المريدين (الأتباع)، أما ثانيهما فكان تدخلا سلبيا جدا من خلال نشر بعضهم للفتن مشجعين بذلك الانحلال الخلقي واللهو مما فتح بابا واسعا على مصرعيه أمام الأزمات الأخلاقية في أوساط المجتمع المشرقي.

كذلك يتبين في الدراسة ما كان للصوفية من دور إيجابي في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي خلال القرنين (6هـ/7هـ) (12م / 13م)، وذلك من خلال مشاركتهم الواسعة في مختلف مجالات العلوم فقد كان لهم علماء في مجال علم القراءات وقد ألفوا فيه مؤلفات وكتب، وكان لهم علماء في التفسير ألفوا في هذا العلم كتبا كما كان لهم فقهاء ألفوا في مجال الفقه وفي علم الحديث كان لهم محدثين كتبوا في علم الحديث كما كان لهم شعراء كان لهم الباع الطويل في مجال الشعر فألفوا فيه دواوين شعرية ضخمة والكثير الكثير من المنقرقات الشعرية التي كتبوا من خلالها في مختلف الأغراض الشعرية، كما كانت لهم كتب في التصوف، وكما كان لبعضهم تدخلا إيجابيا في الحياة العلمية فقد كان لبعضهم الآخر تدخلا سلبيا فيها، حيث عمدوا إلى تأويل النصوص الشرعية من سور قرآنية وأحاديث نبوية خدمة لأفكارهم ومعتقداتهم الفاسدة.

والنتيجة الهامة التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة هي أن هناك من رفع الصوفية إلى عنان السماء جاعلا منهم ملائكة الأرض كما أن أنزلهم أرضا جاعلا منهم شياطين ومنهم من توسط الموقفين، وهو نفس ما انتهجناه في هذا البحث، حيث قلنا

للمحسن أحسنت لما قدمت من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وقلنا للمسيء أسأت
موضحين مواضع الإساءة وآثارها السلبية، وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول بأن الصوفية
طائفة كغيرها من الطوائف فيها من أخطأ وفيها من أصاب وفيها من أحسن وفيها من
أساء والله مرجعهم ومرجعنا جميعا وهو خير الحاكمين.

الملاحق

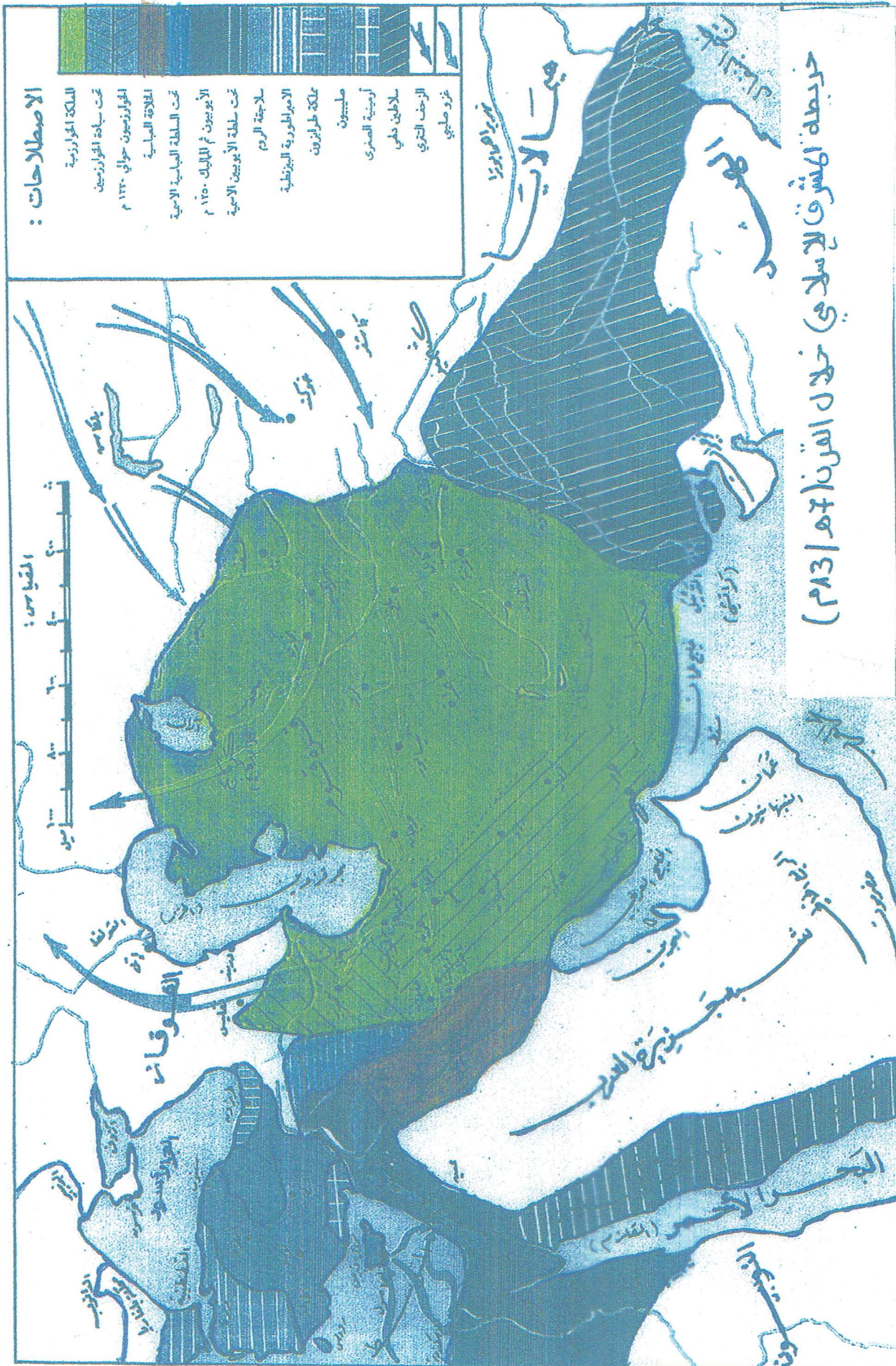
المصادر

ملحق رقم 01: خريطة المشرق الإسلامي في نهاية القرن (6 هـ - 12 م)



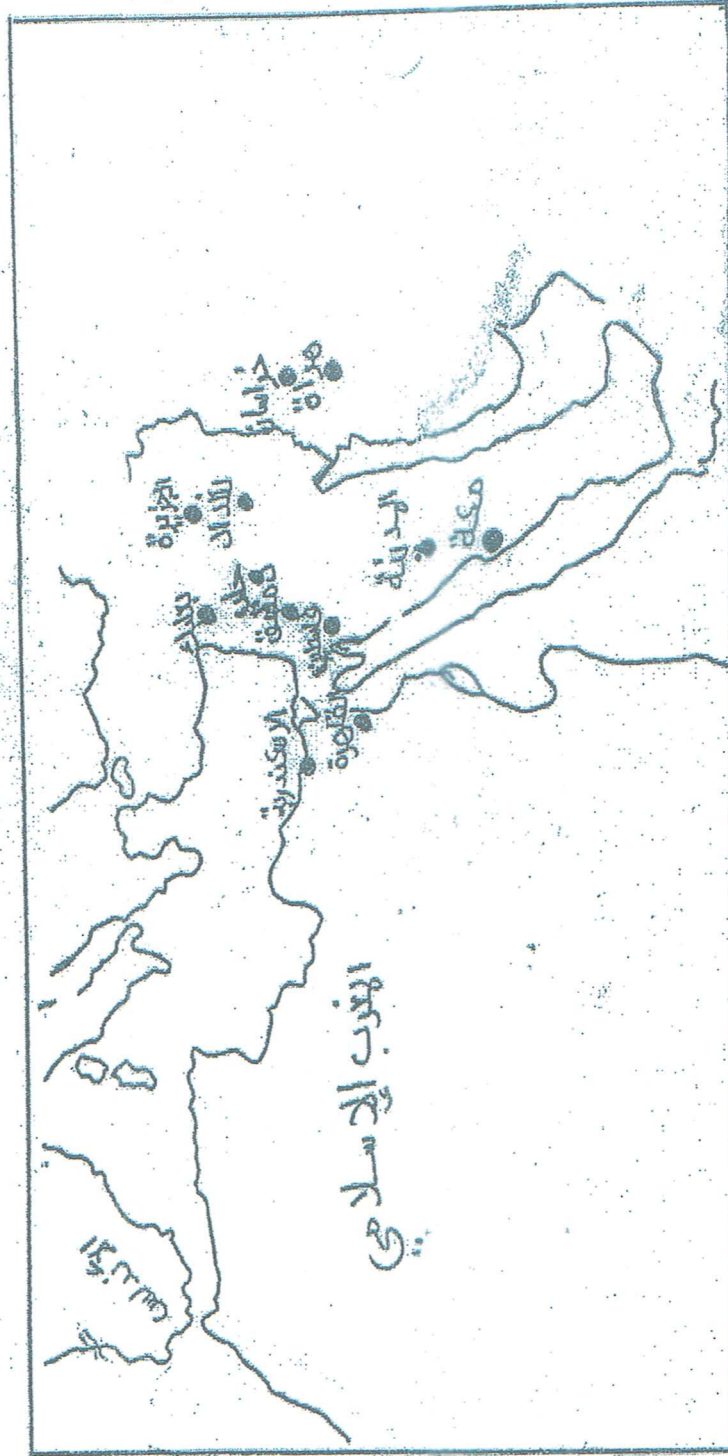
1 - شوقي ابو خليل: أطللس التاريخ العربي الإسلامي، ط4 ، دار الفكر المعاصر للنشر ، بيروت ، لبنان ، (1420 هـ - 1999 م) ، ص 61.

ملحق رقم ٤٥: خريطة المشرق الإسلامي خلال القرن (١٣/١٤هـ)



خريطة المشرق الإسلامي خلال القرن (١٣/١٤هـ)

٤- ستوي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط ١، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (١٤٢٥هـ - ١٩٩٩م)، ص ٤٩.



بمصر:

- 1- ابن العباد الحنبلي، الشذرات، ص 53 في التلميذ، المدارس ج 1، ص 15 في السبي، الطبقات، 85، ص 194.
- 2- طاش كبرى زادة، مفاتيح العلوم، ص 107.

مقتطف من تفسير ابن عربي للقرآن

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » .

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » أي ، معرفة الكثرة بالوحدة ، وعلم التوحيد التفصيلي ، وشهود الوحدة في عين الكثرة ، بتجلي الواحد الكثير ، والكثير الواحد ، وهو نهر في الجنة من شرب منه لم يظمأ أبداً .

« فصلِّ لربك » أي ، اذا شاهدت الواحد في عين الكثرة ، فصل بالاستقامة الصلاة التامة بشهود الروح ، وحضور القلب ، وانقياد النفس ، وطاعة البدن ، بالقلب في هيكل العبادات . فإنها الصلاة الكاملة الوافية بحقوق الجمع ، والتفصيل « وأنحَرْ » بدنة أثنيتك لئلا تظهر في شهودك بالتلون ، وتسلبك مقام التمكين ، وكن مع الحق بالفناء الصرف باقياً ببقائه ابداً ، فلا تكون أبتَر في وصولك وحالك ، واتصال أمتك ، الذين هم ذريتك بك .

« إن » مبهضك الذي على خلاف حالك ، المنقطع عن الحق « هو الأبتَر » لا أنت ، فإنك الباقي ببقائه ، الدائم المتصل بك ذريأتك الحقيقية من أهل الايمان أبد الأبدين ، المذكور فيهم دهر الدهارين . وهو الفاني بالحقيقة ، الهالك الذي لا يوجد ، ولا يذكر ، ولا ينسب اليه ، ولد الحقيقة . والله اعلم .

ابن عربي ، تفسير القرآن ، ج ٤

ص ٨٤

المصادر

المصادر:

- ابن الصباغ: أبو عبد الله محمد بن محمد القلعي.
- درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب أبي الحسن الشاذلي، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2246.
- (القرآن الكريم)
- ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 158 هـ / 1260م).
- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزة العطار الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية للنشر، 1375 هـ / 1956م).
- ابن كثير: اسماعيل بن كثير القرشي أبو الفدا (ت 744 هـ / 1373م)
- البداية والنهاية، دون محقق، د.ط، مكتبة المعارف للنصر، بيروت، لبنان، د.ت.ج 12، ج 13.
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمان (ت 597 هـ / 1200م)
- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (1425 هـ / 2005م)
- صيد الخاطر، محمد عبد الرحمان عوض، د.ط، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1425 هـ / 2004م).
- زاد المسير في علم المسير، د. محقق، ط3، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1404 هـ)
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت 808 هـ / 1405م)
- تاريخ ابن خلدون، د. محقق، د.ط، مطبعة الرغاية للنشر، الجزائر، (1995م) ج3.
- المقدمة، د. محقق، د.ط، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- شفاء السائل في تهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر للنشر، سوريا، دمشق، (1417 هـ / 1996م)
- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزيري (ت 630 هـ / 1232م)
- الكامل في التاريخ، د. محقق، د.ط، دار الهلال للنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج 11.

- ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، (ت 775 هـ / 1374م)

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، د. محقق، د.ط، مطبعة أمير محمد كتب خانة للنشر، كراتشي، د.ت.

- ابن جبير: أبو الحسن محمد بن محمد، ت 614 هـ / 1217م).

- رحلة ابن جبير، د. محقق، د.ط، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.

- ابن حماد: أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 628 هـ / 1230م).

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عويس، د.ط، دار الصحوة للنشر، مصر، القاهرة، (1401 هـ).

- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت 852 هـ / 1448م).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية للنشر، حيدر آباد، الهند، (1972م).

- أبو الفدا: اسماعيل بن علي (ت 774 هـ / 1373م)

- المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية للنشر، مصر، القاهرة، د.ت، ج3.

- أبو الورد، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1996م)، ج2.

- تاريخ ابن الورد، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1996م)، ج2.

- أبو شامة المقدسي، عبد الرحمان اسماعيل الدمشقي، (ت 656 هـ / 1261م).

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، د. محقق، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1997م)، ج2، ج3.

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (874 هـ / 1471م)

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان (1413 هـ / 1992م)

- أبو الفرج الملطي المؤرخ المعروف بابن العبري (ت 685 هـ / 1286م)

- تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق الرملة، ط2، دار المشرق للنشر، لبنان، (1958م)

- ابن حنكان: أبو العباس أحمد بن محمد (681 هـ / 1283م)

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان (1986م)، ج5.
- ابن العربي: أبا بكر، (ت 543هـ / 1149م)
- قانون التأويل، تحقيق محمد السليمانى، ط2، دار الغرب الإسلامى للنشر، بيروت، لبنان، (1990م).
- ابن عربى: محى الدين (ت 638 هـ / 1240م).
- الفتوحات المكية، د. محقق، د.ط، د. تاريخ.
- تفسير القرآن الكريم للشيخ العارف بالله العلامة محى الدين بن عربى، دون محقق، ط1، دار العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387 هـ / 1968م).
- فصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفى، د.ط، دار أحياء الكتب العربية للنشر، بيروت، لبنان (1365 هـ)
- ديوان ترجمان الأسواق ونخائر، (الأعلاق)، دون محقق، د.ط، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان (1386 هـ / 1966م).
- تفسير القاط الصوفية، تحقيق موفق فوزى الخير، ط1، دار ملد للنشر، دمشق، سوريا، (1997م).
- ابن نظيف: أبو الفضائل محمد بن علي (كان حيا سنة 628 هـ / 1234م)
- التاريخ المنصوري (الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق أبو العيد دودو، د.ط، مطبعة الحجاز للنشر، دمشق، (1981م).
- ابن العماد الحنبلي (ت 1085هـ / 1674م)، عبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى.
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، 3 أجزاء، دون محقق، دون طبعة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د. تاريخ.
- ابن سباط:
- تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، حروس لوس للنشر، لبنان، بيروت، ج1.
- ابن عبد المالك، أبو عبد الله محمد الأنصارى (ت 703 هـ / 1303م)

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحساس عباس، ط1، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، (1973م).
- ابن رجب الحنبلي: بن الدين عبد الرحمان بن أحمد البغدادي (ت 795 هـ)
- طبقات الحنابلة، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان (1410 هـ / 1990م).
- ابن تيمية: عبد الحليم الحراني (ت 728 هـ / 1328م)
- التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمان عميرة، د.ط، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)
- مجموعة الفتاوى الكبرى بطبعتان منها طبعة تحقيق عامر الجبار، أنور الباز، د.ط، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، (1418 هـ / 1997م).
- وأخرى تحقيق عبد الرحمان بن محمد قوام، د.ط، المكتب التعليمي العودي للنشر، مكتبة المعارف للنشر، الرباط، المغرب، د.ت، ج 11.
- الرد على المنطقتين، دون محقق، د.ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى سلمان الدرويش، ط1، دار العلوم والحكم للنشر، د.ت.
- منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، مؤسسة قرطبة للنشر، (1406 هـ).
- ابن الملقن، سراج الدين، عمر بن علي الشافعي (ت 804 هـ / 1402م).
- طبقات الأوساط، تحقيق نور الدين شريبة، ط1، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر (1393 هـ / 1973م).
- ابن قدامة المقدسي: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت 620 هـ / 1224م).
- مختصر منهاج القاصدين، ط1، الشركة الجزائرية للنشر، الشركة اللبنانية للنشر، الجزائر (1427 هـ / 2006م)
- إثبات صفة العلو، تحقيق بدر عبد الله بدر، ط1، الدار السلفية للنشر، الكويت، (1406 هـ).
- ابن دقماق: صارم الدين ابراهيم بن محمد (ت 659 هـ / 1261م).

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طيارة، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (1420 هـ / 1995 م).
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد (ت. 779 هـ / 1378 م).
- رحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكياني، د.ط، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان (1405 هـ)
- ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، لبنان (1405 هـ).
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، دون محقق، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، د.ت ، ج7.
- مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق بدر عبد الله بدر، ط1، دار السلفية للنشر، الكويت، (1406 هـ).
- ابن رافع السلامي: أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت 809 هـ / 1407 م).
- الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق للنشر، بيروت، لبنان، (1997 م).
- ابن الفارض، عمر بن الفارض الحمودي (ت 686 هـ / 1270 م).
- ديوان ابن الفارض، دون محقق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1410 هـ / 1990 م).
- ابن سبعين: عبد الحق بن سبعين (ت 668 هـ / 1270 م).
- رسائل ابن سبعين، تحقيق عبد الرحمان بدوي، ط1، الدار المصرية للترجمة، لندن، سويسرا، (1956 م).
- ابن الوزير اليميني: محمد بن ابراهيم بن علي المرتضي بن المفضل الحلبي القاسمي (ت 840 هـ / 1473 م).
- إيثار الحق على الحلق، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1978 م).
- ابن أبي العز: الحنفي (ت 729 هـ / 1390 م).
- شرح العقيدة الطحاوية، دون محقق، ط1، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1391 هـ).
- أبو الطيب: محمد شمس الحق العظيم أبادي.

- عون المعبود، دون محقق، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1415هـ).
- ابن أبي أصيعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 646 هـ/1249م).
- عيون الأنباء في الطبقات الأطباء، تحقيق مرؤ القيس بن الطحان، ط1، المطبعة الوهبية للنشر، (1299هـ/1882م).
- ابن أبي جرادة: عمال الدين (ت 660 هـ/1262م) أبي حفص عمر بن هبة الله الحنفي المعز المعروف بابن عديم الحلبي.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1987م).
- الألوسي: شهاب الدين محمد (ت 1270هـ/1853م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
- الأصفهاني: عماد الدين.
- البستان الجامع لتراويح أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، لبنان، (1997م)، ج2.
- ابن رجب الحنبلي: طبقات الحنابلة، تحقيق الحافظ عبد العليم، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، (1410 هـ/1990م).
- أحمد بن ابراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، د.ط، مكتبة الثقافة للنشر، مصر، القاهرة، (1415 هـ/1996م).
- البخاري: أبو عبد الله محمد اسماعيل (ت 256هـ/869م).
- صحيح البخاري، الجزء السادس، تحقيق مصطفى ديب، ط3، دار ابن كثير للنشر، بيروت، لبنان، (1407هـ/1987م).
- البغدادي: عبد القادر (ت 429 هـ/1039م): الفرق بين الفرق، ط2، دار الآفاق للنشر، بيروت، لبنان، (1977م).
- الفرق بين الفرق، ط2، دار الآفاق للنشر، بيروت، لبنان، (1977م)
- البقاعي، يرهان الدين (ت 885 هـ/1480م)

- مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير محي الدين بن عربي)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار عباس أحمد الباز للنشر، مكة المكرمة، السعودية، (1400 هـ / 1980م)
- التليدي: عبد الله، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، د. ط، دار الأمان للنشر، المغرب، الرباط، (1420 هـ)
- الجبرتي: عبد الرحمن بدر الدين حسن بن برهان الدين حسن بن علي بن محمد (ت 118 هـ / 1779م).
- تاريخ الجبرتي، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، بيروت، (1997م)
- الجيلاني: عبد القادر بن أبي صالح (ت 571 هـ / 1176م)
- الغنية لطالبي طريق الحق في الأدب والأخلاق والتصوف، الجزء الأول، تحقيق عبد الكريم العجم، ط1، دار البشائر للنشر، لبنان، بيروت، (1416 هـ / 1996م)
- الجرزي: عبد الرحمن (ت 833 هـ / 1430م)
- الفقه على المذاهب الأربعة، د. محقق، د. طبعة، د. تاريخ.
- الجرجاني: الشريف علي بن محمد بن السيد (ت 816 هـ / 1414م)
- كتاب التعريفات (معجم فلسفي صوفي)، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دون طبعة، دار الرشد للنشر، مصر، القاهرة، د. ت.
- الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 945 هـ /):
- طبقات المفسرين، تحقيق
- الدباغ: عبد العزيز.
- الإبريز، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، رقم 2973.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (748 هـ / 1374م)
- سير أعلام النبلاء، الجزء 22، الجزء 23، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، (1413 هـ).
- العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر بسيونيز غلول، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1425 هـ / 2005م).

- تاريخ الإسلام السياسي، الجزء السابع، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1425 هـ / 1997م).
- تذكرة الحفاظ، الجزء الثالث، د. محقق، بيروت، لبنان، (1376 هـ / 1956م).
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار تحقيق بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، د. ت.
- الرازي: فخر الدين (ت 606 هـ / 1210م).
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركون، تحقيق محمد زينهم، محمد عرب، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، بيروت، لبنان، (1417 هـ / 1997م).
- الزبيدي: محمد مرتضى الزبيدي:
- اتحاف السادة المتقين بما في كتاب الأحياء من علوم الدين، ج1، ط، مؤسسة التاريخ العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1414 هـ / 1994م).
- الزركشي: محمد بن بهادر عبد الله أبو عبد الله.
- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، (1391 هـ).
- الزرقاني: محمد عبد العظيم:
- مناهل العرفان، تحقيق مكتب البحوث والدراسات للنشر، ط1، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1996م).
- السيوطي: جلال الدين (ت 911 هـ / 1514م).
- تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
- الدر المنثور، الجزء الثاني، د.ط، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، (1993م)
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الكتب العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387 هـ / 1968م).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة تحقيق أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار الكتب العربية للنشر، بيروت، لبنان، (1387 هـ / 1968م).
- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة للنشر، مصر، القاهرة.

- لطائف المنن، تحقيق عبد الحلیم محمود، ط1، دار الكتاب المصري للنشر، مصر، القاهرة، (1411 هـ / 1991م).
- السهروردي: شهاب الدين (ت 632 هـ / 1238م).
- عوارف المعارف، الجزء الأول، دون محقق، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1408 هـ / 1370م).
- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب (ت 771 هـ / 1370م).
- طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الثامن، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط2، دار هجر للنشر، مصر، القاهرة، (1413 هـ / 1992م).
- سبط ابن الفارض:
- المدد الفائض عن شرح ديوان ابن الفارض، دون محقق، ط1، المطبعة البارونية للنشر، دون بلد، (1307 هـ).
- الشوكاني: محمد بن علي اليمني (ت 1255 هـ / 1848م)
- فتح القدير بين الرواية والدراية من علم التفسير، الجزء الثاني، د.ط.د.ت.
- الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد (ت 960 هـ / 1553م).
- الطبقات الكبرى، دون محقق، دون طبعة، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر محلى الهوامش بكتاب الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، الجزء الثاني، دون محقق، ط2، المطبعة الأزهرية للنشر، مصر، القاهرة، (1307 هـ).
- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق سرور عبد الباقي، السيد محمد عبد الشافعي، د.ط، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، لبنان، (1408 هـ / 1988م).
- الطبري: ابن جرير (ت 311 هـ / 924م).
- تاريخ الأمم والملوك، الجزء الأول، دون محقق، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1407 هـ).
- الطوسي: سراج الدين (ت 378 هـ / 989م).
- اللمع في التصوف، نسخ رنولد ألن نيكلسون، مطبعة بريل للنشر، لندن، (1914م).

- طاش كبرى زادة: مفاتيح العلوم ومصباح السعادة، دون محقق، د.ط، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
- الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704 هـ / 1304م)
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، تحقيق رابح بونارد، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د.ت.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد المصري (ت 821 هـ / 1419م).
- مائر الأناقة في معالم الخلافة، الجزء الثاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، د.ط، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- الصبح الأعشا في صناعة الأنشاء، الجزء الثالث، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الفكر للنشر، دمشق، سوريا، د.ت.
- قاضي الشافعية، الجزء الثاني، تحقيق الحافظ عبد العليم، ط1، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- القنوجي: صديق بن حسن (ت 1307 هـ / 1890م)
- أبجد العلوم والوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، د.ط، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1978م).
- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764 هـ / 1363م).
- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1973م)
- الكلابادي: أبو بكر محمد بن ابراهيم (ت 380 هـ / 989م).
- التعرف لمذهب أهل التصوف، د.ط، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1400هـ).
- الكرمي: مرعي الكرمي (ت 1033 هـ / 1624م).
- رفع الشبهة والغرر عن احتج على فعل المعاصي بالقدر، تحقيق محمد المغربي، ط1، دار حراء للنشر، مكة، السعودية، (1410 هـ).
- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد محزوم، د.ط، دار أحياء التراث العربي للنشر، لبنان، بيروت، (1408 هـ).
- المقرئ: أحمد بن محمد التلمساني (ت 1040 هـ / 1631م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الجزء الثاني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- المناوي: عبد الرؤوف (ت 1030 هـ / 1621م).
- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن (الطبقات الكبرى)، الجزء الثاني، تحقيق محمد أديب الجادر، ط1، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (1999 هـ).
- التوفيق على مبهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان، ط1، دار الفكر للنشر، دمشق، سوريا، (1410 هـ).
- المقرئزي: أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين (ت 846 هـ / 1442م).
- الخطط المقرئزية، ج4، تحقيق خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1418 هـ / 1993م).
- المقفى الكبير، الجزء السادس، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب للنشر، بيروت، لبنان، (1411 هـ / 1991م).
- المكي: أبو طالب (القرن الثالث الهجري): قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق سعيد نسيب مكارم، بيروت، لبنان، (1995م).
- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، د.ط، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- المراكشي: أبو العباس أحمد بن البناء (ت 721 هـ / 1321م)
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق هند شلبي، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1990م)
- النعيمي: محي الدين أبو المفاخر الشافعي (ت 927هـ / 1508م).
- الدارس في تاريخ المدارس، جزان، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (1410 هـ / 1990م).
- النبهانى: يوسف اسماعيل (ت 1350 هـ / 1930م).
- جامع كرامات الأولياء، الجزء الثاني، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، د.ط، المكتبة الثقافية للنشر، بيروت، لبنان، (1411 هـ / 1991م).
- الهروي: علي بن سلطان بم محمد (ت 1061هـ / 1652م)

- الرد على القائلين بوحدة الوجود، تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي بن رضا، ط1، دار المأمون للنشر، دمشق، سوريا، (1995م)
- الواسطي: أحمد بن إبراهيم: النصيحة في صفات الرب جل وعلا، الجزء وعلا، الجزء الأول، تحقيق زهير شاوش، ط2، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1394 هـ).
- ياقوت الحموي: شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228م).
- معجم البلدان، دونه محقق، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- اليافعي: عبد الله بن أسعد (ت 771 هـ / 1373م).
- مرآة الجنان وعبء اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان، الجزء الثاني، دون محقق، ط2، مؤسسة الإعلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1997م).
- اليونيني: قطب الدين (ت 736 هـ / 1338م).
- ذيل مرآة الزمان، دون محقق، د.ط، دائرة المعارف الإسلامية للنشر، د.ت.

المراجع:

- أحمد عوض مؤنس: الصراع الإسلامي الصليبي، ط1، دار عين شمس للنشر، القاهرة، (1988م).
- أبو الفيض المنوفي: التصوف الإسلامي الخالص، د.ط، دار النهضة للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.
- أفاند حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، د.ط، دار المعارف للنشر، مكتب الدراسات التاريخية للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.
- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الجزء الثالث، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (1355 هـ / 1936م).
- إدريس محمود إدريس: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، الجزء 2 و 3، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، السعودية، (1419 هـ / 1998م).

- أفندي محمد ثابت واحمد الشنتاوي: دائرة المعارف الإسلامية، (مادة تصوف)، الجزء 11، دون طبعة، دون تاريخ.
- باكير أبو العزائم: صور من التصوف الإسلامي، د.ط، دون دار النشر، (1429هـ/2008م).
- بسام العسلي: المظفر قطز، ط1، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، (1399هـ/1979م).
- الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، ط1، دار النفائس للنشر، بيروت، لبنان، (1412 هـ / 1992م).
- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1988م).
- توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، د.ط، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، مصر.
- الجزار أحمد محمود: فخر الدين الرازي والتصوف، ط1، منشأة معارف الإسكندرية للنشر، مصر، القاهرة، (2000م).
- خفاجي عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، د.ط، مكتبة غريب للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.
- من قضايا التصوف على ضوء الكتاب والسنة، د.ط، دار العلوم للنشر، (1410 هـ/1990م).
- حلمي مصطفى: ابن القارض والحب الإلهي، د.ط، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، (1940م).
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني، الجزء الرابع، د.ط، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- حسن عاصي: التصوف الإسلامي، مفهومه، تطوره، مكانته من الدين والحياة، ط1، مؤسسة عز الدين للنشر، بيروت، لبنان، (1414 هـ / 1994م).
- خالد علال: الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين (5 و 6 هـ)، ط1، دار الإمام مالك للنشر، البلدية، الجزائر، (1426 هـ / 2005م).

- موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي الثاني، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، عمان، (2003م).
- الرفيعي عبد الأمير: العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، د.ط، دار الفرات للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- زيدان يوسف: شعراء الصوفية المجهولون، ط2، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، (1414 هـ).
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د.ط، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، لبنان، (1937م).
- سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، ط1، دار الكتاب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1413 هـ / 1993م).
- ابن سبعين، د.ط، الشركة العالمية للنشر، دار الكتاب الإسلامي للنشر، بيروت لبنان.
- شاكر مصطفى، موسوعة العالم الإسلامي ورجاله، صلاح الدين الملك الزاهد المفترى عليه، ط1، دار العلم للنشر، سوريا، دمشق، (1419 هـ / 1998م).
- الشيباني كامل مصطفى: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ط1، دار المناهل للنشر، بيروت، لبنان، (1418 هـ / 1997م).
- الصياد عبد المعطي: المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة للنشر، بيروت، لبنان، (1970م).
- عبد الرحمان بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، ط3، دار بناء للنشر، مصر، القاهرة، (1995م).
- عمر عبد الله الكامل: التصوف بين الإفراط والتفريط، ط1، دار ابن حزم للنشر، بيروت، لبنان، (1422 هـ / 2001م).
- عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، د.ط، دار مؤسسة شباب الجامعة للنشر، القاهرة، مصر، (2001م).
- عبد الحليم محمود: سلسلة الفقهاء والمحدثين، السيد البدوي، ط4، دائرة المعارف للنشر، بيروت، لبنان، (1993م).

- علم الدين سليمان: التصوف الإسلامي تاريخ وعقائد، دار نوفل للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- العلواني طه جابر: ابن تيمية وإسلامية المعرفة، ط1، المعهد العالمي للفكر للنشر هيردن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (1397 هـ).
- عبد المعطي فاروق: أعلام الفقهاء والمحدثين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1413 هـ / 1993م).
- عبد المنعم محمد حسن حمدي: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، د.ط، دار المعرفة للنشر، القاهرة، مصر، د.ت.
- فرحات يوسف: موسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، الشركة الشرقية للنشر وشركة أراذ كسيم السويسرية للنشر، جنيف، سويسرا، (1988م).
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: معالم تاريخ وحضارة الإسلام، دار الفكر العربي للنشر، مصر، القاهرة، (1998م).
- فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي، الجزء الثالث، ط5، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، د.ت.
- قنديل عبد المنعم: أبو الحسن الشاذلي، د.ط، دار النهضة للنشر، مصر، القاهرة، د.ت.
- الكيلاني ماجد: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط3، دار القلم للنشر، الإمارات.
- المناوي: عبد الرزاق: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم (1739)، العربية للنشر، (1423 هـ / 2002م).
- محمد عبد الوهاب: عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ط3، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، (1377 هـ).
- محمد بن حسن بن موهوب: وصايا وداعية الشيخ عبد القادر، د.ط، دار الهدى للنشر، عين ميله، الجزائر.
- محمد علي أبو ريان: أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، ط2، دار المعرفة للنشر، الإسكندرية، مصر، د.ت.

- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط1، دار النهضة للنشر، بيروت، لبنان، (1970م).
- محمد السعيد جمال الدين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، المشرق الإسلامي بع العباسيين، أربعة أجزاء، شركة سفير للنشر، المهندسين، مصر، د.ت.
- محمود عبد الرشيد: التنظيمات الصوفية وتنمية المجتمع دراسة من منظور علم الاجتماع الديني، د.ط، دار المعرفة للنشر، القاهرة، مصر، (2006م).
- النجار عامر: الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها، ط3، دار المعارف للنشر، مصر، القاهرة، (1986م).
- ناصيف أميل: أروع ما قيل في الزهد والتصوف، د.ط، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- يوسف المناعي عائشة: أبو حفص عمر السهروردي، حياته ومذهبه، د.ط، دار الثقافة للنشر، الدوحة، قطر، (1413 هـ / 1991م).
- المراجع المعربة:
- برمنجهام سبنسر: الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر التبحراوي، ط1، بيروت، لبنان، (1997م).
- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: ترجمة أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار الملايين للنشر، بيروت، لبنان، (1968م)
- لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، ترجمة ابراهيم خورشيد، حسن عثمان، ط1، دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، (1984م).
- نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة لجنة التأليف للترجمة والنشر، الإسكندرية، مصر، (1946م).
- ول زايزيل ديوارانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، الجزء 12، ترجمة محمد بدران، د.ط، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.
- الرسائل الجامعية: مراد تجنانت: العز بن عبد السلام، (577 هـ / 660 هـ)، (1261 م / 1281م)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1409 هـ / 1987م).
- رحمانى قدور: البناء الفني في ديوان ترجمان الأشواق للشاعر الصوفي محي الدين بن عربي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، (1999م).

- المقالات:

- عبد المجيد حملاوي: تطور المدارس الصوفية، مجلة الشهاب الجديدة، العدد3، أبريل، (1425هـ / 2004م)، دار الهدى للنشر، عين ميلة، الجزائر.

الفهارس

فهرس الأعلام:

1. ألب أرسلان: 28، 29، 30، 45، 46.
2. أبي كاليجار: 24.
3. أريان الثاني: 32.
4. أبو المحاسن الجرجاني (سعيد بن محمد بن منصور): 42.
5. أبو نصر الجذامي (الحسن بن علي): 42.
6. أبو يعلى (محمد بن الحسن بن محمد): 43.
7. أبو علي القاضي (محمد بن إسماعيل): 43.
8. أبو بكر الخطيب (أحمد بن علي): 43.
9. أبو نصر السخري الوائلي (عبد الله بن سعيد): 44.
10. أبو سعد الوزان التميمي: 44.
11. أبو علي المقرئ (الحسن بن أحمد) 44.
12. أبو علي الشاعر (محمد بن الحسن): 44.
13. أبو المعالي الجوني (عبد الملك بن عبد الله): 45.
14. أبو بكر الشاشي: 45.
15. أبو عبد الله الطبري (الفقيه): 45.
16. أبو محمد عبد الوهاب (الشيرازي): 45.
17. أبو المظفر السمعاني (منصور بن محمد): 46.
18. أبو تراب المراغي (عبد الباقي بن يوسف): 46.
19. أبو علي المخزومي المنبجي (حسان بن سعيد): 48.
20. أبو القاسم النهروان (يوسف بن محمد): 48.
21. أبو سعيد الصوفي: 48.

22. إبن أبي موسى الهاشمي: 48.
23. أبو القاسم الزنجاني (سعيد بن علي): 49.
24. أبو عمر السنغواني (احمد بن محمد): 49.
25. أبو بكر الزوزني (محمد بن علي): 50
26. أبو الحسن الهكاري: 50
27. أبو إسحاق الخراز (إبراهيم بن الحسين): 50.
28. أبو بكر الطرثيثي (أحمد بن زكرياء): 51
29. الأسفراني (المجد): 57، 221.
30. الأيكي شمس الدين (محمد بن أبي محمد): 57.
31. أيوب (نجم الدين): 58، 64.
32. إبن تميمية (فخر الدين أبو محمد عبد القهر): 59.
33. إبن جبير: 60، 66، 99، 108.
34. إبن سكينه (البغدادي عبد الواحد بن عبد الوهاب): 60، 61، 67.
35. إبن الرومي (عماد الدين الحنفي): 61.
36. إبن القرشية (البعليكي نجم الدين غبراهيم): 61، 66.
37. إبن تميمية (الإمام الفقيه تقي الدين): 62.
38. إبن الشيرجي (عماد الدين محمد بن أحمد): 67.
39. إبن اسفنديار (علي بن علي): 68.
40. إبن عساكر: 70
41. الأرموي (عبد الله بن يونس): 73.
42. الأرموي (علاء الدين علي بن ابراهيم): 74.
43. إبن مرغل (محي الدين أحمد): 76.
44. أبو الرجال (المنيبي بن مرعي): 76.

45. أبو الخير (الحموي): 82.
46. الأقراني (أحمد بن ترکان شاه): 92 .
47. الأفرم (الأمير عزالدین): 93.
48. ابن حنبل (الإمام أحمد): 99، 111.
49. أبو حنيفة (الإمام أبو حنيفة النعمان): 99، 111.
50. إِب المعالي (ابو الفتح): 100.
51. ابن شقران (أبو الفضائل): 101.
52. ابن الخباز: 102.
53. ابن المسلمة (محمد بن المظفر): 103.
54. الأصبهاني (الأمير أبو المظفر): 103.
55. أبو طالب (عبد العزيز بن دق): 106.
56. ابن المعز: 107.
57. ابن مقبل: 107.
58. ابن الجوزي: 109.
59. ابن المدير: 114.
60. ابو البركات الأنباري 223.
61. البساسيري (أبو الحارث أرسلان) : 25، 26، 27، 39، 28.
62. البيهقي (أحمد بن الحسن بن محمد) : 43.
63. البالسي (أبو بكر بن قوام): 75، 77.
64. البغدادي (أحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد): 76.
65. البلخي محمد: 81
66. البندقاري (الظاهر بيبرس): 91.
67. البرقي سالم: 94.

68. البغدادية (أم زينب فاطمة بنت عباس): 94.
69. البوشنجي (أبو الفضل أحمد): 100.
70. الباقداري (أبو بكر محمد بن ابي غالب): 102.
71. البكاء علي: 121.
72. البغدادى المظفر بن ياسير: 225.
73. تتش (ابن السلطان آلب أرسلان) : 57.
74. التكريتي (وجيه الدين): 89.
75. التلمساني (عفيف الدين): 91.
76. الثقفي (أبو البركات) : 102.
77. جلال الدولة : 23،24.
78. جفري (سليمان بن داود) : 28.
79. الجوزي (سليم الصوفي) : 49.
80. الجويني (أبو الفتح محمد بن علي) : 56.
81. الجويني (شرف الدين أبو بكر عبد الله بن شيخ الشيوخ) : 57.
82. الجيلاني (الشيخ عبد القادر): 105.
83. الجبائي عبد الله : 117.
84. جلال الدين (محمد بن أحمد) : 119.
85. الجراحي (حسام الدين الأمير): 120.
86. حموية (تاج الدين ابو محمد عبد الله): 65.
87. حسام الدين (الأمير محمد بن لاجين): 61.
88. الحراني (علي أبو محمد): 74.
89. الحموي (نجم الدين بن الحكيم): 75.
90. الحنفي (عثمان بن علي): 91.

91. الحلاوي (السعودي): 96.
92. الخوارزمي يوسف: 30.
93. خاتون (عصمة الدين): 60.
94. الخويشاني (الملقب بالنجم): 64.
95. الخالدي (إسرائيل علي بن حسين): 76.
96. الخطاط (يعقوب) : 101.
97. الدمشقي (حمد بن عبد الله بن علي أبو الفرج): 55، 63.
98. الدمشقي (أبو القاسم علي بن محمد السميساطي): 56.
99. الدرندي (عز الدين محمد بن الشيخ): 58.
100. الدمشقي (الأمير مجاهد الدين ابراهيم): 68.
101. الدينوري (عمر بن عبد الملك): 73، 80.
102. الدينوري (أبو بكر): 75.
103. الدمياطي (عز الدين أبيك الصالحي الأمير): 96.
104. الدوني (أبو عمر بن الحاجب): 82.
105. داود بن ابراهيم: 93.
106. رومانوس: 29.
107. الرازي مسعود: 43.
108. روزبهان بن جيجون: 59.
109. الرفاعي (ابن سليمان): 94.
110. الرازي (فاطمة بنت الحسين): 101.
111. الزوزني (أبو الحسن): 101، 110.
112. سيف الدولة: 58.
113. السهروردي (أبو النجيب): 72، 102، 105.

114. السهروردي (أبو حفص عمر): 103، 106، 111، 112.
115. الساوجي (محمد بن يونس): 73، 80.
116. شمس الدولة: 58.
117. شيركوه (أسد الدين): 58.
118. الشاطبي (أبو عبد الله بن سليمان): 92.
119. الشيرازي أبو الوفاء: 219.
120. الصدر البكري (أبو علي الحسن) : 56.
121. صلاح الدين (الأيوبي) : 58، 89.
122. طغرل بك: 25، 26، 27، 28، 30.
123. الطوسي أحمد: 100.
124. الطاهري (الأمير سيف الدين السلاحدار): 95.
125. الطاهر غازي (ابن صلاح الدين الأيوبي): 61، 62.
126. عمر بن عبد العزيز: 56، 64.
127. العزيز عبد السلام: 70، 224.
128. العسقلاني (أبو عبد الله الكنافي): 95.
129. عبد الغني الزاهد: 115.
130. علاء الدين أبو الحسن علي (الأمير): 93.
131. العلبي أبو بكر: 220.
132. العامري أبو بكر : 222.
133. الغزالي (أبو حامد): 50.
134. الغزنوي (عبد الرزاق): 51.
135. الغزالي أحمد: 220.
136. فيروز: 32.

137. الفارقي (تقي الدين): 68.
138. الفقاعي (يوسف بن نجاح بن موهوب): 75، 82، 85.
139. الفرثي (علي): 78.
140. الفارسي (الفخر): 95.
141. الفيروز أبادي (أحمد): 101.
142. الفاوي ابراهيم بن حسن: 226.
143. القائم بأمر الله (أبو حافص): 28، 30، 39.
144. القرمي (الضياء اسماعيل بن أمين الدولة): 68.
145. القطب النيسابوري : 73.
146. القادري (سوف الدين محمد بن الصاحي) : 91.
147. قايماز (الأمير مجاهد الدين) : 105.
148. القلانسي (ابن روزية أبو الحسن علي) ص106.
149. الكاساني (سعد الدين محمد) : 62، 70.
150. الكردي (خضر) : 121.
151. الكيكي (علاء الدين بن عدي الأمير): 122.
152. الكرمانى أبو منصور: 220.
153. المقتدي بأمر الله (عبد الله بن القائم بأمر الله): 30.
154. ماكشاه (30، 31، 32).
155. محمود الصغير (السلجوقي): 31.
156. المشطهر بالله (ابو العباس أحمد الخليفة العباسي): 31.
157. المصري (مجد الدين محمد): 63.
158. المخارقي (يونس بن يوسف) : 78.
159. المارديني (بيرم): 80.

160. المصري (علي) : 80.
161. المقدسي (العماد أحمد بن ابراهيم) : 86.
162. المهراني (خضر بن أبي بكر) : 95، 224.
163. المرواحي : 109.
164. المكي (أبو اسحاق ابراهيم) : 117.
165. الماموني (محمد بن معالي) : 118.
166. النجمي (النجيبى)، جمال الدين أفتش (: 62.
167. النووي (يجي أبو زكريا) : 227.
168. الهيكاري (عدي بن مسافر) 72
169. الهمداني أبو يعقوب : 219.
170. الهروي أبو الفتح : 222.
171. الوزيري (برهان الدين) : 65.
172. الواسطي (صدقة بن وزير) : 104.

فهرس الأماكن والبلدان:

1. الأندلس : 21، 22.
2. الدولة الإدريسية : 22.
3. الدولة الأموية : 22.
4. أرمينيا : 28، 29، 30.
5. آسيا الصُغرى : 28، 29، 30، 33.
6. أنطاكيا: 29، 31، 32، 33.
7. الأهواز : 36.
8. الاسكندرية: 75، 82، 92.
9. آسيوط: 93.
10. الدولة البويهية : 23، 24، 30، 35، 39، 41.
11. البصرة: 39، 42، 43، 112، 116، 118.
12. بغداد: 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 37، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 48، 50، 61، 63، 67، 71، 72، 76، 79، 86، 92، 94، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119.
13. البريد (باب) : 55.
14. بانياس : 60.
15. بطوط (درب) : 95.
16. البحر (باب) : 96.
17. البصرة (باب) : 101، 110.
18. بهروز (رباط): 100.

19. جرجان : 37، 42.
20. الجزيرة : 37، 41، 93.
21. الجابية (باب) : 59، 62، 69.
22. حلب : 28، 37، 56، 61، 62، 68، 69، 77، 83، 84، 104.
23. حران : 37، 59، 71، 75، 82، 113.
24. حمص : 56.
25. حماة : 56.
26. الحبش (بركة) : 93، 94.
27. حرب (باب) : 107، 114.
28. خراسان : 28، 30.
29. دجلة (نهر) : 35، 36، 37، 38، 63، 69، 99، 103، 105، 110.
30. الدمياطي (حوض) : 96.
31. دمشق : 28، 37، 38، 43، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64،
65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 75، 76، 78، 79، 80،
81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89.
32. دمياط : 81، 144.
33. الرها : 33.
34. الري : 36، 37، 46.
35. الزويلة (باب) : 94، 95.
36. السلسلة (درب) : 55، 63.
37. سمراء : 63.
38. السد (قنطرة) : 96.

39. الشام : 32، 33، 35، 36، 37، 38، 41، 43، 49، 51، 55، 56، 60، 61،
67، 80، 81، 83، 116، 118.
40. الشرف القبلي : 60، 67، 74.
41. شمال إفريقيا : 22.
42. طبرستان : 44.
43. العراق : 23، 25، 26، 28، 38، 43.
44. الفرج (باب) :
45. الدولة الفاهية : 22
46. فارس (بلاد) : 23، 36، 40، 50.
47. نهر الفرات : 35.
48. كرمان : 25، 36.
49. الكوفة : 27.
50. الكرخ : 39، 40.
51. المغرب الاقصى : 22
52. مصر : 22
53. مرو : 25، 44، 46، 48.
54. الموصل : 27، 33، 36، 37، 38، 46، 50.
55. المقدس (بيت) : 31، 32، 33، 50.
56. المشرق (الاسلامي) : 21، 22، 31، 33، 34، 38، 39، 40، 41، 46، 47.
57. النيل (نهد) : 35، 36.
58. نيسابور : 37، 43، 45، 46، 49.
59. همدان : 36.
60. واسط : 27، 36.

61. ما وراء النهر (بلاد) : 28، 30.

فهرس الطوائف والأقلبات

1. الأيوبيين: 97، 129
2. الإسماعيلية
3. الأتراك 23، 25
4. الاتحاديون: 282، 290، 293، 297، 306
5. الأفرنج: 129، 216
6. البطائحية (الرفاعية): 175
7. البوميين: 24
8. البزنطيين: 29
9. التتار: 143، 210، 217
10. الحنابلة: 101
11. الحلوليون: 282
12. السنة (أهل): 28، 36، 39، 40، 41، 52، 53
13. السلاجقة: 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 35، 41، 46
14. السلجوقية: 30، 31، 32، 33، 41
15. الشيعة: 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 35، 41، 46، 51
16. الصوفية: 45، 47، 48، 49، 50، 51، 52
17. الصليبي: 134، 210، 217
18. الفاطميين: 26، 27، 33، 41، 51

فهرس المحتويات:

إهداء

كلمة شكر

المقدمة أ

ص 20 الفصل الأول: الظروف العامة في المشرق الإسلامي في النصف الثاني من القرن (5هـ / 11م) ..

ص 21 1. الظروف السياسية والعسكرية

ص 34 2. الظروف الاقتصادية والاجتماعية

ص 42 3. الحياة العلمية خلال النصف الثاني من القرن (5 هـ / 11م)

ص 47 4. التصوف خلال النصف الثاني من القرن (5 هـ / 11م)

ص 54 الفصل الثاني: المؤسسات الصوفية حسب الأمصار خلال القرنين (6هـ/7 هـ) (12م/13م)

ص 55 1. المؤسسات الصوفية في مدينة دمشق

ص 90 2. المؤسسات الصوفية في مصر

ص 98 3. المؤسسات الصوفية في بغداد وفلسطين

ص 123 الفصل الثالث: دور الصوفية في الحياة السياسية خلال القرنين (6هـ/7هـ)

ص 124 1. نظرة عامة حول الأوضاع في المشرق الإسلامي

ص 166 2. علاقة الصوفية بالحكام

ص 198 3. دور الحركة الصوفية في الجهاد

ص 218 الفصل الرابع: دور الحركة الصوفية في الحياة الاجتماعية خلال القرنين (6هـ/7هـ)

ص 219 1. دور العباد الصوفية في تربية المريدين

ص 220 2. دور الصوفية في الوعظ

ص 224 3. دور الصوفية في خدمة المجتمع

ص 230 4. عقد الصوفية سماعات حلقات الذكر

ص 244 5. مظاهر الانحلال الخلقي عند بعض الصوفية

ص 252 الفصل الخامس: دور الحركة الصوفية في الحياة العلمية خلال القرنين (6هـ/7هـ)

ص 253 1. اهتمام الصوفية بعلوم الشريعة

ص 263 2. دور الصوفية في التعليم

ص 280 3. مذهب وحدة الوجود عند صوفية القرن (7هـ / 13م)

ص 285 4. الاختلاف حول شخصية "ابن عربي" وأفكاره

300 ص 5. نقد إتباع وحدة الوجود
336 ص 6. الإنتاج العلمي عند الصوفية
358 ص الخاتمة
362 ص الملاحق
367 ص قائمة المصادر والمراجع
385 ص فهارس الأماكن والبلدان والأعلام
398 ص فهرس المواد